
Dr. HANS DAIBER
6900 Heidelberg
Uferstraße 40












كتاب التصفية للقلوب من درن
الأوزار والذنوب تأليف الإمام العلامة
القدوة الصمصامة شمس المجالس وبهاء
المدارس محيي علوم آل المصطفى ودرة تاج
الأئمة الخلفاء أمير المؤمنين المؤيد
بالله رب العالمين يحيى بن حمزة بن علي بن
ابرهيم بن يوسف بن علي بن ابرهيم بن
محمد بن ادريس بن جعفر الزكي بن علي
التقي بن محمد بن علي الرضى بن موسى
الكاظم بن جعفر الصادق
بن محمد الباقر بن علي
السجاد بن زين
العابدين
الحسين السبط ابن علي الوصي أمير المؤمنين ابن أبي طالب صلوات الله عليهم
أجمعين وصلى الله على محمد و
آله وصحبه الراشدين
آمين اللهم
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وبه الثقة وهو نعم المعين الحمد لله المبدع
اللطيف الخبير الذي ابدع في تصريف الامور بعجيب التدبير وعدل تركيب
الخلق بحسن التقويم والتقدير وزين صورة الانسان فاحسن في عجيب التصوير
وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله من غير تأمل ولا تفكير فجعل
على قانون الحكمة ومطابقة المنفعة من غير تقديم ولا تأخير وفوض تحسين الاخلاق
الى الاجتهاد من جهة العبد والتشمير واستحثه على تهذيبها بباعث
الخوف وسوط التحذير وسهل على خواص اوليائه تهذيب الاخلاق بما منحهم
من التوفيق والتيسير وامتن عليهم بما اعطاهم من الالطاف الخفية في تسهيل
العسير والصلوة على البشير النذير الداعي الى الله باذنه السراج المنير
الذي لاحت انوار النبوة من اساريره وتلألأت مخايل الحق من مخايله
وتباشيره وعلى اله الطاهرين الذين اظهروا وجه الاسلام عن ظلمه
ودياجيره وحسموا مواد الباطل فلم يتدنسوا لا بقليله ولا بكثيره
اما بعد فان المقصود بهذا الاملاء هو الاشارة الى تصفية النفوس
عن الرذائل وتزكية الاخلاق والتحلي بمحاسن الشمائل وتطهيرها عن الاوصاف
الردية وتنزيهها عن الخصال المهلكة البدنية ليكون بذلك محرز الطرايق
المحمودة ومخلصا للنفس عن العلايق المذمومة فعند ذلك تحصل النجاة
من عذاب الله والفوز برضوانه والاختصاص بكريم جواره ومزيد فضله
واحسانه وقد اخترنا في ترتيبه ان يكون محتويا على عشر مقالات هي وافية
بالمقصود والغرض المطلوب مما نريده بمعونة الله وحسن توفيقه المقالة
الاولى في الرياضة وتهذيب الاخلاق واعلم انا انما بدانا به لانه كلام
في آداب النفوس وتطهيرها عن دنس الاوزار وتبعيدها عن اوضار الاثام
حتى تظفر بالسعادة الاخروية وتفوز بالكرامة السرمدية قال
مولانا عليه السلام المؤيد بالله امير المؤمنين عليه الصلوة والسلام المختار

التحاق

الصادق في علاج النفوس بمحو الرذائل والاخلاق الردية عنها وكسب الفضائل
والاخلاق الجميله مثال البدن وعلاجه بازالة العلل عنه وجلب
الصحه اليه فكما ان الغالب على اصل المزاج الصحه والاعتدال وانما يعتري
العلل العارضه من جهة عوارض الاغذيه وتغير الاهويه وتعاقب الاحوال
فهكذا كل مولود فانه يولد معتدلا صحيحا كما اشار اليه صاحب الشرع صلوات
الله عليه بقوله كل مولود يولد على الفطره ولكن ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
اي يكسب الرذائل بالتعود والتعليم وهكذا حال البدن فانه لا يخلق كاملا
وانما يكمل بالتربيه والاغذيه الطيبه فهكذا حال النفس فانها تخلق ناقصه
قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكيه وتهذيب الاخلاق بالعلم وكما ان البدن اذا
كان صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان
مريضا فشانه جلب الصحه فكذلك النفس مثلا ان كانت طاهره زكية
مهذبة الاخلاق فينبغي ان يسعى في حفظها وحفظ صفاتها وجلب مزيد
قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفا فينبغي
ان يسعى لجلب ذلك اليها وكما ان العله المغيره لاعتدال المزاج الموجبه للمرض لا
تعالج الا بضدها فان كانت من حرارة عولجت بالبرودة وان كانت من برودة
فالحراره فهكذا حال الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج
مرض القلب من الجهل بالعلم ومرض البخل بالسخا ومرض الكبر بالتواضع ومرض
الشره بالكف عن المشتهيات وكما لا بد من احتمال مرارة الدوا في علاج الابدان
فلا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر عليها لمداواة مرض القلوب فاذا
مهدت هذه القاعدة فلنذكر رياضة القلوب ثم نذكر رياضة الابدان
ثم نردفه برياضة الاطفال فحصل ابواب ثلاثة نذكرها ونفصلها بمشية
الله سبحانه

الباب الاول في رياضة القلوب وشرح عجائبها

اعلم ان شرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من اصناف المخلوقات
باستعداده لمعرفة الله سبحانه وتعالى التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الاخرة عدته

وإذن هو القلب إنما يستعد لمعرفة الله تعالى بقلبه لا بجارحة من جوارحه
فالقلب هو العالم بالله تعالى وهو العامل لله تعالى والساعي إلى الله تعالى والمتقرب
إليه والجوارح إنما هي أتباع وخدم له وآلات يستخدمها القلب
ويستعملها استعمال الملك للعبيد والراعي للرعية ويشتمل على لطائف
وأسرار نشير إلى المهم منها بمعونة الله نورده في مطالب ثلاثة

المطلب الأول في بيان ما يطلق عليه لفظ القلب ويطلق على معنيين
المعنى الأول منهما على اللحم الذي يكون في الجانب الأيسر من صدر الإنسان
دقيق الأعلى عريض الأسفل على شكل الصنوبر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف
وفي ذلك التجويف دم أسود وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود في حق الميت
والكلام في شكله وكيفيته ليس يتعلق به شيء من الأغراض الدينية وإنما
يتعلق به غرض الأطباء المعنى الثاني وهي اللطيفة الإلهية التي تتعلق
بها المقاصد الدينية وهي العالمة المدركة وتلك اللطيفة هي حقيقة
الإنسان وهي المخاطبة والمطالبة والمثابة والمعاقبة ولها تعلق مع القلب الجسداني
وقد تحير أكثر عقول الخلق في إدراك وجه العلاقة بينهما هل تضاهي تعلق الأعراض
بالأجسام أو الأوصاف بالموصوفات أو تعلق الصورة بالمرآة أو تعلق المكان
بالمتمكن فيه أو غير ذلك من سائر الصفات والبحث عن ذلك دقيق وليس ذلك
من همنا وإنما همنا إصلاحه على أي وجه كانت حقيقته وهكذا حال الروح
فإنه يطلق على معنيين أحدهما الجسم اللطيف منتشر في سائر أجزاء الجسد
وثانيهما اللطيفة العالمة المدركة وهكذا حال النفس فإنها تطلق على المعنى
الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان وعلى اللطيفة التي هي العالمة المدركة
الآمرة الناهية فهذان معنيان أيضا وهكذا العقل فإنه يطلق
على معنيين أحدهما اللطيفة التي أشرنا إليها فإنها هي العاقلة المثابة المعاقبة
وثانيهما على العلم بالحقائق المفردة والمركبة فهذه حقائق أربعة القلب

والروح

والروح والعقل والنفس فالفاظها متخالفة ومعانيها اربعة والمعاني خمسة والخامس هو الجامع لها وهي المسماة عليه فالقلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم العقلية فهذه اربعة والخامس هو اللطيفة المدركة العاقلة التي هي متصفة بالصفات التي ذكرناها من الاحساس والعلم والادراك فهذا ما اردنا ذكره من شرح معناه

المطلب الثاني في بيان الخاصة لقلب الانسان ومثاله وجنوده فاما الخاصية فاعلم ان الله تعالى قد انعم على سائر الحيوانات سوى الآدمي بالشهوة والغضب والحس والحواس الظاهرة كالسمع والبصر حتى انه الهمها الى ضروب من الالهامات العجيبة فيما يكون فيه مصالح للعباد ولهذا فانك ترى الشاة تهرب من الذئب اذا ابصرته لما تعرف من عداوته لها لكن الآدمي قد خص الله قلبه بخصائص لاجلها عظم شرفه واستحق القرب من الله تعالى وهذه هو العلم بالامور الدنيوية والامور الاخروية والحقائق العقلية فان هذه الامور وراء الامور المحسوسة ولا اشتراك بينه وبين سائر الحيوانات فيها كالعلم بالامور الخبرية التي تحتاج الى ممارسة كالعلم بانكسار الزجاج واغراق الماء واحراق النار وغير ذلك ونحو العلوم النظرية فانها متولدة عن المقدمات الضرورية وحاصلة عنها فتحصل من مجموع ما ذكرناه ان ههنا ما يتميز الانسان به يكون بخاصتين

الخاصة الاولى العلم واشرف انواع العلم هو العلم بالله تعالى وبصفاته الذاتية كالعالمية والقادرية وسائر الصفات الثبوتية والايجابية وعلوم الحكمة في افعاله فان باحراز هذه العلوم يحصل كمال الانسان وفي كماله احراز السعادة الاخروية والفوز بجوار الله تعالى في دار كرامته

الخاصة الثانية الحكمة ونعني بها حالة للنفس يدرك بها الصواب من الخطا في جميع افعاله فتكون مطابقة لمنهاج الحق وسلك الصواب واليه الاشارة بقوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب فلا فضل له الا

باحران هذين الامرين ومصداق ماقلناه ان الانسان من حيث قلنا
انه يتغذا او ينمو فهو نبات ومن حيث انه يحس ويتحرك بالاختيار
فهو حيوان ومن حيث الصورة والقامه فهو كالصورة الحاصلة من شمع او
خشب والماخاصيته معرفة حقائق الاشيا فمن استعمل جميع اعضائه
وقواه على جهة الاستعانه بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق
ان يكون لاحقا بهم وجديران يسما ملكا كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم
ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنيه ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط
الى حضيض البهايم فيصير اما غمرا كالثور ولما شرها كالخنزير واما عاقرا
كالكلب واما حقودا كالجمل او متكبرا كالنمر او ذا روغان كالثعلب او جمع ذلك
كله كالشيطان المريد وما من عضو من اعضائه الا ويكن استعماله والاستعانه
به على الطاعة لله تعالى والوصول به الى السعادة الاخرويه فيكون لقاء الله تعالى
مقصده والدار الاخره مستقره والدنيا منزله ومن اجل ذلك كان الانسان
متميزا بما ذكرناه **واما الامثلة** فاعلم ان الله تعالى قد ركب الانسان تركيبا
عجيبا وقومه في احسن تقويم فلنذكر الامثلة الدالة على نهاية الحكمه فيه وجملتها
ثلاثة **المثال الاول** ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه كمثل وال
في مدينته ومملكته فان البدن مملكة للنفس وعالمه ومستقره وقواه **فاما**
جوارحه فهي بمنزلة الصناع والعمال **واما** العقل فهو بمنزله المشير الناصح والوزير
الحاذق **واما** الشهوه فهي كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينه **واما**
الغضب والحميه فهما كصاحب الشرطه والعبد الجالب للميرة كذاب مكار
مخادع حيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه السم القاتل والشر الهائل
ولا يزال ينازع الوزير في كل تدبيره فالوالي في مملكته متى استشار هذا
الوزير المرشد وهو العقل صلحت المملكة واستقامت احواله ومتى كان
مستشيرا لهذا العبد الخبيث مرج الامر وفسد الملك **فهذا حال**
النفس متى كانت مطيعة للشهوة موطوءة بقدمها كانت كما قال الله تعالى

افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم ومتى كانت مطيعة للعقل
كانت كما قال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي الماوى **المثال الثاني** وهو ان البدن كالمدينة والعقل
كمثل مدبرها والحواس بمنزلة الجنود والاعوان والاعضا بمنزلة الرعية
والنفس الامارة بالسوء هي الشهوة والغضب بمنزلة عدو ينازعه في
مملكته ويسعى في هلاك رعيته فان جاهد عدوه وقهره على ما يجب حمد
اثره واستقام ملكه وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وبطل امره
وكان خاسرا عند الله تعالى **المثال الثالث** مثال العقل
كمثل فارس متصيد فالشهوة كالفرس والغضب بمنزلة الكلب متى كان
الفارس حاذقا والفرس مروضا والكلب مؤدبا معلما كان جديرا بالنجاح
ومتى كان الفارس اخرق والفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه منقاد
للحاجة ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا عن
ان ينال ما طلب فخرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وجماح
الفرس مثل لغلبة الشهوة في البطن والفرج وعقر الكلب مثل للغضب
واستيلائه فهذه الامثلة التي اوردناها جعلناها امثلة لخلق الانسان
وتركيبه **واما جنوده فاعلم** ان الله تعالى يقول وما يعلم جنود ربك الا هو
وقال صلى الله عليه وآله وسلم الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها
اختلف والقلب في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان فهذه معنى الجند
ومعناه فاليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضا جميعها
خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة
على طاعة القلب لا تستطيع خلافا له ولا تمردا عليه فاذا امر العين بفتح الجفن
انفتحت واذا امر الرجل بالمشي مشت واذا امر اللسان تكلم وهكذا
سائر الاعضاء منقادة له مسخرة له مدبرة تحت امره وحالة الاعضا
ان جنوده اصناف خمسة **الصنف الاول** هذه الاعضا

وسائرها الصنف الثاني الحواس الخمس نحو الشم والذوق والسمع
والبصر واللمس الصنف الثالث القدرة فانما هي الآلة في
هذه الافعال كلها وبها تحصل الآثار الفعلية الصنف الرابع
الاراده وهي الباعثة على هذه الافعال المحصلة لوقوعها على الاوجه
المختلفة الصنف الخامس العلم والحكمة والفكر فان هذه الامور
كلها لابد من وجودها وحصولها لتحقيق ان يستعين بهذه الآلات التي هي بمنزلة
الجند على احراز السعادة الاخروية ونجاة النفس من عذاب الله فان هو ترك
الاستعانة وحكم على نفسه قوة الغضب وقوة الشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا
مبينا وهكذا حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط
الحيل لقضاء الشهوات فضلوا عن طريق النجاة ومالوا عن منهاج
الجنة وخلقت النفوس مطيعة للشهوات العاجلة وايثارها ويحصل من مجموع
ما ذكرناه ههنا بيان خاصة الانسان ومعرفة جنوده وبيان امثلته بالاضافة
الى جنوده وآلاته التي هي الحزم في حقه والله اعلم المطلب الثالث في بيان
كيفية اتصاف القلوب بالعلوم وغيرها من سائر الصفات المضافة اليها
اعلم ان محل العلوم هو القلب وهو بالاضافة الى حقائق المعلومات
كالمراة بالاضافة الى الصور المنطبعة فيها فان لكل معلوم حقيقة
وتلك الحقيقة صورة فتنطبع في مراة القلب ويتضح بها فكما ان المراة غير
وصور الاشخاص غير وحصول مثالها غير فهذه ثلاثة امور فهكذا ههنا
ثلاثة امور القلب وحقائق المعلومات وحصول تلك الحقائق في القلوب
فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه مثال حقائق المعلومات والمعلوم عبارة
عن حقايق الاشيا كلها والعلم عبارة عن حصول المعلوم في القلب كما مثلنا
في المراة من غير تفرقة بينها وهو اوقع مثال في حق القلب والعلم والمعلوم
وكما ان المراة لا تنكشف فيها الصور لامور تعرض فيها وجملتها خمسة اولها
نقصان الصورة كالمراة من الخشب فانها لا تحصل فيها صورة لبطلان الجوهرية

وثانيها

وثانيها الصدا والكدورة وان كانت الجوهرية حاصلة ٥ وثالثها العدول بها عن جهة الصورة كما لو كانت وراءها ورابعها الحجاب المرسل بين المراة والصورة وخامسها عدم النور المتصل بالمراي فهكذا حال القلب فانه مراة مستعدة لان تتجلا فيها الحقايق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم لمثل هذه العوارض ٥ اولها نقصان القلب كما نقول في قلب الصبي ٥ وثانيها كدورة المعاصي فانها مطخية للقلب ٥ وثالثها ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيًا فانه ليس تتضح فيه جلية الحق لانه ليس طالباله ولا يصرف نفسه وفكرته إلى التامل فلهذا لم يحصل له الحلم ٥ ورابعها الحجاب فان المطيع اما لم يحصل الحلم المحقق الحجب لنفسه باعتقاد الجهل الذي سبق إلى نفسه في الصبا على جهة التقليد ٥ وخامسها عدم نور التوفيق من جهة الله تعالى فهذه الاسباب كلها هي المانعة عن معرفة حقايق الامور والا فكل قلب فهو صالح بالفطرة لمعرفة الحقايق لانه جوهر شريف مفارق لسائر الاعضا والجوارح بهذه الخاصية التي اشرنا اليها وكما ان الانسان متصف بهذه الصفات المحموده فقد يجتمع فيه انواع من هذه الاوصاف الذميمة الخبيثة وجملتها امور ثلاثة السبعية والبهيمية والشيطانية

الصفة الاولى السبعية فهو من حيث تسلط عليه الغضب يتعاطا افعال السباع من العداوه والبغضا والتهجم على الناس بالضرب والشتم وانواع الأذايا بحيث لا يرعوي عن ذلك

الصفة الثانية البهيميه فهو من حيث غلبت عليه الشهوة يتعاطا افعال البهايم من الجمع والحرص والشبق وكثرة الاكل والشرب

الصفة الثالثة الشيطانية فمن جهة انه مميز من البهايم مع مشاركته لها في الغضب والشهوة وحصلت فيه شيطانية فصار شريرًا يستعمل الحذق في استنباط الحيل والخدع والمكر ويتوصل الى تحصيل الاغراض باعمال كل حيلة ويظهر الشر في معرض الخير وهذه هي اخلاق الشياطين فكل انسان ففيه شوب من هذه الشوائب الثلاث السبعية والبهيميه والشيطانية وكل ذلك مجموع في القلب وكان المجموع

في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان فالخنزير هو الحرص والكلب هو الغضب فانه السبع الضاري والشيطان هو الشهوة فهذه آفات ثلاث متى اجتمعت فهي مهلكة وملاك ذلك كله العقل فاذا كان الانسان محكما له فهو السلطان القاهر عليها وحصلت النجاة من ذلك واذا كان مقهوراً الغلبة الشهوة والكبر موطوءاً بقدمها حصل الهلاك نعوذ بالله منه

المطلب الرابع في بيان تسليط الشيطان على القلوب بالوسوسة

اعلم ان القلب هو مهبط الرحمة والملائكة ومسكن الشياطين والغضب ومصداق ذلك قوله تعالى يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله تعالى خنس وان نسي الله التقم قلبه وفي حديث آخر قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن عز وجل وعلا وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان يجري من الانسان مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع الى غير ذلك من الاحاديث فاذا تقررت هذه القاعدة فالحاصل من الخير انما هو بسبب الآثار الحاصلة في القلب وما حصل من الشر فهو من الآثار الحاصلة فيه ايضاً والباعث على تلك الآثار جهات ثلاث

الجهة الاولى هي الاسباب الظاهرة كالحواس الخمس فانه اذا ادرك بالحواس شيئاً فانه يحصل منه اثر في القلب فاذا شاهد الانسان ما يحبه فانه يثير المحبة والمودة والملائمة واذا شاهد ما يكرهه فانه يحصل الغضب والسخط فلهذا كانت الكراهة شديدة آثار العداوة والبغضاء

الجهة الثانية الاسباب الباطنة كالخيال والشهوة والغضب والخلائق المركبة في مزاج الانسان فان الشهوة اذا هاجت بكثرة الاكل او بنوع في المزاج حصل منها في القلب آثار وان لم يحصل هناك شيء من جهة الحواس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال والمقصود ان الخيال

في التغير

في التغير والتأثر وأما من هذه الأسباب **الجهة الثالثة**
الخواطر الحاصلة في القلب ونعني بالخواطر ما يحصل فيه من الافكار والاذكار
فانه يحصل هناك اعتقادات وعلوم وظنون على جهة التجدد وعلى سبيل
التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر في القلب بعد ان كان
غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فمبدأ الافعال الخواطر
ثم الخواطر تحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك الاعضاء ثم ان
الخواطر المحركة منقسمة الى ما يدعو الى الشر وهو ما يضر في العاقبة والى ما يدعو
الى الخير وهو ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان وافتقر الى اسمين
مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم الداعي الى الشر يسمى وسواسا
ثم ان سبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر
يسمى شيطانا واللطف الذي يتهيأ القلب به لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذي يتهيأ به
لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء او خذلانا فان المعاني المختلفة
تفتقر الى القاب مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى من شانه افاضة
الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه الله تعالى وسخره لاجل ذلك
والشيطان عبارة عن خلق خلقه الله تعالى من شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر
والامر بالفحشاء والتخويف عن الهم بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الالهام
والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان والقلب متجاذب
بين الشيطان والملك والشيطان يضله ويغويه والملك يرشده ويهديه
فمتى جاهد الانسان نفسه بطرح الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه
باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم وان اتبع الانسان
مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسليط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب
عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرتع الشيطان ومرعاه ولهذا
قال صلى الله عليه وآله وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ولمة

ولمة من الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير
فمن وجد ذلك فليتعوذ بالله من الشيطان فقد اتضح بما ذكرناه من
الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق
والخذلان والله اعلم بالصواب

المطلب الخامس في بيان مداخل الشيطان الى القلوب

اعلم ان القلب مثاله مثال حصن رفيع
والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر
على حفظ الحصن الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر
على حراسة ابوابه من لا يعرف ابوابه وحماية القلب عن فساد الشيطان فرض
عين واجب على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب ولا
يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصار معرفة مداخل الشيطان
واجبه ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد نحو الشهوة والغضب والحسد
والطمع وغيرها وهي كثيرة ولكنا نشير الى معظمها ووسايله في اغواء الخلق وسلطته
عليهم بها وجملتها وسايل عشر نذكرها ونذكر كيفية علاجها والتخلص منها

هذه ان تقريران التقرير الاول في ذكرها الوسيلة الاولى
الحسد والحرص فمن حصل فيه هاتان الخصلتان عمي وصم وهما اعظم مداخل
الشيطان واكبر وسايله وقد روي ان نوحا عليه السلام لما ركب البحر
وحمل في السفينة من كل زوجين اثنين كما امر فراى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له
نوح من ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم معي
وابدانهم معك فقال نوح اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس
نعوذ بالله خمس اهلك بهن الناس وساحدثك منهن بثلاث
ولا احدثك باثنتين فاوحى الى نوح انه لا حاجة بك الى الثلاث
مره يحدثك بالاثنتين فقال ما الاثنتين فقال هما اللتان لا يكذباني
هما اللتان لا يخلفاني بهما اهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت
وجعلت شيطانا رجيما وبالحرص ابيحت حاجتي من آدم ابيح لادم

7

الجنة كلها الا الشجرة التي عرفتها فوسوست لهما حتا اكلها **الوسيلة الثانية** الشهوة والغضب فانهما من اعظم المصايد للشيطان فمهما غضب الانسان لعب به الشيطان وعن بعض الانبيا انه قال لابليس باي شي تغلب بني آدم قال اخذه عند الغضب والهوى وظهر ابليس على راهب فقال اي اخلاق بني آدم اعون لك عليهم فقال الحدة ان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقيل لابليس كيف تغلب ابن آدم فقال اذا رضي جئت حتا اكون في قلبه وان غضب حتا اكون على راسه **الوسيلة الثالثة** حب الشهوات والزينة في الدنيا بالثياب والاثاث والدور والمراكب فان الشيطان اذا راى ذلك على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى الاثواب النفيسة والجامع الدنيا وتزيين سقفها وحيطانها وتوسيع الابنية ويستخدم طول عمره فاذا وقع فيها فقد استغنا عن معاودته فان بعض ذلك يجر الى بعض فلا يزال يوديه من شي الى شي الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في بحر الاماني يعوم وفي سبيل الضلال يخوض ومن ذلك يخشى سو الخاتمة نعوذ بالله منها **الوسيلة الرابعة** الطمع فاذا كان الطمع غالبا على القلب لم يزل الشيطان يحسن له ويزين له التصنع لمن طمع فيه حتا يصير المطموع فيه كانه معبود وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اياكم واستشعار الطمع فانه يشرب القلب شدة الحرص ويختم على القلوب بطابع حب الدنيا وهو مفتاح كل سيئة وسبب احباط كل حسنة وهذا هو الغاية في الخسران والهلاك **الوسيلة الخامسة** العجلة في الامور وكثرة الطيش والفشل وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الاناة من الله والعجلة من الشيطان وروى انه لما ولد عيسى عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقالوا اصبحت الاصنام قد نكست روسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم وطار حتى جا خافقي الارض فلم يجد شيا فوجد عيسى قد ولد واذا الملائكة قد حفت حوله فقال لهم ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا انا بحضرتها

الاحد افا شتيا تمسوا عبادة الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ابتلوا
بني آدم من قبل الحقد والبخل ٥ **الوسيلة السادسة**
الفتنة بالدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال والعروض والدواب
والعقارات وكل مايكون فضله على قدر الحاجة والقوت فهو مستقر
الشيطان وروى ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما بعث قال ابليس
لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاءوا وقالوا ما ندري
قال ابليس انا اتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال قد بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم
قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فينصرفون
خائبين ٥ فيقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون
للصلوة فيمحون ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا
فهناك تصيبون حاجتكم منهم ٥ **الوسيلة السابعة**
البخل وخوف الفقر فان البخل هو اصل لكل خطيئة وروي ان ابليس قال ما غلبني
ابن آدم فلم يغلبني في ثلاث امور ان ياخذ المال من غير حله وينفقه في غير حقه
ويمنعه من مستحقه فقال سفيان الثوري ليس للشيطان سلاح على الانسان
مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى
وظن بربه ظن السوء وهو من اعظم الآفات على الدين ٥ **الوسيلة**
الثامنة سوء الظن بالمسلمين وقد قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان
بعض الظن اثم ٥ ومن حكم بشيء على غيره بالظن فان الشيطان يبعثه على ان
يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانا في اكرامه
او ينظر بعين الاحتقار او يرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ثم ما رايت
انسانا يستر الظن بالناس طالبا لعيوبهم فاعلم انه خبيث في الباطن فان المؤمن يطلب
المعاذير والمنافق يطلب العيوب للخلق ٥ **الوسيلة التاسعة**
الشبع من الطعام والتانق في المآكل الواسعة فان الشبع يقوي الشهوات
وهي اسلحة الشيطان التي يصول بها وروي ان ابليس ظهر يوما ليحيى ابن زكريا عليهما السلام

قدر عليه

فرأ عليه معاليق من كل شي فقال له كي يا ابليس ما هذه المعاليق
فقال هذه الشهوات التي اصبت بها بني آدم فقال هل لي فيها شي
فقال ربما شبعت فثقلناك عن الصلوة وعن الذكر فقال له هل غير ذلك
قال لا فقال يحيى علي لله ان لا املأ بطني فقال ابليس علي لله ان لا انصح
مسلما ... الوسيلة العاشرة تعاطي العوام الذين لم يمارسوا
العلوم ولا يتبحروا فيها في التفكر في ذات الله تعالى وصفاته وفي الامور التي
لا تبلغها عقولهم حتى يودي ذلك الى الاعتقادات الكفرية وهم لا يشعرون
وهم في غاية ما يكون من الفرح والسرور والاطمئنان الى ما وقع في صدورهم وهم
في غاية من الخطاء ويظنون ان ما اعتقدوه هو العلم والبصيرة فاهذا خاله
يكون من اعظم الابواب للشيطان في التعب بهتوهم وايقاعهم في الامور المكروهة
فهذه وسائل الشيطان ومداخله الى القلب وهي كثيرة وفيما
ذكرناه تنبيه على ما وراءها وعلى الجملة فليس في الآدمي صفة مذمومة
الا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله ... في التقرير الثاني
في بيان العلاج في دفعها وازالتها اعلم ان علاج هذه الامور وازالتها
انما تكون بالدعاء الى الله تعالى والتلجي اليه في دفعها وازالتها بالاجتهاد في قلع
هذه الصفات المذمومة عن القلب بالعناية في ذكر الله تعالى فهذه دوافع
الدافع الاول يكون بالتلجي الى الله تعالى بالدعاء وتحصيل الالطاف الخفية في
ابعاد الشياطين وازالتهم ... وعن عبد الرحمن ابن ابي ليلى قال كان شيطان ياتي
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بيده شعلة نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرا
ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل عليه السلام فقال قل اعوذ بكلمات الله التامات
التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما
يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار وطوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن
فطفيت شعلته وخر على وجهه ... وعن الحسن البصري انه قال ان نبئت ان
جبريل عليه السلام اتى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان عفريتا من الجن يكيدك

فاذا آويت الى فراشك فاقرا آية الكرسي الخ وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
قال ان الشيطاني فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه والذي بعثني بالحق
نبيًا ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة اخي سليمان
لاصبح طريحا حتى تنظروا اليه الخ

الدافع الثاني في ازالة هذه الصفات المذمومة من القلوب وقلعها منها فان الشيطان مثل الكلب
في التسليط على الانسان فاذا كان الانسان متصفا بهذه الصفات
الذميمة من الغضب والحسد والحرص والطمع وغيرها كان بمنزلة من
يكون بحضرته يد يحتج ولحم فان الكلب لا محالة يتهور عليه ولا يتوثب لا
يندفع واذا لم يكن متصفا بها لم يطمع فيه لانه لا داعي له هنالك ويكون دفعه
باسهل ما يكون وايسر فانه ربما يندفع بالنهر والخسا فيزال ايضا فيزال
الغضب بالرضا والسكينة ويزال الكبر بالتواضع ويزال الحسد بمعرفة الحق
للمحسود وان الذى اختص به فضل من الله تعالى فلا يكن دفعه ويزال الطمع
بالورع والاكتفا بما اعطاه الله تعالى ويزال الحرص بتحقق حال الدنيا والانقطاع
بالموت وهكذا يفعل في كل خصلة مذمومة بالاجتهاد في ازالتها

الدافع الثالث ذكر الله تعالى واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين اتقوا
اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والمعنى انهم
اذا الم بهم شيء من هذه الصفات الذميمة فزعوا الى الله تعالى وتذكروه
فعند ذلك يحصل التبصر لهم في عواقب امورهم **نعم** الذكر لا يكون
طاردا للشيطان الا اذا كانت القلوب معمورة بالخوف والتقوى فاما اذا
لم تكن خالية عن ذلك فربما يكون الذكر غير مجد ومثال هذا من يطعم
في شرب الدوا قبل الاحتما والمعدة مشحونة بغليظ الطعام ويطمع في انه
ينفعه كما ينفع الذي شربه بعد الاحتما وتخلية المعدة من الاطعمة
والذكر هو الدوا والتقوى هو الاحتما فاذا حصل الذكر في قلب فارغ
عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدوا في معدة خالية

عن الاطعمه

عن الاطعمة كما اشار اليه تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب

المطلب السادس في بيان ما يؤاخذ به العبد من

وساوس القلوب وما يعفى عنه اعلم ان هذا امر غامض ولا

يدركه الا اهل البصائر وسماسرة العلماء وموردة الشرع وقد

وردت فيه آيات واخبار متعارضة فمما يدل على العفو قوله صلى الله عليه

وآله وسلم تجاوز الله عن امتي ما حدثت به انفسها ما لم تتكلم او تعمل وفي حديث

آخر يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها فان عملها

فاكتبوها سيئة وان تركها من اجلي فاكتبوها حسنة واذا هم

بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا ففي هذا دلالة

على العفو عن عمل القلب والهم بالسيئة و في حديث آخر من هم

بحسنة فلم يعملها فاكتبوها عشرا ومن هم بحسنة فعملها كتب له الى سبعمائة

ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت وفي

حديث آخر اذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها ما لم يعملها وكل ذلك

دال على العفو وكقوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش

الا اللمم وهو ما يلم بالقلب من العزوم والارادات واما ما يدل

على المؤاخذة فقوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله

وقوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا

فدل ذلك ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقوله ولا

تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما

كسبت قلوبكم والحق في هذه المسئلة لا يوقف عليه الا بعد الاحاطة

بتفصيل الاعمال من مبدأ ظهورها الى ان يظهر الفعل على الجوارح فنقول

للقلب قبل عمل الجارحة اربعة احوال الحالة الاولى منها

الخاطر الذي يرد على القلب لو خطر على باله صورة امرأة وانها وراء ظهره

في الطريق لو التفت اليها لرآها الثانية حركة الشهوة وهيجان الرغبة

الحيوانية في الطبع ونزوع النفس فما هذه احاله فانه يتولد من

الخاطر ويسمى هذا اميل الطبع **الثالثة** حكم القلوب بأن هذا
ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان ينظر اليه وهو على كل حال حكم للعقل
الرابعة تصميم العزم وجزم النية فيه وما هذه الحالة يسمى عزماً
فهذه كلها اربعة احوال للقلب كما ترى فاذا تقررت هذه القاعدة
فالمختار انه لا يتبع المرء آخذ بتلك الافعال الثلاثة المتقدمة اعني الخاطر
وحركة الشهوة وحكم القلب فان هذه الامور لا تدخل تحت الاختيار فهذه كلها
ليس فيها جزم على الفعل وكلها احاديث النفوس تجاوز الله عن امتي ما حدثت
به انفسها ما لم تقل او تفعل **واما الحالة الرابعة**
وهو تصميم العزم وتحديد القصد ففيه يتبع المواخذة وفيه وقع
التردد بين المتكلمين هل يكون هذا العزم مشاركاً للمعزوم في الحكم املا فقالت
طائفة يكون مشاركاً للفعل على الاطلاق في كونه كفراً او فسقاً وذهبت
طائفة اخرى الى انه غير مشارك بكل حال وقالوا ان الله يتجاوز عن هذه
العزوم والارادات وصار صائرون الى التفرقة فان كان العزم مشاركاً
للفعل المعزوم عليه فحكمه حكمه في الكفر والفسق وان كان غير مشارك
للفعل المعزوم عليه في كونه كفراً او فسقاً لم يكن لاحقاً به وقالوا على اثر
هذا ان العزم على شرب المسكر ليس فسقاً لما لم يكن مشاركاً له على الاتفاق
والعزم بالله تعالى وبانبيائه يكون كفراً لما كان مشاركاً له في الوجه الذي صار به
كفراً وهذا هو المختار من جهة ان العزوم والارادات امور مضافة الى
الافعال فلهذا كانت لاحقة بها وعلى ما ذكرناه من التفصيل تتضح الامور
فيحتمل المواخذة على العزوم والارادات ويحتمل ترك المرء آخذه على ما
ذكرناه من الاحوال التي محلها القلب قبل اعمال الجوارح **والبرهان**
القاطع على صحة ما فصلناه قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فان هذه الآية لما نزلت
جاء قوم من الصحابة فقالوا يا رسول الله كلفتنا ما لا نطيقه ان احدنا ليحدث
نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه فكيف نحاسب على ذلك فقال
صلى الله عليه وآله وسلم لا تقولوا كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا

والتي تمحص في خواطر والتي لا اشارة قوام صلى الله عليه وآله وسلم

ولكن قولوا

ولكن قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بقوله تعالى لا يكلف الله نفساً
الا وسعها فدل على ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلوب
لا يواخذ الله به وقوله صلى اذا التقا المسلمان بسيفيهما فالقاتل
في النار والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال
المقتول فقال انه اراد قتل صاحبه وفي هذا دلالة على ان كل فعل يدخل
تحت الاختيار من اعمال القلوب فانه مواخذ به وفيه صحة التقسيم الذي
ذكرناه وقد نجز غرضنا من الباب الاول في الكلام في رياضة القلوب

الباب الثاني في رياضة النفوس وتهذيب الاخلاق

اعلم ان الاصل في تهذيب الاخلاق وتطهيرها عما يلوث
شانها هو حسن الخلق فانه صفة سيد الانبيا صلى الله عليه واله وسلم وافضل
اعمال اهل الصدق وهو على التحقيق صدر الدين وهو ثمرة مجاهدة اهل
التقوى ورياضة اهل العباده والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة و
الدواهي المهلكة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة
من جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان الرجيم وهي
الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئده كما
ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتحة من القلب الى نعيم الجنان
وجوار الرحمن وتمام المقصود يحصل من هذا الباب ببيان مقاصد خمسة

المقصد الاول في بيان حقيقة حسن الخلق وبيان معناه

اعلم ان كثيرا من مشايخ الطريق في التصوف قد تكلموا في حقيقة حسن
الخلق واكثر كلامهم ميل الى بيان حكمه وتحصيل ثمرته واعرضوا عن ذكر ماهيته
وحده فحكي عن الحسن البصري انه قال حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندا
وكف الاذا وحكي عن بعضهم انه قال حسن الخلق هو ان لا تخاصم ولا تخاصم
من شدة معرفة الله تعالى وقال اخر هو كف الاذا وحمل المون وقال

آخرون ان يكون بين الناس غريبا ومنهم قريبا وقال غيره هو
ارضاء الخلق في السراء والضراء وحكي عن بعضهم انه قال هو الرضا عن الله
وسئل بعضهم عن حسن الخلق فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة
والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وحكي عن امير
المومنين كرم الله وجهه انه قال حسن الخلق في ثلاث اجتناب
المحارم وطلب الحلال والتوسيع على العيال وقال الحرهوان لا
يوثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال الحرهوان لا يكون ذلك
همة سوى الله تعالى فهذا وامثاله انما هو تعرض للاحكام والثمرات دون
الحقيقة والمختار عندنا تفصيل نشير اليه فنقول الخلق والخلق
عبارتان عن مستعملتان معا فيقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن
الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الكاملة الظاهرة ويراد بالخلق
الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر
ومن روح مدرك بالبصيرة ولكل واحد منها هيئة وصورة اما
قبيحة واما حسنة ولا شك ان النفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد
المدرك بحاسة البصر ولهذا عظم الله امرها بالاضافة الى نفسه
فقال اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا
له ساجدين فنبه على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب
الى الله تعالى والخلق عبارة عن هيئة راسخة في النفس يصدر منها
الافعال الحاصلة بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فاذا كانت هذه
الهيئة يصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت خلقا حسنا
وان كان الصادر عنها افعال قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا
سيئا فحصل من مجموع ما ذكرناه هاهنا ان حسن الصورة الظاهرة
مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الفم والانف والخد بل لا بد من حسن
الجميع حتى يتم حسن الخلق فهكذا حال حسن الخلق لا يتم الا بكمال الخصال

الحسنة

الحسنة نفصلها بعد هذه بمشية الله تعالى ❊ وانما قلنا في الماهية انها هيئة راسخة لان كل من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخا مالم يثبت ذلك منه ويترسخ وانما قلنا انه يصدر عنه الافعال بسهولة من غير روية لان كل من تكلف بذل المال والسكون عند الغضب بجهد ومشقة لا يقال خلقه السخا والحلم ❊ واعتبرنا صدور الافعال المحموده وهي كثيره لكن امهاتها خصال اربع ❊ الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة الخصلة الاولى الحكمة ونعني بها حالة للنفس تدرك بها الصواب عن الخطا في جميع الافعال الاختياريه لان الحكمة هي ثمرة قوة القلب العقل فمتى حصل الاعتدال في العقل فانه يتم حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة الظن والتفطن لدقايق الاعمال وخفايا الاسرار فاذا افرط في الزياده فيها حصل المكر والخداع والدها ومتى حصل التفريط فانه يتم البله والغمارة والحمق والجنون ❊ الخصلة الثانية الشجاعة ونعني بها كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ومتى وجدت فانها تتم الكرم والنجده والشهامة وكبر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتوده وهذه كلها اخلاق محموده ❊ واما افراطها فهو التهور ويصدر عنه الصلف والتكبر والعجب والحرق والاستشاطة والبذخ واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجوع والخساسة وصغر النفس والضعف عن تناول الحقوق الواجبة الخصلة الثالثة العفة ونعني بها تادب قوة الشهوة بتادب العقل والشرع ومتى كانت حاصلة فانه يصدر عنها السخا والحيا والمسامحة والقناعة والورع والطلاقة والمساعده والظرف وقلة الطمع ❊ واما ميلها الى الافراط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والريا والمجون والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنيا واستحقار الفقرا

وغير ذلك من الصفات المذمومة ، واما تفريطها فيحصل البخل
واللوم والانقباض والوحشة **الخصلة الرابعة** العدل وهو حالة
للنفس وقوة بها تحصل السياسة للغضب و الشهوة وتحملها
على مقتضى الحكمة وتضبطها عن الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها
والافراط فيه يورث الشح والانقباض والتفريط يورث الظلم و
التماد ؛ فهذه هي امهات محاسن الاخلاق وهي الجامعة للفضائل
متى حصلت على سبيل الاعتدال فهي الغاية ولم يبلغ فيها كمال الاعتدال
الا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والناس يتفاوتون في القرب والبعد منه
في هذه الاخلاق فكل من قرب في هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى
بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فكل من جمع هذه الاخلاق استحق ان يكون
ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم جميعا اليه ويقتدون في جميع افعالهم به ؛ ومن
انفك عن جملة هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من
من بين العباد فانه يكون قريبا من الشيطان الرجيم المبعد من رحمة الله تعالى
وما بعث رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الا من اجل ان يتمم مكارم الاخلاق فهذا
ما اردنا ذكره في حقيقة حسن الخلق وابانة معناه ؛ **المقصد
الثاني** في بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق وتحصيل ذلك من جهة
الايات والاخبار والاثار فهذه جهات ثلاث **الجهة الاولى الايات**
كقوله تعالى لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم وانك لعلى خلق عظيم ؛ وقوله تعالى خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ؛ وقوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين ؛ وقوله تعالى فيما حكاه عن لقمان من الحكمة يا بني اقم الصلوة
وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ؛ وقوله
تعالى ولا تصاعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا فقد اشار تعالى بهذه
الايات الى شريف الخصال والى محامد الشيم ؛ وكلها دالة على حسن الاخلاق ؛

وفضلها

و فضلها و قوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
وعلى الجملة فان القران كله دال على الاشارة الى مكارم الاخلاق ومحاسن
الاداب وفقنا الله تعالى الجهة الثانية الاخبار كقوله صلى الله
عليه واله وسلم ثلاث من اخلاق اهل الجنة العفو عمن ظلمك والاعطاء
لمن حرمك والاحسان الى من اساء اليك وقوله صلى الله عليه واله وسلم
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقوله عليه الصلوة والسلام اثقل ما يوضع
في الميزان الخلق الحسن وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه واله وسلم من
بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين قال الخلق الحسن ثم اتاه من قبل
يمينه فقال ما الدين فقال الخلق الحسن ثم اتاه من قبل شماله فقال
ما الدين فقال الخلق الحسن ثم اتاه من ورائه فقال ما الدين فقال
حسن الخلق فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه فقال اما
تفقه هو ان لا تغضب قال صلى الله عليه واله وسلم ما حسن الله خلق
امرء وخلقه فيطعمه النار قيل يا رسول الله ما الشوم قال سوء
الخلق وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال اوصني فقال اتق
الله حيث كنت قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني
قال خالق الناس بخلق حسن وسئل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اي
الاعمال افضل قال حسن الخلق وقيل لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان فلانة
تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق توذي جيرانها بلسانها
قال لا خير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم يقول اول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن
والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء
ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق والمراد
ههنا بخلق الكفر والايمان هو العلم بهما وكتبهما في اللوح المحفوظ

على العبد دون الايجاد بالقدرة كما هو راي الاشعرية وغيرهم
من فرق المجبرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله استخلص هذا الدين
لنفسه ولا يصلح لدينكم هذا الا السخا وحسن الخلق الا فزينوا دينكم
بهما وقال عليه الصلوة والسلام حسن الخلق هو خلق الله الاعظم وسئل
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اي المومنين افضل ايمانا قال احسنهم
اخلاقا وقال عليه الصلوة والسلام انكم لن تسعوا الناس باموالكم
فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال صلى الله عليه واله وسلم
سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقال لجرير بن عبد الله
قال لي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن
خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
احسنهم وجها واحسنهم خلقا وعن ابن مسعود البدري ان رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم كان يقول اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن ابن عمر قال كان
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يكثر الدعا ويقول اللهم اني اسالك الصحة والعافية
وحسن الخلق وعن ابي هريرة عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم انه قال كرم المومن
دينه ومروته عقله وحسبه خلقه وعن اسامة عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم
قال شهدت الاعراب يسالون رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقولون ما خير
ما اعطي المرء قال الخلق الحسن وقال صلى الله عليه واله وسلم ثلاث من لم يكن فيه
او واحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله
او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به في الناس وقال صلى الله عليه واله وسلم الا
اخبركم باحبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطئون
اكنافا الذين يالفون ويولفون وقال صلى الله عليه واله وسلم الخلق الحسن
ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد

الجهة الثالثة

كيف

آثار



الآثار من اهل الصلاح والتقوى قال ابن لقمن لابيه اي الخصال
من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين قال الدين
والمال قال فاذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحيا قال فاذا
كانت اربعا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق قال فاذا كانت
خمسا قال الدين والمال وحسن الخلق والحيا والسخى قال فاذا كانت ستا
قال اذا اجتمعت هذه الخصال الخمس فهو تقي نقي لله تعالى ولي ومن
الشيطان بري وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وان كان عابدا
ويبلغ بسوء خلقه اسفل درك من جهنم وقال بعضهم في سعة الاخلاق
كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخار
المكسور لا يرتقع ولا يعاد طينا وقال الفضيل بن عياض لأن يصحبني
فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق وصحب ابن المبارك
رجل سيء الخلق في سفر وكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكا فقيل له في
ذلك فقال ابكي رحمة عليه فارقته ومعه خلقه لم يفارقه وقال الجنيد اربع
ترفع العبد اعلى الدرجات وان قل علمه وعمله الحلم والتواضع والسخا وحسن الخلق
وهو كمال الايمان وقال بعضهم سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات
وحسن الخلق حسنة لا تضر معه كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم قال ما بين
الله تعالى في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقيل ما الحسب قال احسنكم اخلاقا
افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس واساس بنيان الاسلام حسن الخلق
وقال بعض الزهاد ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل كماله الا المصطفى
صلى الله عليه وسلم واقرب الخلق الى الله تعالى السالكون آثاره بحسن الخلق

المقصد الثالث في بيان السبب الذي ينال به حسن الخلق قد قررنا فيما
سبق ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة
وكونها مطيعة للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل له طرق ثلاث

الطريق الاولى تكون بجود الالهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان
ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب
قد خلقتا مطيعتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما من غير تعلم
وادبيا من غير مؤدب وهكذا كما كان في عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات
الله عليهما وهكذا سائر الانبيا عليهم السلام ولا يبعد ان يكون في الفطرة
والطبع ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي يخلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما
يخلق بخلاف ذلك فتحصل له هذه الاخلاق المحموده بالتعود ومخالطة
المتخلقين بهذه الاخلاق الكريمه الطريق الثاني لاكتساب هذه الاخلاق
وهذى تكون بالرياضه والمجاهده ونعني بذلك حمل النفس على الاعمال التي
يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان تحصل لنفسه خلق الجود فطريقه
ان يتكلف تعاطي فعل الجود وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه
تكلفا مجاهدا نفسه حتى يصير ذلك طبعا وتيسر عليه فعله فيصير
جوادا وكذا من اراد ان تحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه التكبر
فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد
لنفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك خلقا وطبعا وهكذى جميع الافعال
المحموده والاخلاق الجميله شرعا انما تحصل بمثل هذه الطريق وغايتها ان يصير
الصادر منه لذيذا بعد ان كان صعبا منفورا عنه والمتواضع هو الذي
يستلذ بالتواضع ولن ترسخ اخلاق الدين في النفس ما لم يتعود جميع العادات
الحسنه وان يترك جميع العادات السيئه ما لم يواظب مواظبة تشتاق
الى الافعال الجميله ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحه ويتالم بها كما قال
صلى الله عليه وآله وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة ومهما كانت العباده
وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال
السعاده الا بالاجتهاد والمواظبه وهذه اى كل تعالى واهما الكبير الا

على الخاشعين و قال صلى الله عليه و آله وسلم اعبد الله في الرضا فان لم تستطع
ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعود بها على حسن
الخلق استلذاذ الطاعة و استكراه المعصية في زمان دون زمان بل
ينبغي ان يكون ذلك على الدوام و الاستمرار في جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت
الفضيلة ارسخ و اكمل ولهذا فانه لما سئل رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم
عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله تعالى ولهذا كره الانبيا و الاوليا الموت لان
الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادة اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس
ازكا واطهر و الاخلاق اقوى وارسخ و انما مقصود العبادة تحصيل تاثيرها
في القلوب و انما يتاكد آثارها بكثرة المواظبة على العبادات و غاية هذه
الاخلاق ان ينقطع عن النفس حب الدنيا و يرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شي
احب اليه من لقاء الله تعالى فاذا عرفت هذا بما ذكرنا ان الاخلاق المحمودة
يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتدا التصير طبعا
لها **الطريق الثالث** تحصل بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة و
مصاحبتهم وهم قرنا الخير واخوان الصلاح اذ الطبع سراق من الطبع وان لم يشعر
الخير والشر جميعا فمن تظاهرت في حقه هذه الطرق الثلاث حتى صار فاضلا
اما بالطبع واما بالرياضة والتعلم واما بمقارنة اهل الصلاح والخيار في غاية
الفضيلة ومن كان جائرا للرذالة بطبعه واتفق له اقران السوء فهو منهم و
تيسرت له ابواب الشر حتى يتعودها فهو في غاية البعد من الله فتحصل مجموع ما
ذكرناه هاهنا ان هذه الاخلاق المحمودة حاصلة بهذه الطرق الثلاث
المقصد الرابع في بيان علامات حسن الخلق اعلم ان كل انسان فهو
جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه و ادبها تادبا حتى ترك كبائر المعاصي
والذنوب الظاهرة ظن في نفسه انه قد هذبها وحسن خلقه فاستغنى عن المجاهدة

فلا بد من علامات حسن الخلق ليكون الامر واضحا فان حسن الخلق هو الايمان
وسوء الخلق هو النفاق وجملة ما نشير اليه من العلامات خمس هي الدالة
على الاخلاق الحسنة العلامة الاولى العرض في كتاب الله تعالى فقد ذكر الله تعالى
صفة المومنين وهي بجملتها حسن الخلق فقال تعالى في صدر سورة البقرة هدى
للمتقين الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلوة الى قوله المفلحون وقال
في سورة التوبة التائبون العابدون الحامدون الى اخر هذه الايه وقال
في صدر سورة المومنين قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
الى قوله تعالى فانهم غير ملومين وقال في آخر سورة الفرقان وعباد الرحمن
الذين يمشون على الارض هونا الى اخر الايات في صفة المومنين فمن اشكل عليه
حاله في الايمان فليعرض نفسه على هذه الايات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد
جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها يدل على وجود البعض دون البعض
فليشتغل بتحصيل ما فقدها وحفظ ما وجدها العلامة الثانية
العرض على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه صلى الله عليه وآله وسلم
وصف المومنين بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المومن
يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كان يومن بالله واليوم
الآخر فليكرم ضيفه وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كان يومن بالله واليوم الآخر
فليكرم جاره ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وفي
حديث آخر ان صفة الايمان هو حسن الخلق فقال اكمل المومنين إيمانا احسنهم اخلاقا و
قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا رايتم المومن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقي
الحكمة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مومن
وقال لا يحل للمومن ان ينظر الى اخيه نظرة توذيه وقال لا يحل لمسلم ان يروع
مسلما وقال انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي
على احدهما ما يكره العلامة الثالثة سئل بعض الصالحين

عن حسن الخلق فقال هو عشرة اشيا قلة الخلاف وحسن الانصاف
وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس المعذرة
واحتمال الاذا والرجوع بالملامة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه
دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه
وفوقه ۞ وسئل سهل عن حسن الخلق فقال ادناه احتمال الاذا وترك
المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ۞ وروي عن امير المومنين
علي كرم الله وجهه انه دعا غلاما له فلم يجبه ودعاه ثانية وثالثة فلم يجبه
فقام اليه فرآه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك
على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت حر لوجه الله تعالى

العلامة الرابعة حكي عن بعض الزهاد انه جمع علامات حسن الخلق
فقال ان تكون كثير الحيا قليل الاذا كثير الصلاح وقورا صدوق اللسان
قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا صبورا شكورا حليما
رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا
ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا تحب في الله وتبغض في الله
وترضى في الله وتغضب في الله ۞ وسئل صلى الله عليه وآله وسلم
عن علامة المومن والمنافق فقال ان المومن همته في الصلوة والصيام و
العبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة ۞ وحكى الحسن
الحسن عن جد الحسن والحسين انه قال احسن الحسن الخلق الحسن ۞ ولما
كثر الاذا على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جهة كفار قريش قال اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ولذلك قال تعالى في معرض الثنا على رسوله مذكرا
ما انعم به عليه انك لعلى خلق عظيم ۞ العلامة الخامسة حكي عن بعض الزهاد
في صفة المومن والمنافق وفيه تنبيه على حسن الخلق وتتميم قال المومن مشغول

بالذكر والعمل والمنافق مشغول بالحرص والامل والمومن آيس من
كل احد الا من الله والمنافق راجٍ كل احد الا الله تعالى والمومن آمن من
كل احد الا من الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله تعالى والمومن
يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمومن
يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمومن يحب الوحدة والخلا
والمنافق يحب الخلطة والملا والمومن يزرع ويخشى الفساد
والمنافق يحصد ويقلع ويرجو الحصاد والمومن يامر وينهى للسياسة
والمنافق يامر وينهى للرياسة فيفسد واحق ما يمتحن به حسن الخلق
الصبر على الاذى واحتمال الجفا ومن شكا سوء خلق غيره فذلك دال على
سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال الاذى ولقد كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
في غاية الاحتمال لكل اذى والصبر عليه وقد شرح الله له صدره واستاه من قبله
من الانبياء بقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل **المقصد الخامس**
في بيان الطريق التي يتعرف بها الانسان عيوب نفسه اعلم
ان الله تعالى اذا اراد بالانسان خيرا بصره عيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف
عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون
عيوب انفسهم يرون القذى في عين غيرهم ولا يرون الجذع في عيونهم
فمن اراد الوقوف على عيوب نفسه فله في ذلك اربع طرق **الطريق**
الاول ان يكون جالسا بين يدي شيخ او استاذ بصير بعيوب
النفوس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته
في جميع احواله فهذا شان من يريد الآخرة ويسلك طريقها
وما هذا حاله فهو يعز وجوده في هذا الزمان **الطريق الثاني**
ان يطلب صديقا صادقا بصيرا صادقا متدينا وينصبه رقيبا على
نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما كان يكره من افعاله واخلاقه
ينبهه عليه فهكذا كان يفعل اهل الصلاح وافاضل العلماء من سلف من

الائمة

من الائمة والخلفاء وحكي عن عمر انه قال رحم الله امرءاً اهدى الي عيوبي
وكان يسال سلمان رضي الله عنه عن عيوبه فلما قدم عليه وقال له ما الذي
بلغك عني مما تكرهه فاستعفاه فالح عليه فقال له سمعت انك
جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل
فقال عمر هل بلغك غير هذا قال لا قال اما هذان فقد كفيتهما وكان
يسال حذيفة ويقول انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في المنافقين
فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو قدره حاله
متهم لنفسه وكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم
اتهاما لنفسه ❁ وحكي عن داود الطائي انه اعتزل الناس فقيل له الا

الطريق الثالث

تخالط الناس قال ماذا اصنع باقوام يخفون عني عيوبي
ان يستفيد عيوب نفسه من لسان اعدائه فان عين السخط تبدي المساوي
ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاجر اكثر من انتفاعه بصديق مداهن
يثني عليك ويمدحك ويخفي عنك عيوبك الا ان الطبع مجبول على تكذيب
العدو وحمل ما يقوله على الحسد والبغض ولكن البصير لا يخلو عن
الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد ان تنتشر على السنتهم

الطريق الرابع

ان يكون مخالطا للناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه
بتركه وكل ما رآه محبوبا يستجيب نفسه اليه لان المومن مرآة المومن
فيرى في عيوب غيره عيب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوا
فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرين الآخر عن اصله او عن اعظم
منه او عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره
وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا
عن المؤدب ❁ قيل لعيسى عليه السلام من ادبك قال ما ادبني احد رايت
جهل الجهال في نبته ❁ فهذه جملة الطرق الدالة على عيوب
الانسان وهو نوع مجاهدة للنفوس وقد قال صلى الله عليه واله وسلم المومن
بين خمس شدائد مومن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله

وشيطان يضله ونفس تنازعه وقال بعض الزهاد جاهد نفسك
باسياف الرياضة والرياضة بالصبر على اوجه اربعة القوت من الطعام
والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام وليس
على العبد شي اشد من الحلم عند الجفا والصبر على الاذى وقال بعضهم
من ارضا الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال
بعض الزهاد اجمعت العلما واتفق الفضلا على ان النعيم لا يدرك
الا بترك النعيم والله اعلم بالصواب **وقد فرغنا من الكلام في
رياضة النفوس** فنسال الله ان يرزقنا رشدنا ويبصرنا عيوب
انفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكره حيث اطلعنا
على ما ودنا بمنه وفضله **الباب الثالث** في بيان الطريق الى
رياضة الاطفال في اول النشاة وتهذيب اخلاقهم وتاديبهم **اعلم**
ان الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية
عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومايل الى ما يمال به اليه
فان عود الخير تعوده ونشا عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشارك في
ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال
البهايم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه كالاب والوصي والقايم
بمصالحه وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا
ومهما كان الاب يصونه من نار الدنيا فان يصونه من نار الآخرة اولا
واحق وصيانته تكون بتهذيبه وتاديبه وتعليمه محاسن الاخلاق و
شريف الشيم وتختلف به الآداب باختلاف اوقاته واحواله في التدريج
فلنجعل ذلك على مراتب اربع **المرتبة الاولى** في بيان الآداب المتعلقة
باحوال الولادة وجملتها ثمانية **الادب الاول** ان لا يكثر فرحه بالذكر
ولا حزنه بالانثى فانه لا يدري اين الخيرة له في ايهما وكم من صاحب ابن يتمنى
ان لا يكون له ابن وان تكون انثى بل السلامة من جهتهن اكثر والثواب
فيهن اجزل وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من ابتلي بشيء من هذه البنات

بجي

فحسن اليمين كن له سترا من النار وقال عليه الصلوة والسلام
من كانت له ابنة فادبها وحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاها واسبغ عليها
من النعم التي اسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة وعن
انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من حمل طرفة
من السوق الى عياله فكانما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدا بالاناث
قبل الذكور فانه من فرح انثى فكانما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله
بدنه من النار **الادب الثاني** ان يوذن في اذنه عند الولادة وروا ابو رافع
عن ابيه قال رايت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذن في اذن الحسين
حين ولدته فاطمة عليها الصلوة والسلام وروى عن الرسول صلى الله عليه واله
وسلم انه قال من ولد له ولد فاذن في اذنه اليمين واقام في اذنه اليسرى
رفعت عنه ام الصبيان **الادب الثالث** الختان في اليوم
السابع لما روى عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم انه ختن الحسن والحسين
في اليوم السابع ولان فيه مخالفة لليهود فانهم يختنون اولادهم في اليوم
الثالث فخالفهم الرسول صلى الله عليه واله وسلم **الادب الرابع** التسمية
للذكور والاناث ويستحب ان يكون الاسم حسنا لان ذلك من حق الولد على
والده وقد قال صلى الله عليه واله وسلم اذا سميتم فاعبدوا وقال عليه
الصلوة والسلام احب الاسما الى الله عبد الله وعبد الرحمن ويستحب تسمية السقط
لما روى عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم انه قال لايزال السقط محبنطئا على باب الجنة
حتى يغفر لوالديه فيقول انت ضيعتني وانت تركتني لا اسم لي يقول لابيه ومن له
اسم يكره يستحب تبديله **الادب الخامس** يستحب ان يلقن اول ما
ينطق بلا اله الا الله ليكون اول حديثه كلمة التوحيد وليكون
مولعا بذكر الله تعالى **الادب السادس** العقيقة عن الذكر شاتان
وعن الانثى شاة ولاباس بشاة ذكرا كان او انثى لما روى عن الرسول صلى الله
عليه واله وسلم انه امر في الغلام بشاتين وفي الجارية بشاة **الادب السابع**
يستحب ان يتصدق بوزن شعره فضة وقد روي فيه خبر روي انه عليه
الصلوة والسلام امر فاطمة يوم سابع الحسن ان تحلق شعره وتصدق

ويستحب ان لا يحلق ... [illegible]

بزنه شعره فضة ويستحب ان لا تكسر عظامه **الادب الثامن**
يستحب ان يحنك بتمرة او حلاوة لما روي عن اسما بنت ابي بكر انها قالت
ولد عبد الله بن الزبير بقبا ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فوضعه
في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شي دخل بطنه ريق رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه وكان اول مولود
ولد في الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانه قيل لهم ان اليهود سحرتكم فلا
يولد لكم **فهذه** جملة ما نحصل من اداب الولادة **بفه المرتبة الثانية**
بالاداب المتعلقة بالرضاع وجملة ما نذكره من ذلك اداب اربعة **الادب الاول**
المستحب ان لا يستعمل في حضانته ورضاعته الا امراة صالحة متدينة تاكل
الحلال فان اللبن الحاصل من الحلال فيه البركة واللبن اي حصل من الحرام
لا بركة فيه فاذا وقع فيه نشو الصبي عجنت طينته من الحرام فيميل طبعه الى
ما يناسب الحرام من الخبائث المحرمات **الادب الثاني** يستحب ان يكون
رضاعه في تمام الحولين لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين
كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة والبالغ ذلك في كمال التغذية باللبن لان
بعد الحولين يحتاج الولد الى ما هو اشد من اللبن وهو العيش **الادب
الثالث** يجب على الام ارضاع الصبي اللبا وهو ثلاثة ايام وما بعدها
ان طلبت الام ارضاعه فهي احق سوا كان ذلك باجرة ام بغير اجرة فان كان
غيرها يرضع من غير اجرة وهي لا ترضع الا بالاجرة فمن يكون احق فيه تردد و
الاقرب انها احق بالاجرة لان خلاف ذلك فيه مضارة لها وقد قال تعالى
ولا تضار والدة بولدها **الادب الرابع** جميع المؤنات الزوجية المالية
من الكسوة والنفقة واجرة الرضاع كلها في مال الولد اذا كان له مال
فان لم يكن له مال فانه يكون على الاب لقوله تعالى وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن بالمعروف **فهذه** الاداب كلها متعلقة بحال عدم
التمييز والرضاع والحضانة وعدم الاستقلال بنفسه **المرتبة الثالثة**
اذا بلغ الصبي حال التمييز وقاربه من الصبي حال التمييز فينبغي ان تحسن

مرضعة

ما فقته ومطالعة احواله فاذا ظهرت في وجهه انوار الحيا وكان يحتشم
ويستحي من بعض الافعال حين يراها قبيحة فهذه هدية من
الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفا القلب وما هذا حاله فهو مبشر بكمال
العقل عند البلوغ فينبغي ان لا يهمل عن رعاية الاعتناء حقه بحسن جملة الادب

الادب الاول وجملة ما نشير اليه مما يعامل به من الاداب احد وثلاثون ادبًا

الادب هو ان الغالب على الاطفال الشره في الطعام فينبغي ان يوذب فيه فلا يأكل
الا بيمينه ويقول بسم الله عند اكله ولياكل مما يليه ولا يبادر الى الطعام
قبل غيره ولا يحدق الى الطعم ولا الى من يأكله **الادب الثاني** ان يومر ان
لا يسرع في الاكل ويمضغ الطعام مضغًا جيدًا ولا يوالي بين الاكلات ويلطف
اللقمة ولا يلطخ اثوابه **الادب الثالث** يعود اكل الخبز من غير ادام
في بعض الاوقات حتى يصير بحيث لا يرى الادام حتمًا واجبًا ويقبح عنده
كثرة الاكل بان يشبه مكثر الاكل بالبهايم ويذم الصبي الذي يكثر الاكل عنده ويمدح
الصبي القليل الاكل حتى يعتدي بذلك **الادب الرابع** يحبب
اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة ويمدح عنده الطعم الذي فيه خشونة
اي طعام كان بحيث لا يكون مولعًا بالطعام اللين فتصعب عليه مفارقته

الادب الخامس يستحب ان يكون لباسه من الثياب البيض دون الادوات
الملونة بالصبغات من الزعفر والعصفر وانواع الديباج والابريسم ويقرر عنده
ان ذلك انما هو من لباس النسوان والرجال الذين لا خير فيهم ولا دين لهم فان
الرجال يستنكفون من ذلك وينكر عليه **الادب السادس** انه
مهما راى على الصبي ثوبا من ديباج او حرير او ابريسم فينبغي ان ينكر عليه ذلك
ويذم على لبسه ويزال عنه بكل حال ولا يغتفر له ذلك **الادب السابع**
ينبغي ان يحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا من التنعم والترفة ولبس
الثياب الفاخرة وعن مخالطة من يرغب فيما ذكرناه فان الصبي اذا اهمل في
اول النشو خرج في الاغلب رديء الاخلاق كذابا حسودًا سروقًا نمامًا
لجوجًا ذي فضول ومجون وانما يحفظ عن ذلك كله بحسن الادب

الادب الثامن ثم انه يستحب ان يشتغل بالمكتب بتعليم القرآن
وباحاديث الرسول صلى الله عليه واله وسلم وخطب امير المومنين كرم الله
وجهه في التوحيد ويجتهد في حفظ المواعظ الحسنة واخبار الابرار وحكايات
اهل الصلاح في الزهد في الدنيا لا حكايات في اتباع الهوى فان ذلك مهما
انغرس في قلوب الصبيان فانه ينغرس الفساد في القلوب **الادب
العاشر** ان يعوّد كتابة الخط وحفظ الامثال الشعريه فان ذلك صفة كمال
وزينة وقد قال امير المومنين كرم الله وجهه عليكم بحسن الخط فانه من
مفاتيح الارزاق **الادب الحادي عشر** اذا ظهر من جهة الصبي
فعل جميل وخلق حسن فينبغي ان يكرم عليه ويجازا بما يفرح به ويمدح بين
اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرةً واحدةً فينبغي
ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره في ملاء من الخلق ولا يكاشف في وجهه
ويظهر له ان مثل هذا لا يتجاسر عليه احد لاسيما اذا ستر الصبي واخفاه
الادب الثاني عشر انه ان عاد الى ذلك فينبغي ان يعاتب سرًّا
ويعظم عليه الامر فيه ويقال له اياك ان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح
بين الناس ولا يكثر عليه العتاب في كل حين فان ذلك يهون سماع الملامة
في حقه ويسقط وقع الكلام في قلبه **الادب الثالث عشر** ان يكون
الاب حافظا لهيبة الكلام معه ولا يوبخه الا احياناً والام تخوفه بالاب
وتزجره عن القبائح وتظهر له الوعيد بشدة الاب وخوفه منه **الادب
الرابع عشر** ينبغي ان يمنع من النوم نهاراً فان ذلك يورث الكسل
في حقه ولا يمنع من النوم ليلاً لان منعه من النوم ليلاً يورث الملالة والتحير
ويضعف عن متابعة النوم وشدة النعاس **الادب الخامس عشر**
ينبغي ان يمنع من استعمال الفرش الوطية حتى تتصلب اعضاؤه ولا يسخف بدنه
ولا يصبر على التنعم بل يعوّد الخشونة في الملبس والمفرش والمطعم فقد قال
والشرب

صلى الله عليه واله وسلم اياكم وفضول المطعم فانه يسم القلب بالغفلة
الادب السادس عشر ينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية
فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فيدعي ذلك الا ان يتعوّد لفعل كل قبيح
الادب السابع عشر ينبغي ان يعود في بعض النهار المشي والحركة
والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويتعود الميل اليه وان كان ممن يتعود الرمي وكتبه
فلا باس بشغله به وهكذا الحال في ركوب الخيل فقد كان صلى الله عليه واله وسلم
ثلاثة لا تعد من اللهو لهو الانسان بعرسه ولهوه بقوسه ولهوه باهله **الادب الثامن عشر**
ينبغي ان يعوّد ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع في المشي ولا يرخي يديه بل يحركهما
هذا اما وراها فعل المتبختر فقد نهى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن هذه
المشية وكذا حال التمطط عند المشي مكروه عنه ايضا وقد نهى عنه صلى الله عليه
واله وسلم **الادب التاسع عشر** ينبغي ان يمنع من الافتخار على
اقرانه وامثاله بشي مما يملكه ابواه او شي من مطاعمه وملابسه ولوحه
ودواته ويعوّد التواضع والاكرام لكل من عاشره من الصبيا والطف الكلام
معهم **الادب العشرون** يمنع من ان ياخذ على الصبيا من امثاله
شي اذا كان من اهل الشرف والرياسة ويقرر في نفسه ان الاخذ لوم وخسة
ونزول قدر وان الاعطاء شرف وكرم وان كان من اولاد الفقرا فيقرر في نفسه
ان الاخذ طمع وفي الطمع مهانة ومذلة وان ذلك من ادأب الكلاب فانه يتذلل
في انتظار لقمة **الادب الحادي والعشرون** ينبغي ان يقبح الى الاولاد
جلب الذهب والفضة والطمع فيهما والحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات
والعقارب والسموم فان آفة الذهب والفضة والطمع فيها اعظم من
افات السموم على الصبيان بل على الاكابر من العقلا فان ضرر السموم ينقطع
بالموت وضررهما يتجدد بعد الموت **الادب الثاني والعشرون**
ينبغي ان يعوّد ان لا يبصق في المجلس ولا يتمخط بحضرة غيره ولا يستدبر
غيره ولا يكثر التثاؤب ولا يتبسط على وجهه ولا ينتفع على قفاه فان ذلك

امارة دالة على الكسل والهوك ٥ **الأدب الثالث والعشرون** ينبغي ان يعود كيفية الجلوس فاذا قعد يقعد واضعًا ركبتيه على الارض ناصباقدمه اليمنى ويضع اليسرا على الارض ويقعد محتبًا بيديه هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقعد في اكثر احواله ولا يقعد متربعًا عند الاكل ويتربع اذا كان يكتب ليتمكن من وضع اللوح في حجره **الادب الرابع والعشرون** ينبغي ان يمنع من كثرة الكلام ويبين له ان ذلك من امارة الوقاحه وانه عادة ابناء اللئام واولاد السفها من الناس ليتزجر عن ذلك ويمنع منه **الادب الخامس والعشرون** ان يمنع عن الايمان صدقا كانت ام كذبا حتى لا يتعود ذلك في ايام الكبر ويمنع ان يبتدء بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم من هو اكبر منه سنًا وقدرًا **الادب السادس والعشرون** ان يقوم لمن هو فوقه ويوسع له في المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه مثل ذلك فان ذلك يسري لامحالة من قرناء السوء واصل تاديب الصبيان الحفظ عن قرناء السوء ه **الادب السابع والعشرون** ينبغي ان يعلم شجاعة القلب والصبر على الشدايد وتمدح هذه الاوصاف بين يديه وسماعه لها حتى تنغرس في قلبه حسنها وتعودها ه **الادب الثامن والعشرون** ينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والصياح والغياط ولا يستشفع باحد بل يصبر ويذكر ان الصبر داب اهل الشجاعة والرجال الاجواد ويعرف ان كثرة الصراخ هو دب المماليك والنسوان الذين لا صبر لهم على احتمال مكروه ولا اذا **الادب التاسع والعشرون** ينبغي ان يؤذن له بعد الفراغ من المكتب ان يلعب لعبًا جميلًا يستريح اليه من تعب المكتب وضيقه بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي عن اللعب

والرهاقة

وارهاقه الى التعلم وآثاره لما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص العيش عليه حتى يطلب الخلاص منه راسا وقد اشار النبي صلى الله عليه واله وسلم بقوله روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فانها تصدا كما يصدا الحديد **الادب الثلاثون** ان يعود الاكل مع الضيف والانس بهم لئلا يكون مستوحشا منها لطبعهم ويكون محبا لهم ۞ **الادب الحادي والثلاثون** ينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر منه سنا قريبا او بعيدا او اجنبيا وان يكون ناظرا اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ۞ **فهذه الآداب كلها** متعلقة بسن التمييز في حالة الصغر قبل البلوغ والله الموفق للصواب ۞ **المرتبة الرابعة** فيما قارب البلوغ وعظم تمييزه وتشتمل على اداب خمسة **الادب الاول** ينبغي ان لا يسامح له ترك الطهارة والصلوة ويومر بالصوم في بعض الايام من رمضان تعويدا او تمرينا وقد ورد الاثر عن النبي صلى الله عليه واله وسلم مروهم بالصلوة ۞ ابناء سبع واضربوهم وهم ابناء عشر **الادب الثاني** ينبغي ان يقرر في قلبه ان الاطعمة والاشربة ادوية وان المقصود بها ان يتقوى الانسان على العبادة به تعالى وهكذا حال اللباس فان الغرض به هو ستر العورة فلا حاجة الى التانق في هذين الامرين فان الاشتغال بعلاجها والتعمق بها والمنافسة فيها ربما كانت غلا عما يراد من امر الاخرة فينبغي الاعراض عنهما الا بمقدار ما تدعو اليه الحاجة الضرورية **الادب الثالث** ينبغي ان يجنبوا لبس الحرير والذهب ويعلموه كلما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من اكل الحرام ومن الكذب والخيانة والفحش وكل ما يعاب على الانسان ۞ **الادب الرابع** ينبغي ان يعود بالتحقق في نفسه ان الدنيا كلها لا اصل لها لانها غير باقية وان الموت قاطع لنعيمها ومزيل جميع لذاتها وانها دار ممر لا دار مقر وان الآخرة دار مقر لا دار ممر متى عقل هذه الامور كلها في اول النشوء فانه ينتفع غاية الانتفاع

٣٣ موعظه

٣٧ عدة

الادب الخامس ينبغي ان يخطر بباله الموت وينتظره في كل ساعة ويعلم ان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم عند الله درجته وتتسع في الجنان نعمته فاذا كان نشوء على هذه الصفة كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا ومؤثرا نافعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو على خلاف ذلك والعياذ بالله حتى الف الصبي اللعب والتفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر قسا قلبه عن قبول الحق فاول الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي خلق جوهرة قابلة للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به لاحد الجانبين كما اشار اليه الرسول صلى الله عليه واله وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وبتمامه يتم الكلام على هذه المقالة الاولى في الرياضة للنفوس وغيرها كما شرحنا من تحمل والله اعلم بالصواب

المقالة الثانية في بيان الصفات المهلكة وجملتها عشر حب الدنيا والكبر والعجب والبخل والريا والحسد والغضب وحب المال وحب الجاه وايثار الشهوتين البطن والفرج وما يندرج تحت هذه من الآفات المهلكة كآفات اللسان من الكذب ونحوه **واعلم** ان محل هذه الصفات هو القلب وكل واحدة من هذه الصفات كافية في الهلاك فينبغي الاجتهاد في دفعها وازالتها والتمس بالله تعالى على ازالتها ونحن نذكر كل واحدة منها ونفرد لها بابا على الخصوص وشرحها بحمل كل واحدة منها وبالله التوفيق **الباب الاول** في بيان الذم للدنيا وحبها **اعلم ان** حب الدنيا راس كل خطيئة كما قال صلى الله عليه واله وسلم وقد صارت عدوة لله تعالى وعدوة لاوليائه وعدوة لاعدائه **اما** عداوتها لله تعالى فلانها قطعت الطريق بينه وبين اوليائه ولهذا فانه لم ينظر اليها منذ خلقها **واما عداوتها لاوليائه** فانها تزينت لهم بزينتها وغمرتهم بزهرتها ونزهت لهم بنضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وتحملوا المشاق في البعد منها **واما عداوتها**

لاعدائه

لاعداء الله فلاجها استدرجتهم بمكايدها واقتنصتهم بحبائلها
واقتصدتهم بسهام رماحها وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها
وغدرت بهم اسكن ما كانوا اليها فاجتنبوا منها حسرة منقطعة دونها
الاكباد وحرمتهم السعادة الاخروية على طول الآماد فلنذكر ماهية
الدنيا ثم نذكر ذمها وبيان امثلتها وذكر المواعظ فيها فهذه بيانات اربعة
نفصلها بعون الله **البيان الاول** في ايضاح بيان ماهيتها اعلم ان معرفة
ذم الدنيا والبعد عنها لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما ينبغي ان يجتنب
منها وما لا يجتنب فلابد ان نبين الدنيا المذمومة المجتنبة ما هي **فنقول** الدنيا والآخرة
عبارتان عن حالتين فكل ما كان قبل الموت فهو الدنيا وكل ما كان بعد الموت فهو
الآخرة فكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة عاجلة قبل الوفاة فهو من
الدنيا وليس مذموما على الاطلاق لكنه على ثلاثة اقسام ه **القسم الاول**
ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل ونعني
بالعلم ما كان متعلقا بذاته وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت
ارضه وسمائه والعلم بشريعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهذا هو علم الدين
النافع ونعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم
حتى يصير الذ الاشياء عنده من جميع المطاعم والمشارب والملابس كلها فهذا
حالة ليس معدودا من الدنيا المذمومة بل هو خير محض يعد في الآخرة ه
القسم الثاني وهو المقابل لهذا على جهة المناقضة وهو كل ما كان فيه
حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة وهذا النحو التلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات
الزائدة على قدر الحاجة والضرورة الداخلة في جملة الرفاهية وهذا النحو
التنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
والغلمان والجواري والدور والقصور ورفيع البنيان وغير ذلك من
اللذات فحظ العبد من هذا كله هو الدنيا المذمومة وليس فيه شيء من اعمال الآخرة

القسم الثالث وهو متوسط بين الطرفين وهو كل حظ من
العاجل معين على اعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص من
الاثواب وكل ما لابد للانسان منه ليتاتى للانسان البقا والقوة التي يتوصل
بها الى العلم والعمل فهذا اذا ~~حاله~~ فانه يكون متوسطا بين القسمين الاولين فان
قصد به وجه الله تعالى والوصول الى الدار الآخرة فهو مثل الاول وان قصد
التنعم والتلذذ فهو من الثاني ولا يبقا بعد الموت الا عمل الآخرة خبر
ويحكى عن عمر انه استعمل ابا الدردا على حمص فاتخذ به كنيفا انفق عليه درهمين
فكتب اليه عمر بن الخطاب **اما** بعد فقد كان لك في بنا فارس والروم
ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين اذن الله في خرابها فاذا اتاك كتابي هذا
فقد صيرتكم واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات فحصل من هذا الكلام
ان كل ما اريد به وجه الله تعالى خالصا فهو من الآخرة وما كان للدنيا خالصا فليس معدودا
في الآخرة وانما هو للدنيا خالصا **وحكي** عن سليمان صلوات الله عليه انه كان
ياكل خبز الشعير ويطعم الناس لذائذ الاطعمة وروى عن الرسول صلى الله عليه
والسلم انه اتي له بلبن قد مزج بعسل فابا ان يشرب به وقال لا اشربه ولا
احرمه وروي ان عمر اتي له بماء بارد وقد مزج بعسل فادار في كفه
وامتنع منه وقال اعزل لواعني حسابها فكذا كانت سيرة الناس كين للنبي
ايا على الآخرة نصب اعينهم والمرضين عن الدنيا فحصل من مجموع ما ذكرناه
ان كلما اظلته الخضرا واقلته الغبرا فهو معدود من الدنيا الا ما كان خالصا
لوجه الله تعالى اريد به مرضاة الله والدار الآخرة فهو من الآخرة **الباب**
الثاني في ذم الدنيا وهو حاصل من جهات ثلث **الجهة الاولى** الايات
الواردة في ذمها وهي كقوله تعالى وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وقال تعالى اعلموا
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
وقال تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط

به نبا

نبات الارض مما يأكل الناس والانعام فاصبح هشيما تذروه الرياح وقال
تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما
يأكل الناس والانعام وقال تعالى وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقال
تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب وقال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا
له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا
الى غير ذلك من الآيات الدالة على حقارة الدنيا وانقطاعها وبطلانها وفسادها

الجهة الثانية الاخبار وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
انه مر بشاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على صاحبها فقالوا
نعم فقال والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله من هذه الشاة على
صاحبها ولو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء
وقال صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال صلى الله
عليه وآله وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله عز وجل وقال صلى الله
عليه وآله وسلم من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه
فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وآله وسلم حب الدنيا [illegible]
فرأيته يدفع عن نفسه شيئا فلم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك
فقال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت
مني فلن يفلت مني من بعدك وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا عجبا كل العجب
للمصدق بدار الحيوان وهو يسعى لدار الغرور وعنه صلى الله عليه وآله وسلم انه
وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما
قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه منه اشارة الى ان زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وان
الاجسام التي ترى ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وآله وسلم
الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل

لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تباهوا في الحلية والنساء والطيب
والشراب وقال عيسى صلى الله عليه لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم
عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف
عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه الصلوة
والسلام يا معاشر الحواريين اني كببت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدي فان
من خبث الدنيا ما عصي الله الا فيها وان من خبث الدنيا ان الآخرة لا تدرك
الا بتركها الا فاعبروها ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة هو حب الدنيا
ورب شهوة ساعة اورثت حزنا طويلا وقال ايضا عليه الصلوة
والسلام بطحتم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا تنازعنكم فيها الملوك والنسوان
فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لم يتعرضوا لكم ما تركتموهم دنياهم
واما النسوان فاتقوهن بالصوم والصلوة وقال ايضا عليه
الصلوة والسلام الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا
حتى يستكمل رزقه فيها وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجي الموت فيأخذ بعنقه
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا
وان الله لم ينظر اليها منذ خلقها وروي ان سليمن بن داود
عليه السلام مر في موكبه الطير والجن والانس عن يمينه ويساره ومر بعابد من عباد
بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد اتاك الله ملكا عظيما قال
فسمع سليمن عليه السلام فقال تسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما اعطي ابن داود
فانما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وآله وسلم
الهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت
فابقيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال صلى الله عليه وآله وسلم
الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ويجمعها من لا عقل له وعليها يعادي
من لا دين له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له

وقال

وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اصبح والدنيا همه فليس من الله والزم نفسه اربع خصال همّا لا ينقطع منه ابدًا وأملا لا يبلغ منتهاه ابدًا وشغلا لا يفرغ منه ابدًا وفقرًا لا يبلغ غناه ابدًا وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الا اريك الدنيا جميعًا يا ابا هريرة قال قلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي واتاني الى مزبلة فيها رؤوس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم وتومل آمالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادًا وهذه العذرات الوان اطعمتكم اكتسبتموها حيث اكتسبتموها ثم قذفوها في بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت الرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيًا على الدنيا فليبك فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ويروى ان الله تعالى لما اهبط آدم الى الدنيا قال ابن للخراب ولد للفناء وروي انه وجد في صحف ابرهيم عليه الصلوة والسلام يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقًا اهون علي منك كل شأنك صغير والى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك ان لا تدومي لاحد ولا يدوم لك احد الا الابرار الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضمائرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما عندي لهم من الجزاء اذا وفدوا الي من قبورهم النور يسعى بين ايديهم السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر اليها وتعود يوم القيمة يا رب اجعلني لادنى اوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شيء لم ارضك لهم في الدنيا فارضاك لهم اليوم وروي في اخبار آدم عليه الصلوة والسلام ولم يكن ذلك مجعولا في اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهي عن اكلها فجعل يدور في الجنة فامر الله سبحانه وتعالى ملكا يخاطبه فقال قل له اي شيء تريد قال آدم اريد ان اضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له في اي مكان تضعه على الفرش ام على السرر ام على الانهار ام تحت ظل الاشجار هل ترى ها هنا

موضعًا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه واله وسلم
يجي اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة فيومر بهم الى النار فقالوا يا رسول
الله مصلين كانوا قال انهم كانوا يصلون ويصومون وياخذون وهنة من
الليل فاذا عرض لهم شي من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه واله
وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وقال عيسى
صلوات الله عليه لا تستقيم حب الدنيا والاخرة في قلب مومن كما لا تستقيم الماء
والنار في اناء واحد وروي ان جبريل عليه السلام قال لنوح عليه
السلام يا اطول الانبيا عمرًا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها
بابان دخلت من احدهما وخرجت من الاخر وقيل لعيسى
صلوات الله عليه لو اتخذت بيتًا فقال يكفينا خلقان من قبلنا وروي
ان الرسول صلى الله عليه واله وسلم خرج يومًا على اصحابه فقال من منكم من يريد ان
يذهب الله عنه العما ويجعله بصيرًا الا انه من رغب في الدنيا وطال امله
فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله
فيها اعطاه الله علمًا بغير تعلم وهداه بغير هداية الا انه سيكون اقوام
بعدي لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنا الا بالفخر والبخل
ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك منكم فصبر للفقر وهو يقدر على
الغنا وصبر على البغضا وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز
لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه الله ثواب خمسين صديقًا وروي عن عيسى عليه
السلام انه اشتد به المطر والرعد والبرق فجعل يطلب شيئًا يلجا اليه فرفعت له خيمة
من بعيد فاتاها فاذا فيها امراة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه
اسد وقال الهي جعلت لكل شي ماوى ولم تجعل لي ماوى فاوحى الله اليه ماواك في
مستقر رحمتي لازوجنك يوم القيمة مائة حوراء خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك
اربعة الاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولامرن مناديًا ينادي اين الزهاد في الدنيا

زوروا عرس

ن و ر و ا عرش سيد الزهاد عيسى بن مريم قال عيسى صلوات الله عليه
ويل لصاحب الدنيا يموت ويتركها ويامنها وتغره ويل للمغترين كيف ارتهم
ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون ويل لمن الدنيا همه والخطايا
عمله كيف يفتضح عند الله بذنبه ¤ وقيل اوحى الله الى موسى عليه السلام
ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك
فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها خيرا فنعمت الدار يا موسى اني مرصد
للظالم حتى اخذ منه للمظلوم وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله عليكم من بركات الارض قيل وما بركات
الارض قال زهرة الدنيا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تشغلوا قلوبكم
بذكر الدنيا فنهاهم عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عيسى عليه السلام
من ذا الذي يبني على امواج البحر دارا تلكم الدنيا لا تتخذوها قرارا وقيل
لعيسى عليه السلام علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم
الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو علمتم ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولتركتم
الدنيا وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر وقال
صلى الله عليه وآله وسلم لتاتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب ومر
موسى بن عمران عليه السلام برجل وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك
فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم اغفر له
وهو يحب الدنيا فهذه جملة ما اوردناها في ذم الدنيا من الاخبار ¤ الجهة الثالثة ¤
حكي عن امير المومنين كرم الله وجهه انه قال من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا
ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله فاطاعه ¤ وعرف الشيطان فعصاه ¤
وعرف الحق فاتبعه ¤ وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها ¤
وعرف الآخرة فطلبها ¤ وحكي عن الحسن البصري انه قال رحم الله اقواما كانت الدنيا عندهم
وديعة فادوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا ¤ وقال الضحاك من نافسك
في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره ¤ وقال العمر بابني

الدنيا بحر عميق قد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله
وحشوها الايمان بالله وشراعها التوكل على الله لعلك ناجي وما اظنك ناجيا
وقال الفضيل بن عياض طال فكري في هذه الآيه انا جعلنا ما على الارض
زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ٥
وقال بعض الحكما انك لن تصبح في شي من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك و
يكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشا ليله وغدا يوم فلا تهلك
نفسك في الكلة وصم عن الدنيا وافطر على الاخره وان راس مال الدنيا الهوا و
ربحها النار ٥ وقيل لبعض الزهاد كيف ترى الدنيا قال تخلق الابدان
وتجدد الآمال وتقرب المنيه وتبعد الامنيه قيل فما حال اهلها قال من ظفر
تعب ومن فاتته نصب ٥ وقال بعض الحكما كانت الدنيا ولم اكن فيها
وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر
واهلها منها على وجل اما بنعمة زايله او بلية نازله او منيه قاضيه وقال
بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما تزيد واما تنقص
وقال سفيان اما ترى النعم كانها مغضوب عليها قد وضعت في غير اهلها وقال
بعض الزهاد من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر منه ومن
طلب الآخره على المحبه منه لها لم يعط شيئا الا اراد اكثر منه وليس لها غايه ولا لها نهايه
وقال رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر الى ما
اتاك الله منها فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا ولنا
قال هذا لانه لو اخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها
وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجي ياخذك
وقال الفضيل بن عياض لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخره من
خزف يبقى لكان ينبغي ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد
اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى ٥ وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه
بلغني انه يوقف العبد يوم القيمه اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا اعظم ما حقره الله

وقال

وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وما في يده عاريه
والضيف مرتحل والعاريه مردوده رواه عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
وروا ابو امامه الباهلي انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اتت ابليس
جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن
كانوا يحبونها لا ابالي ان لا يعبد والاوثان وانا اغدو عليهم واروح بثلاث
اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه من حقه والشر كله لهذا تبع
وقال رجل لعلي عليه السلام يا امير المومنين صف لنا الدنيا قال ما اصف لكم من دار من
من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها اتته
ومن ابصرها بصرته ومن ابصر اليها اعمته وقال هي دار حلالها حساب وحرامها
عقاب ه وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلما يعني
الدنيا وحكي عن بعض الحكما انه قال اذا كانت الآخره في القلب جاءت الدنيا تزحمها واذا
كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخره لان الآخرة كريمه والدنيا لئيمه ه وقال
مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخره من قلبك وبقدر ما تحزن للآخره
يخرج هم الدنيا من قلبك وقال عيسى عليه السلام الدنيا والآخره ضرتان فبقدر
ما ترضي احداهما تسخط الاخرى ه وقال الحسن البصري والله لقد ادركت اقواما
كانت الدنيا اهون عليهم من التراب الذي يمشون عليه ما يبالون اشرقت الدنيا
ام غربت اذهبت ام لم تذهب ذهبت الى هذا او ذهبت الى هذا وقال
الفضيل بن عياض لو كانت الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب
عليها في الآخره لكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم الجيفه اذا مر بها ان تصيب ثوبه
وقال سفيان الثوري خذ من الدنيا لبدنك ومن الآخرة لقلبك وقال الحسن
البصري والله لقد عبدت بنوا اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن لحبهم الدنيا و
قال وهب قرات في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال
لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمن لابنه اي بني
استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فانت الى دار تقرب

منها اقرب من دار تتباعد عنها وقال بعض الزهاد اذا رايت العبد
تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي تلعب
بوجهه وهو لا يشعر وكتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك
اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت قد مات فاجابه عمر بن عبد العزيز
سلام عليك كانك بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل وقال الفضيل بن
عياض الدخول في الدنيا هين والتخلص منها شديد وقال بعض
الحكما عجبا لمن يعرف الموت حقا كيف يفرح وعجبا لمن يعرف النار حقا كيف
يضحك وعجبا لمن يرا تقلب الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعرف
ان القدر حق كيف ينصب و قدم على معويه رجل من نجران ما سا تا
سنه فساله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء
يوم فيوم وليله فليله يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا
الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها قال له سل ما شئت قال عمر مضا فترده
او اجل حضر فتدفعه قال لا املك ذلك فقال لا حاجة لي اليك وقال
داود الطاي يا ابن آدم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته بانقضاء اجلك و
ثم سوفته بعملك كان منفعته لغيرك وقال بعض الزهاد من سال
الله الدنيا فانما يساله طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في
الدنيا شي يسرك الا وقد الصق به شي يسوك ولنكتف بهذا القدر من
الكلام في ذم الدنيا ففيه كفاية لمقصودنا وتنبيه على مرادنا والله اعلم بالصواب

الباب الثالث في بيان صفة الدنيا بالامثلة وامثلتها

مختلفة باختلاف احوالها وجملة ما نذكره من ذلك امثلة عشر
المثال الاول اعلم ان الدنيا مثال الظل في سرعة زوالها سريعة الفنا قريبة الانقضا تعد
بالبقا ثم تخلف بالوفا تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا
ومرتحلة ارتحالا سريعا لكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما
تكون حسرة عند انقضائها ومثالها بالظل فانه متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر
لا تدرك حركته بالبصر الظاهر وانما تدرك بالبصيرة الباطنة وقال الحسن بن علي عليهما السلام

تمثل

26

يتمثل ويقول في يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها فإن اغترار بظل زائل حمق

في **المثال الثاني** من جهة التغرير بخيالاتها فانها خيالات تشبه المنام واضغاث احلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا حلم واهلها عليها مجازون ومعاقبون وعن بعض الحكماء ما شبهت بشيء والدنيا الا برجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه كذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس في ايديهم ما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لحكيم اي شيء اشبه بالدنيا قال احلام النيام

المثال الثالث في عداوتها لاهلها اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك اخرا وهي كامراة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم فقد روي ان عيسى عليه السلام كشفت له الدنيا فرآها في صورة عجوز هتما عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت فقالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه الصلوة والسلام بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين وكيف تهلكيهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر

في **المثال الرابع** في مخالفة باطنها لظاهرها اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي تشبه عجوزا متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثلت لهم قبائحها فندموا على اتباعهم لها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها قال العلاء بن زياد رأيت في النوم عجوزا كبيرة الشن معصبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها متعجبون منها ينظرون اليها فجئت ونظرت اليها وتعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت اني اما الدنيا فقلت اعوذ بالله من شرك قالت فان احببت ان تعاذ من شري فابغض الدينار والدرهم وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيمة في صورة عجوز شمطا زرقا انيابها بادية مشوهة خلقها فتشرف على الخلائق فيقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه هي الدنيا التي تناجزتم عليها وقاطعتم الارحام بها وتحاسدتم وتباغضتم واغتررتم

فيجاء بهم يعرفون بعضهم بعضا حتى

فتقول رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها
واشياعها. **المثال الخامس** في بيان انقطاع الدنيا وزوالها اعلم
ان الاحوال ثلاثة حال لم تكن فيه شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة
لا تكون فيها مشاهدا للدنيا وهي بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين الا
بد والازل وهي ايام حياتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي
الابد والازل حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر طويل وقال صلى الله عليه وآله
وسلم مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف رفعت
له شجرة فقام تحتها في ظلها ثم راح وتركها ومن راى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها
ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني
لبنة على لبنة توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة
المثال السادس في لين موردها وخشونة مصدرها اعلم ان اوائل الدنيا تبدو
هينة لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة خوضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات
فالخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب امير المؤمنين عليه
افضل الصلوة والسلام الى سلمان الفارسي مثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية لين
لمسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها
لما ايقنت من فراقها وكن لها اسر ما تكون فيها احذر ما تكون منها فان صاحبها
كلما اطمأن منها الى سرور اشخصه عنه الى مكروه والسلام ولقد اجاد في كلامه هذا كل الاجادة
واحسن فيه غاية الاحسان في صفة الدنيا وبيان حكمها واظهار صفاتها
المثال السابع في تعذر الخلاص منها بعد الدخول فيها قال الرسول صلعم
انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الماشي في الماء ان لا يبتل قدماه
وهذا يعرفك جهالة قوم يظنون انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم
وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة فتلك مكيدة الشيطان
بل لو اخرجوا عما هم فيه لكانوا اعظم المتفجعين لفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي
بللا لا محالة يلصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب

فقال

بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة وقال عيسى عليه السلام
بحق اقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ به من شدة المرض كذلك
صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا
بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعب وتغير خلقها كذلك
القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ ٥٠

البيان الثامن في بيان اخر الدنيا لاولها اعلم ان شهوات الدنيا في القلب
لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في
قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة
غايتها وكل ما كان الطعام الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه
اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى والذ واقوى فنتنها
وكراهتها والتاذي بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان
كل من نهبت داره واخذ اهله وولده وماله كانت مصيبته والمه وتفجعه في
كل ما فقده بقدر لذته فيه وحبه له وحرصه عليه فكلما كان عنده الوجود
اشهى والذ فهو عند الفقد ادهى وامر ولا معنى للموت الا فقد ما في الدنيا
وقد روي عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم انه قال للضحاك بن سفيان الكلابي



الست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال
فالى ما يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله عز وجل ضرب للدنيا
مثلا بما يصير اليه طعام ابن آدم وقال ابي ابن كعب قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم بطعامه فانظر ما يخرج من ابن آدم وان
قزحه وملحه الى ماذا يصير **المثال التاسع** في استغال اهل الدنيا بنعيمها
وغفلتهم عن الآخرة اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم عن الآخرة كمثل قوم ركبوا
سفينة فانتهت بهم الى جزيرة من الارض فامرهم الملاح بالخروج لقضاء حوائجهم

وحدث بهم من المقام وخوفهم مرور السفينة فتفرقوا في نواحي الجزيره فقضى
بعضهم حاجته ودخل السفينة فلم يصادف الا مكانا خاليا وبعضهم توقف في
الجزيره ينظر الى ما فيها من الملاذ ثم رجع السفينة فلم يصادف الا مكانا ضيقا وبعضهم
التفت الى تلك الجزيره وشغف بما فيها وناداه الملاح فلم يجبه ثم انه استحسن من اشعة
تلك الجزيره فلم يسعه المكان مع حمله فتاره يضعه في حجره وتارة يضعه فوق راسه
وبعضهم توغل في الجزيره وناداه الملاح فاجابه بعد توقف فسقط على الشوك
وبقي في مكان خائفا من السباع واللصوص وبعضهم لم يسمع النداء وتخلف عن السفينة
ثم مرت فبعضهم اكلته السباع ومنهم من مات جوعا حتف انفه ومنهم من نهشته
الحيات فهذا مثال جميع اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم
موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امورهم

المثال العاشر

في اغترار الخلق بها حكي عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم انه قال لاصحابه
انما مثلي ومثلكم كمثل قوم سلكوا مفازة غبرا حتى اذا لم يدروا ما سلكوا
منها اكثر او ما بقي انفد الزاد واحرموا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة
لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة
يقطر راسه فقالوا انه قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب
فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا فقال على ما انتم فقالوا على ما
ترى قال ارايتم ان هديتكم على ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك
شيئا قال عهودكم ومواثيقكم على ذلك فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا
يعصونه ابدا قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله
ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم
والى رياض ليس كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا ان لا
نجده وما نصنع بعيش خير من هذا قال وقالت طائفة منهم وهم اقلهم الم تعطوا
هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في اول

حديثه

حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم
فبدرهم عدوهم فاصبحوا بين قتيل واسير انتهى وكذلك ذلك صلى الله عليه
وآله وسلم في مثاله هذا القطا بق بمقوله واوقع الحز على المفصل فمن وافقه
على طريقه فقد نجا ومن خالفه فقد غرق وهوا وفقنا الله لطريقه ٭ ٭ ٭

البيان الرابع في اظهار للمواعظ في بيان ذم الدنيا قال بعض الحكما

اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا
الى الدنيا فانها غدارة غرارة مكارة فقد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها
وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المتجلية العيون اليها ناظرة والقلوب
عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلته ومطمئن اليها
خذلته فانظروا بعين الحقيقة فانها دار كثرت بوائقها وذمها خالقها
جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها
يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال
فلان عليل ومدنف ثقيل فهل على الدوا من دليل والى الطبيب من سبيل
فتدعا لكم الاطبا ولا يرجا لكم الشفا ثم يقال فلان اوصا وماله احصا
ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك
جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك
وتلجلج لسانك وبكا اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا اخوك
فلان منعت الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك
القضا وانتزعت روحك من الاعضا ثم عرج بها الى السما فاجتمعت
عند ذلك اخوانك واحضرت لك اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع
عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا
باعمالك ٭ وقال بعض الحكما لبعض الملوك ان احق الناس
بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته منها لانه يتوقع آفة

تعد وعلى ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او تأتي سلطانه فتهدمه
من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه بشيء هو ضنين به
من احبابه فالدنيا هي احق بالذم هي الآخذة ما تعطي والراجعة فيما تهب
بينا هي تضحك اصحابها اذ اضحكت منهم غيرهم وبينا هي تبكي لهم اذ بكت عليهم
وبينا هي تبسط كفها بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد تعقد التاج على
راس صاحبها اليوم وتعفره بالتراب غدا سوا عليها ذهاب ما ذهب
وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل بدلا وكتب
الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست
بدار اقامة وانما انزل اليها آدم عقوبة فاحذرها فان الزاد منها
تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من اعزها وتفقر
من جمعها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه فكن فيها كالمداوي
جراحته يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدوا مخافة
طول البلا فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت
بخدعها وفتنت بغرورها واضلت بآمالها وتشوفت لخطابها فاصبحت
كالعروس المتجلية فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس
لها عاشقة وهي لاهلها كلهم قاتلة ولدت على احبابها قابلة فلا الباقي
بالماضي معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين اخبره
عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد
فشغل فيها لبه حتى زلت قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت
عليه سكرة الموت بالمه وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك
منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد
فاحذرها يا امير المؤمنين وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها

صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور أشخصته الى مكروه الدار
فيها لاهلها ضرار والناجح منها عند الله صار وقد وصل الراحم منها بالبلاء
وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى
وادبر ولا يدرى ما هو آت فينتظر امانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها
كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر وهو من النعماء
على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر فيها خبرا ولم يضرب
لها مثلا لكانت الدنيا قد ايقظت النائم ونبهت الغافل فكيف
وقد جاء من الله عنها زجر او فيها واعظ فما لها عند الله تعالى قدر وما نظر
اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وآله وسلم بمفاتيحها وخزائنها
لا ينقصه عند الله جناح بعوضة فأبى ان يقبلها اذ كره ان يخالف الله تعالى امره
او يحب ما ابغضه خالقه وقد فرغنا من الباب الاول في ذكر الدنيا من خصال
المهلكات والله اعلم بالصواب

الباب الثاني في بيان كسر الشهوتين البطن والفرج

اعلم ان من اعظم الامور المهلكة لابن آدم انما هو شهوة البطن
فبها اخرج آدم وحواء من دار القرار الى دار الذل والمهانة و
الافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما
سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الآفات لان
شهوة الفرج هي تابعة لشهوة البطن ويتضح مقصود تمام هذا الباب بايضاح
فضيلة الجوع ثم ايضاح فوائده وايضاح طريق الرياضة وتقليل الطعام ثم
ايضاح شهوة الفرج وفوائدها وبيان فضيلة من خالفها فهذه ايضاحات
خمسة

الايضاح الاول في بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

وله جهات **الجهة الاولى** الاخبار قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاهدوا
انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه
ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال صلى الله عليه وآله وسلم

لا يدخل ملكوت السموات والارض من ملأ بطنه قيل يا رسول الله
اي الناس افضل قال من قل اكله وضحكه ورضي بما ستر عورته و
قال صلى الله عليه واله وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس
الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال صلى الله عليه واله وسلم البسوا
الصوف وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوه وقال الرسول
صلى الله عليه واله وسلم الفكر نصف العباده وقلة الطعام هي العباده
وقال الحسن قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم افضلكم عند الله اطولكم جوعا و
في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان يجوع من غير عوز اي مختارا له
وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الله يباهي الملائكه بمن قل طعمه في الدنيا
يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما اي اجلي
اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنه وقال
صلى الله عليه واله وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب
كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه واله وسلم ما ملأ ابن
آدم وعاء شرا عليه من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان
كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث
اسامه وحديث ابي هريره عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اقرب
الناس من الله تعالى يوم القيمه من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاخفيا
الاتقيا وروى الحسن عن ابي هريره ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت
السماء وقال عيسى صلوات الله عليه اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم
لعل قلوبكم ترى الله تعالى وفي التوراة ان الله تعالى ليبغض الحبر السمين لان
السمن يدل على الغفله وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال
ابن مسعود ان الله يبغض القاري السمين وفي الخبر ان الاكل على

شبع

الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن يأكل في
معى واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء والمراد بالمعا الشهوات
لان الشهوة تقبل الطعام كما تقبل المعا وروي عن عائشة قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اديموا قرع باب الجنة
يفتح لكم قلت وكيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظمأ
وروي ان ابا جحيفة تجشا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اقصر من جشاك فان اطول الناس
جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا ه **الجهة الثانية** في الآثار قال
عمر اياكم والبطنة فانها ثقل في الحيوة نتن في الممات وقال
سفيان الثوري العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلتها المجاعة
وقال لقمن لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة و
خرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال الفضيل بن عياض
يخاطب نفسه اي شي تخاف اتخاف الجوع لا تخف ذلك انت اهون على
الله من ذلك انما جوع محمد واصحابه وقال بعض الزهاد الهي
اجعتني واعريتني وفي ظلم الليل اجلستني فباي وسيلة بلغتني ما
بلغتني وقال بعضهم عند شدة المرض والجوع الهي انت
ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليائك فباي عمل اؤدي شكر
ما انعمت علي وقال يحيى معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين
تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين
حكمة وقال ابو سليمان الداراني لان اترك لقمة من عشائي احب الي من
قيام ليلة الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه الا
من يحب وقال بعض الزهاد لم ير الاكياس شيئا افضل من الجوع
في الدين والدنيا وقال لا اعلم شيئا اضر على طلاب الآخرة من الاكل

وفقنا الله لما يرضيه في الايضاح الثاني في بيان فوايد
الجوع وآفات الشبع وجملة ما يشير اليه من فوائده عشرة
الفائدة الاولى صفا القلب و اتقاد القريحة ونفاذ البصيرة
وان الشبع يورث البلاده ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ يشبه
السكر حتى يستولي على معادن الفكره فيثقل القلب بسبب ذلك الجريان
في القلب الفائدة الثانية رقة القلب الذي تتهيا بها ادراك
حلاوة المناجاة فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن
القلب لا يتلذذ به ولا يتاثر عنه حتى كان بينه وبينه حجاب من قساوة
القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تاثره بالذكر وتلذذه بالمناجات
وخلو المعده هو السبب الاظهر في ذلك الفائدة الثالثة
الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشر الذي هو مبدأ
الطغيان والغفلة من الله تعالى ولا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تذل
بالجوع فعنده يشكر العبد ربه ويخشع له ويقف على عجزه و ذله والبطر
والفرح باب من ابواب النار واصلها الشبع والذل
والانكسار باب من ابواب الجنه واصلها الجوع ومن اغلق
بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنه بالضرورة لانهما
متقابلان كالغرب والمشرق فالبعد من احدهما قرب من الآخر
الفائدة الرابعة ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل
البلا فان الشبعان ينسى الجيعان وينسى الجوع فالمؤمن
الفطن لا يشاهد بلاء الا ويذكر بلاء الآخره ويتذكر من عطشه عطش الخلائق
في عرصات القيمه ومن جوعه جوع اهل النار حين يجوعون فيطعمون من
الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل الفائدة الخامسة
كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلا على النفس الامارة بالسوء

فان

فان منشأ المعاصي كلها الشهوات ونيل الشهوات مادة القوا
ومادة القوى والشهوات لا محالة فقلتها تضعف كل شهوة وقوة
السعادة كلها ان يملك الانسان نفسه والشقاوة كلها في ان
تملك الانسان نفسه وتكون هي المستولية عليه **الفائدة السادسة**
دفع النوم ودوام السهر فان كل من شبع وكثر شربه كثر نومه وروي انه اجمع
رأي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وكثرة الشرب من
كثرة الاكل وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة
القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال الانسان الذي فيه
يتجر **الفائدة السابعة** تيسير المواظبة على العبادة فان كثرة
الاكل يمنع كثرة العبادات لان الاكل يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل و
ربما احتاج الى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال
ثم يكثر تردده للخروج الى بيت الماء وهذه اوقات يمكن صرفها الى العبادة عوضا
عن الاكل المباح وليس هذا سبب الا كثرة الاكل والتوسع في الشبع **الفائدة الثامنة**
صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلات الاخلاط
في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات وتشوش القلب ويمنع من
الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدوا والطبيب وكل
ذلك يحتاج الى مؤنات كثيرة وتبعات وفي الجوع ما يمنع من ذلك كله
الفائدة التاسعة خفة المؤنة فان كل من تعود قلة الاكل كفاه
من المال قدر يسير والذي يتعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له اخذا
بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل الخبيثة فيكتسب
من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل ويتعب وربما احتاج ان يمد عينيه
الى الخلق بالطمع الى ما في ايديهم وهو غاية الذل والمؤمن خفيف المؤنة
الفائدة العاشرة التمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة

على اليتاما والمساكين ويكون يوم القيمة في ظل صدقته كما ورد في الخبر
فما ياكله فخر انته الكنيف وما يتصدق به فخر انته فضل الله تعالى ورحمته
فهذه في الجملة ما نريد من ذكر فوائد الجوع واما افات الشبع
فهي نقائض هذه الخصال التي اوردناها فلا حاجة بنا الى تكرير ها

الايضاح الثالث في بيان الرياضة في كسر شهوة الجوع

اعلم ان على السالك لطريق الآخرة الماخوذ عليه ان لا ياكل الا حلالا فالعباد على اكل الحرام كالبناء على امواج البحر فاذا كان محرزا على هذه الخصلة فالمتوجه عليه وظائف ثلث **الوظيفة الاولى** في تقليل الطعام وله درجات خمس **الدرجة الاولى** ان يرد نفسه الى قدر ما يقيم به الروح الذي لا يبقى من دونه وهذا انما يكون بعد الرياضة الكبيرة وتقليل الطعام قليلا قليلا لانه لو تركه دفعة واحدة لصعب ذلك وشق **الدرجة الثانية** ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف واحد ونسبته ان يكون منه ثلث البطن في حق الاكثر **الدرجة الثالثة** ان يرد نفسه الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وبما دونه او ينتهى الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب **الدرجة الرابعة** ان يرد نفسه الى مقدار المن وهو اشد على المد ونسبته ان يكون ما وراءه اسراف **الدرجة الخامسة** ان لا يكون هناك تقدير وهو ان يكون اكله عند صدق الجوع ويقبض يده عنه الا عند شهوة صادقة والمختار ان يقدر الانسان مع نفسه في الاكل الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها وعلى الجملة فلا يمكن تقدير الطعام فانه يختلف بالاحوال والاشخاص والمعايش والاوقات ه **الوظيفة الثانية** في وقت الاكل فيه درجات ثلاث **الدرجة الاولى** ان يطوى ثلاثة ايام وروي عن بعضهم انه انتهى الى ستة ايام يطويها من غير حاجة الى مقدار الماكول وانتهى بعضهم الى ثلاثين يوما وعن بعضهم ستين يوما وكل ذلك يمكن بطريق الرياضة وتكون في الاوقات المتباعدة ه

الدرجة



الدرجة الثانية ان يطوي يومين وليس ذلك خارج
عن العاده بل ذلك ممكن **الدرجة الثالثة** وهو ادناها ان
يقتصر في اليوم والليله على اكله واحده وهذا هو الاقل وروى ابو سعيد
الخدري عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم انه كان اذا تغدى لم يتعش واذا
تعشى لم يتغد وكان السلف الصالح ياكلون في كل يوم اكلة وقال
عليه الصلوة والسلام لعائشه اياك والاسراف فان الاكثر في اليوم من
السرف فاذا كان اكلتان في اليوم سرف فالاكلة في اليومين اقتار
والاكلة في كل يوم وسط وهو المحمود وفي حديث عائشه كان الرسول صلى الله عليه
واله وسلم يواصل الى السحر ومن اقتصر على اكلة واحده فيستحب ان ياكلها
سحرا قبل طلوع الفجر فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام ※

الوظيفة الثالثة في نوع الطعام واعلى الطعام الحنطه
وهو غاية الترفه واوسطه الشعير منخولا وادناه شعير من غير نخل واعلا الادام
اللحم والحلاوة والادنا الملح والخل واوسطه العدس بالدهن من غير لحم
والعادة للسالكين لطريق الاخره الامتناع عن الادام على الدوام والاستمرار
بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان وياكله فانه
يقتضي بطرا في نفسه وقوة في قلبه وانسا النفسه بلذات الدنيا حتى يالفها
ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا محبوبة عنده واذا منع نفسه شهواتها
وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الاخره محبوبة عنده واشتهى الانقلاب الى
الله تعالى وقد قال صلى الله عليه واله وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت اجسامهم
عليه وانما همتهم انواع الطعام والوان اللباس واوحى الله تعالى الى موسى انك
ساكن القبر فيمنعك ذلك عن كثير من الشهوات ※ **الايضاح الرابع**
ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين **الاولى** منهما لقاء النسل

ودوام وجود الخلق الثاني ان يتعيش بها لذات الاخرة ان
لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى اللذات للاجسام فهاتان
الفائدتان تنصح للفرح ولكن في لذة العزح من الآفة ما يهلك الدين
والدنيا ان لم تضبط وتقهر وترد الى حال الاعتدال وقد قيل
في قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قيل هو شدة شهوة
النكاح وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ بالله من سمعه
وبصره وقلبه ومنيه وقال النساء حبائل الشيطان ولولا هذه
الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال وروي ان الشيطان قال للمرأة
انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطئ وانت موضع
سري وانت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوات والنصف الآخر
هو الغضب ثم ان هذه الشهوة لها افراط وتفريط واعتدال فهذه
ثلاث حالات **الحالة الاولى** الافراط وهو كلما يقهر العقل ويخرجه عن
حد الاستقامة حتى يصرف همة الرجل الى وطئ النساء والجوار فيشغله
ذلك عن سلوك طريق الآخرة وعن العبادة فيفقه الدين حتى يجر
ذلك الى اقتحام الفواحش وملابسة المحظورات وقد ينتهي افراطها
باقوام الى امرين شنيعين احدهما ادوية ويقوي المعده لشهوة الطعام
وما مثل ذلك الا كمثل من يبلي سباعا ضارية فتنام عنه في بعض الاوقات
فيحتال في اثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان
شهوة الطعام والوقاع على التحقيق امر يريد الانسان ان يطلب الخلاص
منه فليطلب سبب الخلاص وثانيهما انه قد ينتهي هذه الشهوة ببعض الضلال
الى العشق وهي غاية الجهل في افراط المحبة بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة
الحد في البهيمية حد البهائم لان العاشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع

رتبك

التي هي اقبح الشهوات حتى اعتقد ان شهوته تلك لا تنقضي الا من
محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة كيفما اتفق فتكتفي به وهذا لا يكتفي الا
بواحد معين حتى يزداد ذلك الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يكون
العقل موطوئا بقدم الشهوة وقد خلق الانسان لان يكون مطاعا والا يكون
خادما والعشق هو المحبة المفرطة وهو مرض القلب الفارغ الذي لا
همة له ولا هو مشغول الا بمعشوقه وعلاجه انما يكون بترك المعاودة للفكر
والنظر فاما بعد استحكامه فانه يعسر دفعه ٥ **الحالة الثانية**
التفريط وهذا انما يكون بالضعف والعجز بالغيبة عن اتيان المنكوحة
وهذا ايضا مذموم في الرجال لان فيه انقطاع النسل وعلاج ما هذا
حاله قد يمكن دواه وقد يكون خلقه لا يمكن دواه ولم ننكر علاجا بالضعف
والعجز وانما انكرنا من يتداوا الزيادة الجماع وقوته ٥ **سؤال فان قيل**
فكيف تنكرون علاج قوة الجماع وقد روى ان الرسول صلى الله عليه واله وسلم
شكا الى جبريل ضعفه عن الجماع فامره باكل الهريسة **وجوابه** انه صلى الله عليه
واله وسلم كان تحته تسع نسوة والواجب عليه تحصينهن بالوطي ويحرم
على غيره نكاحهن فكان طلبه للقوة لهذا المعنى لا لاجل التنعم ٥
الحالة الثالثة الاعتدال في الطبع وهو محمود مهما كانت الشهوة مطيعة للعقل
والشرع في انقباضها وانبساطها كان ذلك موافقا لقانون الشرع
وحكمه ومهما افرطت يكون كسرها بالجوع والنكاح ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
معاشر الشباب عليكم بالباه فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء

الايضاح الخامس في بيان فضيلة من خالف شهوة الفرج والعين




اعلم ان هذه الشهوة اعظم الشهوات على الانسان واعصاها عند
الهيجان على العقل لان مقتضاها قبيح يستحيا منه ويخشى من اقتحامه وامتناع
اكثر الناس من مقتضاها اما للعجز او لخوف او لحياء او لمحافظة على حشمته
وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ
نعم من العصمة ان لا تقدر يعني العوائق فائدة وهي دفع الآثام فان من ترك
الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا
لله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسير الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة
وهذه درجة الصديقين ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم من عشق فعف فمات
فهو شهيد وقال صلى الله عليه وآله وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا
دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة
يوسف صلى الله عليه وسلم وامتناعه عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة وقد اثنى الله
تعالى عليه في كتابه الكريم بذلك وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في غلبة
هذه الشهوة العظيمة فصل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف
ويقرب منه من تمكن من شهوة العين فان النظر مبدأ الزنا فحفظه
مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والافات
كلها تنشأ منه والنظرة الاولى اذا لم تقصد لم يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ
بها قال صلى الله عليه وآله وسلم الاولى لك وعليك الثانية يعني النظرة وقال
العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان النظر يكون في القلب شهوة
وقل ما يخلو الانسان في تردداته عن وقوع النظر على النساء والصبيان ومهما
يخيل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر الانسان
على نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت
الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ
ويأثم لانه قصد التلذذ فقد فعل ما اليه قصد والذي يتعلق بقدرته فلا يخلو

ممن



في كل حالته عن المعصية وعن الاثم وكسر ومهما حفظ العين بهذا
الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات وان اخطا في عينه وحفظ
فرجه مع التمكن فذلك يستدعي غاية الهداية والتوفيق

الباب الثالث في بيان آفات اللسان

ان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه
وعظيم طاعته اذ لا يتبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة
ثم انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم
مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي اذ ما
حق او باطل وهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء فان العين لا تصل
الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل
الى غير الاجسام واما اللسان فهو رحب الميدان ليس له مرد ولا منحى
له منتهى وحد فله في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن اطلق اللسان
سلك به الشيطان في كل ميدان ونحن بتوفيق الله تعالى نذكر فضيلة
الصمت اولا ثم نذكر الآفات المتعلقة باللسان فهذا ان مطلبان **المطلب الاول**
في بيان فضيلة الصمت ويحصل ذلك من جهتين **الجهة الاولى**
من جهة الاخبار **اعلم** ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره
الا بالصمت ولهذا مدح الشارع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وآله
وسلم من صمت نجا وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله اي حلم وحكمة
وحزم وروي عن سفيان قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام
بامر لا اسال عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قلت
فما اتقي فاشار بيده الى لسانه وقال عقبة ابن عامر قلت يا رسول الله
ما النجاة فقال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك
وقال رسول صلى الله عليه وآله وسلم من يتكفل لي ما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة

وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من وقي شر قبقبه
وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج
واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق
ولهذا اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر الشهوتين
البطن والفرج وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أكثر ما يدخل
الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل النار فقال
الأجوفان الفم والفرج والفم يحتمل أن يكون هو المراد به اللسان لأنه محله
ويحتمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذه وقال معاذ بن جبل أنؤاخذ
بما نتكلم يا رسول الله فقال ثكلتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس
على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم وقال أنس بن مالك قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم
قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل حتى يأمن جاره بوائقه
وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سره أن يسلم فليلزم الصمت
وعن سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إذا أصبح ابن آدم أصبحت
الأعضاء كلها تناشد اللسان بأن تقول اتق الله فينا فإنك إن استقمت
استقمنا وإن اعوججت اعوججنا وعن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم أنه قال ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته وعن ابن
ابن مسعود رض أنه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم واسكت
عن شر تسلم من قبل أن تندم قيل يا أبا عبد الرحمن هذا شيء تقوله أو شيء سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول
أكثر الخطايا من ابن آدم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من كف لسانه ستر الله عورته ومن كف غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر
إلى الله قبل الله عذره وروي أن معاذ بن جبل قال يا رسول الله أوصني فقال

اعبد الله

اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك في الموتا وان شئت انباتك بما هو املك لك من هذه كله واشار بيده الى لسانه وعن صفوان قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا اخبركم بايسر العباده واهونها على
البدن الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت
وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال رحم الله امرءًا تكلم فغنم او سكت
فسلم وقيل لعيسى صلوات الله عليه دلنا على عمل يدخلنا الله به الجنة
قال لا تنطقوا ابدًا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير وقال
سليمن ابن داود عليه الصلوة والسلام اذا كان الكلام من فضة
فالسكوت من ذهب وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عند لسان
كل قائل فليتق الله امرءٌ فيما يقول وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا
رايتم المومن صموتًا وقورًا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وعن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب
فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب الذي يخوض في
الباطل وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان لسان المومن وراء قلبه فاذا
اراد ان يتكلم يتدبر بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان الفاسق امام قلبه
فاذا هم بالشي امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه
كان ابو بكر يضع حجرا على لسانه يمنعه من الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول
هذا اوردني الموارد وقال ابن مسعود رضي الله عنه والله الذي لا اله الا هو
ما من شي احوج الى طول سجن من لسان وقال طاووس لساني سبع
ان اطعته اكلني وقال وهب ابن منبه في حكم آل داود حقًا
على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال
الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز اما بعد فانه من اكثر من ذكر
الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما

لا ينفعه وقال بعضهم الصمت يجمع خصلتين للرجل السلامة
في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا
ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ الدراهم والدنانير وقال
يونس بن عبيد ما من الناس احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك
يكون في عمله وقال الحسن كانوا يتكلمون عند معوية والاحنف بن قيس
ساكت فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا بحر فقال اخشى الله ان كذبت واخشاكم
ان صدقت وقال ابو بكر ابن عياش اجتمع اربعة ملوك ملك الهند وملك
الصين وكسرا وقيصر فقال احدهم ما انا اندم على ما قلت ولا اندم
على ما لم اقل وقال الاخر اني لا اتكلم بكلمة ملكتني ولا املكها واذا لم اتكلم
ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت اليه كلمته
ضرته وان لم ترجع له لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على
رد ما قلت فان قال قائل فهذا الفضل الكثير في
الصمت ما سببه قلت فان سببه كثرة آفات اللسان من الخطا
والكذب والغيبة والنميمة والريا والنفاق والفحش والمرا وابذا الخلق
والسعي بالكلام وغيرها فهذه آفات كثيرة وهي سابقة الى اللسان
ولا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الشيطان
الا على من وفقه الله تعالى وعلم منه صدق نيته فاعانه على امره وقيل ان
المنصور ابن المعتمر لم يتكلم بعد العشاء الاخرة اربعين سنة والربيع بن خثيم
ما تكلم بكلام الدنيا عشرين سنة

المطلب الثالث في بيان آفات اللسان

ونحن نوردها واحده واحده ونبدء
بالاهم فالاهم من احصارها والله الموفق للصواب

الآفة الاولى

الغيبة والنظر فيها طويل لاشتمالها على تفاصيل ودقايق وهي مشتمله على

اذا تكلمت



تنبيهات ستة **التنبيه الاول** في بيان معناه واعلم
ان حد الغيبة هو ان تذكر اخاك بما يكره لو بلغه سوا كان نقصانا
في بدنه او نسبه او في خلقه او في فعله او قوله او دينه وحتى في ثوبه
وداره ودابته فاما البدن فهو كان تقول هو اعمش او اعما او احول او اعور
وهكذا القصر والطول والسواد والصفرة والحمرة وجميع ما يتصور انه يكرهه
واما النسب فنحو ان تقول ان اباه نبطي او هندي او فاسق او خسيس
او اسكاف او شي مما يكرهه واما الخلق فنحو ان تقول انه بخيل او سيء الخلق
او مرائي او شديد الغضب او جبان او عاجز او ضعيف القلب و
اما الفعل فنحو ان تقول انه سارق او كذاب او شارب الخمر او
جائر او ظالم او متهاون بالصلوة او لا يحسن الصلوة في ركوعها وسجودها
ولا يضع الصلوة في مواضعها ولا يحترز من الرفث والتعرض لاعراض
الناس واما افعاله المتعلق بالدنيا فهو قولك قليل الادب متهاون بالناس و
لا يرا لاحد حقا ويرا لنفسه حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نؤوم في غير وقته
ويجلس في غير موضعه واما ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب

وهل يجوز غيبة الفاسق ام لا فيه تردد فقال
قوم يجوز لقوله صلى الله عليه وآله وسلم اذكروا الفاسق بما فيه يحذره الناس
وقال آخرون لا يجوز غيبته هذا وهو المختار لان الاجماع منعقد
من جهة الامة على ان كل من ذكر غيره بما يكره فهو مغتاب له ويؤيده
ما روي ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال هل تدرون ما الغيبة
قالوا الله ورسوله اعلم قال الغيبة ذكرك اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان
في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد
بهته وعن الحسن البصري انه قال ذكر الغير ثلاثة اقسام الغيبة و
والبهتان والافك
والكل في كتاب الله فالغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ان تقول ما ليس فيه والافك

التنبيه الثاني

ان تتول ما بلغك في ذم الغيبه وظهور
ذلك من جهات ثلاث **الجهة الاولى** من كتاب الله تعالى قال
الله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
فكرهتموه وقد نبه الله تعالى في الآية على مكروهات ثلاثة النهي بقوله ولا
يغتب بعضكم بعضا وتشبيهه باكل لحم الميت وما هذا حاله فهو من
اخبث الماكولات ومنها الكراهه بقوله تعالى فكرهتموه **الجهة الثانيه**
من جهة الاخبار وقد روى ابو هريره عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم
انه قال اياكم والغيبه فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني
فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبه لا يغفر له حتى يغفر له
صاحب الغيبه وقال انس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم مررت بقوم ليلة اسري بي وهم يخمشون وجوههم باظفارهم
فقلت يا جبريل من هولاء قال هولاء الذين يغتابون الناس ويقعون
في اعراضهم وقال سليمان ابن جابر اتيت الرسول صلى الله عليه واله وسلم فقلت
علمني خيرا ينفعني الله به قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب
دلوك في اناء المستقي والق اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابه
وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فاسمع العواتق في
بيوتهن فقال يا معشر المسلمين من آمن بلسانه ولم يؤمن
بقلبه ولا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه
تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه الله في جوف بيته
واوحى الله تعالى الى موسى انه من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل
الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار **الجهة
الثالثة** الآثار قال ابو هريره من اكل لحم اخيه في الدنيا
قرب اليه لحمه في الآخرة فيقال كل ميتا كما اكلته حيا وعن مجاهد

قال ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي
ياكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر عذاب القبر انه يكون من ثلاث
اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من النميمة وثلث من البول وقال الحسن
والله للغيبة اسرع في دين المسلم المومن من الاكلة في جسمه وقال
بعضهم ادركنا السلف الصالح وهم لا يرون العبادة في الصلوة ولا في
الصوم ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس رضي الله عنهما
اذا اردت ان تذكر عيوب الناس فاذكر عيوب نفسك وقال ابو هريرة
يبصر احدكم القذا في عين صاحبه ولا يبصر الجذع في عينه وقال الحسن رحمه الله
يقول يا ابن ادم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب
هو فيك حتى تبدا باصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت
ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله من كان هكذا
وسمع علي بن الحسين عليه الصلوة والسلام رجلا يغتاب اخر فقال اياك والغيبة
فانها ادام كلاب النار وقال عمر عليكم بذكر الله فانه دوا واياكم وذكر الناس فانه داء

التنبيه الثالث في بيان الاسباب الباعثة على الغيبة

اعلم ان الاسباب الباعثة على الغيبة هي كثيرة بحسب الناس لها وتعمها
وجملتها احدى عشر سببا ثمانية تطرد في حق العامة وثلاثة تختص باهل الدين
فاما الثمانية فالاول منها تشفي الغيظ وذلك انه اذا جرى
سبب غضب به عليه فاذا هاج غضبه اشتفى بذكر مساويه
من جهته هكذا احال الحقد اذا كان كثير الغضب فانه يبين ذكره بالنقص
فصار الحقد والغضب باعثين على نقصه وذكر عيبه الثاني
الاستشعار وهذا ان يحس من انسان بانه سيقصده بالطعن
ويطول لسانه فيه ويقبح حاله عند الرؤسا والكبرا ويشهد عليه بشهادة

فيبادر ذلك بما يطعن في عرضه واسقاط شهادته او يبتدي
بذكر ما فيه صادقا عليه ليكذب عليه فيروج كذبه بالصدق الاول
الثالث موافقة الاقران ومجاملة الرفقا ومساعدتهم على الاعراض
فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر اعراض الناس فيرا انه لو انكر عليهم
اقتطع المجلس واستثقلوه ونفروا فيساعدهم على ذلك ويراه ذلك
من حسن المعاشرة **الرابع** ان ينسب الى شيء فيريد ان يتبرا منه
بذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبرا نفسه ولا يذكر الذي
فعله فلا ينسب غيره اليه **الخامس** ارادة التصنع والمباهاة
وهو ان يرفع نفسه بنقص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك
وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل
منه ويحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه من اجل ذلك **السادس**
الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه
فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليها الا بالقدح فيه فيريد
ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثنا عليه
واعظامه **السابع اللعب** والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك
فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب والمجون والمزاح
المفرط وهذا غالب على كل من نزلت همته وركت حالته وصار مضحك
الناس **الثامن** السخرية والاستهزا استحقارا له فان ذلك يجري في الحضور
ويجري في الغيبة ومنشاه الكبر واستحقار المستهزا به واستصغاره فهذه
هي الاسباب العامة في الخلق **واما الاسباب الثلاثة التي هي خاصة**
لاهل الدين فهي اغمضها وادقها فانها شرور خباها الشيطان
في معرض الخيرات **فالاول** منها اظهار التعجب وهو ان يقول الرجل من يتدين
بالدين ويظهر تعجبه من فلان كيف فعلت جاريته وهي قبيحة وكيف جلس
بين يدي فلان وهو جاهل وذلك مكروه عند المتعجب منه فيسهل الشيطان

تـه

له ذكر اسمه في معرض تعجّبه فيصير به مغتابًا من حيث لا يدري **الثاني**
الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما ابتلي به فلان فيقول مسكين فلان قد
غمني امره وما ابتلي به فيكون صادقًا في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر
عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابًا له **الثالث** الغضب لله
تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه وسمعه فيظهر غضبه
ويذكر اسمه فكان الواجب ان يذكر غضبه ولا يذكر اسمه ولا يذكره
بالسوء فان ذكره باسمه يكون غيبة فهذه الامور الثلاثة مما يغمض
ذكرها على العلماء فضلًا على العوام والاحتراز عن هذه الامور
احوط للدين

التنبيه الرابع في بيان العلاج الذي يمنع الانسان عن الغيبة

اما تعالج بمعجونات العلم والعمل **اعلم** ان مساوئ الاخلاق نعوذ بالله منها
العلم والعمل وانما علاج كل شيء بما يضاده وينافيه وعلاج الغيبة يستخرج
فيه شرايحها اجمالي وتفصيلي **المنهج الاول** ما يكون على جهة الاجمال
وهو ان يعلم انه تعرضه لسخط الله تعالى ولا مقيه بما رويناه من قبله
الاخبار وهو ان يعلم انها تحبط حسناته فانها تنقل حسناته يوم القيمة
الى من اغتابه عوضًا عن هتكه من عرضه وهو موضع ذلك متعرض لمقت الله وكتبه
عنده من يأكل الميتة وينقص الثواب والاجر ولا يبعد انه يكون فسقًا
عند الله تعالى لكثرة ما ورد فيه من الوعيدات الشرعية وفي الحديث عن
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما النار في اليابس من الحطب باسرع من
الغيبة في حسنات العبد مهما آمن العبد بما وردت به الاخبار لم ينطق لسانه
بالغيبة خوفًا من ذلك وينفعه ايضًا ان ينظر في نفسه فان
وجد فيها عيبًا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن شغله
عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبًا فينبغي ان يستحي من ان يترك ذم نفسه
ويذم غيره وان لم يجد في نفسه عيبًا فليشكر الله تعالى على ذلك ولا يلوّثن
نفسه باعظم الذنوب فان ثلب الناس واكل لحوم الميتة من اعظم الذنوب

والكبر والعجب

وان كان لا يرضى ان احداً لا يغتابه فينبغي ان لا يغتاب احداً من خلق الله
فهذا العلاج على جهة الجملة **المنهج الثاني** ما يكون على جهة
التفصيل وطريقه ان تنظر في الاسباب الباعثة التي قدمنا
ذكرها فاقرها واحدة واحدة وتسعى في ابطالها كالغضب والحقد والحسد
والاستهزاء والعجب وتشفي الغيظ وغير ذلك من الاسباب المهيجة للغيبة كما
سياتي شرح هذه العاهات فيما بعد بمعونة الله تعا **دقيقة اعلم**
ان الغيبة كما تكون باللسان وهو الاكثر الجاري المطرد قد تكون ايضا بالقلب
وهو محرم ايضا كتحريم الغيبة باللسان فانه كما يحرم عليك ان تحدث الغير
بمساوي الناس فانه يحرم عليك ان تحدث نفسك بها وتسيء الظن باخيك
ولسنا نعني بذلك الخواطر التي تكون في القلب والوسواس التي في الصدر
وفعلها وانما نعني تحريك الظنون والارادات والعزوم والاعمال
الحاصلة في القلوب فان الانسان مواخذ بذلك كما قال تعالى اجتنبوا
كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم فاما الخواطر والوساوس فان الله تعالى
يعفو عنها ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن
ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه وقد
قال تعا ولا تجسسوا فالغيبة والتجسس وسوء الظن منهي عنها كلها
ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله تعا تحت ستره بل تتوصل للاطلاع
وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو ستره ولو تركه على حاله لكان اسلم لقلبك
ولدينك فقد انكشف لك بما ذكرنا كيفية العلاج لهذه الآفة العظيمة
التي كثرت بها البلوى وعظم ضررها على الخلق وصارت عادة يعتادها الاكثر
الا من وفقه الله تعا وعصمه ومن اعظم البواعث عليها تشفي
الغيظ بالمضار فتحصل الجرأة على هتك عرضه من اجل ذلك
وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه

بمعصية الله

بمعصية الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من اتقى ربه كل
لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كظم غيظه وهو
يقدر على امضائه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره من اي
الحور شاء التنبيه الخامس في بيان الاعذار المرخصة في
الغيبة اعلم ان المرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في
الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وقبحها وهي
ستة العذر الاول التظلم فان كل من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة
واخذ الرشوة كان مغتابا له عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي
فله ان يتظلم الى الامام وينسبه الى الظلم ولا حرج عليه في ذلك اذ
لا يمكنه استيفاء حقه الا بذلك وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان لصاحب
الحق مقالا وقال لي الواجد ظلم يحل عقوبته وعرضه العذر
الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهاج الصواب
والصلاح كما روي ان عمر بلغه ان ابا جندل قد داوم على الخمر فلا ينفك
فكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر
الذنب وقابل التوب شديد العقاب فتاب ولم ير عمر ان ذلك غيبة فيمن
قاله وحكاه العذر الثالث الاستفتاء كما تقول الواحد قد ظلمني
ابي او زوجتي او اخي فكيف طريق الخلاص والاسلم التعريض بان تقول
ما قولك في رجل ظلمه ابوه او اخوه او زوجته ويجوز التصريح لما روي عن
هند انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله ان ابا سفيان
رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي افآخذ من غير علمه قال
خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم ولم يزجرها
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك العذر الرابع

تحذير المسلمين عن الشر فاذا رايت متفقها يتردد الى مبتدع
او فاسق وخفت ان يتعدى اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته
وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف على سراية البدعة والفسق اليه
العذر الخامس ان يكون الانسان معروفا باسم يكشف عن
عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول ذلك وروى ابو الزناد
عن الاعرج وروى سليمان عن الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء
ذلك لضرورة التعريف لانه صار بحيث لا يكرهه صاحبه ولو وجد مندوحة
عن ذكر ذلك كان افضل واولى في العذر السادس ان يكون
مجاهرا بالفسق كالمجاهر بالزنا وشرب المسكر والقتل بغير حق وكان متظاهرا
به لا يستنكف ان يذكر به ولا يكره ذلك صاحبا تظاهر به والاثم هناك
على الذاكر وقال صلى الله عليه واله وسلم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا
غيبة له وقال عمر ليس لفاجر حرمة وقال صلى الله عليه واله وسلم من توابع الاسلام
فعضوه بهن ابيه ولا تكنوا واما اذا لم يكن مظاهرا به فذكره يكون
غيبة محرمة في قال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال
ابن سيرين ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج للذين
ظلمهم فهذه المعاذير المرخصة لذكر النقايص في التنبيه
السادس في بيان كفارة الغيبة اعلم ان الواجب
على المغتاب ان يندم ويتوب ويتاسف على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى
ثم يستحل من المغتاب فيحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يطلب الحل وهو
حزين كئيب متاسف نادم على ما فعله في وحكي عن الحسن البصري انه يكفيه
الاستغفار دون الاستحلال محتجا بما رواه عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم
انه قال كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك

لحم اخيك



كما يحب أخيك أن تثني عليه وتدعوله بخير وعن عطا أنه قال تمشي
الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان
شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو المختار وقول
القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال بخلاف المال
كلام ضعيف فاذا وجب في العرض حد القذف وثبت المطالبة به
وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه من كانت عنده
لاخيه مظلمة من عرض او مال فليستحللها منه قبل ان ياتي يوم ليس
هناك درهم ولا دينار وهل يجب التحليل من المظلوم بالغيبة ام لا فيه تردد
والاقرب انه غير واجب ولكنه مستحب والافضل للمعتذر ان
يبالغ في الثنا والاعتذار والتودد ويلازم على ذلك حتى تطيب نفسه
وكان بعض السلف الصالح لا يحلل وقال سعيد بن المسيب لا
احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فكيف
احللها له ان الله حرم الغيبة عليه فكيف احل ما حرم الله وقد بحر عرضنا
مما اردنا ذكره من الغيبة والله الموفق للصواب

الآفة الثانية

النميمة وهي من جملة الآفات المتعلقة باللسان وينحصر
مقصودنا في ذكرها في بيانات ثلاثة نوضحها بمشية الله تعالى

البيان الأول

في بيان معناها وحدها اعلم ان اسم النميمة يطلق في الاكثر على من ينم قول
الغير الى المنقول فيه كما يقال فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليس
النميمة مخصوصة بالقول بل معناها وحدها كشف ما يكره كشفه سوا كرهه
المنقول اليه او المنقول عنه او كرهه ثالث وسوا كان النقل بالقول او
بالكتابة او بالرمز او بالايما وسوا كان المنقول من الاقوال او من
الاعمال وسوا كان ذلك عيبا او نقصا على المنقول عنه او لم يكن
بل حقيقة النميمة افشا السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما
راه الانسان من احوال الناس فينبغي ان يسكت عنه الا

ان يكون في حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا رأى من
يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود له فاما
اذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره وافشاه فهو نميمة وان كان
كان ما ينم به نقصانا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع الغيبة والنميمة
والباعث على النميمة اما ارادة السوء بالمحكي عنه او اظهار
الحب للمحكي له والتفرج بالحديث او الخوض في الفضول الى غير ذلك من
البواعث فهذا شرح فائدتها ومعناها وحدها والله اعلم

التنبيه الثاني في بيان مذمة النميمة والتحذير عنها

ويظهر ذلك من جهتين نذكرهما **الجهة الاولى** من جهة الكتاب وقد قال
تعالى فلا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم
الى قوله زنيم قال عبد الله بن المبارك هو ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث واشار
به الى انه كل من لا يكتم الحديث ويمشي بالنميمة دل على انه ولد زنا استنباطا
من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والعتل هو الدعي وقال تعالى
ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة هو النمام وقال تعالى وامرأته حمالة
الحطب في جيدها حبل من مسد قيل كانت حمالة للحديث وقال تعالى
فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين
قيل كانت امرأة لوط تخبر قومها بالضيفان وكانت امرأة نوح تخبر قومها بانه
مجنون وغير ذلك **الجهة الثانية** الاخبار وقد قال رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر قتات والقتات
هو النمام وقال ابو هريرة قال رسول صلى الله عليه واله وسلم احبكم
الى احسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان
ابغضكم الى المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة المفرقون بين
الاخوان الملتمسون لهم العثرات وقال صلى الله عليه واله وسلم الا اخبركم
بشراركم فقالوا بلى يا رسول الله قال المشاؤون بالنميمة المفسدون
بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه

واله وسلم

وآله وسلم من اشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه
الله بها في النار يوم القيمه وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بري ليشينه
بها في الدنيا كان حقا على الله عز وجل ان يدنسه بها يوم القيمه في النار
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من شهد على مسلم
بشهادة ليس لها باهل فليتبوا مقعده من النار ويقال ان
ثلث عذاب القبر من النميمه وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قال ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني
قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيها ثمانية نفر مدمن خمر
ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث وهو الذي
يحتمل على نسائه ولا الشرطي وهو صاحب المكس ولا المخنث ولا قاطع
رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان لم افعل كذا وكذا ثم لم يف به
وروي كعب الاحبار قال اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى
موسى مرات فما اجيب فاوحى الله اليه اني لا استجيب لك ولمن معك
وفيكم نمام قد اصر على النميمه فقال يارب من هو حتى اخرجه من بيننا
فقال يا موسى انهاكم عن النميمه واكون نماما فتابوا باجمعهم
فسقوا ويقال انه اتبع رجل حكيما سبع مائة فرسخ في سبع كلمات
فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي اتاك الله من العلم اخبرني عن السما
وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسا منه
وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنا
منه وعن اليتيم وما اذل منه فقال له البهتان على البري
اثقل من السموات والحق اوسع من الارضين والقلب القانع اغنى من البحر
والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير
وقلب الكافر اقسا من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم

التنبيه الثالث في بيان ما ينبغي لمن بلغته النميمة ان
يفعله اعلم ان كل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال
فيك كذا وكذا وفعل فيك كذا وكذا وهو يريد فساد امرك او في حالك
عدوك او في تقبيح حالك او ما جرى مجرى ذلك فعليه من الآداب
امور ستة الاول ان لا يصدقه فيما قاله لان النمام فاسق وهو مردود
الشهادة قال تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا
ان تصيبوا قوما بجهالة الآية وروي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
انه دخل عليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال عمر ان شئت نظرنا
في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الآية ان جاءكم فاسق
بنبإ فتبينوا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الآية هماز مشاء
بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المومنين لا اعود الى مثله
ابدا الامر الثاني ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح اليه فعله
قال تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر الآية وحكي ان حكيما من الحكماء زاره
بعض اخوانه واخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطات في
الزيارة واتيتني بثلاث جنايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي
الفارغ واتهمت نفسك الامينة وحكي ان سليمان بن عبد الملك
كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني انك
وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال ان
الذي اخبرني كان صادقا فقال الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمن
صدقت اذهب بسلام الامر الثالث ان لا تظن باخيك
الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم
وحكي عن امير المومنين كرم الله وجهه ان رجلا اتاه يسعى برجل فقال يا
هذا اما هذا الحق نحن نسال عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان
كنت كاذبا عاقبناك وان شئت نقيلك اقلناك قال اقلني يا امير المومنين

وقيل

وقيل لمحمد بن كعب القرظي اي خصال المومن اوضع له قال كثر
الكلام وافشا السر وقبول قول كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر
وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير اني ذكرته بسوء فقال قد كان ذلك
قال فاخبرني ما قال حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسي
بلساني وحسبي اني لم اصدقه فيما قال ولا قطعت عنك الوصال فيه
وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنك بقوم تحمد الصدق
من كل احد من الناس الا منهم **الامر الرابع** ان تبغضه
في الله فانه بغيض عند الله ويجب بغض من ابغضه الله واعلم ان
النمام ينبغي ان يبغض فلا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض وهو
لا ينفك من الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد و
النفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن قد سعى في
قطع ما امر الله به ان يوصل قال تعالى ويقطعون ما امر الله به ان
يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين
يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال
صلى الله عليه واله وسلم ان من شرار الناس ذو الوجهين الذي ياتي
هولا بوجه وهولا بوجه والنمام منهم وقال صلى الله عليه واله وسلم
ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال
صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل الجنة قاطع قيل هو قاطع الرحم وقيل هو
قاطع الوصلة بين الناس وهو النمام **الامر الخامس** ان لا
تحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتحقق ذلك بقوله تعالى ولا
تجسسوا وحكي عن مصعب ابن الزبير نحن نرا قبول السعاية
شرا من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس
وليس من دل على الشي واخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي

فلو كان قوله صدقا كان اخاه يحفظ الحرمة ولم يستر العورة
والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت
سعاية وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم الساعي بالناس لغير رشدة
يعني ليس لولد حلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستاذن
في الكلام فقال اني مكلمك بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب
ان قبلته فقال له قل فقال له انه قد اكتنفك رجال
ابتاعوا دنياك بآخرتهم وارضوك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا
الله فيك فلا تامنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تنصح اليهم فيما استحفظك الله فانهم
لم يالوا الامة خسفا والامانة تضييعا والاعراض تمزيقا والحرمات انتهاكا
اعلا قربهم البغي والنميمة واجل وسايلهم الغيبة والوقيعة وانت مسؤول
عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك
وان اعظم الناس غبنا بايع دينه باخرته

الادب السادس

ان لا ترضا لنفسك ما انهيت النمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد
حكى كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت بما عنه نهيت
وحكي ان رجلا سعى بزياد الاعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما سليمان للموافقة
فقال له زياد ان كنت قد قلت ما قيل فقد ائتمنتك عليه فانت خائن وان كنت
لم اقله فانت كاذب فانت غير منفك عن الخيانة والكذب وقال رجل لعمرو بن
عبيد ان الاسواري لا يزال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو ما رعيت
حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا اديت حقي حيث ابلغتني
عن اخي ما اكره ولكن اعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير
الحاكمين ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على
مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فكتب على الرقعة السعاية قبيحة وان كانت صحيحة
الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله تعالى
وقال لقمان الحكيم لابنه يا بني اوصيك بخلال ان انت تمسكت

بايع آخرته بدنيا غيره

بهن

بهت لم تزل تستفيد ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك
عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك وامنهم من قبول
ساع وسماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من
اذا فارقتهم لم تغتبهم ولم يعيبوك قال وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب
والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام
اليك لكان هو المجتري بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك عنه لانه لم
يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم فينبغي ان يتوقى بالصبر و
الاحتمال والتغمد **الآفة الثالثة** الكذب في القول واليمين
ولا شك ان الكذب من قبائح الذنوب وهو افحش العيوب
وقبحه ظاهر والمدمن جهات ثلاث **الجهة الاولى** الكتاب وقد ذمه
الله تعالى في كتابه الكريم قال تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على
الله وجوههم مسودة الآية وقال تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق
اذ جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين الآية وقال تعالى فنجعل لعنة الله
على الكاذبين الآية وقال تعالى ويل يومئذ للمكذبين وقد كرره في
سورة المرسلات مرات كثيرة والتكذيب هو قولك للغير انه كاذب وهو
كذب لا محالة الآية وقوله تعالى ولا تطع المكذبين وقبحه معلوم من جهة
العقل والشرع خلافا للاشعرية حيث قالوا ان قبحه لا يعلم من جهة العقل
وبنوا هذا على مذهبهم الردي وهو بطلان الاحكام العقلية وزعموا
ان قبحه من جهة الشرع لا غير **الجهة الثانية** الاخبار روي عن ابي بكر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار
وروى ابو امامة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الكذب باب من
ابواب النفاق وقال صلى الله عليه وآله وسلم كبرت خيانة ان تحدث اخاك بحديث
هو لك مصدق وانت له كاذب وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا يزال العبد
يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا الحديث وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

برجلين وهما يتبايعان شاة وبني الغالب يقول احدهما والله لا انقصك شيئا
من كذا وكذا ويقول الاخر والله لا ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة
وقد اشتراها احدهما فقال اوجب احدهما بالاثم والكفارة وقال صلى الله
عليه وآله وسلم الكذب ينقص الرزق وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان التجار
هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس قد احل الله البيع قال نعم ولكنهم
يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق
سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما حلف
حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم
القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة يحبهم الله
رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه وعلى
اصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على اذاه حتى يفرق بينهما
موت او ظعن ورجل كان مع رفقة في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى
اذا اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه
للرحيل وثلاثة يشنأهم الله التاجر الحلاف والفقير المختال والبخيل
المنان وقال صلى الله عليه وآله وسلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك
به القوم ويل له ثم ويل له وعن عبد الله بن جراد انه سأل رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله هل يزني المؤمن قال قد يكون
قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون وكان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول في دعائه اللهم طهر قلبي من النفاق وعملي من
الرياء وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال صلى الله عليه وآله وسلم من حلف
على يمين آثم يقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله تعالى وهو عليه غضبان
وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة
والكذب وقال موسى يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب

لسانه

لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمن لابنه يا بني
اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه
وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اراد ان يلعن نفسه فليكذب وقال
عليه الصلوة والسلام ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد عنه الملك مسيرة
ميل من نتن ما جاء به وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
تقبلوا الي بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي يا رسول الله قال اذا حدث
احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخون وغضوا
ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه
فالغضب واما كحله فالنوم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة لا يكلمهم
الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب
وعائل مستكبر فهذه اخبار كلها دالة على قبح الكذب وذمه وحصول
الوعيد عليه والله اعلم

الجهة الثالثة الآثار

قال ... اعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة
وقال عمر بن عبد العزيز ما كذبت كذبة منذ شددت علي ازاري وقال
عمر احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا
فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة وعن بعض
اهل الصلاح قال خلفت الكتب كتابا فمررت بحرف ان انا كتبته زينت الكتاب
وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فناداني مناد من جانب البيت يثبت الله
الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة وقال
الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال
ابن السماك ما اراني اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه انفة وقيل
لبعض الزهاد من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم
وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب ما من خطيب يخطب الا

وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا
قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك
بن دينار الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما
صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء
فقال له كذبت فقال ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه

تنبيه نذكر فيه التحذير من الكذب بالمعاريض اعلم
انه قد نقل عن السلف ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب
وقال عمر الا ان في المعاريض ما يكفي الرجل من الكذب وروي ذلك
عن ابن عباس رضي الله عنهما وانما ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان
الى الكذب فاما اذا لم يكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض
لما فيه من ايهام الكذب ولكن التعريض يباح لاجل الحاجة والضرورة
ومثال المعاريض ما روي ان معاذا عاملا لعمر استعمله فلما
رجع قالت امرأته ما جئت به مما ياتي به العمال الى اهليهم وما كان
قد جاء بشيء قال قد كان معي ضاغط قالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وابي بكر وقد بعث عمر معك ضاغطا فقامت بذلك في
نسائها فاشتكت عمر فلما سمع عمر بذلك دعا معاذا وقال له ابعثت
معك ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه شيئا
فقال له ارضها به وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا بل يقول
ارأيت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق ذلك وكان ابراهيم بن
ادهم اذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي له اطلبه في المسجد
وكان لا يقول ليس هاهنا لئلا يكون كاذبا وكان الشعبي اذا
طلب في البيت يخط دائرة ويقول للجارية ضعي اصبعك فيها وقولي
ليس هاهنا وهذا كله في موضع الحاجة واما في غير موضع الحاجة فلا
لان هذا تعريض للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على
الجملة **نعم** انما يباح للاغراض الخفيفة كتطييب قلب الغير بالمزاح

٦ الضاغط الرقيب على القوم يقال الزمه ضاغطا على القوم اي رقيبا عليهم [illegible]

كما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا يدخل الجنة عجوز
وقال زوجك الذي في عينه البياض وقال نحملك على ولد البعير
وغير ذلك على جهة المطايبة **فاما الكذب الصريح**
ولا يستثنى منه الا ما روته ام كلثوم عن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يرخص في الكذب
الا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح والرجل يقول القول
في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها وقال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت
اسماء بنت يزيد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل الكذب يكتب على ابن آدم
الا رجل كذب ليصلح بين اثنين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لرجل يصلح بين
الناس ما بال اهل اصلح بين الناس ولو تجني بالكذب فهذه آفات

الآفة الرابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان وما يتبع هذا
فهو مذموم ومصدره الخبث واللؤم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والفحش
فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ان يسب
قتلى قريش في بدر من المشركين فقال لا تسبوا هؤلاء فانهم لا يخلص اليهم شيء
مما تقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليس
المؤمن باللعان ولا الطعان ولا الفاحش ولا البذي وقال صلى الله عليه وآله وسلم
الجنة حرام على كل فاحش يدخلها وقال صلى الله عليه وآله وسلم اربعة يؤذون اهل
النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل
يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى
فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ
الرفث وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال
صلى الله عليه وآله وسلم البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق والبيان يحتمل
كشف ما لا يجوز كشفه اما في القول واما في العورة لان في الامور ما لا
ينبغي التصريح به لانه ينافي المروة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله

لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شي وان
احسن الناس اسلاما احسنهم اخلاقا واعلم ان معنى الفحش والتفحش
الذي اراده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما ذكرناه من الوعيد عليه
وهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارة الصريحة ويجري اكثر ذلك في الفاظ
الوقاع وما يتعلق بها وان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها
ويصرحون بها في الانديه ومجالس الناس ولا يكون ذلك الا فيمن اختص
بالوقاحة وغلظ الوجه وعدم المبالاة بالدين فاما اهل الصلاح فانهم
يتحاشون عن التلفظ بها بل يكنون عنها ويدلون عنها بالرموز ويذكرون
ما يتعلق بها ويقاربها قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله حيي
كريم يعف ويكني كنى بالمس عن الجماع والمسيس واللمس والدخول
والصحبة كنايات عن الجماع وليست بفاحشة وعنها عبارات فاحشة يستقبح
ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في
الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف بعادة البلاد واوائلها مكروه
واواخرها محظور وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية عن قضاء الحاجة بان
يقال خرجت البر ولا يقال خرجت للبول والتغوط والخراء فان هذا
وما شاكله يستحيي منه فلا ينبغي ان تذكر الفاظه الصريحة فانها فحش
فانه يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال زوجتك وامراتك ولكن
يقال ام ولدك واهل بيتك واهل الدار واهل الستر واهل الحجرة وهكذا
حال العاهات فانه يستحيي عن ذكرها فلا ينبغي ان يصرح بها لان التصريح بها
يكون من الفحش ايضا فلا يقال هو مجذوم وهو ابرص وبه وجع البواسير ولكن
يقال في بدنه تغير المجذوم وفي بدنه تلون الابرص ومجالسه متغير لمن
وجع البواسير وروي ان عمر بن عبد العزيز كان يتحفظ في منطقه
فخرج له خراج في ابطه فقلنا نسأله ماذا يقول فقلنا له من اين خرج قال
من باطن اليد **الآفة الخامسة** الاستهزاء والسخرية

وهما

وقد احرمان مهما كانا يؤديان الى الاذية وقال الله تعالى لا يسخر قوم من
قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان
يكن خيرا منهن ومعنى السخرية الاستهزاء والاستهانة و
التنبيه على العيوب والنقائص على وجه الضحك منه وقد يكون ذلك
بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان
ذلك بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وقال ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة
التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهو اشارة
الى ان الضحك على الناس من الجرائم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه
سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب الناس فوعظهم مما يخرج الانسان
من دبره من الصوت وقال علام يضحك احدهم مما يفعل وقال صلى الله عليه وآله
وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب الى الجنة فيقال له هلم هلم
فيجيء بكربه وغمه فاذا جاء اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له
الباب فما ياتيه بعد ان يقول له هلم هلم اياسا منه وقال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل
هذا يرجع الى الاستحقار بالغير والضحك منه استهانة به واستحقار له
وهذا المحرم في حق من يتأذى فاما من جعل نفسه مسخرة فربما يفرح بالسخرية
وانما المحرم الاستحقار الذي يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون
وذلك تارة يجري بان يضحك على كلامه اذا خبط فيه ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت
مشوشة كالضحك على خطه او على صنعته او على صورته او خلقته اذا كان
قصيرا او ناقصا بعيب من العيوب والضحك من جملة ذلك داخل في
السخرية المنهي عنها المذمومة من امثالها والله اعلم الآفة [illegible] بالباطل
وفيه تنبيهات اربعة **التنبيه الاول** في ذمه وهو منهي عنه لقوله
صلى الله عليه وآله وسلم ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته

وقال صلى الله عليه واله وسلم من ترك المرا وهو محق بنى الله له بيتا
في اعلا الجنه ومن ترك المرا وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنه
وعن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
اول ما عهد الي ربي ونهاني بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة
الرجال وقال ايضا ما ضل قوم الا اوتوا الجدال وحرموا العمل وقال صلى الله
عليه واله وسلم لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المرا وان كان محقا وقال
صلى الله عليه واله وسلم ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف
وضرب اعدا الله بالسيف وتعجيل الصلوة في اليوم الدجن والصبر على المصيبات
واسباغ الوضوء على المكاره وترك المرا وهو صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل
الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنه وقال عمر بن عبد
العزيز من جعل دينه عرضة للخصومات اكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم
والمرا فانها ساعة جهل العالم وعنده يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل
قوم بعد اذ هداهم الله الا بالجدال وقال مالك بن انس ليس هذا الجدال من
الدين في شي وقال ايضا المرا يقسي القلوب ويورث الضغاين وقال
لقمن لابنه يا بني لا تجادل العلما فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رايت
الرجل لجوجا مماريا معجبا برايه فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت
اخي في رمانه فقلت حلو وقال حامض لسعا الى السلطان وقال
سفيان صاف من شئت ثم اغضبه بالمرا فليرمينك بداهية تمنعك من
العيش وقال ابن ابي ليلا لا اماري صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه
وقال ابو الدردا كفاك اثما ان لا تزال مماريا وقال لا تتعلم العلم لثلاث ولا
تتركه لثلاث فلا تتعلمه لتماري به ولتباهي به ولترايي به ولا تتركه حيا من
طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه وقال عيسى صلوات الله عليه من كثر
كذبه ذهب بهاؤه وجماله ومن لاحا الرجال سقطت مروته ومن كثر همه
كثر سقمه ومن سا خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك
لا يفارقك اخ لك قال لاني لا اشاريه ولا اماريه

التنبيه الثاني في بيان حد المرا وانما اخرنا الكلام فيما بينه

تاين وقعه

٤٧

لان ذمه ادخل في النفع فبدأنا به هو كل اعتراض على كلام الغير
باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المرا
انما يكون بترك الاعتراض والانكار وكل كلام سمعه السامع فان كان حقا
صدق وان كان باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فيسكت عنه والطعن
في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل من جهة النحو ومن جهة
اللغة العربية او من جهة النظم والترتيب بسبب تقدم وتاخير وذلك من
طريق علم المعاني والبيان وتارة يكون من جهة قصور المعرفة وتارة يكون
من جهة الطغيان الجاري على اللسان وكيف ما كان فلا وجه لاظهار
خلله واما من جهة المعنى كان يقول ليس الامر كما تقول وقد
اخطأت فيه من جهة كذا وكذا واما من جهة قصده كما ان
يقول هذا الكلام حقا ولكن لم ترد به وجه الله تعالى وانما قصدت به الريا
والسمعة وما يجري مجراه فالواجب السكوت في مثل هذا لما فيه من
السلامة عن هذه الافات المتطرقة الى المرا نعم انما تحصل السلامة
من هذه الحالة اذا كان السؤال على جهة الاستفادة لا على جهة
العناد او المناكرة والتلطف في تعرف الصواب لا في معرفة الطعن ونقص
الغير بالقبح ونسبته الى القصور والجهل واظهار فضل لنفسه فما هذا
حاله فهو المحظور في الدين والمثير للعداوة والبغضا بسبب المرا

التنبيه الثالث في الباعث على المرا وجملة ما يبعث على ذلك
امران **الاول** منهما اظهار الفضل لنفسه والعجب كالة وذلك يودي الى
تزكية النفس وهو مقتضى طغيانها واظهار العلو والتكبر وهي من صفات
الربوبية **الامر الثاني** الهجوم على نقص الغير باظهار عيبه وجهالته
في المسئلة وهو مقتضى صفات السباع فانه يودي الى تمزيق عرضه و
تقصه واذيته وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان للدين
والباعث عليهما هو المرا والجدال فالمواضبة على المرا والجدال بالباطل يقوي

لهذه الصفات المهلكة وهذا هو النهاية في الكراهة بل هو معصية مهما
حصل فيه ايذا الغير وتقطيع عرضه ولا تنفك المماراة عن الايذا وتهييج
الغضب وحمل المعترض على ان ينصر كلامه بما يمكنه من حق وباطل ويقدح
في المعترض بكل ما يتصور ويمكنه كذبا او صدقا وعند هذا يثور التشاجر
بين المتماريين كما يثور التهارش بين الكلبين المتهارشين فان كل واحد منهما
يجتهد في ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه وقطعه
فاما الجدال لطلب الحق وازالة الباطل والتطعين فهو مما ندب الله تعالى
اليه بقوله وجادلهم بالتي هي احسن والتي هي احسن تعريف طريق الصواب
واظهار المجادلة المقصود بها وجه الله تعالى ه التنبيه الرابع
في بيان علاجه والسلامة عنه انما يكون بكسر البواعث
اليه وهو اظهار فضل نفسه ومحبة التنقص لغيره فان علاج كل علة
انما يكون باماطة اسبابها والسبب المرا هو ما ذكرناه ك وحكي ان ابا حنيفة
رضي الله تعالى قال لداود الطائي لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسي
بترك الجدال فقال له احضر في مجالس العلم ولا تتكلم واسمع ما يقال ه قال ففعلت ذلك
فما رايت مجاهدة اشد علي منها لان كل من يسمع من غيره خطا وهو قادر
على كشفه يعسر عليه الصبر عنه واكثر ما يحصل فيه المرا هو المذاهب والعقايد
فان المرا يعرض فيها كثيرا وكل من الف المرا وتعود المجادلة بالباطل فانه
يتقوا عليه سلطان الغضب والكبر وهما خصلتان مهلكتان نعوذ
بالله من استيلائهما على الافئدة وقوة سلطانهما على القلوب ه
واعلم ان الآفة السابعة اللعن لحيوان او لجماد او لانسان
ذلك مذموم واللعن عبارة عن الطرد والابعاد وقد صار بالشرع منقولا
الى الطرد والابعاد عن رحمة الله تعالى وذلك غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده
عن رحمة الله كالكفر والفسق كما قال تعالى الا لعنة الله على الكافرين وعلى الظالمين
وعلى الكاذبين والصفات المقتضية للعن ثلاث على ذلك مراتب المرتبة الاولى
صفة خاصة كاليهودية والنصرانية والمجوسية وعلى الزناة والشربة
والسرقة
واكلة



وآكلي الربا واموال الايتام والظلم وكل ذلك جائز لاستحقاقهم
لذلك **المرتبة الثانية** عامة الكفرة والفسقة واهل الردة
وغيرهم من الذين تقرر كفرهم **المرتبة الثالثة** ايقاع اللعن على
شخص معين وهذه الرتبة هي اخص مما سبقها من الرتبتين السابقتين
فكل شخص تقرر كفره جاز لعنه كما يقال فرعون ملعون وابن ملجم ملعون
ويزيد قاتل الحسين ملعون الى من تقرر فسقه من هذه الامة **سؤال**
فان قال قائل اطلاق اللعن على كل من تقرر كفره او فسقه ومات مصرا على
ذلك جائز فكيف الحال فيمن ثبت كفره او فسقه في حال الحيوة هل يجوز اطلاقه
الجواب من وجهين اما اولا فلان ذلك يجوز اطلاقه لان الاعتبار انما هو
بالحال التي هو عليها من كفر او فسق فلهذا جاز لعنه مطلقا اعتبارا بحاله
واما ثانيا فلا يجوز لعن الكافر والفاسق في حال حيوتهما على جهة الاطلاق
لان التوبة من جهتهما ممكنة فلا يجوز الاطلاق وانما يكون على جهة الشرط
والشرط وان لم يكن مظهرا فهو مضمر وقد دل الشرع على ذم اللعن بقوله
صلى الله عليه وآله وسلم المومن لا يكون لعانا وقوله صلى الله عليه وآله وسلم
لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وعن حذيفة ما تلاعن قوم قط
الا حق عليهم القول وقال عمران ابن الحصين بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في بعض اسفاره اذا امراة من الانصار على ناقة فضجرت منها ولعنتها فقال
صلى الله عليه وآله وسلم خذوا ما عليها فاعروها فانها ملعونة فكاني اراها
الناقة تمشي في الناس لا يعترضها احد وقال ابو الدردا ما لعن احد الارض
الا قالت الارض لعن الله اعصانا لربه وعن عائشة قالت سمع رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال يا ابا بكر
اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة
اللعانين وصديقين مرتين او ثلاث فاعتق ابو بكر يومئذ رقيقه وجاء
الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال لا اعود وقال صلى الله عليه وآله وسلم

ان اللعانين لايكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وقال انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بعير فلعن بعيره فقال يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا عليه وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الى الله كل لعان طعان وقال عليه السلام لعن المؤمن يعدل قتله

الآفة الثامنة

الخوض في الامور الباطلة وهو الكلام في المعاصي كحكاية احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة وحكايات تنعمات المغنيين فان كل ذلك لا يحل الخوض فيه فانه حرام فاما الكلام فيما لا يعني او الاكثار مما يعني فانه ترك هو الاولى ولا تحريم فيه خلافا لمن يكثر الكلام مما لا يعنيه لا بد من غلبة الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس والخوض في الباطل وانواع الباطل لا يمكن ان تحصى لكثرتها وتفننها ولهذا فانه لا مخلص منه الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس يقع من الكلمات ما يهلك صاحبها وهو يستحقرها وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها سخطه الى يوم القيمة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعظم الناس خطايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين فهذا هو الخوض في الامور الباطلة وهو وراء ما ذكرناه في الغيبة والنميمة والفحش وغيرها ويدخل فيه الخوض في حكايات البدع والمذاهب



الفاسده وحكاية ما جرا بين الصحابه على جهة الطعن واستطاعر ابهم
وكل ذلك باطل والخوض فيه باطل خوض في الباطل نعوذ بالله تعالى
من الخوض فيما لا يعني

الآفة التاسعة

الخصومة وهي ايضا مذمومه وتكون ورا المرا والجدال فالمرا طعن
في كلام الغير لاظهار خلل والجدال عبارة تتعلق باظهار المذاهب فاما
الخصومه لجاج في الكلام ليستوفى به مالا او حق مقصودا وذلك تارة
يكون على جهة الابتدا وتارة يكون على جهة الاعتراض والمرا لا يكون
الا اعتراضا على كلام سابق وقد قالت عايشه قال رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وقال ابو هريره قال رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى
ينزع وقال بعضهم اياك والخصومه فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم قط
من له ورع في الدين وقال ابو قتيبة مر بي بشر ابن عبد الله فقال ما
يجلسك ها هنا قلت خصومه بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك عندي
يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رايت شيا اذهب للدين ولا
انقص للمروه ولا اضيع للذه ولا اشغل للقلب من خصومة قال فقمت لارجع
فقال خصمي ما لك قلت لا اخاصمك قال عرفت انه حق قلت لا ولكني اكرم نفسي
عن الخصومه قال فاني ايضا لا اطلب منه شيا هو لك

سوال

فاذا كان للانسان حق لا بد من الخصومه في طلبه او في حفظه بها طلبه
ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تكون خصومته مذمومه

وجوابه

ان هذا الذم انما يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير
علم فاما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزياده
لجاج على قدر الحاجه من غير قصد عناد وايذا فانه ليس حراما ولكن
الاولى تركه اذا وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومه
وجريه على حد الاعتدال متعذر والخصومه توغر الصدر

ويهيج الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي
الحقد بين المتخاصمين وتجددة العداوة حتى يفرح كل واحد بمساءة
صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن ابتدأ بالخصومة
فقد تعرض لهذه الاخطار واقل ما في الخصومة هو تشوش الخاطر
حتى انه في الصلوة يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب
والخصومة مبدأ لكل شيء فينبغي ان لا يفتح بابها الا لضرورة وعند
الضرورة ينبغي ان يتحفظ صاحبها عن هذه الغوايل الخطيرة وقد قال
الله تعالى وقولوا للناس حسنا وقال صلى الله عليه واله وسلم الكلمة الطيبة
حسنة وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك
فلا تكن به عليه بخيلا فلعل الله ان يعوضك به ثواب المحسنين

الآفة العاشرة التقعر بالكلام بالتشدق وتكلف
السجع والفصاحة والتصنع فيه بكل ذلك من التكلف الممقوت والتصنع
المذموم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انا والاتقياء امتي
براء من التكلف وقال صلى الله عليه واله وسلم ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا
الثرثارون المتفيهقون المتشدقون الثرثار المتكلم فيما لا يعني
والمتفيهق متكلم ملأ فيه من قولهم فهق الاناء اذا امتلأ والمتشدق الذي
يكثر الكلام من غير فائدة وقال صلى الله عليه واله وسلم شرار امتي الذين غذوا
بالنعيم يأكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون
في الكلام وقال صلى الله عليه واله وسلم الا هلك المتنطعون ثلاث مرات
والنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر ان شقاشق الكلام من شقاشق
الشيطان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن العادة
وهكذا التكلف بالسجع في اثناء المحاورات لان اثر التكلف والتصنع تظهر عليه
بل ينبغي ان يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض

فيما

فجاوز ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا التحسين الفاظ
الخطب والمواعظ والتذكير من غير افراط ولا تطلب الغريب من
الكلام لان المقصود انما هو تحريك القلوب وتشويقها وقبضها
وبسطها ولا شك ان لرشاقة الالفاظ تاثيرا فيه فهو لائق بهذا
المقام فاما المحاورات التي في قضاء الحاجات فلا يليق بها التسجيع
والاشتغال بها يكون من التكلف ولا باعث عليه الا الريا واظهار
الفصاحة والتميز بالبراعة وذلك كله يكرهه الشرع ويزجر عنه

الآفة الحادية عشر

الكلام فيما لا يعنيك اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك من جميع
الآفات كالكذب والمرا والنفاق والغيبة والنميمة وتقتصر على التكلم بما
هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم خلا انك اذا تكلمت بما ليس فيه حاجة
وانت مستغن عنه فلا حاجة لك فانت مضيع زمانك ومحاسب على لسانك
ومستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير وقد قال صلى الله عليه واله وسلم المومن
لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرا ونطقه الا ذكرا بل راس مال العبد اوقاته
ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر ثوابها في الآخرة فقد ضيع راس ماله
ولهذا قال صلى الله عليه واله وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقد
ورد ما هو اشد من هذا قال انس بن مالك استشهد منا غلام يوم احد فوجد على
بطنه حجر مربوطة فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني
فقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم وما يدريك لعله تكلم فيما لا يعنيه ومنع ما لا
يضره وفي حديث ان الرسول صلى الله عليه واله وسلم فقد كعبا فسال عنه فقالوا
هو مريض فخرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يمشي حتى اتاه فلما دخل قال
ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم من هذه المتالية على الله فقال هي امي يا رسول الله فقال

وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه
وعن محمد بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اول من يدخل هذا
الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبروه بذلك فقالوا له اخبرنا باوثق عملك
في نفسك مما ترجو به الخير قال اني لضعيف العمل وان اوثق ما ارجو الله به
سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال ابو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على الابدان ثقيل في الميزان فقلت نعم
قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن
عباس رضي الله عنهما يقول خمس لهن احسن من الدهم الموقفة لا تكلم فيما لا يعنيك
فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا
فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما
ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر اخاك اذا تغيب عنك
بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب ان يعفيك منه واعمل عمل رجل يعلم
انه مجازى بالاحسان احسانا ومأخوذ بالاجترام وقيل للقمان الحكيم
ما حكمتك قال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال
بعض الحكماء امر انا في طلبه منذ عشرين سنة لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه
قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال عمر لا تتعرض لما لا يعنيك
واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من
خشي الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر
في امرك الذين يخشون الله ﴿٥﴾ تنبيه اعلم ان السبب الباعث
على الكلام فيما لا يعني الحرص على معرفة ما لا حاجة اليه والتبسط
في الكلام على جهة التودد او تفويت الوقت بحكاية احوال لا فائدة فيها
وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسؤول عن كل كلمة

ولست

وان انفاسه

وان انفك معدوده عليه ويحرم راس ماله وان لسانه شبكه
يقدر ان يقتنص بها الحور العين فاهماله وتضييعه خسران هذا اعلاه
من جهة العلم واما من جهة العمل فالعزلة عن الناس وان يلازم نفسه
السكوت ليتعود الترك ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان على غير المعتاد
عسر جدا والله اعلم بالصواب

الآفة الثانية

فضول الكلام واعلم ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور
في كتاب الله تعالى قال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف
او اصلاح بين الناس وقال صلى الله عليه واله وسلم طوبى لمن امسك الفضل
من قوله وانفق الفضل من ماله وعن الحسن البصري قال تقول الله تعالى يا ابن ادم
بسطت لك صحيفة ووكلت بك ملكين كريمين يكتبان عملك فاعمل ما شئت
واكثر او اقل وروي ان سليمان بن داود عليه الصلوة والسلام بعث بعض
عفاريته وبعث معه نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه قال فاخبروه انه
مر على السوق ورفع راسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز راسه فسأله
سليمن فقال عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما اسرع ما
يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون وعن الحسن
من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر كذبه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه ساء خلقه
ومن ساء خلقه عذب نفسه وتكلم رجل عند الرسول صلى الله عليه واله وسلم
فقال له كم دون لسانك من ابواب قال شفتاي واسناني فقال اما
كان في ذلك ما يرد كلامك وعن ابن مسعود انه قال انذركم فضول
الكلام بحسب امرئ من الكلام ما يبلغ حاجته وعن الرسول صلى الله عليه واله وسلم
انه قال ما اوتي رجل شرا من فضل لسان وقال بعض الحكماء اذا كان
المرء في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت فان كان ساكتا فاعجبه السكوت
فليتكلم وقال بعض الحكماء من فتنة العالم ان يكون الكلام
اليه احب من الاستماع وان وجد من يكفيه فلا يتكلم فان في الاستماع

سلامة

وان في الكلام تزيين وزيادة ونقصان وقال عمران ان
احق ما طهر الانسان لسانه ورءا ابو الدردا امراة سليطة
فقال لو كانت هذه خرسا لكان خيرا لها وقال بعض الزهاد
يهلك الناس في خلتين فضول المال وفضول الكلام وعن
بعضهم ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه اشهى الي من
الماء البارد الى الظمآن فاترك جوابه خيفة ان يكون فضولا
وقال مطرف ليعظم جلال الله فيكم ويكرم في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول
احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وقد تحرضنا من بيان فضول الكلام
ومذمته والله الموفق للصواب

الآفة الثالثة عشره

المزاح واصله مذموم الا قدرا يسيرا يستثنى منه فلنذكر حكمه ونذكر
مزاح الرسول صلى الله عليه واله وسلم فهذان تنبيهان **التنبيه الاول**
في حكمه واعلم ان المزاح فيه انبساط ومطايبة وطيبة قلب
والمنهي عنه هو الافراط والمداومة فاما المداومة عليه فانه يورث
كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في
بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فلا يخلو عن هذه الامور
من فتح باب المزاح وكان غرضه ان يضحك الناس كان ذلك مكروها
لما قدمنا في كراهة فضل الكلام وقال عمر من كثر ضحكه قلت هيبته ومن
مزح استخف به ومن اكثر في شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه
ومن كثر سقطه قل حياؤه وقل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه وقالت
الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لو علمتم
ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل لاخيه هل اتاك انك وارد النار
قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قال فما
رئي ضاحكا حتى مات وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي

وقال

حاشية: [illegible] الاشتغال باللعب [illegible] المواظبة عليه مذموم [illegible]

وقال محمد بن واسع قال اذا رأيت رجلا في الجنة يبكي الست
تعجب من بكائه قال بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري
الى ما يصير هو اعجب تحصل من مجموع ما ذكرناه ان المزاح مكروه الا المقدار
ما استثني لما روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا
تمار اخاك ولا تمازحه والله اعلم.

التنبيه الثاني في مزاحه صلى الله عليه وآله وسلم

روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني
وان داعبتكم فلا اقول الا حقا وروي ان رجلا سأل ابن عباس فقال
هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمزح قال ابن عباس نعم فقال
الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس انه كان صلى الله عليه وآله وسلم
كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسي واحمدي
وجري ذيلا كذيل العروس وروى انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم كان من افكه الناس وروى انه كان كثير التبسم وروى انه اتت اليه
عجوز فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست
يومئذ بعجوز قال الله تعالى انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا
وروي ان امرأة يقال لها ام ايمن جاءت رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقالت ان زوجي يدعوك يا رسول الله فقال ومن هو اهو الذي
بعينه بياض فقالت لا والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياض
فقالت لا والله ما بعينه بياض فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من احد
الا وبعينه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة وجاءته امرأة اخرى
فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال نحملك على ابن البعير فقالت
ما اصنع به لا يحملني فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من بعير الا وهو ابن بعير
وكان يمزح معها وقال انس كان لابي طلحة ولد يقال له ابو عمير فكان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يأتيهم فيقول يا ابا عمير ما فعل النغير والنغير
ولد عصفور صغير وقالت عائشة خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في غزوة بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعالي حتى اسابقك

فصعدت رجلي على بطني ثم خططنا خطاً فقمنا عليه فاستبقنا
فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز وجاء يوماً ونحن بذي المجاز
وانا جارية قد بعثني ابي بشيء فقال اعطينيه فابيت وسعيت فسعى
في اثري فلم يدركني فقالت عائشة سابقني رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتلك
وقالت عائشة كان عندي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسودة فصنعت
خزيرة والخزيرة طعام فيه قطع لحم وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت
لا احبه فقلت والله لتاكلن او لالطخن وجهك فقالت ما انا بذائقته
فاخذت من الصحفة شيئاً فلطخت وجهها به ورسول الله جالس بيني وبينها
بيني وبينها فخفض لها رسول الله ركبتيه لتستقيد مني فتناولت
من الصحفة شيئاً فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضحك
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدلع لسانه للحسين فيرى
لسانه فيهش اليه وروي ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال لصهيب
وبه رمد وهو ياكل التمر اتاكل وانت رمد فقال انما اكل بالشق الآخر
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه وروي ان خوات
بن جبير كان جالساً الى نسوة من بني كعب بطريق مكة وكان يقول معي بعير شرود
فقل احداكن تفتل لي ظفيراً فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا ابا
عبد الله ما فعل بعيرك الشارد فقال يا رسول الله قيده الاسلام فوالذي
بعثك بالحق ما شرد منذ اسلمت فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الله اكبر اللهم
اهد ابا عبد الله فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على جهة الدوام
والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب سؤال
فان قال قائل قد نقل المزاح عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه فكيف
ينهى عنه وجوابه ان الملائكة لا يقاسون بالحدادين ولله المثل الاعلى
وهو العزيز الحكيم ان رسول الله يمزح ولا يقول الا حقاً فاذا قدرت الملكين

عليها

على ما يقدر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من انه يمزح ولا
يقول الا حقا فلا بأس في مزحك ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ
الانسان المزاح عادة ويواظب عليه ويفرط في الضحك ثم يتمسك
بفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهذا قياس فاسد ٥ الآفة
الرابعة عشر الغنا والشعر وهما من الآفات المتعلقة باللسان
فاما الغنا فالذي عليه سادات اهل البيت عليهم السلام والسابقون
من الائمة منهم هو تحريم الغنا وكراهته وانه مناقض للمروة والدين
وترد به الشهادة وتنقص به العدالة وهذا هو رأي الفقها ابو حنيفة
والشافعي ومالك حكي عن ابي حنيفة انه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغنا
من الذنوب وهكذا سائر اهل الكوفة سفيان الثوري وحماد والشعبي
والنخعي وغيرهم واما مالك فقد نهى عن الغنا وقال اذا اشترى جارية
ووجدها مغنية فله ردها بالعيب وهو مذهب سائر اهل المدينة ٥
واما الشافعي رحمه الله فقد حكي عنه انه قال الغنا لهو مكروه يشبه الباطل
ومن استكثر منه فانه سفيه ترد به شهادته وهذا هو المختار عندنا ولا
اعتبار بما حكي عن الشيخ ابي حامد الغزالي من كونه مباحا او مندوبا وقد
اورد فيه ادلة ركيكة ورواه عمن لا عبرة بكلامه ولا يعتمد بخلافه وهي محمولة
في حق من فعلها على جراة في الدين وتزول في مجار من تلبس بها وعلى الجملة
ان الولوع بالغنا والتلبس به انما هو داب السفلة وهو مناقض للمروة
ولقد كان للشيخ ابي حامد الغزالي غنية عن نظره استحباب الغنا واباحته
ومندوحة عن ايراده في الكتب الدينية فضلا عن الاحتجاج عليه
والذي يدل على كراهته وحظره قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث
وقد قال فيه علماء التفسير ان لهو الحديث هو الغنا وهو محكي عن ابي مسعود والحسن
البصري والنخعي وقوله تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون
ولا تبكون وانتم سامدون قال ابن عباس السمود هو الغنا بلغة حمير

وروا جابر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان ابليس
اول من ناح واول من تغنا فجمع بين النياحة والغنا وفي هذا دلالة
على كونهما محظورين وروى ابو امامة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال ما رفع احد صوته بغناء الا بعث الله شيطانين على منكبيه
يضربان باعقابهما صدره حتى يمسك وروي عن عقبة بن عامر عن الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم ثلاثة لا تعد من اللهو لهو الانسان بفرسه ولهوه بقوسه
ولهوه بامراته وما عدا ذلك فهو معدود في اللهو وروي عن ابن مسعود انه قال
الغنا ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال عمر ما تغنيت
ولا تمنيت وقال الفضيل بن عياض الغنا رقية الزنا وقال بعضهم
الغناء ايدا الفجور وقال بعض الحكما اياكم والغنا فانه يزيد الشهوة ويهدم
المروة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله الخمر فان كنتم لا بد فاعلين
فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا واما الشعر فهو من
جملة الكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح حكا ان التجدل له مذموم قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لان يمتلي بطن احدكم قيحا احب الي من ان يمتلي شعرا
وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال
انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وعلى الجملة فان انشاد الشعر ونظمه
ليس مذموما اذا لم يكن فيه هجو واذية وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان من
الشعر لحكمة وقد انشد الشعر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم
ينكره وامر بان ينشد له **الافة الخامسة عشر** في الوعد
الكاذب واعلم ان اللسان سباق الى الوعد ثم ان النفس بعد ذلك لا
تسمح بالوفا فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وآله وسلم العدة
من الدين وقال الواي مثل الدين وافضل والواي هو الوعد وقد اثنى
الله تعالى على نبيه اسمعيل صلى الله عليه وآله وسلم فقال انه كان صادق
الوعد وكان رسولا نبيا فقال انه وعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه

فيتم

فبقي اثنين وعشرين يوما في ذلك الموضع وعن عبد الله ابن ابي
الحمسا قال بايعت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فوعدته ان آتيه في
مكانه ذلك فنسيت يومي والغد وفي اليوم الثالث اتيته وهو في مكانه فقال
يا فتى قد شققت علي انا هاهنا منذ ثلاث انتظرك وقيل لبعض الزهاد
الرجل يعد الرجل الميعاد فلا يجي فقال ينتظر ما بينه وبينه ان يدخل وقت الصلوة
التي تجي وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان
ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك
الجزم في الوعد فلا بد من الوفا الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما
على ان لا يفي فهذا هو النفاق قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث
كذب واذا وعد خلف واذا ائتمن خان ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال
ان لي عندك موعدا يا رسول الله فقال صدقت قال احتكم ما شئت فقال
احتكم ثمانين ضاينة وراعيها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي لك ولقد
احتكمت يسيرا

الآفة السادسة عشر كلام ذي اللسانين وذي الوجهين

وهو الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بما يوافقه
ويهواه وقل ما يخلو عنه من يشاهد بين متعاديين وذلك عين النفاق
قال عمار بن ياسر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان له
وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة وقال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث
وهؤلاء بحديث وفي حديث آخر الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال ابو
هريرة لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون امينا عند الله تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم

ابغض خليقته الى الله تعالى يوم القيمة الكذابون المتكبرون الذين
يكنزون البغضاء لاخوانهم فى صدورهم فاذا لقوهم يتخلقوا لهم واذا
دعوا الى الله ورسوله كانوا ابطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا
سراعا وقال ابن مسعود لا يكون احدكم امعة قالوا وما الامعة قال
يجرى مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق
علامات كثيرة وهذا من جملتها وروى ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
مات فلم يصل عليه حذيفة فقال عمر يموت رجل من اصحاب رسول الله
ولا يصلى عليه فقال حذيفة انه منهم قال نشدتك الله انا منهم ام لا
قال اللهم لا ولا آمن منها احد بعدك **سؤال** فان قال قائل فبماذا
يصير الرجل ذا لسانين وذا وجهين وما علامة ذلك وما حده **و**
جوابه ان الرجل اذا دخل بين متعاديين وجامل كل واحد منهما الى الآخر
فهو ذو لسانين وذو وجهين وذلك يكون شرا من النميمة اذ يصير نماما
بان ينقل من احد الجانبين فقط فاما اذا كان ناقلا من الجانبين جميعا
فهو شر من النمام فاذا لم ينقل كلامه ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو
من العداوة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وهكذا اذا وعد كل واحد منهما
بانه ينصره على الآخر وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما فى معاداته
بل السلامة ان يسكت ويثنى على المحق من المتعاديين ويثنى فى حضوره
وغيبته وبين يدى عدوه **الآفة السابعة عشرة**
المدح والذم فاما الذم فهى الغيبة والوقيعة وقد ذكرناه فلنذكر
بيان آفات المادح وآفات الممدوح وما يتوجه على الممدوح فهذه بيانات
ثلاثة **الباب الاول** فى بيان ايضاح آفات المادح وجملتها اربع **الاولى**
منها ربما انه يفرط فى المدح فينتهى الى الكذب وقال بعض الحكماء من
مدح اماما او واحدا بما ليس فيه على روس الاشهاد بعثه الله يوم القيمة

يتعثر بلسانه **الثانية** انه قد يداخله الرياء فانه بالمدح مظهر
للحب وقد لا يكون مضمرًا ولا معتقدًا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيًا
منافقًا **الثالثة** انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل الى الاطلاع
عليه وروي ان رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال
له رسول الله ويلك قطعت عنق صاحبك ان كان لابد احدكم مادحًا اخاه
فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدًا حسيبه الله وان كان يرى انه كذلك
وهذه الآفة انما تتطرق الى المادح بالاوصاف المطلقة التي تعرف
بالادلة والبراهين الشرعية كقوله هو تقي وزاهد وورع وخير وما يجري مجراه
اما اذا قال رايته يصلي ويصوم ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن
ومن ذلك قولهم عدل ورضي فان ذلك كله خفي فلا ينبغي ان يجزم القول فيه الا بعد
خبرة باطنه **الرابعة** انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق
وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يغضب اذا مدح
الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه
وهو مروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم **البيان الثاني**
وهما آفتان **الاولى** منهما ان يحدث فيه كبر وعجب وهما مهلكتان
وحكى الحسن البصري ان عمر كان قاعدًا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل
الجارود فقال هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود
فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك يا امير المؤمنين قال ما لي ولك اما
انك سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت ان يخالط قلبك منها شيء فاحببت ان
اطاطئ منك **الثانية** هو انه اذا اثني عليه بالخير فرح به ورضي
وفتر من نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر من يرى نفسه
مقصرًا فاذا اطلقت الالسن بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قطعت عنق صاحبك لو سمعه ما افلح وقال صلى الله عليه وآله وسلم

اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه الموسى وقال
ايضا صلى الله عليه واله وسلم لمن مدح رجلا عقرك الله وقال مطرف ما
سمعت ثنا او مدحة الا تصاغرت الي نفسي وقال صلى الله عليه
واله وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف لكان خيرا له من ان يثني عليه
في وجهه وقال عمر المدح هو الذبح وذلك لان الممدوح يفتر عن العمل
والمدح يوجب الفتور او لان المدح يوجب الكبر والعجب وهو مهلك كالذبح
ولهذا شبهه بالذبح فان سلم المادح والممدوح عن هذه الآفات
لم يكن به باس ولهذا فان الرسول صلى الله عليه واله وسلم اثنى على نفسه
بقوله انا سيد ولد ادم ولا فخر اي لم اقل ذلك على جهة الافتخار كما
الناس وذلك لان افتخاره لقربه من الله تعالى لما انه منه لا بكونه ولد
آدم عليه السلام وقال صلى الله عليه واله وسلم انا اول من تنشق عنه
الارض وانا اول شافع واول مشفع وقال في امير المومنين
عليه الصلوة والسلام اقوالا كثيرة في اظهار مناقبه وفضايله
وقال في ابي بكر وعمر وغيرهما من اكابر الصحابة ما يدل على فضلهم
وعلو مراتبهم عند الله تعالى وانما كان ذلك لبعدهم عن تلك الآفات
التي ذكرناها

الباب الثالث فيما يتوجه على الممدوح

اعلم ان الذي يتوجه على الممدوح عند سماعه المدح ان يكون شديد
التحرز عن آفة الكذب والكبر والعجب وآفة الفتور والريا ولا ينجو عن ذلك
الا بان يعرف نفسه ويتامل في خطر الخاتمة ودقايق الريا وآفات الاعمال
فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري
على خاطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح
واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه واله وسلم احثوا في وجوه المادحين التراب

وقال سفيان الثوري ما يضر المدح من عرف نفسه واثنا
رجل على رجل من الصالحين فقال اللهم هولاء لا يعرفوني وانت تعرفني
وقال اخر اللهم ان عبدك هذا اتقرب الي بمقتك وانا اشهدك على
مقته واثنى رجل على عمر فقال اتهلكني وتهلك نفسك واثنى رجل على
امير المومنين علي عليه الصلوة والسلام في وجهه وكان قد بلغه انه
يقع فيه فقال علي عليه السلام انا دون ما قلت وفوق ما في نفسك وقد تجز
عرضنا مما اردنا ذكره في المدح والله اعلم

الافة الثامنة عشر

في اثنا الكلام وفحو الخطاب لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وبصفاته وير[illegible]
بالامور الدينية فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين والتحفظ
من عثراته الا العلما الفصحا فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن
الزلل والخطا ولم يامن العثرات لكن ان الله تعالى يعفو عنه لجهالته
وهذا وان كان الخطا فيه ليس كفرا ولا فسقا فلا يخلو كونه معدودا في عثرات
اللسان وهفواته ومثاله ما قال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم لا يقول احدكم ما شا الله وشئت ولكن ليقل ما شا الله
ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق بالواو تشريكا وتسوية
وهو على خلاف الادب الشرعي وقال ابن عباس رضي الله عنهما
جا رجل الى الرسول صلى الله عليه واله وسلم يكلمه في بعض الامر
فقال ما شا الله وشئت فقال اجعلتني لله عدلا بل ما شا الله وحده
وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال من يطع الله
ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال عليه الصلوة والسلام
بئس خطيب القوم انت هلا قلت ومن يعص الله ورسوله
فقد غوى وقوله ومن يعصهما لما فيه من الجمع بينهما في الضمير والمساواة
وكان بعض اهل الفلاح يكره ان يقول اعوذ بالله وبك ويختار ان يقول



اعوذ بالله ثم بك وكره بعضهم ان يقول اللهم اعتقنا من
النار ويقول انما يكون العتق بعد الورود وكانوا يستجيرون
من النار ويستعيذون منها وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان احدكم ليشرك حتى يشرك بكلب فيقول لولاه لسرقنا الليلة وقال
صلى الله عليه وآله وسلم لا تسموا العنب الكرم فان الكرم هو الرجل المسلم
وقال ابو هريرة قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يقول احدكم عبدي ولا امتي
كلكم عبيد الله تعالى وكل نسائكم اماء الله تعالى ولكن ليقل غلامي وجاريتي
وفتاي وفتاتي ولا يقل المملوك ربي ولا ربتي ولكن ليقول سيدي
وسيدتي وكلكم عبيد والرب هو الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم
لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم الله فهذه
آداب كونه فما شاء الله صاحب الشريعة في كلام ينبغي الاقتداء به فيه
والامتثال لمراسمه فيها كما اوضحناه والله اعلم

الآفة التاسعة عشرة

الافصاح بقبائح عن نفسك قد سترها الله عليك وانت عنها
في المجالس والمحاضر والتبجح بفعلها فما هذا الا من اقبح الخصال وادناها
لما فيه من سقوط المروءة ورذالة النفس وفي الحديث عن الرسول صلى
الله عليه وآله وسلم انه قال من تضمخ بشيء من هذه الرذالات فليستتر
بستر الله وفي حديث آخر اذا اذنب العبد ذنبا وستره الله عليه في الدنيا
فالله تعالى اجل واعلى ان يفضحه به في الآخرة فاذا كان الامر كما قلناه
فعليه ان يحرس نفسه عن مثل ذلك لما ذكرنا انه من اقبح الخصال وادناها

الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى في عالميته
وكلامه والمرئية في حقه وغيرها هل قديمة او حادثة والكلام وكيفية تعلقها
بمتعلقاتها فانه لا حاجة لهم الى السؤال عن ذلك وحقهم الاشتغال بالعمل
بما جاء به القرآن والسنة من العبادات وانواع المعاملات خلا ان الاقتصار
على ذلك ثقيل على القلوب والفضولات خفيفة عليها والعوام يفرحون
بالخوض في العلوم لان الشيطان يخيل لهم انهم من جملة العلماء واهل الفضل

فلا يزال

56

فلا يزال يجتنب اليهم ذلك حتى يتكلموا بما هو كفر وهو لا يدري خاصة
فيما يتعلق بالذات القديمة والصفات الالاهية واما اللائق
بالعوام هو شغل انفسهم بالعبادات والتصديق بما ورد به القرآن
والتسليم لما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم من الامور الاخروية
والاستقامة على ذلك وسؤالهم وبحثهم عما لا يليق بالعبادة سوء ادب
وهم يستحقون بذلك المقت من الله ويتعرضون لخطر الكفر وسؤالهم كسؤال
ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وقد نبّه
على ذلك الرسول صلى الله عليه واله وسلم حيث قال اتركوني ما تركتكم
فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فما نهيتكم عنه
فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وقال انس ابن مالك
سال الناس رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوما حتى اكثروا عليه
واغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء الا انبأتكم به
فقام رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال ابوك حذافة وقام اليه
رجل فقال يا رسول الله انا في الجنة ام في النار فقال بل في النار
فلما راى الناس غضب رسول الله امسكوا فقام عمر فقال رضينا بالله
ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا فقال اجلس فانك كما علمت لموفق
وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن القيل والقال وكثرة
السؤال واضاعة المال وقال صلى الله عليه واله وسلم يوشك ان الناس
يتسالون بينهم حتى يقول احدهم الله خلقني فمن خلق الله جل وعلا فاذا احس
احدكم ذلك فليقل آمنت بالله وبرسوله ولنكتف بما اوردناه في آفات اللسان
ففيه كفاية لمن اراد السلامة ومن تامل جميع ما ذكرناه في آفات اللسان
علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه
واله وسلم من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على
طريق المتكلم فمن سكت سلم عن الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يكون التوفيق
مقارنا له والتسديد من الله مصاحبه وهو مع ذلك لا ينفك عن الخطر
فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم

لموفق

ونسال الله تعالى عصمته في الافعال والاقوال والبلوغ من رحمته
وكرمه اقصى البغية والآمال انه هو الجواد الكريم البر الرحيم

الباب الرابع من مقالة المهلكات الغضب وهو لباب

اعلم ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة
الا انها لا تطلع على الافئدة وانها المستكنة في الفؤاد
استكنان الجمر في الرماد ويستخرجها الكبر الدفين من قلب كل جبار
عنيد كما تستخرج النار من الحجر من الحديد وقد انكشف لاهل
البصيرة والناظرين بنور اليقين ان الانسان منه عرق الى الشيطان
الرجيم فمن اشتعلت فيه نار الغضب فقد قويت قرابة الشيطان
المنصوص عليها في القران كما قال خلقتني من نار وخلقته من طين
فان شان الطين التثاقل والوقار وشان النار التلظي والاستعار
وحقيقة الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام
وهي قوة حاصلة في القلب واذا حصل الغضب فله آثار اربعة
الاثر الاول تغير اللون بالصفرة وشدة الرعدة في اضطراب الاطراف
وظهور الزبد على الاشداق واحمرار الاحداق وانقلاب المناخر
واضطراب الحركة واستحالة الخلقة ولو رأى الغضبان قبح صورته عند
الغضب لسكن غضبه حياء من قبح صورته **الاثر الثاني** في اللسان
وانطلاقه بالشتم والسب والاذية وقبيح الكلام وبالكلام الذي تستحي
منه ذوو العقول ويستحي منه قائله عند فتور غضبه **الاثر الثالث**
على الاعضاء بالضرب والقتل والجرح وتمزيق الاثواب عند التمكن
من غير مبالاة فان فات المغضوب عليه او عجز من التشفي فانه يرجع غضبه
على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على
الارض [illegible] وربما سار سيرة السكران والمدهوش المتحير وربما
سقط صريعا من شدة الدهشة وربما كسر القصعة وضرب الحيوان

وشتمه

وشتمه ويتعاطا افعال المجانين الى غير ذلك من التغيرات
الاثر الرابع في القلب على المغضوب عليه وهو الحقد والحسد
واضمار المساءة واظهار الشماتة والحزن والسرور والغم بما يناله
من الفرح والسرور والالم هذه حقيقة الغضب وما يحصل من اثاره
والمقصود يحصل بايراد تنبيهات ستة التنبيه الاول في بيان
درجات الغضب اعلم ان الناس بالاضافة الى هذه الخصلة
المهلكة للدين على درجات افراط وتفريط واعتدال ونحن نوضح كل واحدة
من هذه الدرجات بما يخصها الدرجة الاولى الافراط وهي
ان يكون الغضب غالبا على صاحبه حتى يكون الانسان خارجا عن سياسة
العقل والدين وطاعتهما فلا يبقى للانسان بصيرة ولا نظر ولا فكر ولا
اختيار بل يصير في صورة المضطر ولذلك سببان السبب الاول
امور غريزية جبلية ورب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب
كان صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين ذلك حرارة مزاج القلب
لان الغضب من النار كما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله
الغضب يوقد في فؤاد ابن آدم النار الا ترونه كيف تحمر عيناه وتنتفخ
اوداجه السبب الثاني الامور الاعتيادية وهو ان يخالط قوما
يتفاخرون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك بطالة و
يسمون ذلك بالشجاعة والرجولية حتى يقول احدهم اني لا اصبر على ضيم ساعة
واحدة ومعنى ذلك انه لا عقل لي ولا حلم ويذكره في معرض الفخر لجهله ومن
سمع ذلك رسخ في قلبه حسن الغضب ومهما اشتد نار الغضب وقوي
اضطرب اعمى صاحبه واصمه عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل يزيده
ذلك غضبا وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر ان يزيل ذلك
عن نفسه وينطفي نور العقل بدخان الغضب فان معدن الفكر هو
القلب ويتصاعد عند شدة الغضب غليان دم القلب دخان مظلم الى الدماغ

يستولي على معادن الفكر ولبابه بعد الى معادن الحس فيظلم
حسه حتا لا ابصر بعينه وتظلم عليه الدنيا باسرها والسفينة
في ملتطم الامواج عند اضطراب رياح في لجج البحر احسن حالا و
ارجا سلامة من النفس المضطربه غيضا فنعوذ بالله من شره الغضب
في الدرجة الثانيه وهي المقابله لهذه الدرجه وهي التفريط
وهي بطلان قوة الغضب او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي
تقال فيه من اجارم لا حمية له ولا انفه ولهذا قال الشافعي
من استغضب فلا يغضب فهو حمار ومن فقد قوة الغضب والحميه
فهو ناقص جدا وقد وصف الله الصحابه بالقوة والحميه فقال
تعالى اشدا على الكفار رحما بينهم وقال للرسول صلى الله عليه وآله
وسلم يا ايها النبي جاهد الكفار واغلظ عليهم والغلظة انما تكون
من آثار قوة الغضب والحميه فلا محاله فهذه الدرجه مذمومه
كالاولى في الدرجة الثالثه وهي درجة الاعتدال
وهي المحموده وهي حالة الغضب التي ينتظر عندها اشارة العقل
والدين فتنبعث حين تجب الحميه وتنطفي حيث يحسن الحلم وحفظ
علي حد الاعتدال والاستقامه هي التي كلف الله بها عباده وهي الوسط
الذي اشار اليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله خير الامور
اوساطها فمن مال غضبه الى الفتور والضعف حتا احس
من نفسه بطلان الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم
في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتا يقوم غضبه ومن مال غضبه
الى الافراط حتا جره في اقتحام الورط العظيمه والفواحش المهلكه
ليغض من سورة الغضب ويقف على الوسط من الحق بين الطرفين
وهو المنهاج القويم والصراط المستقيم التنبيه الثاني
في ذم الغضب قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية

حمية

حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله الآية فذم الكفار
لما تظاهروا من فرط الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل والتعصب له
ومدح المؤمنين بما انعم عليهم من السكينة وقد ظهر ذمه من جهتين **الجهة**
الاولى من جهة الاخبار روى ابو هريرة قال ان رجلا قال يا رسول الله مرني
بعمل واقلل قال لا تغضب فاعاد عليه مرتين كل ذلك يرجع اليه لا تغضب
وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قل لي قولا واقلل لعلي اعقل قال
لا تغضب فاعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الي لا تغضب وعن عبد الله بن
عمر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماذا يبعدني من غضب الله
قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تعدون
الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك
نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس الشديد
بالصرعة وانما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود
عليهما الصلاة والسلام اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد
الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد
الذي لا يغلبه الغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا استطيع
ان لا اغضب انما انا بشر قال لا تقتني مالا قال عيسى هذا اولى وقال صلى الله
عليه وآله وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله
عليه وآله وسلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال رجل للرسول صلى الله عليه
وآله وسلم اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يبعدني من غضب الله
قال لا تغضب **الجهة الثانية الآثار** قال الحسن يا ابن آدم
كلما غضبت فيوشك ان وثبت وثبة تقع في النار وعن ذي القرنين
انه لقي ملكا فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب

فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن آدم عند الغضب فرد
الغضب بالكظم وسكنه بالتوده واياك والعجله فانك اذا عجلت
اخطات حظك وكن سهلاً ليناً للقريب والبعيد ولا تكن جباراً
عنيداً وعن وهب ابن منبه رضي الله عنه ان راهباً كان في صومعه
فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال افتح
فلم يجبه فقال افتح لي فانك ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه
فقال اني انا المسيح فقال الراهب ان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد
امرتنا بالعباده والاجتهاد ووعدتنا القيمه فلو جئتنا اليوم بغير ذلك لم
نقبله منك فقال اني انا الشيطان وقد اردت ان اضلك فلم استطع
فجئتك لتسالني عما شئت فاخبرك فقال ما اريد ان اسالك عن شي
فولى مدبراً فقال له الراهب الا تسمع قال تخبرني اي اخلاق بني آدم
اعون لك عليهم قال الحده ان الرجل اذا كان حديداً اقلبناه كما يقلب
الصبيان الكره وعن بعضهم ان الشيطان يقول وكيف يغلبني ابن آدم واذا
رضي جيت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون فوق راسه
وقال جعفر بن محمد رضي الله عنه الغضب مفتاح كل شر وقال بعضهم
راس الحمق الحده وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم
الحلم زين والجهل شين ومضره والسكوت عن جواب الاحمق جوابه
وعن ابليس لعنه الله ما اعجزني بنوا ادم فلن يعجزوني في اثنتين اذا سكر
احدهم اخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب
قال بما لا يعلم وعمل بما يندم وقيل لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذا لا تذله
الشهوه ولا يغلبه الهوا ولا يصرعه الغضب وقال بعضهم اياكم والغضب
فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال بعضهم اياكم والغضب
فانه يصيرك الى ذل الاعتذار وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم

59

الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وليت شعري ما علمك
بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن
عبد العزيز الى عامله لا تعاقب عند غضبك فاذا غضبت على رجل فاحبسه
حتى يسكن غضبك فاذا سكن غضبك فاخرجه وعاقبه على قدر ذنبه
ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا واغلظ رجل من قريش على عمر بن عبد العزيز
فاطرق عمر طويلا ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان
فانال منك اليوم ما تناله مني غدا وقال بعضهم الغضب عدو العقل و
الغضب غول العقل وقال وهب بن منبه رحمه الله للكفر اربعة اركان
الغضب والشهوة والخرق والطمع ونقتصر في ذمه على ما ذكرناه

التنبيه الثالث في بيان الاسباب المهيجة للغضب

اعلم ان الاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والفخر والمزح والهزل
والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على المال والجاه
فهذه امور عشرة وهي باجمعها اخلاق رديئة ولا خلاص من الغضب مع
بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها
اولها الزهو واما يزال بالتواضع ويزال العجب بمعرفة الانسان نفسه
وحقيقة حاله واما الفخر فيزال بالاعتراف بانهم من جنس عبدك
الا فضل بينك وبينه لانه من ولد آدم مثل ما انك من ولد آدم و
انما الفخر باكتساب الفضائل والفخر من اكبر الرذائل واما المزح
فيزال بالتشاغل بالامور المهمات الدينية التي تستوعب العمر فتفضل
عليه اذا عرفتها واما الهزل فيزال بالجد في طلب الفضائل والاخلاق
الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك السعادة الاخرة واحترازها
واما الهزو فيزال بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس
من ان يستهزأ بك واما التعيير فيزال بالحذر عن القول القبيح وصيانة

بها

النفس عن مساوي الجواب واما المضاجع فتزال بخوف الله تعالى عن
ظلم الخلق وخوف المناقشة في الاخرة واما الغدر فيزال بالعزم على الوفا
واعتقاد ان الوفا نوم الصدق واما شدة الحرص على
مزيد العيش فيزال بالقناعة على قدر الضرورة طلبا للعز والاستغنا
وترفعا عن ذلة الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه
الصفات تفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها
يرجع الى معرفة غوائلها لتكون النفس راغبة عنها وتنفر عن قبحها ثم المواضبة
على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مالوفة هينة على
النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل
وتخلصت عنها ومن اعظم البواعث على الغضب عند
اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجلية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه
بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا فينبغي ان يعالج هذا الجهل بان يتلى
عليه حكايات اهل العفو والحلم وما استحسن فيهم من كظم الغيظ فان
ذلك منقول عن الحكما والفضلا والعلما واكابر الملوك الفضلا وضد
ذلك منقول عن الاتراك والاكراد والجهال الاغبيا الذين لا عقل لهم
ولا فضل عندهم **التنبيه الرابع في بيان علاج الغضب عند
هيجانه** اعلم ان الغضب اذا هاج فعنده يجب التثبت
حتى لا يكون صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج
عند هيجانه بمعجون العلم والعمل فهذان نوعان **النوع الاول
الاول منهما** ان يتفكر
في علاجه بالعلم وذلك يكون باموره ستة
في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والاحتمال
ويرغب في ثوابها فيدعو ذلك الى العفو وكظم الغيظ ويمنعه عن التشفي
والانتقام وحكي ان عمر بن الخطاب غضب على رجل فامر بضربه

فقيل

فقيل له خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
فهان عمر يقول خذ العفو وامر بالعرف وكان يتامل الآيه وكان
وقافا عند كتاب الله مهما تُلي عليه كثير التدبر له **الثاني** ان يخوف
نفسه بعقاب الله تعالى وهو ان يقول قدرة الله اعظم من قدرتي على هذا
الانسان فلو امضيت غضبي عليه لم آمن ان يمضي الله غضبه علي يوم القيمه
فيكون احوج الى العفو وقد قال تعالى في بعض الكتب المنزله يا ابن
آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن
امحق **الثالث** ان يحذر نفسه عاقبة العداوه والانتقام
وتشمر العدو في مقاتلته والسعي في هدم اغراضه والشماتة بمصايبه
وهو لا يخلو عن المصايب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان
كان لا يخاف من الاخره وان كان يخاف الاخره فخوفه من انتقام الله
عز وجل وانتقامه يكون اعظم **الرابع** ان يتفكر في صورته عند
غضبه بان يتذكر صورة غيره عند غضبه ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة
صاحبه بالكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك
للغضب بالانبيا والعلما والحكما ويخير نفسه بين ان يتشبه بالكلاب
والسباع واراذل الناس وبين ان يتشبه بالانبيا والعلما في العاده
الميل الى حب الاقتدا بهولا ان كان قد بقي معه مسكه من عقل
الخامس ان يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم
الغيظ ولا بد ان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك
على العجز وصغر النفس والذله والمهانه وتصير حقيرا في اعين الناس
فاذا كان الامر هكذا من جهة الشيطان فليقل لنفسه ما اعجب امرك
يا نفس تانفين من الاحتمال اليوم ولا تانفين من خزي يوم القيمه والافتضاح

اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وتجد ربي ان اصغر في
اعين الناس ولا تجد ربي خزان اصغر عند الله وعند
الملائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغي ان يكظمه لله تعالى وذلك
لعظمه عند الله تعالى فهذا وامثاله من معارف الايمان وحقا تقدح
فينبغي ان يعرج في قلبه **والسادس** ان يحقق لنفسه ويضع في
قلبه انه اذا غضب صار مشاركا لله تعالى في هذه الصفة ولا شك
ان غضب الله تعالى حكمه وصواب وغضبه معصية وخطأ واذا كان الامر كما
قرناه قبح منه الغضب لاجل المشاركة كما قبح الكبر من جهتنا ولو حسن في
حق الله تعالى فهكذا كان حال الغضب فانه قبيح من العبد حسن من الله تعالى
فهذا ما يتعلق بعلاجه من جهة الامور الدينية ۞ **النوع الثاني**
في بيان علاجه بالامور العملية وحاصله ان تقول بلسانك
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ان يقال عند الغيظ وكان اذا غضبت عائشة اخذ بانفها وقال
يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني
من مضلات الفتن ويستحب ان يقال ذلك عند الغضب فان لم
يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت قاعدا واقرب من الارض
التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع
سكون الغضب ليزول ذلك الشر وتتغير تلك الحالة واغتسل فان
النار لا يطفئها الا الماء فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا غضب
احدكم فليغتسل بالماء البارد فانما الغضب من النار وروى عروة ابن محمد
لما استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت قلت نعم قال اذا غضبت فانظر
الى السماء فوقك والارض تحتك ثم عظم خالقهما وغضب المهدي يوما على
رجل فقال شبيب لا تغضبن اشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله

وروي

وروي عن عمر انه غضب يومًا فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من
الشيطان وهذا يذهب الغضب هذا اخر ازالة الغضب مع
الاستعانة بتوفيق الله تعالى **النسبة الخامس** في بيان فضيلة
كظم الغيظ قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن
الناس وذكر ذلك في بيان معرض المدح والثنا وقال صلى الله عليه
وآله وسلم من كف غيظه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى الله
قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه
وآله وسلم اشدكم من ملك نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا بعد
القدرة وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من كظم غيظا ولو شاء ان
يمضيه لامضاه ملا الله قلبه امنا وايمانا يوم القيمة وقال ابن عمر قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما جرع عبد قط جرعتين افضل عند الله
من جرعة غيظ تلقاها بالحلم او جرعة مصيبة تلقاها بصبر جميل وقال
ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من
شفا غيظه وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كظم غيظه وهو يقدر على ان ينفذه
دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلائق فيخيره من اي الحور شاء هذا
ما يتعلق بفضله من جهة الاخبار **واما** الآثار فقد قال عمر من اتقى
الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير
ما ترون وقال لقمن لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسئلة ولا
تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال
ايوب حلم ساعة يدفع شرًا كثيرًا واجتمع سفيان الثوري وابن حريثة
اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فاجمعوا على ان افضل
الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر ما تقضي بالعدل
ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه فقال له رجل الم تسمع
الله يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين

فقال عمر صدقت فيما انت تائب اما قطعت وقال محمد بن كعب ثلاث
من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضي لم يدخل رضاه في باطل
واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له
وجاء رجل الى سليمان صلوات الله عليه فقال اوصني فقال لا تغضب قال
لا اقدر ❊ التنبيه السادس في بيان فضيلة الحلم اعلم ان
الحلم افضل من كظم الغيظ لان الكظم عبارة عن التحلم اي تكلف
الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غضبه ويحتاج الى مجاهدة
شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذا اعتياد فلا يهيج الغيظ
وان هاج فلا يكون في كظمه تعب والحلم ما كان بالطبع وهو
دلالة على كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعه
للعقل ولكن ابتداؤه بالتحلم وكظم الغيظ ويكون تكلفا قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم
ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار بكلامه هذا
الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم
بالتعلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن
تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم
علمكم اشار بهذا الكلام الى ان التجبر والتكبر هو الذي يهيج
الغضب ويمنع الحلم واللين وكان من دعاء رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم واكرمني
بالتقوى وجملني بالعافية وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك و

تعطي

وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه
وآله وسلم خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك
والتعطر وقال امير المؤمنين كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم و
انه ليكتب جبارا وما يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة
ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم
ويسيئون الي ويجهلون علي واحلم عنهم قال ان كان كما تقول
فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك الملّ
الرمل وقيل الرماد الحار وقال رجل من المسلمين اللهم انه ليس عندي
صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة
فاوحى الله الى الرسول انه قد غفر له وقيل في قوله تعالى ربانيين
اي حلماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
اللهم لا يدركني زمان لا يتبع فيه العليم ولا يستحيا فيه من الحليم
قلوبهم قلوب الاعاجم والسنتهم السنة العرب وقال صلى الله عليه
وآله وسلم ليليني منكم اولوا الحلم والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وقوله
وهيشات الاسواق فيه احتمالات احدهما ان يريد التحذير عن
الهيشات في الاسواق لانها مقاعد الشياطين واماكنهم والوقوف
في المساجد احق واولى وثانيهما ان يريد التحذير عن الهيشات الى
الاسواق لاجل المكاسب والارباح وفي ذلك اهمال للجهاد وتعطيل
لجانبه فعلى هذين الاحتمالين تكون فائدة الحديث ومعناه

وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يحب الحيي المتعفف
التقي ويبغض البذي السائل الملحف الغوث وقال صلى الله
عليه وآله وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتد بشيء
من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله تعالى وحلم يكف به السفيه وخلق
يعيش به في الناس فهذه الاخبار دالة على فضيلة الحلم كما اشرنا اليه
واما الآثار فقد قال امير المؤمنين كرم الله وجهه
ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم
حلمك وان تباهي الناس بعبادة ربك واذا احسنت حمدت الله واذا
اسأت استغفرت الله وقال عمر تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والحلم
وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال بعض
الحكماء دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال ابو الدرداء ادركت
الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه وقال
امير المؤمنين عليه الصلوة والسلام ان اول عوض الحليم من حلمه ان الناس
كلهم اعوان له على الجاهل وقال معوية لعنه الله لعمرو بن الاهتم اي الرجال
اشجع قال من رد جهله بحلمه فقال اي الرجال اسخى قال من بذل دنياه
لاصلاح دينه وقال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم قال هو الذي يشتمه اخوه فيقول ان كنت صادقا
فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك وقال معوية لعنه الله لعرابة بن اوس
بم سدت قومك يا عرابة قال كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى
في حوائجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني ومن قصر عني فانا
خير منه وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فقال يا عكرمة هل للرجل حاجة
فنقضيها له فنكس الرجل رأسه واستحيا وقال رجل لعمر بن عبد العزيز
اشهد انك من الفاسقين فقال له ليس تقبل شهادتك على الامام



على ابن الحسين صلوات الله عليه انه سبه رجل فرما اليه خميصة
كانت عليه وامر له بالف درهم وقال الاحنف بن قيس
اني لست بحليم ولكني متحلم وقال رجل لجعفر بن محمد عليهما السلام انه
قد وقع بيني وبين بني فلان في امر واني اريد ان اتركه فاخاف
ان يقال ان تركي له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وحكي ان
سفيها ضرب رجلا حليما فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك
فقال اقمته مقام حجر ونحت الغضب ومر المسيح بن مريم عليه
افضل الصلوة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا وقال
لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال
كل احد منا ينفق مما عنده وقد نجز غرضنا من ذكر فضيلة الحلم
من جهة الاخبار والاثار وبالله التوفيق

الباب الخامس من المهلكات الحسد

اذا انعم الله على عبد نعمة فلك فيها حالتان **الحالة الاولى** ان
تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه حالة تسمى حسدا وعلى هذا
يكون ماهية الحسد وحقيقته كراهة النعمة ومحبة زوالها عن صاحبها
ولغيره **الحالة الثانية** ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها
ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة ويريد
ما ذكرناه من هذا التقسيم ما روي عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم
انه قال المومن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال
الا نعمة اصابها فاجر او فاسق وهو يستعين بها على تهييج الفتن و
على افساد ذات البين وتشويش الدين وايذاء الخلق فلا يضرك
كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من جهة
انها نعمة بل من جهة انها صارت آلة للفساد والفجور ولو

امنت فساده لم تزلك نعمته بحال فهذه ماهية الحسد
واسبابه ونذكر علاج زواله وبيان التفرقة بين الحسد وحقيقته
فاذا عرفت هذه القاعدة فلنذكر ذم الحسد والمنافسة فهذه
تنبيهات اربعة نذكرها فيها بعونه الله تعالى **التنبيه الاول**
في ذم الحسد اعلم ان للحسد غوائل واخطار مهلكة للدين وهو اصل كل
فساد ومنبع كل آفة وقد ورد فيه التشديد وظهر ذمه من جهتين نوضحهما
بعونه الله تعالى **الجهة الاولى** الاخبار قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم
الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال ايضا لاتقاطعوا و
لا تدابروا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا وقال
صلى الله عليه واله وسلم ثلاث لاينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد
وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض
واذا حسدت فلا تبغ وقال صلى الله عليه واله وسلم قد دب اليكم داء
الامم من قبلكم الحسد والبغضاء اما اني لا اقول هي الحالقة للشعر وانما هي
الحالقة للدين فوالذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا
حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك فيكم افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه
واله وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال ايضا
صلى الله عليه واله وسلم انه سيصيب امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر
والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم
الهرج وقال صلى الله عليه واله وسلم لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك
وروي ان موسى عليه الصلوة والسلام لما تعجل الى ربه تعالى راى في ظل العرش
رجلا فغبطه بمكانه فقال ان هذا الكريم على ربه فسال ربه ان يخبره باسمه
فلم يخبره باسمه فقال احدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما
آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وقال
زكريا عليه السلام يقول الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط

لقضائي

لعضاي غير راض بقسمتي التي قسمتها بين عبادي وقال
صلى الله عليه وآله وسلم استعينوا على قضا الحوايج بالكتمان فان
كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان لنعم الله اعدآء
قيل ومن هم قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من
فضله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ستة يدخلون النار بستة قبل من هم
يا رسول الله قال الامرآء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين
بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلما بالحسد
الرساتيق الحوانيت والخانات وقال انس بن مالك كنا جلوسا
عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال يطلع عليكم رجل من هذا الفج من اهل
الجنة قال فطلع علينا رجل من الانصار تقطف لحيته من وضوء قد
علق نعله في يده الشمال وقال في اليوم الثاني وقال في اليوم
الثالث كذلك والرجل يطلع علينا في هذه الايام قال فالحقته وقلت
له اريد ان اعرف عملك فقال مالي عمل ولكني لا اجد في نفسي لاحد
من المسلمين غشا ولا احسد احدا على خير اعطاه الله اياه قال هذه هي التي
بلغت بك وهي التي لا تطاق **الحجة الثالثة** الآثار قال بعض السلف الصالح
ان اول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس آدم على رتبته ان يسجد له
فحمله الحسد على المعصية وقال بعض الزهاد انه دخل على بعض الامرا فقال
اني اريد ان اعظك بشيء فقال وما ذاك قال اياك والكبر فانه اول ذنب
عصي الله به واياك والحرص فانه اخرج آدم من الجنة واياك والحسد فبه
قتل قابيل اخاه هابيل واذا ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فامسك واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكر النجوم فاسكت وحكي عن
ابن سيرين انه قال ما حسدت احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من
اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار

كذلك

فلحقته

فكيف احسده على الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المومن قال ما انساك باولاد يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولسانا وقال ابو الدردا ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معويه كل الناس اقدر على رضاه الا الحاسد نعمه فانه لا يرضيه الا زوالها وقال بعض الحكما الحسد جرح لا يبرا وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه منه بالمظلوم من حاسد انه يرا النعمه عليك نقمه عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد اخاك فان كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزاع الا شده وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا وقد نجز عرضنا من مذمة الحسد

التنبيه الثاني في بيان اسباب الحسد اعلم ان مداخل الحسد كثيرة جدا ولكنا نشير الى جملتها وهي سبعه اسباب

السبب الاول منها العداوه والبغضا وهما اشد ابواب الحسد واكثرها وقوعا فان كل من آذاه شخص بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه فانه يبغضه لا محاله قلبه ويرسخ في نفسه له العداوه فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب كل نكبه تحصل له مهما اصاب عدوه بلية فرح بها وظنها مكافاه من جهة الله تعالى على بغضه وانها وصلت اليه من اجله ومهما اصابته نعمة ساءته وعلى الجمله فالحسد يلزم البغض والعداوه ولا يفارقهما

السبب الثاني التعزز وحاصله ان يثقل على الحاسد ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض المحسودين سلطانا او اختص بولايه او استفاد علما او مالا وخاف ان يتكبر عليه المحسود وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال

قل

علاوه

علوه و تفاخره عليه فتحزن المحسود هو السبب في وقوع الحسد
عزم له **السبب الثالث** ان يكون الحاسد في طبعه ان
يتكبر على المحسود ويستصغره ويستخدمه ويستحقره ويتوقع منه
الانقياد والمتابعة له في اغراضه فاذا نال المحسود نعمة وارتفع حاله
خاف ان ينقلب الحال في حقه ويترفع عليه ويستنكف عن متابعته
وربما يتشوق الى مساواته بعد ان كان دونه فلاجرم ان ماذكرناه باعثا
له على حسده **السبب الرابع** المماثلة والمساواة ومما لهما
اخبر الله عن الامم الماضية في تكذيب الانبيا وردهم اذ قالوا ما انتم الا
بشر مثلنا وقوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا وقوله تعالى ولئن
اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوزوا برتبة الرسالة
والوحي والقرب من الله تعالى فحسدوهم واحبوا زوال نعمة النبوة عنهم
جزعا ان يفضل الله عليهم وهم مثلهم في الخلقة وقالوا ابعث الله
بشرا رسولا فلاجل هذه المماثلة حصل الحسد من جهتهم لما ذكرناه
السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص متزاحمين
على مقصود واحد فان كل واحد منهما يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا
له على الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم
على مقاصد الزوجية وتزاحم الاخوة في نيل الرتبة في قلب الابوين للتوصل
الى مقاصد الكرامة والمال من جهتهما وهكذا تحاسد التلميذين لاستاذ
واحد في نيل المنزلة في قلب الاستاذ وهكذا تحاسد ندما الملك
وخواصه في نيل المنزلة في قلبه للتوصل به الى المال والجاه وهكذا
تحاسد الواعظين فانهما يتزاحمان على ملك البلدة والمدينة اذا كان
غرضهما نيل المال والقبول عندهم وهكذا احوال العالمين يتزاحمان
على التلامذة وايهما يكون اكثر واجمل ليتوصلوا بذلك الى نيل
الاطماع وحقير الدنيا وكثرة الجاه وغير ذلك من الاغراض المحضورة وقد

سبق المثل عدو كل من عمل بعمله **التنبيه السادس**
حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل الى مال
وهكذا الرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون
فاذا غلب عليه حب الثنا واستفزه الفرح بما يظهر له من المدح
في السنة الناس من انه واحد العصر وفريد الدهر في ذلك الفن وانه
لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصا العالم لسآه ذلك ولحبت
يحب موته او زوال النعمة عنه التي بها يشاركه في تلك المنزلة من
شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما
يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده ومصداق هذا ما كان عليه علما
اليهود من انكار معرفة نبوة الرسول صلى الله عليه واله وسلم ولا يومنون
به خيفة بطلان ما كانوا عليه من الرياسة وكثرة الاتباع لاجل
نسخ كتبهم بطل امرهم **التنبيه السابع** خبث النفوس وشحها
بالخير لعباد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة ولا بكبر ولا طلب
مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما انعم
عليه فانه يشق عليه ذلك واذا وصف له اضطراب امور الناس
وادبارهم عن الدين وفوات مقاصدهم وتنغيص عيشهم فرح بذلك
واستر فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله تعالى على عباده
كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل الذي يبخل بمال
نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله على عباده
الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا تعلق وهذا ليس له الا خبث النفس
ورذالة الطبع ورذالة الهمة وهذا لا علاج له ولهذا فانه يعسر معالجته
فهذه اسباب الحسد قد قررناها لك **وقد يجتمع** بعض هذه الاسباب
او اكثرها او جميعها في شخص احد فيعظم الحسد من اجل ذلك ويقوى
قوة لا يقدر معها على الاخفا والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر
العداوة بالمكاشفة وتنقطع المسالمة وتفضي الى الشر وهلاك الذي تحسد

بالله

بالله من شرار الخلق المتهورين بالعداوة المصرحين بالشتم
بثلبة الدين والخارجين عن زمرة المسلمين **التنبيه الثالث**
في بيان التفرقة بين الحسد المذموم والمنافسة المحمودة اعلم انا قد
دللنا على تحريم الحسد وخطره بالاخبار التي نقلناها وان هذا
التحريم والكراهة تسخط لقضاء الله تعالى في تفضيل بعض عباده على
بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية اعظم وانا [illegible] عذر
الله من كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك فيها مضرة والى
هذا اشار القرآن الكريم بقوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم و
ان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة
متلازمان وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من
بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم وقال تعالى ودوا لو تكفرون
كما كفروا فتكونون سواء فاخبر الله تعالى ان محبتهم على ذلك زوال
النعمة انما كانت علاجية الحسد وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف له
وعبر عما في قلوبهم حيث قال تعالى قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا
منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه
ارضا يخل لكم وجه ابيكم فلما كرهوا حب ابيه له ساءهم ذلك واحبوا
ان يلهاعنه فيغيب عنه وكان ما كان من حكاية حاله وحالهم وقال تعالى
في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال تعالى
وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم اي حسدا فانزل الله العلم ليجمع بينهم و
يؤلف بين قلوبهم على طاعته وامرهم ان يتالفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا
واراد كل واحد منهم ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض
قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت اليهود قبل مبعث الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسالك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله
وبالكتاب الذي تنزله عليه الا نصرتنا فكانوا ينصرون فلما بعث
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم به

فقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فهذا حكم الحسد
في التحريم **وأما المنافسة فليست محرمة** بل هي إما
واجبة وإما مندوبة وإما مباحة فأما الواجبة فنحو المنافسة
في تأدية الحقوق الواجبة الشرعية والعقلية وأما المندوبة
فنحو المنافسة في تأدية النوافل والقربات الدينية وأما المباحة
فنحو المنافسة في طلب الأسفار واتخاذ المآدب والولائم وغير ذلك
والبرهان القاطع على أنه لا حرج في المنافسة قوله تعالى وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون وقوله تعالى سابقوا إلى مغفرة من ربكم
وإنما تكون المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان
إلى تأدية خدمة السيد ويجزع كل واحد منهما أن يسبقه صاحبه فيحظى
عند مولاه بمنزلة لا يحظى بها الآخر وكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم في ذلك بقوله لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه
على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس **فقد**
عرفت بما أشرنا إليه من حكم الحسد في التحريم والحظر وحكم المنافسة في الوجوب
والندب والإباحة **دقيقة** اعلم أن للحسد مراتب أربع المرتبة
الأولى المذمومة المحظورة وهي أن تحب زوال النعمة عن أخيك المسلم
وإن كانت غير منتقلة إليك وهذا هو غاية الرداءة في الدين
المرتبة الثانية أن يكون مطلوبه عين تلك النعمة مثل رغبته في دار
حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية ظاهرة ولا يريد ان والهاجس هو مختص
بها فهو طالب لعينها ولا يحب زوالها فهذه دون المرتبة الأولى
المرتبة الثالثة أن لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها
فهذه أيضا دون المرتبة الثانية في المرتبة الرابعة أن يشتهي
لنفسه مثلها فإن لم يحصل إليه فلا يحب زوالها عنه وما هذي
حالة فهو معفو عنه وقد قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض

فتنبه

فتمنيه لمثل ذلك مذموم واما تمنيه لعينها غير مذموم وامّا

مراتب المنافسة والغبطة فهي ثلاث كما اشرنا اليه

الاولى منها المنافسة في الامور الواجبة كالايمان والصلوة والزكوة

الثانية المنافسة في الامور المندوبة كالانفاق في وجوه القرب

والصدقات وسائر النوافل الثالثة المنافسة في الامور المباحة

كالتنعم بضروب النعم المباحة التي لا اثم فيها فهذه هي مراتبها كما اشرنا

اليه وقد عرفت ما ذكرناه وجه التفرقة بينهما والله اعلم **الشيء**

ونحن والله اعلم ان الحسد من اعظم الامراض العظيمة للقلوب ونحن

نشير الى مداواة القلوب عن مرض الحسد ونستنهج في ذلك منهجين

اجمالي وتفصيلي **المنهاج الاول من جهة الاجمال** وذلك

انما يكون بالعلم والعمل فانهما من اعظم ما يقع به التداوي عن افة الحسد فهذان

مقامان **المقام الاول** في مداواته بالعلم واعلم ان العلم

النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك

في الدين والدنيا وانه لا ضرر على المحسود في دينه ولا دنياه بل ينتفع

بالحسد في الدنيا والدين ومهما عرفت هذا عن تحقق وبصيرة

ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة

اما كونه ضررا على الدين في حقك فانك بالحسد سخطت قضاء الله و

كرهت حكمته ونعمته التي قسمها الله وعدلها بين عباده وعدله الذي

اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واضفت الى نفسك

هذه الشناعة والبشاعة وهذه منك جناية على حدقة التوحيد

وقذى في وجه الايمان وعينه وناهيك بهاجنايته على الدين مع ما

ينضاف اليها من الغش لرجل من المسلمين واهل الايمان وتركت

نصيحته وفارقت اولياء الله وانبيائه في حبهم الخير لعباد الله و

في القلب تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل
النهار **واما** كونه ضررًا في الدنيا عليك فهو انك تتألم بحسدك
وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم الله من نعم
يصبها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتالم بكل بلية تنصرف
عنهم فتبقى طول عمرك مغمومًا محزونا متشعب القلب ضيق الصدر مع
ذلك ان المكر وغمك لا يزالان يتجددان عليك مهما كثرت نعم
المحسود ولو لم تكن مومنا بيوم القيمة والبعث والحساب لكان مقتضا
العقل ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلوب فما
احسن بالعاقل ان لا يكون متعرضا لسخط الله وعقابه من غير نفع يناله
فيهلك دينه ودنياه **اللهم** اجرنا من غضبك وسخطك يا خير
مستجار **واما كونه** لا ضرر على المحسود في دينه ولا دنياه فواضح
لان نعمته لا تزول عنه بحسدك له بل ما قدره الله تعالى من اقبال
النعم فلا بد من دوامه واستمراره فلا حيلة لك في دفعه بل كل شيء عنده
بمقدار ولكل اجل كتاب ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر
في الدنيا **واما كونه** لا ضرر على المحسود في دينه فلان المحسود ينتفع
في دينه بالحسد لانه مظلوم من جهتك ولا سيما اذا اخرجك الحسد الى
القول القبيح من الغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه
هدايا اليه تهديها اعني انك تهدي اليه حسناتك فما لك اردت زوال
النعم عنه فلم تزل **واما منفعته** في الدنيا فهو ان اهم الاغراض للخلق
شماتة الاعدا وايصال الغم اليهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين
في نغم وانت في غم وحسرة بسببهم وقد نحلت بنفسك ما هو مرادهم
فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ اراد زوال النعمة على عن المحسود فلم
يزلها الله ثم ان العاجز الحاسد من جهة ان السلامة من الاثم نعمة والسلامة

من النعم

من الغم والكمد نعمه وقد ورد النهي عنه بقوله تعالى ولا يحيق
المكر السيء الا باهله وربما يبتلي بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما
تشمت شامت بمساءة الا ويبتلي بمثلها حتى قالت عائشة
ما تمنيت لعثمان شيئا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت
فهذه الادوية العلمية في الحسد فمهما تفكر الانسان
فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفت من قلبه نار الحسد وعلم انه
مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه

المقام الثاني في العمل

النافع فاعلم ان كلها يتقاضا الحسد من الاقوال والافعال فينبغي
ان يكلف الحاسد نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح في
المحسود فانه يكلف نفسه المدح والثنا عليه وان حمله على التكبر
عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان حمله على كف الانعام
والاحسان الزم نفسه في الانعام وايصال الاحسان فمهما فعل ذلك
عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عادت المحبة
والموافقة لان التواضع والمدح والثنا واظهار السرور تطيب نفس
المحسود وتعطف قلبه على الحاسد فهذه ادوية الحسد وهي نافعة
جدا الا انها مرة غاية المرارة ولكن النفع في الدوا المر فمن لم يصبر
على مرارة الدوا لم ينل حلاوة الشفا وانما تهون مرارة هذا الدوا
اعني التواضع للاعدا والتقرب اليهم بالمدح والثنا بقوة العلم بالمعاني
التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى فهذا هو
الدوا على جهة الاجمال

المنهاج الثاني

من جهة التفصيل فهو
قطع اسباب الحسد الكبر وغيره وعز النفس وشدة الحرص وغير ذلك
من الاسباب فسياتي مداواة هذه الامور في مواضعها اللائقة
بها فانها مواد هذا المرض ولا ينقطع المرض الا بقطع المادة

فان لم يتبع المادة لم يحصل ما ذكرناه الا بتسكينه وتطفيه ولا
يزال يعود مرة بعد اخرا ويطول الجهد في تسكينه مع بقا مواده
فانه مادام محبا للجاه فلا بد من الحسد لمن استاثر بالجاه والمنزلة في
قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم
على نفسه ولا يظهر بيده ولسانه فاما الخلو من هذا بالكلية فلا يمكنه
فهذا ما اردنا ذكره في بيان هذه الخصلة المهلكة وبالله التوفيق

الباب السادس من المهلكات الحقد

ومعنى الحقد ان تلزم قلبك استثقال المحقود عليه وبغضه والنفار
عنه على جهة الاستمرار والبقا وسبب حصول الحقد الغضب اذا لزم
كظمه العجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه وصار الحالة
حقدا وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم المومن ليس بحقود والحسود فالحقد
ثمرة الغضب فاذا فهمت معناه فلنذكر ثمراته ثم نذكر فضيلة العفو
ثم نردفه بذكر فضيلة الرفق فهذه تنبيهات ثلاثة نفصلها بعونه
الله تعالى **التنبيه الاول** في بيان ثمرات الحقد وجملتها ثمان ثمرات
الاولى الحسد وهو ان يحملك الحقد على تمني زوال النعمة بالمحقود عليه
فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا هو دأب
الكفار واهل النفاق من اليهود وساير المشركين فانهم في غاية الحقد والحسد
للمسلمين كما قدمناه **الثانيه** ان تزيد على اضمار الحسد في نفسك
وباطنك فتظهر الشماتة بما يصيبه من البلا وتغتم بما يناله من النعما
الثالثه ان تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك واقبل
عليك فلا يزيدك اقباله عليك الا صدا او بعدا عنه **الرابعه**

سمعه

استحقاره واستصغاره والشماته به في جميع احواله كلها والازرا
له قدرًا ولايزرت عندك قلامة ظفره الخامسة ان ترسل
لسانك فيه بما لايجوز فيه ذكره من كذب وغيبه وافشاء سرٍ وهتك
ستر وغير ذلك من الامور المستقبحه السادسة ان تحاكيه استهزاءً به
وتسخرًا منه ومعاكهتم مما ينقص قدره عند الناس ويزيل هيبته
ويسقط منزلته السابعه ايذاؤه بالضرب والجرح وساير مايكون
مولمًا لجسده من نتف الشعور ولطم الوجه الثامنه ان تمنعه حقه
من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام لا يجوز فعله واقل
درجات الحقد ان تحترز من هذه الآفات الثمانيه ولا تبلغ ان تخرج بسبب
الحقد الى ماتكون معصيًا لله تعالى وتمتنع عما كنت تفعله من الاستخفاف والاحتقار
بفعل نقايضها من البشاشه والرفق والعنايه والقيام في حقه والمجالسة
له ومواساته فهذا كله له فضل عظيم وثواب جزيل وقد
امتنع ابو بكر من الانفاق على مسطح بن اثاثه لما تكلم في حديث الافك فانزل
الله تعالى قوله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله تعالى الا تحبون
ان يغفر الله لكم فقال بلى والله وعاد الى الانفاق عليه التنبيه الثاني
اعلم ان العفو ان تستحق حقًا وتسقط او تبرى عنه من قصاص او
غرامه وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلاجرم افردناه بالذكر فقد قال
تعالى خذ العفو وامر بالعرف وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى
وقال صلى الله عليه واله وسلم ثلاث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفًا عليهن
مانقص مال من صدقه فتصدقوا ولا عفى رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله
الا زاده الله بها عزًا يوم القيمه ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة الا
فتح الله عليه بابًا من الفقر وقال صلى الله عليه واله وسلم التواضع لا يزيد
العلق الا رفعه فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيدكم الا عزًا
فاعفوا يعزكم الله والصدقه لا تزيد المال الا كثره فتصدقوا يزيدكم الله

فصل في بيان فضيلة العفو

وقالت عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم منتصراً من مظلمة ظلمها ما لم ينتهك من محارم الله شيء فاذا
انتهك من محارم الله شيء كان اشدهم غضباً وما خير بين امرين الا
الا اختار ايسرهما ما لم يكن مأثماً وقال عقبة بن عامر لقيت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فبدرته يوماً فاخذت بيده او بدرني فاخذ
بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اعمال اهل الدنيا والآخرة
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله
عليه وآله وسلم قال موسى يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي
اذا قدر عفى ولذلك سئل ابو الدرداء من اعز الناس قال من اذا قدر
عفى فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
يشكو مظلمة فامره صلى الله عليه وآله ان يجلس واراد ان يأخذ له مظلمته
فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيمة فابا
ان يأخذ مظلمته حين سمع الحديث فنفعه الله بكلام الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم وقالت عائشة قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم اذا بعث الله الخلائق يوم القيمة نادا مناد من تحت العرش
ثلاث اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم
عن بعض وعن ابي هريرة ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما فتح
مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال
ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم حليم كريم قالوا ذلك ثلثا
فقال صلى الله عليه وآله وسلم اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور

فحلف

فدخلوا في الاسلام وعن سهل بن عمر قال لما قدم رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم مكة وضع يديه على بابي الكعبة والناس حوله
قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده و
هزم الاحزاب وحده ثم قال يا معاشر قريش ما تقولون ما تظنون
قال قلت يا رسول الله نقول خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن عم
رحيم قال صلى الله عليه وآله وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم
وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا وقف
العباد نادى مناد ليقم من له اجر على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي له اجره
على الله قال العافين عن الناس قال فقام كذا وكذا الف فدخلوها
بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي
لوالٍ ان يؤتى بحدٍ الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا
فهذه الاخبار الدالة على فضل العفو وحسن موقعه عند الله وأما الآثار فقد
روي ان رجلا دخل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه فقال له
عمر انك ان تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقاه وقد اقتصصتها
وقال بعض الزهاد اذا اراد الله ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه وقال بعض
الزهاد ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشغل
قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يطالب يوم القيمة فلا يكون له جواب
وقال يزيد بن ميسرة ان ظلمت تدعو على من ظلمك فان الله يقول ان
آخر يدعو عليك انك ظلمته فان شئت استجبنا لك واجبنا عليك وان
شئتما اخرتما الى يوم القيمة فيسعكم عفوي وقال مسلم بن يسار
لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعائك عليه
الا ان يتداركه بعمل وقمين الا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكر قال بلغنا
ان الله تعالى يامر مناديا فينادي من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم اهل

العفو نبيا فيهم الله بما كان من عفوهم عن الناس ٥ واتا هشام
بن محمد الى النعمان بن المنذر رجلين قد اذنب احدهما ذنبا عظيما
فعفى عنه واحدهما ذنبا صغيرا فعاقبه وقال الملوك يعفون عن العظيم
اعتمادا على الفضل ويعاقبون على اليسير ليس لجهلهم ولكن لادراك
السياسة وعن المبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في
وفد من اهل البصرة الى جعفر وكنت عنده اذ اتي برجل فامر بقتله فقلت
يُقتل رجل من المسلمين وانا حاضر فقلت لا حجة الا احدثك بحديث
سمعته من الحسين عليه السلام قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان
يوم القيمة جمع الله الخلايق في صعيد واحد حيث ينفذهم البصر
ويسمعهم الداعي فيقوم مناد فيقول من له اجر على الله ويده عنده
فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لقد سمعته من الحسين فقلت والله
لقد سمعته من الحسين فقال خليا عنه ٥ وقال معويه عليكم بالحلم والاحتمال
حتى تمكنكم الفرصه فان امكنتكم الفرصه فعليكم بالصفح والاحتمال وروي
ان راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال ارايت ذا القرنين كان نبيا
قال لا ولكنه اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه كان اذا قدر
عفا واذا وعد وفا واذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لغده وقال
بعضهم ليس الحليم من اذا ظلم حلم فاذا قدر انتقم ولكن من ظلم فحلم ثم قدر فعفا
وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب ٥ واتي هشام
برجل قد بلغه منه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال هشام وتتكلم
ايضا فقال الرجل لهشام يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتتكلم بين
يديه ولا اتكلم بين يديك قال بلى ويحك فتكلم ٥ وروي ان عمار بن
ياسر دخل عليه سارق بصفين فاخذ متاعا له فقيل له اقطعه فانه
من اعداء الله واعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله ان يستر علي يوم القيمة

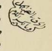
جلس

وجلس ابن مسعود يبتاع متاعا فابتاعه ثم طلب الدراهم وكانت
في عمامته فوجدها وقد حلت فقال قد جلست وانها لمعي فجعلوا
يدعون على من اخذها ويقولون اللهم اقطع يد السارق الذي
اخذها فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له
فيها وان كان حمله على اخذها الذنب جرأة فاجعله اخر ذنوبه
وقال الفضيل بن عياض ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان
جلس الي في المسجد الحرام ثم قام يطوف فسرقت دنانير كانت معه
فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي فقال لا ولكن مثلتني واياه
بين يدي الله فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له
وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم بن ايوب وهو على البصرة
اميرا ليلا وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا عليه مع الحسن فما كنا معه
الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف وما صنع به اخوته من
بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكروا
مالقي من كيد النسا ومن الحبس فقال ايها الامير ماذا صنع الله به اداله منهم
ورفع ذكره واعلا كعبه وجعله على خزائن الارض فماذا صنع حين اكمل له
امره وجمع اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم يعرض للحكم في
بالعفو عن اصحابه قال الحكم وانا اقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم اجد
الا ثوبي لواريتكم به فو وكتب بعض الحكما الى صديق له يساله العفو عن اصحابه
بعض اخوانه فقال فلان هارب من زلته لانه فيك بك واعلم انه
لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتي عبد الملك بن مروان
باسارى ابن الاشعث فقال له رجا بن حيوة ما ترى فقال ان الله
قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعطهم ما يحب من العفو فعفى عنهم
وروي ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فاخذ

اخاله فقال له ان جئتك باخيك والا ضربت عنقك فقال
ارايت ان جئتك بكتاب من الامير تخلي سبيلي قال نعم قال
فانا اتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه بشاهد وشاهدين
من ابرهيم وموسى ثم تلا ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذى
وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فقال خلوا سبيله هذا رجل
قد لقن حجته ❁ وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد
هزم الشيطان والله اعلم بالصواب ❁

التنبيه الثالث

في بيان فضيلة الرفق اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحده
وهما نتيجة الغضب والفظاظة فاما الرفق واللين فهما نتيجه
حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحده والغضب وقد
يكون سببها شده الحرص واستيلاءه بحيث يدهش على الفكر
ويمنع من التثبت والرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن
الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظها على حد الاعتدال
ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على الرفق وبالغ
فيه فقال لعائشة من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من خير الدنيا
والاخرة ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والاخرة
وقال صلى الله عليه واله وسلم اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق
وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق
واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون
الرفق الا قد حرموا من محبة الله عز وجل وقال صلى الله عليه واله وسلم
عليك بالرفق يا عائشة فانه ما جعل في شيء الا زانه ولا
نزع من شيء الا شانه وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الله رفيق يحب
الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال صلى الله عليه واله وسلم



ارفقي يا عائشة فان الله تعالى اذا احب اهل بيت كرامة دلهم
على باب الرفق وقال صلى الله عليه وآله وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ايما وال ولي فلانا ورفق به رفق
الله به يوم القيامة وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اتدرون
من يحرم على النار يحرم عليها كل هين لين وقال صلى الله عليه وآله وسلم
الرفق يمن والخرق شؤم وقال صلى الله عليه وآله وسلم التأني من
الله والعجلة من الشيطان وروي ان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم اتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين
فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله الحمد لله مرتين او ثلاثا قال نعم ثم اقبل
عليه فقال هل انت مستوص هل انت مستوص مرتين او ثلاثا قال
نعم فقال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه
وان كان سوى ذلك فاجتنبه وعن عائشة انها كانت مع رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم على بعير صعب فجعلت تضربه يمينا وشمالا
فقال صلى الله عليه وآله وسلم عليك بالرفق فانه يزين والخرق يشين
فهذه الاخبار دالة على فضيلة الرفق **واما الآثار**
فقد روي ان عمر ان جماعة من عماله اشتكوا فامرهم ان يوافوه
فلما اتوه قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان عليكم لنا حق النصيحة
بالطيب والمعاونة على الخير ايتها الرعاة ان للرعية عليكم حقا فاعلموا
انه لا شيء احب الى الله ولا اعز من حلم امام ورفقه وليس شيء ابغض الى الله
ولا اعم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه
يرزق العافية ممن هو دونه وقال وهب ابن منبه الرفق
ثني الحلم وقال بعضهم العلم خليل والحلم وزير والعقل دليل
والعمل قيمه والرفق والده والبر اخوه والصبر امير جنوده وقال احس

الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل وما
وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شي الى شي مثل علم الى
حلم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون
ذا اناة فتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك
ومناواة من يقدر على ضررك وقال سفيان يوما لاصحابه
اتدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها
الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط
في موضعه وروى ان عمرو بن العاص كتب الى معاوية يعاتبه في التاني فكتب
اليه معوية اما بعد فان التفهم في الخبر زيادة رشد وان
الرشيد من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الاناة
وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان العجل مخطئا
او كاد ان يكون مخطئا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن
لا ينفعه التجارب لا تدركه المعالي وقال بعض الحكما لا تتخذ من الخدم
الا من لا بد لك منه فان مع كل انسان شيطان واعلم انهم لا يعطوك
بالشدة شيئا الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن البصري
المؤمن وقاف متاني وليس كخابط ليل فهذا ما اردنا ذكره
في الرفق وفضله وذلك لانه محمود في اكثر الاحوال واغلب الامور
والحاجه قد تكون الى العنف وذلك يكون على الندور وانما
الحازم من يميز مواضع العنف عن مواضع اللين فيعطي كل امر
حقه وعلى الجملة فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر

الباب السابع في ذم الكبر والعجب



أما قبل الخوض فيما نريده من خواص الكبر وآفاته فنذكر
ماهيته فان من المحال معرفة حكم الشيء قبل الخوض في
معقوله ومفهومه والكبر خلق في النفس وآثاره على الاسترواح
والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرًا
عليه ومتكبرًا به وبه ينفصل الكبر عن العجب فان العجب لا يستدعي
شيئًا الا المعجب بنفسه بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور
ان يكون معجبًا ولا يتصور ان يكون متكبرًا الا ان يكون مع
غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند
ذلك يكون متكبرًا ولو رأى نفسه مثل غيره فلم يكن متكبرًا ولا
يكفي ان يكون يستحقر نفسه في كونه متكبرًا بل انما تدرك حقيقة الكبر
باعتقادات ثلاثة اولها ان يرى لنفسه مرتبة وثانيها ان
يرى للغير مرتبة وثالثها ان يرى ان مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره
فعند حصول هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق
الكبر وحقيقته فاذا حصلت هذه العقيدة انتفخ سحره وحصل
في قلبه اعتزاز وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه
من اجل ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى ما اعتقده هو خلق
الكبر ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اعوذ بالله من نفخة
الكبر فكأن الانسان رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام
تكبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن هذه الحالة الحاصلة للنفس
من هذه الاعتقادات ويقال لها ايضا عزة وتعاظم ولهذا قال

بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ان في صدورهم
الا كبر ما هم ببالغيه فقال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك
العظمة ثم ان هذه العزة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن واما
الاعمال الباطنة فهو ما يحصل في القلب والعزة والطرب
والفرح والاطمئنان فهذا خلق الكبر الباطنة واما الاعمال
الظاهرة فانها مهما حصل عظم عند نفسه قدره بالاضافة
الى غيره حقّر من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده
وترفع عليه واقصاه عن مواكلته ومجالسته ورأى ان حقه ان
يقوم ماثلا بين يديه وان اشتد كبره استنكف عن استخدامه
ولم يجعله اهلا للتقدم بين يديه وارتفع عليه في المحافل وانتظر ان
يبدأه بالسلام وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وُعظ استنكف
عن القبول وان رُدّ عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين
واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير
استجهالا واستحقارا الاحوال فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وفيه خطر
الدين كثير وفيه يهلك اكثر الخواص من الخلق وقل ما ينفك عنه العباد
والزهاد والعلما فضلا عن عوام الناس وكيف لا تعظم آفته
وقد قال صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال
ذرة من كبر وانما صار حجابا عن الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق
المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة النفس
يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه
وفيه شيء من الكبر ولا يقدر على شيء من التواضع

وهو راس



وهو رأس اخلاق المتقين وفيه الكبر ولا يقدر على ترك
الحقد وفيه الكبر ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه الكبر
ولا يقدر على ترك الغضب وفيه الكبر ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه
الكبر ولا معنى للتطويل فما من خلق عظيم الا وصاحب الكبر حاصل في
عليه ليحفظ به الكبر وما من خلق محمود الا وهو عاجز عليه خوفا
من ان يفوته الكبر فلهذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر
وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد
وقد وردت الايات على ذم المتكبرين فقال تعالى فادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقال تعالى
ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال تعالى
قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ۞ والقرآن محشو بذم الكبر واهله
ودال على ان السبب في استحقاق النار هو الكبر قال عيسى صلوات
الله عليه ان الزرع انما ينبت في السهل دون الصفا كذلك الحكمة
توضع في قلب المتواضع ولا توضع في قلب المتكبر الا ترون ان كل
من شمخ براسه الى السقف شجه ومن طأطأ اظله واكنه وهذا
مثل يضرب للمتكبر وانهم يحرمون الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم في الكشف عن ماهية الكبر قال من سفه الحق وغمص
الخلق واراد بذلك جحد ان الحق وازدراء الخلق وتنقصهم والترفع
عليهم فهذا ما اردنا ذكره في بيان ماهية الكبر ونردفه بما يزيده من
شرح ما يتعلق بالكبر في ضمن التنبيهات ليكون اقرب الى الحصر
بمعونة الله تعالى

التنبيه الاول في بيان ذم الكبر

وقد ظهر ذمه من جهات ثلاث **الجهة الاولى** من كتاب الله تعالى لما قال سبحانه كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار ۝ وقال تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق ۝ وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ۝ وقال تعالى فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ۝ وقال تعالى يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين ۝ وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ۝ وقال سبحانه قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ۝ وقال سبحانه وتعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه ۝ وقال جل وعلا واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون ۝ الى غير ذلك من الايات الدالة على ذم الكبر وهوانه **الجهة الثانية** الاخبار روا ابو هريرة عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم انه قال يقول الله تبارك وتعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما القيته في جهنم وروي انه التقى عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر في المروة فمضى بن عمرو بن العاص واقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا ابا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو انه سمع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبه الله على منخره في النار وقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب

وقال

وقال سليمن بن داود عليه الصلوة والسلام يومًا للطير
والجن والانس والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي الف من
الانس ومائتي الف من الجن فرفع حتى الملائكة بالتسبيح
في السموات ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتًا يقول لو كان
في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعته
وقال صلى الله عليه وآله وسلم يخرج من النار عنق له اذنان يسمعان
وعينان يبصران ولسان تنطق تقول وكلت بثلاثة بكل جبار
عنيد وبكل من دعا مع الله الهًا اخر وبالمصورين وقال صلى الله عليه
واله وسلم لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ الملكة وقال صلى الله
عليه واله وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين
والمتجبرين وقالت الجنة لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم
فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي
وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء ولكل واحدة منكما
ملؤها وقال صلى الله عليه واله وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى
ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال
بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا
وطغى ونسي المبدا والمنتهى وعن ثابت قال بلغنا انه قيل يا رسول
ما اعظم كبر فلان قال اليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان نوحًا
عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال اني اوصيكما باثنتين وانهاكما
عن اثنتين عن الشرك بالله والكبر وامركما بلا اله الا الله فان السموات
والارض وما فيهما لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله

سمع زجل

في الكفة الاخرى لكانت ارجح منهما ولو ان السموات والارض وما بينهما
كانت حلقة فوضعت لا اله الا الله لقصمتها وآمركما بسبحان
الله وبحمده فانها صلوة كل شي وبها يرزق كل شي وقال عيسى صلى
الله عليه طوبى لمن علمه الله كتابه ولم يمت جبارا وقال صلى الله
عليه وآله وسلم اهل النار كل جعظري جواظ متكبر جماع مناع
واهل الجنة الضعفا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان احبكم الي واقربكم
مني مجالسا يوم القيمة احسنكم اخلاقا وان ابغضكم الي وابعدكم مني
الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا
الثرثارون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه وآله
وسلم يحشر المتكبرون يوم القيمة ذرا في صورة الرجال يعلوهم كل شي
الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار
الانيار ثم يسقون من طينة الخبال وهي طينة عصارة اهل النار
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحشر المتجبرون
والمتكبرون يوم القيمة في صور الذر يطاهم الناس هوانهم على الله
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله
ان يسكنه كل جبار وقال صلى الله عليه وآله وسلم اياك يا بلال ان تكون
ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان في النار قصرا يجعل فيه
المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اني اعوذ
بك من نفخة الكبرياء وقال صلى الله عليه وآله وسلم من فارق روحه جسده
وهو بري من ثلاثة دخل الجنة الكبر والدين والغلول



الجهة الثالثة جملة ما اوردناه من الاخبار الدالة على ذم الكبر
والاثار قال ابو بكر لا تحقرن احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال
وهب بن منبه لما خلق الله الجنة جنة عدن نظر اليها فقال انت
حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره
فجاء يوما ومصعب ماد رجليه لم يقبضهما فقعد الاحنف
فزحمه بعض الزحمة فرای ذلك فيه فقال الاحنف عجبا لابن آدم
يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب لابن آدم يغسل
الخراء بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات والارض
وقيل في تفسير قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون هو سبيل الغائط
والبول وقال محمد بن علي الحسين ما دخل قلب امرء شيء من الكبر
الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل او كثر وسئل سليمان
عن السيئة التي لا تنفع معها الحسنة فقال الكبر

التنبيه الثاني في ذم الاختيال

واظهار آثار الكبر على المشية ونظهر ذلك من جهتين **الجهة
الاولى** الاخبار المأثورة قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا ينظر
الله تعالى يوم القيمة الى من جر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وآله وسلم
بينا رجل يتبختر في برديه قد اعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من جر
ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمة وعن عبد الله بن عمر انه مر برجل
عليه ثوب جديد فسمعه يقول اي بني ارفع ازارك فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء

وروى ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بزق يوما في كفه
ووضع اصبعه عليه وقال يقول ابن ادم تعجزني وقد خلقتك
من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين
وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت
التراقي قلت اتصدق وانى اوان الصدقة وقال صلى الله عليه
واله وسلم اذا مشت امتي المطيطا وخدمتها ابناء فارس والروم
سلط بعضهم على بعض وفي حديث اخر فقد تودع منهم وقال صلى الله
عليه واله وسلم من تعاظم نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو
عليه غضبان فهذه هي الاخبار في ذم الاختيال والجهة
الثانية الآثار وروى عن الحسن انه مر به ابرهيم ابن ادهم وهو
امير يزيد المفصوح عليه ثياب خز قد نضد بعضها على بعض على ساقه
فانفرج عنها قباه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن فقال له اف اف
شامخ بانفه ثان لعطفه مصعر لخده ينظر في عطفيه اي حلج تحلج
المجنون في كل عضو من اعضائه لله تعالى نعمة وللشيطان به لعنة
فسمعه ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر اليّ وتب الى ربك
اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق
الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه بردة حسنة فدعاه
فقال ابن آدم معجب بشبابه متعجب بجماله كأن القبر قد وارى بدنك
وكأنك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى
العباد صلاح قلوبهم وروي ان عمر بن عبد العزيز حج قبل ان يستخلف

وهو

وهو يتبختر في مشيته فنظر طاوس اليه فغمز جنبه باصبعه
فقال ليس هذه مشية من في بطنه خرء فقال طاوس لقد
ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع
ولده يختال فدعاه فقال اتدري من انت اما امك فاشتريتها
بمائتي درهم واما ابوك فلا كثر الله في المسلمين مثله ورأى مطرف
بن عبد الله بن الشخير المهلب وهو يتبختر في حلة خز فقال
يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال المهلب اما تعرفني
فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وتحمل بين
ذلك العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك **واقول**
ان الوعيد على الكبر لعظيم وان الخطر فيه جسيم وان البلوى
فيه لشاملة للخلق الا من وفقه الله واجتنابه ورفض الغرور في
مشيه ولاحظ امر الاخرة وعزم على اذلال نفسه تواضعا لعظمة
الله تعالى وانحطاطا لكبرياء جلاله **فنسال الله الكريم** الذي جلت
عظمته وشملت رحمته ان يجعلنا من اوليائه الذين محا رسم
الكبر عن قلوبهم واثار العجب عن صدورهم فقطعوا بلذة التواضع
وجانبوا الشغل بنصب العجب والكبر وظفروا بجوار الكريم في جنات الخلد
والنعيم **التنبيه الثالث** في بيان فضل التواضع وقد
ظهر من جهتين الجهة الاولى قال صلى الله عليه واله وسلم
ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال
صلى الله عليه واله وسلم ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه فان
هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم
ارفعه وقال صلى الله عليه واله وسلم طوبى لمن تواضع من غير مسكنة

وانفق مالا اكتسبه من غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة
وخالط اهل الفقه والحكمة وروى ان الرسول صلى الله عليه واله
وسلم صلى بقباء وكان صائما فاتيناه بافطار من لبن وجعلنا
فيه من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما هذا
قلنا يا رسول الله جعلنا فيه من عسل فوضعه فقال اما انا فلا احرمه
ومن تواضع لله رفعه الله تعالى ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه
الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله تعالى وروى
ان الرسول صلى الله عليه واله وسلم كان في نفر من اصحابه ياكلون فقام
سائل على الباب وبه زمانة منكرة منها وضعف في حاله فاذن
له فلما دخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على فخذه
او قال على فخذه ثم قال له اطعم فكان رجل من قريش اشمأز عنه
وكرهه فما مات ذلك الرجل حتى ابتلي بتلك البلية وقال صلى الله عليه واله وسلم
خيرني ربي بين ان اكون عبدا رسولا وملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار
وكان صفي من الملائكة جبريل فرفعت راسي فقال تواضع لربك فقلت
عبدا رسولا وروى ان موسى عليه السلام اوحى الله اليه انما اقبل صلوة
من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار
بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال صلى الله عليه واله وسلم
الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنا وقال عيسى صلوات الله عليه
طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيمة طوبى للمصلحين
في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيمة طوبى للمطهرة قلوبهم
في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله عز وجل يوم القيمة وقال صلى الله عليه
واله وسلم اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير

ان يلي

حتى تبقى له ورثة مع ذلك التواضع فهو من صنع الله
تعالى وقال صلى الله عليه وآله وسلم اربع لا يعطيهن الله
تعالى الا من يحب الصمت وهو اول العباده والتوكل على الله
والتواضع لله والزهد في الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما
ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعه فتواضعوا يرفعكم الله وروي
عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يطعم فجاءه رجل اسود
به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه
فاجلسه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى جنبه وقال المحاسبي
ان يحمل الرجل الشي في يده ويكون مهناه لاهله يدفع به الكبر
عن نفسه وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوما لاصحابه ما لي لا
ارى عليكم حلاوة العباده قالوا وما حلاوة العباده قال التواضع

الجهة الثانيه الآثار قال عمر ان العبد اذا تواضع لله رفع الله
حكمه وقال انتعش رفعك الله واذا تكبر وعتا طواه وقصمه
الله الى الارض وقال اخسا اخزاك الله فهو في نفسه كبير وفي
اعين الناس حقير حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير وحكي ان سلمان الفارسي
انه قال تواضعوا لله فان من تواضع لله تعالى في الدنيا رفعه الله يوم
القيمه اتدرون ما ظلمة النار يوم القيمة قلنا لا قال فانه ظلم العباد
بعضهم بعضا في الدنيا وقالت عائشه انكم لتغفلون عن افضل العباده
التواضع وقال يوسف ابن اسباط يجزي قليل الورع عن كثير العمل
ويجزي قليل التواضع عن كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن
التواضع هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته
منه ولو سمعته من جاهل قبلته وحكي عن بعضهم انه قال اس

التواضع ان تضع نفسك عمن دونك حتى تعلمه انه ليس لك
بدنياك عليه فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا
حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من اعطى
مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم
القيمة وقيل ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه الصلوة والسلام اذا
انعمت عليك نعمة فاستقبلها بالاستكانة اتمها عليك وقال
كعب ما انعم الله على عبد نعمة في الدنيا فشكرها لله تعالى وتواضع
بها لله تعالى الا اعطاه الله تعالى نفعها في الدنيا ورفع بها درجته في الآخرة
وما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله تعالى ولم يتواضع
بها لله تعالى الا منعه الله تعالى نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من النار
يعذبه به ان شاء او يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان
اي الرجال افضل قال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة و
ترك النصرة عن قوة ودخل ابن السماك على الرشيد هارون
فقال له ان تواضعك في شرفك اشرف لك من شرفك فقال ما
احسن ما قلت فقال ان امرأ اعطاه الله جمالا في خلقته وموضعا
في حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى في ماله
وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله تعالى من خالصة الله تعالى فدعا
هرون بدواة وقرطاس فكتبه بيده وكان سليمان ابن داود عليه الصلوة
والسلام اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجي المساكين فيقعد
معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره ان يراك الاغنياء
في الثياب الدون كذلك فاكره ان يراك الفقراء في الاثواب المرتفعة
ويروى انه خرج جماعة من اهل الصلاح يتدارسون التواضع فقال
بعضهم لبعض تدرون ما هو التواضع تخرج من منزلك فلا تلقى
مسكينا الا رايت له عليك فضلا وقال مجاهد ان الله

تعالى

تعالى لما اغرق قوم نوح شمخت الجبال وتطاولت
وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه
وقال بعض الحكماء اطلع الله تعالى على قلوب الآدميين فلم يجد
قلبا اشد تواضعا من قلب موسى فخصه من بينهم بالكلام وعن
بعض الزهاد وقد انصرف من عرفات لم اشك في الرحمة لولا
اني معهم ومعناه انه يخشى انهم حرموا بسببه وقال ارفع ما يكون
المؤمن عند الله تعالى اوضع ما يكون عند نفسه وقال بعضهم الزهد
من غير تواضع كالشجرة التي لا تثمر وقال مالك ابن دينار لو ان
مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا ما سبقني احد
الا رجل بفضل قوة او سعي قال فلما بلغ بعض الزهاد كلامه قال
بهذا افلح صار مالك مالكا وقال الفضيل بن عياض من احب الرياسة
لم يفلح ابدا وحكي عن عيسى بن القاسم قال كانت عندنا زلزلة
وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا عبد الله انت امامنا
فادع الله عز وجل لنا فبكى وقال ليتني لم اكن سبب هلاككم قال فرايت
النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقال ان الله عز وجل دفع عنكم بدعاء
محمد بن مقاتل وجاء رجل الى الشبلي فقال له ما انت وكان هذا
دابه وعادته قال انا النقطة التي تحت الباء وقال الشبلي في بعض كلامه
ذلي عطل ذل اليهود وقال من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع
نصيب وعن رجل من الزهاد قال رأيت امير المؤمنين كرم الله وجهه
في المنام فقلت يا ابا الحسن عظني فقال ما احسن التواضع بالاغنياء
في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله تعالى واحسن من ذلك
تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل وقال ابو سليمان التواضع

[illegible]

العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد البسطامي ما دام العبد
يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل له متى يكون
متواضعًا فقال اذا لم ير لنفسه مقامًا ولا حالًا وتواضع
كل انسان على قدر معرفته بربه ومعرفته بنفسه وقال ابو
سليمان لو اجتمع الخلق كلهم ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما
قدروا عليه وقال عروة ابن الورد التواضع احد مصايد الشرف
وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف
اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ
التكبر على ذي التكبر عليك بماله تواضع وقال [illegible] التواضع في الخلق كلهم
حسن وهو في الاغنيا احسن والكبر في الخلق كلهم قبيح وهو في
الفقرا اقبح وقال بعض الزهاد النفس معجونة بالكبر والحرص و
الحسد فمن اراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصح والقناعة
فاذا هاجت في نفسه نار الكبر ادركها التواضع مع نصر الله عز وجل
واذا هاجت نار الحسد في نفسه ادركتها النصيحة مع توفيق الله
فاذا هاجت في نفسه نار الحرص ادركها القناعة مع جود الله تعالى
فهذا ما اوردنا ذكره في مدح التواضع وثناء الشرع عليه
والله الموفق للصواب

التنبيه الرابع في بيان

اسباب الكبر **واعلم** انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا
يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من الصفات الدالة على الكمال
ومجامع ذلك راجع الى كمال ديني ودنيوي ومجامع ذلك راجع
الى اسباب سبعة **السبب الاول** العلم

وما [illegible]

ما اسرع الكبر الى العلما ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم
آفة العلم الخيلا فلا يلبث العالم ان يتعزز بعز العلم
ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر
الناس وجملة الامر ان كبر العلما ربما ويكون متعلقًا بامور
الدنيا وبامور الاخرة فيها تان حالتان **الحالة الاولى**
ما يكون في الدنيا فنظره الى الخلق نظره الى البهايم ويستجهلهم
ويستحقرهم ويتوقع ان يبداوه بالسلام فان بدا احدًا
بالسلام اوقام له اواجاب له دعوة راى ذلك صنيعةً ويرى
ويعتقد انه اكرمهم وفعل لهم ما لا يستحقون الى غير ذلك من الامور
التي يترفع بها ويتكبر عليهم فيها **الحالة الثانية** ما يكون
متعلقًا بامور الاخرة وهو ان يرا نفسه عند الله اعلا وافضل
فيخاف على غيرهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما
يرجو لهم ومن هذه حاله فهو احق بان يسمى جاهلًا احق من ان يسمى
عالمًا لان العلم النافع هو الذي يعرف الانسان به نفسه ۞
السبب الثاني العمل والعبادة وليس يخلو حال من يلتبس
بهما من رذيلة الكبر والغرور واستماله قلوب العباد والزهاد وترشح الكبر
منهم في الدين والدنيا اما الدنيا فهو انهم يعتقدون لنفوسهم حقوقًا
على الخلق لاجل عباداتهم وزهاداتهم ويتوقعون من الناس
قضاحوايجهم وتوقيرهم والتوسيع لهم في المجالس وذكرهم بالورع
والتقوا وتقديمهم على سائر الناس واما في الدين فهو
انهم يرون الناس هالكين ويرون انفسهم في غاية النجاه

وملوا الهالك تحقيقا منهما ر اذ ذلك واعتقده قال
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك
الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول
دال على الازدراء بخلق الله تعالى معتبر بالله آمن لمكره غير خائف
من سطوته وكيف لا يهلك ويكفيه شرا احتقار الغير قال
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كفى بالمرء اثما ان يحقر اخاه المسلم

السبب الثالث الكبر بالنسب والحسب فالذي له حسب شريف
يستحقر من ليس له ذلك الحسب وان كان ارفع منه عملا وعلما
وقد يتكبر بعضهم فيرى الناس له خوال وعبيد ثم يانف من
خلطتهم ومجالستهم وثمرة ذلك على اللسان التفاخر به فيقول
لغيره يا نبطي يا هندي يا رومي يا من انت ومن ابوك وانا فلان بن فلان
واين مثلك ان يكلمني او ينظر اليّ وانا اتكلم مع مثلي وهذا هو الداء
الدفين الذي لا ينفك عمن كان له حسب فاخر واصل شريف وان
كان صالحا عاقلا خلا انه قد ربما لا يلتفت الى ذلك عند اعتدال
الاحوال وكف الغضب واستواء المزاج فاذا غضب او حمي مزاجه
اطفى ذلك نور بصيرته ونسي ما كان عليه من السمت والصلاح
كما روي عن ابي ذر قال تناولت رجلا عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
فقلت له يا ابن السودى فقال صلى الله عليه وآله وسلم يا ابا ذر طف الصاع طف
الصاع ليس لابن بيضا على ابن سودا فضل قال ابو ذر فاضطجعت
وقلت للرجل قم فطا على خدي **السبب الرابع** التفاخر
بالجمال وذلك يجري في الاكثر بين النسا ويدعو ذلك الى النقص

والتكبر

والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روي عن
عائشة انها قالت دخلت امراة على الرسول صلى الله عليه وسلم
فقلت بيدي هكذا اي انها قصيرة فقال صلى الله عليه
وسلم قد اغتبتيها وهذا امثاله حق الكبر لانها لو كانت قصيرة
لما ذكرتها بالقصر فانها اعجبت بقامتها واستنقصت تلك المراة
في جنب قامتها فلهذا قالت ما قالت ۞ السبب الخامس
الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار
في بضائعهم وبين الزرعة في اراضيهم وقدر حاصلاتهم منها
وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير
ويتكبر عليه ويقول له انت مقل ومسكين وفقير وانا لو شئت
لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك
واثاث بيتي يساوي جميع ما تملك وانا انفق في اليوم الواحد
ما تاكله في السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنا واستحقاره الفقر
وهذا منه جهل بآفة الغنا وآفة الفقر واليه اشار الله سبحانه
وتعالى بقوله فقال له صاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا
واعز نفرا اجابه وقال كما حكى الله تعالى ان ترني انا اقل منك
مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك الى قوله طلبا
فكان ذلك تكبرا منه بالمال والولد ثم ان الله تعالى بين عاقبة امره
باخبار عنه بما ذكر في آخر الاية ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى
فخرج على قومه في زينته حتى قال يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ۞
السبب السادس الكبر بالتوسع وقوة البطش والتكبر فيها على

اهل الضعف فاهل العافية يتكبرون على اهل المرض والزمانة
وهكذا ابطال الاعداء فان من ضعف عن لقاء عدوه فان القوي
منهما يتكبر بقوته على الاخر وهكذا ابطال الملوك فان الملك
الضعيف يقهره الملك القوي بالاموال والجنود الكثيرة
والعساكر الجمة ومن ضعف على ذلك فالقوي يتكبر عليه
ومن عادة الملوك التفاخر والتكاثر والتغلب وبهذا الشان
تنافي تقرير الوحدانية بقوله تعالى اذا لذهب كل اله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض بالتعالي من شان الملوك ومن شانهم
ايضا ان كل واحد منهم يتطاول على الآخر كما قال تعالى اذا لابتغوا الى
ذي العرش سبيلا فكل ما ذكر يدل على التكبر والعلو .

السبب التاسع التكبر بكثرة الاتباع والانصار والتلامذة
والغلمان والعشيرة والاقارب والبنين والحفدة ويجري
ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء في المكاثرة
بالدرسة والتلامذة واهل الفائدة وعلى الجملة فكل ما هو
نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر
به وكذلك الشغلة من الخلق وسائسة الدواب وسائر
اهل الفسوق من الشربة والزناة يفتخرون على بعضهم البعض
بكثرة ملابستهم لانواع الفسوق من الزنا وشرب المسكر وجميع
الانواع الفسقية لظنهم ان ذلك كمالا وان كان مخطئا فيه .
فهذه المجامع ما يتكبر به العباد كل واحد منهم على الاخر
فيتكبر من يدين بشيء على من لا يدين به او على من يدل به

بابه دونه

بما هو دونه في اعتقاده وربما يتكبر على مثله او فوقه عند الله
تعالى كالعالم الذي يتكبر بجهله على من هو اعلم منه لظنه انه الاعلم
وحسن اعتقاده في نفسه والله اعلم بالصواب ٥ **التنبيه الخامس**
في بيان الباعثة على الكبر اعلم حمانا الله واياك عن
آفة الكبر ان الكبر خلق باطن كما اشرنا اليه فاما ما يظهر من
الاخلاق والافعال فهو ثمرته ونتيجته وجملة ما يثير الكبر من
الاسباب الباعثة عليه اربعة **الباعث الاول** العجب فانه يورث
التكبر كما سنوضح القول فيه بعون الله تعالى فانه يورث الكبر
الباطن والكبر الباطن يورث الكبر الظاهر في الاعمال والاحوال
الباعث الثاني الحقد فانه يحمل على التكبر من غير عجب كالذي
يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق
منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه البغض فهو لذلك لا
تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده انه مستحق
للتواضع فكم من رذل لا يطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الاكابر
لحقده عليه وبغضه ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته
وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه
وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحل منه وان ظلمه ولا
يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به ٥ **الباعث الثالث**
الحسد ايضا فانه يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته
ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحاسد ايضا الى جحد الحق

حتى يمتنع عن قبول النصح وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق
الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيده من واحد
من اهل بلده واقاربه حسداً وبغياً عليه فهو يعرض عنه ويتكبر
عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع لفضل علمه ولكن الحسد
يبعثه على ان يعامله باخلاق المتكبرين وان كان في باطنه ليس يرى
نفسه فوقه **الباعث الرابع** الريا وهو يدعو الى اخلاق
المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه
وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه
ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس هو افضل
منه فيكون باعثه على التكبر عليه الريا المجرد لو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر
عليه فاما الذي يتكبر بالحسد والعجب والحقد فانه يتكبر عند الخلو
مهما لم يكن لهما تملك بخلاف الريا فرناه فانه لابد ان يكون على
ملاء من الناس ٥ **التنبيه السادس** في بيان
المتكبر عليه ٥ **اعلم** ان المتكبر عليه لا يخلو اما ان يكون هو الله
او رسله او سائر الخلق وقد خلق الانسان ظلوماً جهولاً فتارة
يتكبر على الخالق وتارة على انبيائه وتارة على سائر الناس
فهذه ضروب ثلاثة **الضرب الاول** التكبر على الله تعالى وذلك
هو افحش انواع التكبر ولا مثار له سوى الجهل المحض والطغيان
مثل ما كان من نمروذ بن كنعان فانه كان يحدث نفسه بانه يقاتل ملك
السما وكما يحكى عن جماعة من الحماقة مثل ما يحكى عن فرعون حيث
ادعا الربوبية وقال انا ربكم الاعلى ويكون استنكف ان يكون عبداً لله تعالى

وارد

واراد الصعود الى السما لاطلاع الحدث السما كما قال تعالى
حكاية لقوله بقوله تعالى يا هامان ابن لي صرحا لعلي اطلع الى اله
موسى ۞ الضرب الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز
النفس وترفعها عن الانقياد لبشر من سائر الناس كما حكى الله تعالى
انؤمن لبشرين مثلنا وذلك تارة تصرف عن الفكر والاستبصار
فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه
وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه على انقياد الحق والتواضع
للرسول كما حكى الله سبحانه عن قولهم ما انتم الا بشر مثلنا وقوله تعالى
ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقوله تعالى لقد
استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال الله تعالى واستكبر هو
وجنوده في الارض بغير الحق وقال وهكذا قال فرعون لما قال
له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك فقال اشاور هامان
فقال هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستكبر
عن عبودية الله تعالى وعن اتباع موسى وقالت قريش لولا انزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يريدون اما نزل على الوليد بن
المغيرة واما على عروة ابن مسعود الثقفي فهما الرئيسان في القريتين
مكة والطائف ۞ الضرب الثالث التكبر على العباد وذلك بان
يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتابى نفسه عن الانقياد لهم وتدعو الى
الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويانف من مساواتهم وهذا
وان كان دون الاول والثاني فهو ايضا عظيم لامرين احدهما
ان الكبر والعزة والعظمة والعلى لا يليق الا بالملك القادر فاما
العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن اين يليق

الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق الا بجلاله و
ثانيهما ان الذي يعظم من رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في اوامره
لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله تعالى استنكف
عن قبوله وتشمر لجحده ولهذا فانك ترى من يتعظم ويتكبر يعد ذلك
من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى بقوله وقال
الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون
فكل من ناظر للغلبة والافحام لا لتعليم الحق اذا ظهر فقد شاركهم
في هذا الخلق وحمل على ذلك كل الانف عن قبول الحق كما قال سبحانه وتعالى
واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد
وروي ان عمر لما قراها قال انا لله وانا اليه راجعون وقال
ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم
وقال صلى الله عليه وسلم كل بيمينك قال لا استطيع قال لا استطعت
فما منعه الا الكبر فما رفعها بعد ذلك الا اعتلت يده **التنبيه التاسع**
في بيان علاج الكبر اعلم ان الكبر من عظائم المهلكات ولا يخلو احد من
الخلق عن شيء منه وان التنبه على الخلق من فروض الاعيان اللازمة وهو
لا يزال بمجرد التمني وانما يزال بالمعالجة والاجتهاد وعلاجه يكون
اما باستئصال اصله ونسخه وقطع شجرته من مغرسها في القلب
واما بدفع الاسباب الجالبة التي بها يتكبر الانسان فهذان مقامان
المقام الاول استئصال اصله وقطع آثاره ولا يتم الشفاء من ذلك
الا باعمال القوى في قطع المادة وذلك يتم بامرين علمي وعملي فاما
الامر العلمي فهو ان يعرف نفسه وحقارتها ويعرف نفسه وما
تستحقه من العظمة والكبرياء ويكفيه ذلك في ازالة الكبر عن نفسه فانه مهما

عرف

عرف نفسه حق المعرفة عرف انه اذل من كل ذليل واقل
من كل قليل لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف
ربه سبحنه وتعالى عرف انه لا يليق العظمة والكبريا الا لذاته
ويكفيه من ذلك اية واحدة في الدلالة على الجلال والعظمة
وهي قوله سبحنه وتعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه
حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين فقد اشار بهذه الاية
الى العظمة لخلق هذه المكنونات الباهرة بل اجمل الامر في اخر الاية
بان الامر والخلق بيده من الافعال الحكمية والاوامر السماوية التي لا
مصدر لها سواه فلا يملكها الا هو واما ما يعرفه الانسان نفسه
فقد اشار بها الى اية واحدة هي الكافية في المطلوب
وهي قوله عز وجل قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه
من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره
ثم اذا شاء انشره كلا لما يقض ما امره فقد اشار تعالى
في هذه الاية الى اول الخلقة بقوله من نطفة خلقه على جهة الاستحقار
والى اخره بقوله تعالى ثم اماته فاقبره على جهة التهاون بحاله والى
وسطه امره بقوله تعالى ثم السبيل يسره ثم اشار بعده بهذه الامور
الثلاثة الى مخالفته لامر نشوره وقبح اختياره بقوله كلا لما يقض ما امره
ثم اشار بعد ذلك الى عاقبة الامر بالبعث والحشر بقوله تعالى ثم اذا شاء
انشره فهذه الاية كافية في معرفة الانسان بحال نفسه وتفصيل امره
قد ظهر لك اول حال الآدمي ووسطه ولو ظهر اخره والعياذ بالله تبا

اخسّا ان يكون كلبًا او خنزيرًا فيكون مع البهائم ترابًا ولا
يكون انسانا يحرّ خطابًا ويلقى عذابًا فاذا كان عند الله
تعالى يستحق عذابًا فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع
قدرًا الان اوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن
الحيات والعقارب والكلب والخنزير لا يهرب منهما احد
ولو رأى العبد المذنب في النار لصعق من وحشته بما يرون به
في خلقته وقبح صورته ولو وجد رايحته ولو وقعت قطرة من شرابه
الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيفة
فالمرء حاله هذه والتكبر بل ماله وللفرح في لحظة واحدة فضلا عن
البطر والتبختر فهذي هو العلاج العلمي القاطع لاصل الكبر والمزيل
لقراره والله اعلم وامّا الامر العملي في علاج الكبر فهو التواضع
بالعمل لله ولسائر الخلق بالمواظبة على افعال المتواضعين وكما سنعرف
اخلاق المتواضعين بعد هذه المعونة استقا وما لا اقتباس
من سيرة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واخلاق اهل الصلاح
حتى انه صلى الله عليه واله وسلم كان ياكل على الارض ويقول انما انا
عبد آكل كما ياكل العبد ﴿ وقيل لسليمان لا تلبس ثوبا فقال
انما انا عبد فاذا اعتقت لبست اشار بهذا الى العتق من
العذاب في الآخرة ﴿ ولهذا امر بالصلوة لما فيها من الخشوع
والخضوع والانحطاط في الارض وتعفير الخدود بالتراب عند
السجود والصاقها التراب عند التيمم كل ذلك امر بالتواضع وجميع
العبادات كلها من الصلوة والصيام والحج فيها نهاية الخضوع
لعظمة الله تعالى فلينظر الانسان في كل ما يقتضاه الكبر من

الافعال

الافعال فليواظب على نقايضها حتى يصير التواضع
له خلقاً فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحموده الا بالعلم
والعمل جميعاً فهذا هو العلاج في ابطال الكبر بالكليه وقطع

المقام الثاني في ابطال امره بقطع اسبابه

السبعه التي ذكرناها فاما من يتكبر بنسبه فمداواته بان يعرف
اما اولا فلانه قد تعزز بغيره كماله وقيل من كان عزه بغيره
فذله بذاته واما ثانيا فلان اباه القريب خلق من النطفه
القذره واما ابوه البعيد فانه مخلوق من تراب واما
فمداواته ان ينظر الى ما هو مشتمل عليه في باطنه وظاهره فان
القذر يحتوي على جميع اجزائه فان العذره في امعائه والبول
في مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنيه
والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والذفر في ابطيه والبول
في الاحليل والغائط في الدبر يتردد الى الخلاء مرات الكثيره فيخرج
من باطنه ما لو راه بعينه لاستقذره فضلا ان يلمسه او يشمه
كل ذلك ليعرف قذارته وذلته وهوانه ثم انه في اول خلقته خلق
من الاقذار البشعه من النطفه القذره ومن دم الحيض وجرى في
مجرى البول مرتين ومن مجرى الحيض فهذه كلها لا ينفك عنها واما
والشده فمداواته ذلك بما يعلم ويتحقق مما لو سلط عليه من
الامراض والعلل وانه لو وجع عرق واحد من بدنه لكان اعجز من كل عاجز
واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا ما استنقذه منه
وان غلبه لو دخلت اذنه قتلته او بقة دخلت انفه لغاث
وكثرة المال فما هذا احاله فهو اقبح انواع التكبر لانه تعزز بالغير
وتكبر به وكل متكبر بامر خارج عن ذاته فهو جهل ظاهر لان الامور

الخارجة من المال والولد والعقار والعرس والآثار
كله اقرب الى التغير والزوال وأما من تكبر بالعلم
ايضا يكون من اعظم الآفات وابعدها عن العلاج
الا بتعب شديد وجهد جهيد ودواء ذلك يكون
بامرين اما اولاً فهو ان العالم يتحقق ان الكبر انما يتعلق
بعظمة الله تعالى وجلاله فاذا تكبر صار بغيضا الى الله تعالى ممقوتا
عنده واما ثانيا فلانه يعلم ان حجة الله تعالى على العلما اوكد
وانه يحتمل للجاهل ما لا يحتمل للعالم وان كل من عصا الله تعالى من
غير معرفة كان اقرب ممن عصا الله تعالى عن معرفة وقد قال صلى الله
عليه واله وسلم يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فيندلق
اقتابه اي امعائه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به
اهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا افعله
وانهى عن الشر وافعله وأما من يتكبر بكثرة الاتباع
والاشياع والانصار والخدم والتلامذة وكله جهل لانهم كلهم
اسرع ما يكون الى المفارقة والانقطاع عنه في اقرب الاوقات
وايضا فانه تعزز بالغير وكل ما كان من التعزز بالغير فهو نقص المحل
واما التكبر بالورع والزهد والعبادة فمداواة ذلك ان يلزم
نفسه بالتواضع لساير الخلق ويعرف ما في الكبر من الخطر العظيم فلعل
ذلك يدعوه الى ترك التكبر **فصل** مجامع اسباب الكبر قد
اشرنا اليه ههنا وانها على جهة الاختصار وهي سهلة على من وفقه الله تعالى
وعرفه قدر نفسه وامتحن قلبه للتقوى نسأل الله تعالى ان يجعلنا
ممن استخلصه الى بلوغ الغاية من كرمه ورضوانه وظفر بالفوز من مزيد
كرمه واحسانه وبالله التوفيق تم التنبيه بعون الله



بيان من يظهر فيه اثر التواضع والتكبر اعلم ان التكبر
ما يظهر في شمائل الرجل وهو نحو صعر وجهه ونظره شزرا
واطراقه راسه وجلوسه متربعا ومتكئا وفي اقواله حتى
في صوته ونغمته فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يختص بشيء
دون شيء وجملة ما نورده من ذلك امور عشرة اولها التكبر بان
يحب قيام الناس في وجهه وبين يديه وقد قال صلى الله عليه
واله وسلم من احب ان يقام في وجهه فليتبوأ مقعده من النار
وثانيها ان يتكبر في زيارة غيره وروي ان سفيان قدم
الرملة فبعث اليه ابرهيم بن ادهم ان تعال فحدثنا فجاءهم سفيان
فقالوا له يا ابا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت ان
ادري كيف تواضعه وثالثها ان يستنكف عن جلوس غيره
بالقرب منه وعن الجلوس بين يديه والتواضع خلاف ذلك
وحكى انس بن مالك ان وليدة من ولائد المدينة كانت تاخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب حيث شاءت
نفسها ورابعها ان يتوقى في مجلسه من المرضى والمعلولين ويتجافى
عن الجلوس معهم فان هذا حالة من الكبر وكان عبد الله بن عمر لا يحبس
عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته
وخامسها ان يتكبر عن تعاطي شغل في بيته والتواضع خلاف ذلك
وروي عن عمر بن عبد العزيز انه كان ليلة يكتب فكاد السراج ان ينطفي فقال
الضيف يقوم فيصلحه قال ما من مروة الرجل ان يستخدم ضيفه قال افانبه العبد
قال لا انها اول نومة نامها فوضع القلم من يده واخذ البطة وملأ
السراج زيتا فقال الضيف قمت انت بنفسك قال قمت وانا عمر
وجلست وانا عمر خير الناس من كان لله متواضعا وسادسها

اي صوت والنطق كلامه

اللباس ادعى لطهر التكبر والتواضع قال الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم البذاذة من الايمان قال هرون سألت معنا عن
البذاذة فقال هو الدون من الثياب وقال زيد بن وهب
رأيت عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار
فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم وعوتب امير المؤمنين
كرم الله وجهه في ازار مرقوع فقال يقتدي به المؤمن ويخشع
القلب فيه وقال عيسى صلوات الله عليه جودة الثياب خيلاء
القلب وسابعها ان يتواضع بالاحتمال اذا سبّ
واوذي واخذ حقه فإن هذا اصل عظيم يجب ان يراعى في
خلق التواضع وقد جرت به عادة السلف الصالح اعني احتمال الاذى
والصبر على البلوى وثامنها ان يعلم ان احسن الاخلاق هو
التواضع وهو سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينبغي ان يقتدي به
ويجب ان يتعلم منه وقد قال بعض الصحابة لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث
الناس من الملبس والمأكل والمشرب والمركب فقال يا ابن اخي
كل لله واشرب لله والبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو او مباهاة
او رياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج الخدمة في بيتك
مثل ما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعالج في بيته كان يعلف الناقة
ويخصف النعل الى غير ذلك من الافعال التي يباشرها ويلابس بفعله
وبالله التوفيق ولنختم كلامنا في هذا الباب بايراد
بايراد الامتحانات الدالة على البراءة من الكبر اعلم ان النفوس
قد تدعي انها متبرئة من الكبر وهي كاذبة في هذه الدعوى والوعد فلا بد من
اظهار الامتحانات لما فيه من استخراج الباطن وحكم العرصة والامتحانات
كثيرة لكنا نورد ما هو خاص منها وجملة ما نورد فيها خمسة الامتحان

الاول

87

الاول ان يناظر في مسألة مع واحد من اقاربه فان ظهر شيء
من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به
والشكر عليه حيث نبهه عليه وعرفه واخرجه عن ظلمة الجهل به وذلك
يدل على ان فيه كبرا دقيقا فليتق الله تعالى فيه وليشتغل بعلاجه وليقرر
في نفسه بان الكبر لا يليق الا بالله تعالى وان يكلف نفسه قبول ذلك والشكر
عليه **الامتحان الثاني** ان يجمع الاقران والاعوان معك في
المحافل والمشاهد وتقدمهم على نفسك وتمشي خلفهم وتجلس في المجالس
النازلة فان ثقل عليك فانت متكبر فلتتواضع عليه حتى يسقط عنك
ثقله فانك تزايل الكبر لا محالة وانما يظهر في تقديم الاقران عليك فان
تقدم الارذال فليس يظهر في تقديمهم تواضع ولكنه يظهر مما ذكرنا والله اعلم
الامتحان الثالث ان تجيب دعوة الفقير وتمر الى السوق في حاجة الرفقا
والاقارب وحوائج اهل بيته فان ثقل عليك فهو كبر فان هذه الافعال
من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل من جهة الله تعالى فنفور النفس عنها
ليس الا لكبر في النفس يستكن في الباطن فليشتغل بازالته في المواظبة
عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من الامور المزيلة له وليستعن بالله تعالى
الامتحان الرابع
ان تحمل حاجة نفسه وحاجة غيره من الاهل والجيران من السوق الى البيت فان
ابت نفسه فهو متكبر وفي الحديث من حمل سلعته من السوق فقد برئ
من الكبر وحكي عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف
قد في بيتك وغلمانك من يكفيك قال اجل ولكني اردت ان اجرب
نفسي هل تنكر عن ذلك ام لا فلم تقنع بما اعطي من العزم حتى تصدق
العزم بالفعل على ترك الانفة **الامتحان الخامس** ان

يلبس الثياب الناعمة الركيكة فان نفور النفس من ذلك وآثاره
على الكبر وروي ان عمر بن عبد العزيز كان له مسح يلبسه بالليل
وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد
برئ من الكبر وقال صلى الله عليه وآله وسلم انما انا عبد آكل على الارض
والبس الصوف واعتقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن
رغب عن سنتي فليس مني فهذا ما اردنا ذكره في بيان الكبر والله
اعلم بالصواب

الباب الثامن في العجب مقالة المهلكات

اعلم انا قبل الخوض فيما نريده من اسرار
ذكر حقيقة العجب وليس العجب يكون الا بوصف هو كمال كالعلم والزهد والعبادة
وليس يعجب الانسان بوصف من اوصاف الرذايل فان الانسان لا يعجب
بالبخل ولا بسوء الخلق وانما يعجب بالكرم وحسن الخلق والعجب هو
استعظام النعمة والمحبة لها والركون اليها مع نسيان اضافتها
الى المنعم ويخرج عن هذه الحالتان فانه لا يكون معجبا فيهما الحالة
الاولى ان يكون خائفا عن زوالها مشفقا على مكدرها او على سلبها
من اصلها فانه لا يكون معجبا الحالة الثانية ان لا يكون خائفا من
زوالها لكن يكون فرحا بها من حيث انها نعمة من جهة الله تعالى لا من حيث
اضافتها الى نفسه فمن هذه الحالة فليس معجبا فاذا تمهدت هذه
القاعدة فلنذكر مذمة العجب ثم نذكر اسبابه ثم نذكر كيفية علاجه فهذه
بيانات ثلاثة البيان الاول في ذم العجب اعلم ان ذمه يظهر من جهات
ثلاث الجهة الاولى من كتاب الله تعالى قال سبحانه وعلا ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم من الله شيئا وذلك في معرض الانكار
وقال تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله تعالى فرد الكفار في

عجبا بهم

اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى ويحسبون انهم يحسنون
صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو
مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه والله اعلم **الجهة الثانية**
الاخبار وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لابي ثعلبة اذا
رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك
بنفسك وقال صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر
من ذلك العجب العجب وقد وقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد بنفسه فاكب عليه فاصيب كفه فكانه تعجب بذلك اذ فداه بروحه
فتفرس في حاله عمر حتى قال ما زال طلحة يعرف فيه باو منذ اصيب
كفه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والباو الكبر في اللغة الا انه
لم ينقل عنه وانه ما اظهره ولا احتقر مسلما ولما كان وقت الشورى
قال له ابن عباس اين انت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة فاذا
كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف حالنا ونحن الضعفاء ان لم ناخذ
حذرنا ويلطف الله بنا ويعرفنا بتقصيرنا في كل امر من امور
الدين **الجهة الثالثة** الاثار قال ابن مسعود الهلاك في اثنتين القنوط
والعجب وقال زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقد والها بارة
وهو يعني العجب وقال مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما احب الي
من ان ابيت قائما واصبح معجبا وكان بشر بن منصور من الذين اذا
راوا ذكر الله تعالى والدار الاخرة لمواظبته على العبادة فاطال الصلوة
يوما ورجل خلفه ففطن له بشر فلما انصرف من الصلوة قال

لا يعجبك ما ترا مني فان ابليس قد عبد الله مع الملائكة مدة
طويلة ثم صار إلى ما صار وقيل لعائشة متى يكون الرجل مسيئا
قالت اذا ظن انه محسن وقد قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى فالمن نتيجة استعظام النعمة بالصدقة واستعظام العمل
هو العجب لا محالة فظهر بما ذكرناه بيان كون العجب مذموما ثم اعلم
ان له آفات كثيرة الأولى منها ان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه
فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات التي اوضحناها
من قبل هذا كله مع العباد واما مع الله تعالى فانه يؤدي الى نسيان
الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه
انه مستغن عن تفقدها فينساها ولا يذكرها شيئا لاعجابه بحاله
وظنه ان الله يغفر له الثانية انه يستعظم افعاله ويتبجح بها ويمن على الله
تعالى بها وينسى نعمة الله في التوفيق والتمكين منها ثم انه اذا اعجب عمي عن آفاتها
ولم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر عمله ضايعا فان الاعمال الظاهرة
اذا لم تكن خالصة عن الشوائب لم تكن عند الله تعالى نافعة الثالثة
ان المعجب يغتر بنفسه ويامن مكر الله تعالى وعذابه ويظن انه عند
الله بمكان وفي منزلة رفيعة الرابعة ان يخرجه العجب الى ان يثني
على نفسه ويحمدها ويزكيها والله سبحانه وتعالى قد نهى عن ذلك بقوله
فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى الخامسة انه اذا كان معجبا برايه
منعه ذلك عن الاستفادة والاستشارة فيستبد بنفسه وبرايه ويستنكف
من هو اعلم منه وربما يعجب بالراي الخطا الذي يخطر له فيفرح بكونه من خواطر
نفسه ولا يفرح بكونه من غيره السادسة انه لا يسمع نصح ناصح

ولا وعظ

ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاحتقار ويصر
على خطائه غاية الاصرار **السابعة** انه ان كان في رايه
في امر دنيوي خيبت عليه مصالحه وان كان في امر ديني لم
يصب وجه الحق فيه خاصة فيما يتعلق باصول العقايد
فانه يهلك فيه ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه واستضاء بنور
القرآن واستعان بعلماء الدين وكان متواضعا على
مدارسة العلوم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله
الى طريق الحق ومنهاج الصواب **الثامنة** ان يفتر في السعي في
الاعمال الصالحة لاعتقاده انه قد فاز واستغنى وهذا هو
الهلاك بعينه والزلل لا شبهة فيه فهذا ما اردنا ذكره
في ذم العجب وذكر آفاته المهلكة للدين والله اعلم بالصواب

الباب الثاني في ذكر

اسبابه واعلم ان للعجب اسبابا كثيرة وجملتها ثمانية السبب
الاول العجب ببدنه في جماله وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته
وقواه وعلى الجاه فان العجب يحصل في تفاصيل الخلقة فيلتفت الى
جمال نفسه وينسى انه نعمة من نعم الله تعالى وهو بعرضة للزوال في
كل حال **السبب الثاني** القوة والبطش كما حكى الله سبحانه عن قوم
عاد حين قالوا من اشد منا قوة وكما حكي عن عوج بن عنق انه اعجب
بقوته فاقتلع جبلا ليطبقه على قوم موسى عليه السلام فثقبه الله تعالى
في عنقه حتى صار في عنقه كالخرز وقد يتكل المؤمن على قوته
ويعجب بها كما حكي عن سليمن لاطوفن الليلة بمائة امراة لتلد كل
واحدة منهن ابنا يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله

مخرّم مما اراده من الاولاد وقد يورث العجب بالقوة الهجوم
في المحارب والقاء النفس في المهالك وتحريضها بالمقتل بايد
السبب الثالث العجب بالعقل والكياسه والتفطن
لدقايق الامور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالراي
وترك المشوره واستجهال الناس المخالفين لرايه ويخرجه الى قلة
الاصغا لاهل العلم اعراضاً واستغناءً بالعقل والراي واستحقاراً
لانفاسهم السبب الرابع العجب بالنسب وهذا اعجاب
الفاطمية والطالبية والهاشمية بانسابهم حتى ان يظن بعضهم بشرف
نسبه وجاه آبائه انه مغفور له ويتخيل ان جميع الخلق لهم
موالي وعبيد وهذا عزم عظيم وخطا فاحش فان الرسول
صلى الله عليه واله وسلم لما قيل له من اكرم الناس لم يقل من ينتهي نسبه
ولكن قال اكرمهم ذكراً للموت واحسنهم استعداداً له قال الله
تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولما نزلت الاية اذن بلال يوم الفتح
على ظهر الكعبه فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن
اسيد هذا العبد الاسود يؤذن بقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
وقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم قد اذهب الله عنكم نخوة الجاهلية
وافتخارهم بالآبا الناس كلهم من ولد آدم وآدم من تراب السبب
الخامس العجب بنسبه السلاطين الظلمة والملوك واعوانهم
وارباب الدول والاعراض عن نسب الدين والعلم وهذا هو غاية الجهل ولو
تفكر في مخازيهم وانهماكهم في معاصي الله تعالى من البغي والفساد وظلم
العباد الى مقت الله تعالى لهم وابعادهم عن رحمة الله ولو نظروا الى صورهم

في الناس

في النار والى خزي الله وما اعدّ لهم من النكالات لتبرّؤا
من الانتساب اليهم ولبان الانتساب الى الكلاب والخنازير اشرف
من الانتساب اليهم **السبب السادس** العجب بكثرة العدد في الاولاد
والغلمان والاقارب والانصار كما حكى الله تعالى عن عجب الكفار
بقولهم نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة وكيف يعجب بهم وهم تفرقوا عنه
اذا مات فدفن في قبره ذليلا مهينا لا يرافقه ولد ولا اهل
ولا قريب ولا حميم فيسلمونه الى التراب والبلا والحيات والعقارب
والديدان ولا يغني الاولاد عنه شيئا فكيف يعجب من هذا حاله
السبب السابع العجب بالمال كما حكى الله تعالى عن صاحب الجنتين
اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
رجلا غنيا جلس الى جنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال صلى الله
عليه وآله وسلم حسبت ان يعدو اليك وذلك انما كان بالعجب منه
بالغنا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بينما رجل
يتبختر في حلة قد اعجبته اذ امر الله تعالى الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم
القيمة فهذه عقوبة له على اعجابه بنفسه وقال ابو ذر كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد فقال ارفع راسك
فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب جيده ثم قال ارفع راسك
فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب خلقة فقال يا ابا ذر هذا عند الله تعالى
خير من ميزان الارض من هذا **السبب الثامن** العجب بالرأي
الخطأ قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال تعالى

وتحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه
وآله وسلم ان ذلك يغلب على آخر الامة وبذلك هلكت الامم اذ افترقت
فرقا وكل معجب برايه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع البدع والضلالات
انما استمروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان يسوق
الى الهوى فهذه جملة الاسباب الباعثة على العجب فنسال الله تعالى العصمة
من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال ونرغب اليه في الالهام
الحسن التصحيح في الدين ه **البيان الثالث في علاج العجب**
اعلم ان علاج كل علة انما يكون بما يقابلها من ضدها وان العجب جهل
فعلاجه يكون بالمعرفة المضادة لذلك الجهل ولنا في العلاج مسلكان
المسلك الاول من جهة الاجمال فنقول المعنى الذي يكون فيه
الاعجاب انما هو العلم والزهد والعبادة والورع والصدقة وسكينة
الخلق وحسن التصرف فيهم وغير ذلك من انواع البر واعمال التقوى
فهذه الامور وان كانت حاصلة بقدرة العبد واختياره لكن الله تعالى
هو الخالق للقدرة والعلم والشهوة والكل الاعضاء وسهل للعبد الفعل
بخلق الالات الحقيقية ورغبه الى فعلها بالثواب ورهبه بالعقاب على
الاعراض عنها واكمل النعمة بالعافية وجعله متمكنا من فعل ذلك بفضله ورحمته
فاذا كان الامر كما وصفناه فكيف يتطرق العجب بنعم هذا حاله وهي في الحقيقة
من لطف الله ورحمته فاذا لا معنى لعجب العابد بعبادته والعالم بعلمه والزاهد بزهده
لان كل ذلك اذا حققت النظر فيه من فضل جود الله وكرمه الواسع على خلقه
فهذا من جهة الاجمال ه **المسلك الثاني** من جهة التفصيل وتفريع
ان نذكر كل افة ونردفها بعلاجها **فاما الاعجاب** بالجمال والهيئة

معه

فعلاجه يكون بالتفكر في اقذار باطنه في اول امره وآخره
ويتفكر في الوجوه الجميلة والابدان الناعمة كيف تمزق في التراب
وتكون منتنة في القبور بحيث تستقذرها الطباع وتنفر عنها
النفوس فاذا تفكر في ذلك وامعن فيه الفكر هان عليه الامر واعرض
عن الاعجاب **واما** الاعجاب بالقوة والبطش فعلاجه بان
حمى ساعة او ليلة تضعف قوته وان العرقة الواحدة تظهر
نتنه ورائحته الخبيثة والشرقة الواحدة تقتله وان الله تعالى
اذا علم منه الاعجاب ربما سلبه تلك النعمة الجزيلة والعافية
المستقيمة بادنى آفة يسلطها عليه فلا يقدر على دفعها وازالتها
واما الاعجاب بالعقل والكياسة فعلاجه يكون بشكر الله تعالى
على ما رزق من العقل وانه لم يوت من العقل الا قليلا ويتفكر في
حاله انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يبقى حاله في كثرة الوسوسة
والهذيان بحيث يضحك منه ويستنقص ويصير مضحكة للعقلاء
ويسخر منه كل من رآه وسمعه فليحذر العاقل من هذه الحالة وليحمد الله تعالى
على ما رزقه من العقل ولا يعجب بشيء منه **واما** الاعجاب بالحسب
فعلاجه بان يعلم انه مهما خالف آباءه في افعالهم واقوالهم وطرائقهم
وظن انه لاحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من اخلاقهم
العجب بل الخوف والازراء على النفوس واستعظام الخلق ومذمة
النفس واعترافهم بالتقصير في حق الله تعالى وانما شرفوا بالطاعة
والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فالشرف بما شرفوا به فقد
ساواهم في النسب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر فهم عند الله تعالى شر من الكلاب

والجبابرة ولهذا قال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم
عند الله اتقاكم والاعجاب بنسب السلاطين والظلمة واهل
الجور دون نسب الدين والعلم فانما علاجه بان يتفكر في مخازيهم
وما جرى لهم من الجور والفسق والظلم للخلق والفساد في دين الله
وانهم عند الله في غاية الخزي والمقت ولو رأوا ما اعد الله لهم من
الخزي والنكال وعظيم العذاب لاجل مخالفته ومحاربته وعلى
اولاد الظلمة ان يشكروا الله تعالى على ما رزقهم من حسن الاسلام و
السلامة من العذاب **واما** الاعجاب بكثرة العدد من الاولاد
والخدم والغلمان والاقارب والانصار فعلاجه يكون بالتفكر
في ضعفهم وعجزهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم نفعا ولا
ضرا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف
يعجب بهم والكل الى نفاد وزوال بالموت والهلاك والادبار عن
الدنيا وقد قال سبحانه وتعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه فاي خير فيمن يفارقك في اشد الاحوال وهو القبر و
القيمة ويوم الحشر **واما** الاعجاب بالمال فعلاجه ان يتفكر في
آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله وآفاته والى فضيلة
الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيمة ويتفكر في ان المال غاد ورائح
ولا اصل له ثم ينظر في ان في اليهود والنصارى من يفوقه
في المال وقد قدمنا ذم الدنيا والمال من جملتها فلا وجه
للتكرير **واما** الاعجاب بالرأي الخطأ فعلاجه يكون اشد من
علاج غيره لان صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطئه ولو عرفه

تركه

لتركه وعلاج البلادة الذي لا يعرف عسير والجهل داء لا يوفق
فلهذا كان دواؤه عسيرا وانما علاجه على الجملة بان يكون متهما
لرايه ابدا فلا يغتر به والصواب لمن لم يتفرغ غير الاستغراق
عمره للعلم الا يخوض في المذاهب ولا يصغ اليها ولا يكون
سامعا لها ولكن يعتقد ان الله تعالى واحد لا شريك له وان
الرسول صلى الله عليه واله وسلم صادق فيما جاء به واخبر عنه ويتبع
سنة السلف الصالحين ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة
من غير بحث وتنقير وسؤال عن التفاصيل بل يقول آمنا
بالله تعالى وصدقنا ويكون اشتغاله بالتقوى واجتناب المعاصي
واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الاعمال
الصالحة يفعلها ويواظب عليها فاما الذي عزم على التجرد للعلم
واستغراق العمر في طلبه فاول مهم عليه الاتكال على خوف الله تعالى
والعزم على الانصاف وترك التعصب لمذهبه والميل الى اسلافه
وليعزم على الاتقان لشروط الادلة حتى يكون واصلا الى اليقين
والمعرفة في اكثر المطالب وليسأل من الله تعالى توفيقا يقوده الى الرشد
ويهديه الى طريق السلامة فلعل الله تعالى ان يفيض عليه من الانوار
الالهية ويطلعه على حقائق المعارف اليقينية بحوله ومنه وطوله

الباب التاسع من مقالة المهلكات في البخل

اعلم انا قبل الخوض فيما نريده من حقائق البخل والسخاء
نذكر حد البخل والسخاء فان ذلك من المهمات وما من انسان
الا ويرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يكون نفع الناس

فيختلف في حاله فبعض الناس يقول هو بخيل وبعضهم
يقول ليس بخيلا فلا بد من البيان للبخل الذي يوجب الهلاك
والسخا الذي يستحق به الثنا فنقول قد قال قايلون حد
البخل هو منع الواجب فكل من ادا ما يجب عليه ليس بخيلا وهذا
غير كاف فانه اذا رد اللحم الى القصاب والخبز الى الخباز لنقصان
حبة خردل او نحوها فانه يعد بخيلا بالاتفاق وهكذا من
سلم الى اولاده القدر الذي يفرضه الحاكم ثم يضايقهم في لقمة
زادوها عليه او تمرة اكلوها من ماله فانه يعد بخيلا وقال
اخرون البخيل هو الذي يستضعف العطية القليلة كالحبة
وما يقرب منها ويستكثر ما فوقها وهذا لا وجه له فانه يرد
الى عمايه وهكذا فانهم تكلموا في الجود فقالوا الجود عطا بلا منة
ولا اصطناع علا غير رويه وقال بعضهم الجود عطا من غير مسئلة
وقالوا الجود هو السرور بالسايل والفرح بالعطا لما امكن وقالوا الجود
عطا من علا رويه ان المال لله والعبد لله فيعطي عبد الله مال الله
علا قدر رويه الفقر وقالوا الجود من اعطا البعض وبقا البعض
فهو صاحب سخا ومن اعطا الاكثر وبقا لنفسه شيا فهو صاحب جود
ومن قاسا الضر واثر غيره لبلغه فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل
شيا فهو صاحب بخل وجملة ما اوردوه هذه الكلمات فهي غير
محيطة بحقيقة البخل والجود بل المختار ان يقال ان المال خلق لحكمة
ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى
ما خلق المصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف
اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ فيه حيث يجب

الحفظ

93

الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالمنع حيث يجب البذل
بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط
وهو محمود سعى ان يكون السخا والجود عبارة عنه اذ لم يأمر الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم الا بالسخا وقيل له على جهة التعليم ولا
تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد
ملوما محسورا وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم
يقتروا وكان بين ذلك قواما والجود وسط بين الاسراف والاقتار
وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب
فيحصل من مجموع ما ذكرناه ان البخل والسخا موقوفان على معرفة الواجب
فما هو الذي يجب بذله فاعلم ان الواجب قسمان قسم بالشرع وقسم
واجب من جهة المروة والعادة فالسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع
ولا واجب المروة فان منع واحدا منهما او كلاهما كان بخيلا لا محالة
ولكن الذي يمنع واجب الشرع هو ابخل ممن يمنع واجب المروة
فواجب الشرع هو الزكاة وواجب المروة هو ترك المضايقة
والاستقصا في المحقرات فمن كره ماله فانه يستقبح منه المداقة الحقير والعلم
في الدانق قال مولانا امير المومنين المؤيد بالله عليه السلام
فهذا ما اوردنا ذكره في ماهية البخل والجود والسخا وبالله التوفيق
والاعانة فاذا عرفت هذا فلنذكر ما يتعلق بالباب ونجعله تنبيهات
تحيط بالمقصود بمعونة الله تعالى **التنبيه الاول** في بيان ذم
البخل قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا
لهم بل هو شر لهم وقال تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل وقال

الرسول صلى الله عليه واله وسلم اياكم والشح فانه اهلك
من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم و
دعاهم فقطعوا ارحامهم وقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم
لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة وفي رواية
اخرا ولا جبان ولا منان وقال صلى الله عليه واله وسلم ثلث
مهلكات شح مطاع وهوا متبعا واعجاب المرء بنفسه وقال صلى
الله عليه واله وسلم ان الله تعالى يبغض ثلاثة الشيخ الزاني والبخيل المنان
والفقير المختال وقال صلى الله عليه واله وسلم مثل الرجل المنفق و
البخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما
فاما المنفق فلا ينفق شيئا الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه
واما البخيل فلا يريد ان ينفق الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها
حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها فلا تتسع وقال صلى الله عليه واله وسلم
خصلتان لا يجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق وقال صلوات الله
عليه واله اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك
ان ارد الى ارذل العمر وقال صلى الله عليه واله وسلم اياكم والظلم فان الظلم
ظلمات يوم القيمة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ولا
المتفحش واياكم والشح فانما اهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب
فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال صلى
الله عليه واله وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقتل شهيد
على عهد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فبكيته باكية فقالت وا شهيداه
فقال وما يدريك انه كان شهيد فلعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا

بنقصه

ينقصه وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ومعنا الناس مقفلين من حنين علقت برسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم الاعراب يسالونه حتى اضطروه الى سمرة
فخطفت السمرة رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال
اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا
تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا وقال عمر قسم رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قسما فقلت غير هؤلاء كانوا احق منهم فقال انهم خيروني
ما بين ان يسالوني الفحش او يبخلوني ولست بباخل فقال ابو سعيد
الخدري دخل رجلان على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فسالوه ثمن
بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب فاثنيا
فقالا لا معروفا وشكرا اما صنع بهما فدخل عمر الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فاخبره بما قالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكن فلانا اعطيته
ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان احدكم ليسالني فينطلق في مسالته
ومتابطها وهي نار فقال عمر لم تعطيهم ما هو نار فقال يابون ان لا
يسالوني ويابى الله لي البخل وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله
بكم الا ان الله تعالى خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل راسه راسخا
في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلا
بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن من اغصانها ادخله الجنة الا ان
السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل
راسه راسخا في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا

ثم تحلق بغصن منها ادخله النار لان البخل من الكفر والكفر
في النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم السخا شجرة في الجنة فلا
يلج الجنة الا السخي والبخل شجرة في النار فلا يلج النار الا البخيل
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سيدكم يا بني
لحيان قالوا سيدنا الجد ابن قيس الا ان فيه فقال صلى الله عليه
وآله وسلم واي داء ادوا من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وقال
امير المومنين كرم الله وجهه في الجنة ان الله ليبغض البخيل في
حياته السخي عند موته وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السخي الجهول
احب الى الله من العابد البخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم لا يجتمع الايمان والشح في قلب عبد وقال الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم لا ينبغي للمومن ان يكون بخيلا ولا جبانا وروي ان الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم كان يطوف بالبيت واذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول
بحرمة هذا البيت الا غفرت لي فقال صلى الله عليه وآله وسلم وما ذنبك
صفه لي قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام الا
رضين قال ذنبي يا رسول الله قال له ويحك ذنبك اعظم ام الجبال
قال بل ذنبي قال ذنبك اعظم ام البحار فقال بل ذنبي قال ذنبك
اعظم ام السموات قال بل ذنبي قال ذنبك اعظم ام العرش فقال ذنبك
اعظم ام الله فقال بل الله تعالى اعظم واعلا فقال ويحك فصف لي ذنبك
فقال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني
فيسالني فكانما يستقبلني بشعلة من نار فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اليك عني لا تحرقني فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن
والمقام ثم صليت الف الف عام حتى تجري من دموعك الانهار وتسقي بها الاشجار

تمت



ثم مت لاكبك الله في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر والكفر في النار
ويحك اما علمت ان الله تعالى يتعاهد من يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون وهذه من طريق الاخبار النبوية
واما من جهة الآثار فقد قال ابن عباس لما خلق الله جنة عدن
قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل
وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان واظهرت انهار الخمر والعسل
واللبن ثم قال اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحلتك وحور عينك
فاظهرت فنظر اليها فقال لها تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله سبحانه
وتعالى وعزتي وجلالي لا اسكنك بخيلا وقالت اخت عمر بن عبد العزيز اف
للبخيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال محمد بن
المنكدر يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي
بخلائهم وقال امير المؤمنين كرم الله وجهه في الجنة سيأتي على الناس
زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى
ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمر الشح اشد من البخل لان الشحيح
هو الذي يشح بما في يد غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيحبسه والبخيل الذي
يبخل بما في يده وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في النار البخل او
الكذب • وقيل ورد على كسرى انوشروان حكيم الهند وحكيم الروم فقال
للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول
متانيا وفي علو الكبر متحسنا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا
وقال للرومي تكلم فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره
لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ومن لا يرحم

سلط الله عليه من لا يرحمه وقال ابو حنيفة لا ارى ان اعدل
بخيلا لانه يحمله البخل على الاستقصا فياخذ فوق حقه خيفة من ان
يغبن ومن كان هكذا لا يكون مامون العدالة وقال
امير المومنين كرم الله وجهه والله ما استقصى كريم قط قال الله تعالى
عرف بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي من
اللذات الا ثلاث ذم البخلا واكل القديد وحك الجرب
وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له وقال النظر الى البخيل
يقسي القلب ولقا البخلا كرب على المومنين في قلوبهم وقال
يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخيا الا حب ولو كانوا فجارا و
بغض للبخلا ولو كانوا ابرارا وقال المعتز بخل الناس بالله
احوجهم بعضهم الى بعض هذه مقالة اهل الصلاح في ذم البخل والله اعلم

التنبيه الثاني في علاج البخل والشح واعلم

ان علاجه يكون بامرين الامر الاول
منهما علمي والعلمي راجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود ويحصل من
جهات ثلاث الجهة الاولى ان يكثر النظر في احوال البخلا
والتعرف لطرايقهم وما يحصل من نفار الطبع عنهم واستقباحه لهم فانه
ما من بخيل الا وهو يستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم
بذلك انه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلا
في قلبه الجهة الثانية ان يجاهد نفسه بالبذل

ويحسن

يحسن الاشتهار وراطلاق الاسم بالشيئا فيبذل على قصد
الريا حتا تسمح نفسه بالبذل طمعًا في اظهار خصلة الجود فيكون
قد زال عنه خبث البخل ولومه واكتسب خبث الريا ولكنه ينعطف بعد
ذلك في ازالة هذه الخصلة عن الريا ويزيله بعلاجه ويستعين بالله
تعالى **الجهة الثالثة** ان يعلم مقاصد المال لاي شي هي ولماذا
خلقت وما هو المقصود بها فلا يحفظ من المال الا قدر حاجته والباقي
يبذله ليحصل ثوابا من الله تعالى فهذه علاجات من جهة العلم والمعرفة
فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والاخرة
هاجت نفسه ورغبته في البذل اذا كان عاقلاً فاذا تحركه الداعية
فينبغي ان يجب الخاطر الاول ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر
ويخوفه ويصده عنه وحكى عن الزهاد انه اذا كان في البرية فزعا تلميذا
له فقال له انزع عني القميص فادفعه الى فلان فقال له هلا صبرت
حتا ترجع قال اني لا امن على نفسي ان تتغير **العلاج الثاني**
من جهة العلم اعلم ان البخل سببه الاقوى هو حب المال وحب المال
له سببان **الاول** حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال
مع طول الامل فان الانسان لو يعلم انه يموت بعد يوم ربما كان
لا يبخل بماله ولهذا فانه يجود البخيل عند الموت لا محالة وربما يقوم
الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاه كبقا نفسه فلاجل ذلك
لاجلهم ولهذا قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم الولد مبخلة مجبنة
يشير الى ما ذكرناه **الثاني** ان يحب عين المال فمن الناس من

معه ما يكفيه لبقية عمره اذا كان مقتصرًا على ما جرت به عادته و
في الانفاق ويفضل على ذلك آلاف وهو يشح بانفاقها ولا ولد له
ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواة
نفسه عند المرض وما ذاك الا حبه الدنانير والدراهم وحصول
لذة بوجودها وبقدرته عليها وبكونها وراء ظهره وربما كنزها
وخباها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع او ياخذها
اعداؤه ومع ذلك ان نفسه لا تسمح بان يوكل ويتصدق وهذا
مرض عظيم للقلب عسر العلاج لا سيما مع كبر السن فلا بد من علاج
فهذه اسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب
الشهوات بالقناعة بالقليل وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر
الموت والنظر في موت الاقران والامثال وطول تعبهم في جمع
المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي
خلقه خلق معه رزقه فكم من ولد لم يرث من ابيه مالاً وحاله احسن
ممن ورث وينظر ايضًا في ان جمعه لولده يريد ان يترك ولده بخير
وينقلب الى شر وان ولده ان كان تقيًا كفاه الله تعالى امره
وان كان فاسقا فيستعين بما خلف له على المعصية وترجع مظلمته
عليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التامل في كثرة الاخبار الواردة
في ذم البخل ومدح السخي وما توعد الله على الشح من العقاب
العظيم وحكي انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع
بالجواهر النفيسة لم ير له نظير ففرح الملك به فرحًا شديدًا فقال

بعض

لبعض الحكما عنده كيف ترا هذا قال اراه مصيبة او فقرا
قال كيف قال ان انكسر كان مصيبه لا جبر لها وان سرق صرت
فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من
المصيبه والفقر ثم اتفق يوما ان القدح انكسر فعظمت به مصيبة الملك
وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وقد تجز عرضنا من ذم البخل
وبغضه **ومن اعجب ما قيل من حكايات البخل**
حكي ان رجلا بالبصرة غنيا موسرا فدعاه يوما بعض جيرانه وقدم
اليه طباهجة ببيض والطباهجة نوع من انواع الطبايخ فاكل منها
واكثر وجعل يشرب الما فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل
يتلوا فلما اجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا باس عليك
تقيا ما اكلت فقال هاه اتقيا طباهجة ببيض اموت ولا اتقيا
طباهجة ببيض وحكي ان اعرابيا اقبل يطلب رجلا وبين يديه تين
فغطا التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن
تقرا شيا من القران قال نعم وقرا والتين والزيتون فقال واين التين
فقال تحت كسائك وحكي ان مروان ابن ابي حفصه كان لا ياكل اللحم
بخلا حتى يقرم فاذا قرم امر غلامه ان يشتري له راسا فاكله فقيل
ما تزال تاكل الروس في الصيف والشتا فلم تختار ذلك فقال نعم اكل
الراس اكل شعره واكل جلدته وامن خيانة الغلام فيه ولا يستطيع
ان يغبني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه ان مس اذنا
او عينا او خدا وقفت على ذلك واكل منه الوانا اكل عينه لونا واكل
اذنه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت
لي فيه مرافق وخرج بن مروان يريد الخليفة المهدي فقالت له امراة

من اهله مالي عليك ان رجعت بالجائزة قالت ان اعطيته
مائة الف درهم اعطيك درهما فاعطي ستين درهما فاعطاها اربعة
دوانيق واشترا لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب
بنقص دانق فقال الكثرة الاسراف ويحكى ان محمد بن يحيى بن خالد البرمكي
كان بخيلا قبيح البخل فسئل قريب له كان يالفه فقيل له صف لنا مائدته
فقال فتر في فتر وصحافه منقوبة من حب الخشخاش وكان من يحضرها من
الكرام الكتبة قال فما ياكل معه احد قال بلى الذباب فقيل له انت
خاص به وثوبك مخرق فقال اي والله ما اقدر على ابرة اخيطه بها ولو ملك
من بغداد الى النوبة مملوة ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما
يعقوب يضمنون له ابرة وسالوه ان يعيرهم اياها يخيطون قميص
يوسف الذي قد من دبر ما فعل وهذا هو نهاية اللؤم ونقتصر على
على هذا القدر فلا حاجة الى الاكثار منه والله اعلم التنبيه الثالث

في بيان ذم المال وكراهة حبه قال الله تعالى

يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال
تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى من كان يريد الحياة الدنيا
وزينتها وقال تعالى الهاكم التكاثر واما الآثار فقد قال الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم حب الشرف والمال ينبتان النفاق في القلب كما
ينبت الماء البقل وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما ذئبان ضاريان
في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب الجاه والمال في دين الرجل
المسلم وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هلك الاكثرون اموالا الا من
قال به هكذا في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي
امتك افضل قال الاغنيا الذين ينفقون اموالهم ابتغاء وجه الله تعالى

وقال

وقال صلى الله عليه وآله وسلم سيأتي على الناس زمان يأكلون أطايب
الدنيا وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون ألين الثياب
وألوانها ويركبون الخيل وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس
بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون إليها اتخذوها
آلهة دون إلههم وربا دون ربهم إلى أمرهم ينتهون وهواهم يتبعون
فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم
أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن
فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام وقال صلى الله عليه وآله وسلم
دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا
يشعر وقال صلى الله عليه وآله وسلم ابن آدم يقول مالي مالي وهل لك من مالك
إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت وتصدقت فأبقيت (أمضيت) وقال رجل
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لي لا أحب الموت قال ألك مال قال نعم
يا رسول الله قال قدم مالك فإن قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلحقه
وإن خلفه أحب أن يتخلف معه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره
والثالث إلى المحشر فالذي يتبعه إلى قبض روحه فماله والذي يتبعه إلى قبره
فأهله والذي يتبعه إلى المحشر فعمله وقال الحواريون لعيسى
عليه السلام ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال ما منزلة الدرهم
والدينار عندكم قالوا حسنة قال لكنها عندي والمدر سواء وكتب سلمان
إلى أبي الدرداء يا أخي إياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فإني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله
فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أديت

حق الله فيه ثم جاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين
كتفيه كلما انه الصراط قال له ماله الا اديت حق الله فيّ فلا يزال
كذلك حتى يدعوا بالويل والثبور وقال صلى الله عليه وآله وسلم
لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا فهذه هي الاخبار الدالة على ذم المال
واما الآثار فقد روي ان رجلاً نال من ابي الدرداء سوءاً فقال اللهم
من فعل بي سوءاً فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة
المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لابد ذلك ان يفضي الى الطغيان
ووضع امير المؤمنين كرم الله وجهه درهماً على كفه فقال اما انك ما لم
تخرج لم تنفعني وروي عن عمر انه ارسل الى زينب بنت جحش بعطائها
فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر بن الخطاب فقالت غفر الله له
ثم اجلت ستراً كان لها فقطعته صرراً وقسمتها في اهل رحمها وايتامها
ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت
اول نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحوقاً به وقال الحسن ما اعز الدرهم
احد الا اذله الله وقيل ما ضرب من الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما
على جبهته ثم قبلهما وقال من احبهما فهو عبدي حقاً وحكي عن بعض الزهاد
انه قال الدنانير والدراهم ازمة المنافقين يقادون بها الى النار
وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فتلك قيل وما رقيته
قال اخذه من حله ووضعه في حقه **التنبيه الرابع في ذم الطمع**
والحرص ومدح القناعة واليأس عما في ايدي الناس اعلم ان الفقر
محمود كما ستوضحه من بعد هذا في رسالة المنجيات ولكن ينبغي للفقير

ان يكون قانعًا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم و
ولا حريصًا على اكتساب المال كيف كان ولا يكن ذلك الا بان يقنع
بقدر الضرورة في المطعم والملبس والمشرب والمسكن ويقتصر على اقله قدرا
واخسه نوعًا ويرد امله الى يومه او الى شهره او الى اسبوعه ولا يشغل قلبه
بما وراء الشهر فان تشوقت نفسه الى الشهوة الكثيرة والحرص وطول الامل
فانها تجر الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل
ابن آدم على الحرص والطمع وقلة القناعة وقال صلى الله عليه وآله وسلم يكبر ابن ادم
وتشيب معه خصلتان الحرص وطول الامل وقال صلى الله عليه وآله وسلم
طوبا لمن عيشه كفافًا وهدي الى الاسلام وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس وقد نهى الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال ايها الناس اجملوا في الطلب
فانه لن يعد والمرء ما كتب له وقد روي لن يذهب احدكم من الدنيا حتى يأتيه
ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وروي ان موسى عليه الصلوة والسلام سال الله تعالى
قال اي عبادك اغنى قال اقنعهم بما اعطي فقال فايهم اعدل قال من انصف من
نفسه وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كن ورعًا تكن اعبد الناس
وكن قنعًا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا وروا
ابو ايوب الانصاري ان اعرابيًا اتا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول
الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلوة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر
منه غدًا واجمع الياس عما في ايدي الناس وروي عن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم انه قال لا تسألوا الناس شيئًا فهذه هي الاخبار الدالة على ذم الطمع والحرص
والله اعلم

وأما الآثار فقد قال عمر الطمع فقر واليأس غنى وانه من يئس عما في
ايدي الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكما ما الغنى قال يأسك ورضاك
بما يكفيك وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالما ويأكله ويقول من قنع بهذا
لم يحتج الى احد وقال سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا وخير ما ابتليتم به ما خرج عن
ايديكم منها وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن ادم قليل
يكفيك خير من كثير يطغيك وعن بعض الزهاد انا اطلب ما ابن ادم سر في شي قد
ملكك الناس وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن
واليأس عما في ايدي الناس ويروى ان الله تعالى قال يا ابن ادم لو كانت الدنيا
كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فانا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها
على غيرك فانا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها
يسيرا ولا ياتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما ياتيه ما قسم له وما
يدرون ما رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم يعزم اليه الا رفع حوائجه
اليه فكتب اليه قد رفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك
عني قنعت وقيل لبعض الحكما اي شي اسر الى العاقل وايها اعون الى دفع
الحزن فقال اسرها ما قدم من صالح العمل واعونها الى دفع الحزن الرضا بمحتوم القدر
وقال بعض الحكما وجدت اطول الناس غما الحسود واهناهم عيشا القنوع و
اصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة
العالم المفرط وقال عمر لا اجد ما يستحل من مال الله الا حلتان لشتاي وصيفي وما احج
به من الظهر ثم قوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش ليس بارفعهم ولا
باخفضهم والله ما ادري ايحل لي ذلك ام لا كانه شك في هذا القدر هل
هو زياده على الكفايه التي تجب القناعة بها وعاتب اعرابي اخاه على الحرص
فقال يا اخي انت طالب ومطلوب يطلبك ما لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته

وكأن

وكلما غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه
كانك لم تر حريصًا محرومًا وزاهدًا مرزوقًا وقال ابن السماك الرجا
حبل في قلبك قيد في رجلك فاخرج الرجا من قلبك يخرج القيد من
رجلك وقيل لعبد الله بن سلام ما يذهب العلوم من قلوب العلما بعد ان
عرفوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوايج وقال بعض
الحكما عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقا في الدنيا لم تكن في قوى
خلقته اكثر مما قد استعمله في طلب الحرص على الطمع مع قصر من التمتع وتواضع
الزوال وقال عبد الواحد مررت براهب فقلت له من اين تاكل فقال من
مدد اللطيف الخبير الذي خلق الارحى يعلو الطحن واشار الى اضراسه

الشعبة الخامس في بيان العلاج في ازالة الحرص والطمع

وبيان الدوا الذي يحصل به الشفا وبيان مجموع ذلك راجع الى علاجات
خمسه **العلاج الاول** الاقتصاد في المعيشه والرفق في الانفاق
من اراد عز القناعه ينبغي ان يسد على نفسه ابواب التوسع وقد
قال صلى الله عليه واله وسلم ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال صلى الله عليه
واله وسلم ما عال من اقتصد اي ما افتقر وقال صلى الله عليه واله وسلم ثلاث منجيات
خشية الله في السر والعلانيه والقصد في الغنا والفقر والعدل في الرضا و
الغضب وروي ان ابا الدردا راى رجلا يلتقط حبًا من الارض فقال ان من فقهك
رفقك في المعيشه وقال ابن عباس قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم الاقتصاد
وحسن السمت والهدي الصالح بضع وعشرين جزءًا من النبوة وفي الخبر التدبير
نصف العيش وقال صلى الله عليه واله وسلم من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره
الله ومن ذكر الله احبه الله وقال صلى الله عليه واله وسلم اذا اردت امرًا فعليك
بالتوده حتى يجعل الله لك فيه فرجًا ومخرجًا **العلاج الثاني** انه اذا تيسر له



له من الحال مايكفيه ولا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل
الاستقبال ويعينه على ذلك قصر الامل وتوطين النفس بأن الرزق
الذي قدر له لابد ان ياتيه وان لم يشتد حرصه عليه وان شدة
الحرص ليست سببا لحصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد
الله لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها العلاج الثالث
ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع والحرص من الذل
فاذا تحقق ذلك عنده انبعثت رغبته الى القناعة لانه في الحرص
لا يخلو عن تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا الم
الصبر عن الشهوات والفضول ومن لا يوثر عز النفس على شهوة البطن
فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عز
المومن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك
قيل استغن عمن شئت فانت نظيره واحتج الى من شئت تكن اسيره
واحسن الى من شئت تكن اميره العلاج الرابع ان يكثر تامله في تنعم
اليهود والنصارى واراذل الناس والحمقى من الاكراد والاجلاف من العرب
ومن لا دين له ولا عقل ثم ينظر الى حال الانبياء والاولياء والى سير الخلفاء
الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويسمع احاديثهم ويطالع اخبارهم
واحوالهم وتخير عقله بين ان يكون على مشابهة اراذل الخلق وعلى الاقتداء
بمن هم اعز اصناف الخلق عند الله تعالى حتى يهون عليك بذلك الصبر على القليل
والقناعة باليسير وانه ان تنعم بكثرة الاكل فالثور والحمار يا كلان وان تنعم
بالوقاع فالخنزير على مرتبته فيه وان تزين باللبس والخيل ففي اليهود
والنصارى من هو اكثر منه واعظم حالا في ذلك وان قنع بالقليل ورضي به

لم يساهمه في رتبته الا الانبيا **العلاج الخامس** ان يكون فاهما
في جمع المال من الخطر كما ذكرناه في ذمه وما يحصل له فيه من هم السرقة والنهب
والضياع مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فاذا لم
يقنع بما يكفيه الحق بزمرة الاغنيا وخرج عن دائرة الفقرا وقال ابو ذر
اوصاني خليلي ان انظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي في الدنيا وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا نظر احدكم الى من فضله الله
عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه
الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر في ذلك الصبر وقصر
الامل وان يعلم ان غاية صبره في الدنيا ايام قلائل ليتمتع دهورا طويلة
فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدوا الشديد طمعا في انتظار
الشفا والله اعلم بالصواب **التنبيه السادس في بيان فضيلة السخا**
ان المال ان كان مفقودا فينبغي ان يكون حاله القناعة وقلة الحرص
وان كان موجودا فينبغي ان يكون حاله الايثار والسخا واصطناع
المعروف والتباعد من الشح والبخل فان السخا من اخلاق الانبيا وهو
اصل من اصول النجاة وعنه عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
قال السخا شجرة في الجنة اغصانها في الدنيا فمن اخذ من اغصانها غصنا
قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
قال جبريل قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخا وحسن
الخلق فاصلحوه بهما ما استطعتم وفي رواية اخرى فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن
عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما جبل الله وليا
له الا على السخا وحسن الخلق وعن جابر قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل

قال الصبر والسماحة وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم خلقان يحبهما الله تعالى وخلقان يبغضهما الله تعالى
فاما اللذين يحبهما الله تعالى فالسخا وحسن الخلق واما اللذان يبغضهما الله
فسوء الخلق والشح واذا اراد الله بعبد خيرا استعمله في قضاء حوائج الناس
وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال له رجل دلني على عمل يدخلني
الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشا السلام وحسن
الكلام وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اطلبوا الفضل من الرحماء من
عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية
قلوبهم فاني جعلت فيهم غضبي وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ
بيده كلما عثر وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير
وان الله ليباهي بمطعم الطعام الملائكة وقال الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم ان الله جواد يحب الجود ويحب معالي الاخلاق ويبغض سفسافها
وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم اعلا الاسلام شيئا الا اعطاه
الله فاتاه رجل فساله فامر له بشياه كثيرة بين جبلين من شياه الصدقة
ورجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة
وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع
خلقه فمن يبخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله عنه وحولها الى
غيره وروي ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اتى باسارى من بني العنبر
فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال علي كرم الله وجهه في الجنة الرب
واحد والدين واحد فما باله هذا من بينهم فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

نزل علي جبرئيل



نزل على جبريل عليه السلام فقال اقتل هؤلاء واترك هذا
فان الله تعالى شكر له سخاءه فيه وقال الرسول صلى الله عليه واله
وسلم ان لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح بالعطا وعن نافع
بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم طعام الجواد وطعام
البخيل داء وقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم من عظمت نعمة الله
عليه عظمت مونة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك النعمة عرض تلك
النعمة للزوال وقال عيسى صلوات الله عليه استكثروا من شيء
لا تاكله النار قالوا وما هو قال المعروف وقالت عائشة قال
الرسول صلى الله عليه واله وسلم الجنة دار الاسخيا وقال ابو هريرة
قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم ان السخي قريب من الله قريب
من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وجاهل سخي احب الى الله
من عالم بخيل وادوا الدا البخل وقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم
اصنع المعروف الى من هو اهل له والى من ليس من اهله فان
اصبت اهله فهو اهله وان لم تصب اهله فانت اهله وقال
الرسول صلى الله عليه واله وسلم ان امتي لم يدخلوا الجنة بصلوة ولا
صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح
للمسلمين وقال ابو سعيد الخدري قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم
ان الله تعالى جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف
وحبب اليهم فعله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه
كما يسر الغيث الى البلدة الجديبة فيحييها ويحيي اهلها وقال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل معروف صدقة وكلما انفق الرجل على
نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى به المرء عرضه فهو صدقة وما انفق
نفقة الا على الله خلفها وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل معروف صدقة
والدال على الخير كفاعله والله تعالى يحب اغاثة اللهفان وقال صلى الله عليه وآله
وسلم كل معروف جعلته الى غني او فقير فهو صدقة وروي ان الله تعالى اوحى
الى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فانه سخي وقال جابر بعث رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثا امر عليهم قيس بن سعد بن عبادة فنحر لهم تسع ركايب
فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت
فهذه الاخبار في السخا **واما الآثار فقال امير المؤمنين كرم الله وجهه**
اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى
وان ادبرت فانفق منها فانها لا تبقى وسأل معوية الحسن عليه السلام
عنه من المروة والنجدة والكرم فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه وحذره
نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام على الكراهية
واما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع
بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرافة بالسائل مع بذل
النائل ودفع رجل الى الحسين بن علي عليهما السلام رقعة فقال حاجتك مقضية
فقيل له يا ابن بنت رسول الله لو نظرت الى الرقعة ثم رددت الجواب على قدر ذلك
فقال يسألني الله عز وجل عن مقامه بين يدي حتى اقرا رقعته وقال ابن السماك
عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه وقيل مقاله وسئل
بعض الاعراب فقيل له من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى
عن جاهلنا وقال علي بن الحسين عليهما السلام من وصف ببذل ماله لطلابه فليس بسخي وانما السخي

من تبذل

من يبتدي بحقوق الله تعالى في طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر لنفسه
اذا كان بثواب الله تعالى تاما وقيل للحسن البصري ما السخا قال ان تجود بما لك في الله
قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك قيل له فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة
وقال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من
الجهل ولا مظاهرة كالمشورة الا وان الله تعالى يقول اني جواد كريم لا يجاورني
لئيم واللوم من الكفر والكفر في النار والجود والكرم من الايمان والايمان في
الجنة وقال حذيفة رب فاجر في دينه اخرق في معيشته دخل الجنة بسماحته ورأى
الاحنف بن قيس رجلا وفي يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال اما
انه ليس لك حتى تخرجه من يدك ولقد صدق من قال في هذا المعنى

انت للمال الذي امسكته ۞ فاذا انفقته فالمال لك

وسمي واصل بن عطا بالغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا رأى امرأة
ضعيفة اعطاها شيئا وقال الاصمعي كتب الحسن الى اخيه الحسين عليهما
السلام يعتب عليه اعطاء الشعرا فكتب اليه خير المال ما وقى
به العرض وقيل لسفيان بن عيينة ما السخا قال البر بالاخوان والجود بالمال
وورث عبد الرحمن بن الحرث خمسين الفا من الفضة فبعث بها الى اخوانه وقال
وقال انا اسال الله لاخواني الجنة في صلاتي فكيف ابخل عليهم بالدنيا

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ۞ فليس ينقصها التبذير والسرف
وان تولت فاحرى ان تجود بها ۞ فالحمد منها على ما ادبرت خلف

وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى غاية الجود وقال المهدي لشبيب بن شيبة
كيف رايت الناس في داري قال رايت الداخل راجيا والخارج راضيا

قال مولانا امير المؤمنين الامام المويد بالله عليه السلام

ولنختم هذا الباب في حكايات الاسخيا وروا محمد بن المكندر عن
ام درة وكانت تخدم عائشة انها قالت ان ابن الزبير بعث اليها بمال
في غرارتين مائه وثمانين الفا فدعت بطبق وجعلت تقسمه بين الناس
فلما امست قالت يا جاريه هلم فطري فجآتها بخبز وزيت فقالت
لها ام درة ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا لحما بدرهم
فنفطر عليه فقالت لها لو كنت ذكرتيني لفعلت وقال مصعب ابن
الزبير حج معوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين لاخيه الحسن
لا تلقاه ولا تسلم عليه فلما خرج معوية قال الحسن ان علينا دينا
ولا بد من اتيانه فركب في اثره ولقيه فسلم عليه واخبره بدينه فمروا
عليه بحتي عليه ثمانون الفا قد اعيى وعلق عليه من الابل وقوم
يسوقونه فقال معاويه ما هذا فذكروا انه مال امر فوه باعلية
الى محمد وحكى الواقدي ان المامون رفعت اليه رقعه من بعض
الناس يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع على ظهر رقعته
انك رجل اجتمعت فيك خصلتان سخا وحيا اما السخا فهو الذي
اطلق ما في يدك واما الحيا فهو الذي منعك ان تبلغنا ما انت عليه
وقد امرت بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت فازدد في بسط يدك
وان لم تكن قد اصبت فجنايتك على نفسك وانت حدثتني وكنت على قضا
حوايج الرشيد وسال رجل الكرم على حاجة فقال ما هذا احق سوالك الى
لعظمك لدي ومعرفتي بما يحبك يكبر علي وبدي تقصر عن نيلك بما انت اهله

وانت

والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفا بشكرك فان قبلت عني
الميسور ورفعت عني مونة الاحتيال والاهتمام لما اتكلفه من واجب حقك
فعلت فقال يا ابن بنت رسول الله اقبل واشكر على العطية واعذر على المنع
فدعا الحسن علي وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال
هات الفاضل من ثلثمائة الف درهم فاحضر خمسين الفا قال فما فعلت
بالخمسمائة دينار قال هي عندي قال احضرها فاحضرها فدفع
الدراهم والدنانير الى الرجل فقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين
فدفع اليهم الحسن رداءه لكرى الحمالين فقال له غلمانه والله ما عندنا درهم
فقال ولكني ارجو ان يكون لي عند الله اجر عظيم. تمه. واجتمع قراء البصرة
الى ابن عباس رضي الله عنهما وهو عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام
يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد زوج بنته من ابن اخيه وليس
عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم وادخلهم داره
وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوها فحملوها فقال ابن عباس
ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه ارجعوا بنا نكون
عونا له على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه
وليس بنا من التكبر ما لا نخدم اولياء الله ففعل وفعلوا. وحكى ابو الحسن
المدايني ان الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر عليهم السلام خرجوا حجاجا ففاتتهم اثقالهم
فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء فقالوا هل من شراب فقالت نعم
فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها
وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام فقالت لا الا



هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تأكلون فقام اليها
احدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا واقاموا
حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا
الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون لك خيرا [ان شاء الله]
ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال
ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد مدة
الجأتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر [اليها]
ويبيعانه ويتعيشا بثمنه فمرت العجوز في بعض سكك المدينة فاذا
الحسن علي عليهما السلام جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث
غلامه ودعا بالعجوز فقال لها يا امة الله اتعرفينني فقالت لا فقال انا
ضيفك الذي يوم كذا وكذا فقالت العجوز بابي وامي لست هو فقال نعم
ثم امر الحسن علي عليهما افضل الصلوة والسلام فاشتروا لها من شاء الصدقة الف
شاة وامر معها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين علي عليهما الصلوة
والسلام فقال لها الحسين عليه السلام بكم وصلك اخي فقالت بالف شاة والف
دينار فامر لها الحسين بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن
جعفر عليه السلام بالفي شاة والفي دينار فقال لها لو بدأت بي لاتعبتهما
فرجعت العجوز الى زوجها باربعة الاف شاة واربعة الاف دينار
ولنقتصر على هذا القدر في الحكاية في فعلات الاجواد
واهل الهمم العالية الذين كانت الدنيا في اعينهم احقر من قلامة الظفر

وليس

وليس لها في انفسهم وقع ولا اثر فمن اراد الاطلاع على هذى
الكلام فعليه بمطالعة كتاب المستجاد فانه يجد فيه ما يكفي ويشفي
وقد نجز غرضنا من باب البخل والله اعلم ‌

الباب الخامس عشر من المهلكات في الرياء

الجاه والشهوة اعلم ان هذه الآفة اعظم الاخطار على الدين
وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوة
الخفية ولا شك ان الرياء من الشهوة الخفية والشهوات الباطنة التي هي اخفى
من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولهذا عجز عن
الوقوف على غوائله حذاق العلماء وسماسرة الفضلاء فضلاً عن عامة العباد والا
تقياء وهو من اعظم غوائل النفوس وبواطن مكايد الشيطان وهذى
اعظم ما يبتلى به العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة
فانهم لما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن
الشبهات وحملوها بالقهر على انواع الطاعات وتحمل اثقال العبادات عجزت
انفسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فنجحوا الى الاستراحة
الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم ليعرفوا باطلاع الخالق وفرحوا بحمد الناس
ولم يفرحوا بحمد الله تعالى فهم ظانون بانهم حقيقون بما نالهم من عبادته المرضية
وانما استهوتهم هذه الشهوة الخفية التي يعمى عن دركها كل الخلق الا
اهل العقول النافذة القوية فهم يرون انهم مخلصون في طاعة الله تعالى
وعبادته المرضية والنفس قد ابطنت هذه الآفة الردية توسلا للعبادة
وتصنعا الى الخلق وفرحا بما نالته من المنزلة والوقار واحبطت به لذة
ثواب الطاعات واجور الاعمال الصالحات وهذه مكيدة لا يسلم منها

الا الصديقون ومهواه لا يرقا منها الا المقربون ولهذا قيل
اخر ما يخرج من روس الصديقين حب الرياسه واذا كان الريا
هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة الشياطين وجبت
العنايه في شرح غايته واسراره ولننبه فيه على بيانات هي
الجامعه لاطرافه والمحيطة بمقاصده بمعونة الله تعالى البيان الاول
في حقيقة الريا والجاه واعلم ان الريا مشتق من الروية والسمعة
من السماع والريا اصله وحقيقته طلب المنزلة في قلوب الناس بارايه
من خصال الخير وهو مختص بحكم العباده لطلب المنزلة في القلوب
بالعبادات واظهارها فحد الريا هو ارادة العباده بطاعة الله تعالى والمرائي
هو العابد والمراون هم الناس المطلوب رويتهم لطلب المنزلة في قلوبهم
والمرايا هي الخصال التي قصد المرائي اظهارها والريا هو قصد اظهارها
واما الجاه فمعناه ملك المطلوب بعضها وطاعتها فكما ان الغني هو
الذي يملك الدنانير والدراهم التي يقدر عليها ليتوصل بها الى الاغراض والمقاصد
وقضا الشهوات وسائر الحظوظ النفسيه فهكذا حال صاحب الجاه
فانه الذي يملك قلوب الناس اي يقدر ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها
اربابها في اغراضه ومآربه وكما انه يكتسب المال بانواع من الحرف والصناعات
فهكذا يكتسب قلوب الناس بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف
والاعتقادات وكل من اعتقد فيه القلب وصفا من اوصاف الكمال انقاد له
وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة الكمال عنده وليس يشترط ذلك
الوصف كاملا في نفسه بل يكفي ان يكون كاملا عنده وفي اعتقاده وقد

يعتقد

يعتقد الكمال فيما ليس كمالاً ولذعن قلبه الموصوف به انقياداً ضروريا بحسب اعتقاده وبحسب اعتياده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها فكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد وطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بل الملك الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهراً والعبد في طبعه لو خلي ورايه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعاً ويبتغي ان يكون له الاحرار عبيداً بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فيما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذاً معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الرجال اي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه الجاه فهذا معنا الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء المعتقد للكمال يحصل في نفسه تعظيم من اختص بصفات الكمال من علم او عبادة او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال في صورة او قوة في بدن او شيء مما يعتقد الناس كمالاً فان هذه الاوصاف كلها يعظم محلها في القلوب فتكون سبباً لقيام الجاه وقد فرغنا من بيان معنى الريا والجاه ولكل واحد مختص بكلام يخصه فلنعود لكل واحد ما يليق به من الكلام ونجعله قسمين والله الموفق للصواب القسم الاول في ذكر الريا وما بدا بنا بما يتعلق به من الخطر في احباط الاعمال

وفيه تنبيهات

التنبيه الاول في ذم الريا ويحصل ذلك من جهات

الجهة الاولى الايات وهذا كقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون وقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة

ربه احداً قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم
جزاءً ولا شكوراً فاضمر ان العوض انما هو لوجه الله لا غير وهذى
هو المراد بالاخلاص وفى قوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم
عذاب شديد قال بعض المفسرين هو الرياء وقوله تعالى فى معرض
الذم يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقوله تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين يعنى بالاخلاص بطلان الرياء
المذموم وقال تعالى الا لله الدين الخالص الجهة الثانية الاخبار
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين ساله رجل فيما
النجاه فقال لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وروا ابو هريرة
فى خبر المقتول فى سبيل الله والقارى لكتابه والمتصدق بماله وان الله تعالى
يقول لكل واحد منهم ما اردت وجهى بل كذبت وانما اردت ان يقال فلان
كذا وكذا فانا لا اقبل شيئا من اعمالكم وروا ابن عمر من راءا راءا الله به
ومن سمع سمع الله به وفى حديث آخر ان هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه فى سجين
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا
وما الشرك الاصغر قال الرياء وقال صلى الله عليه وآله وسلم استعيذوا
بالله من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد فى جهنم اعد للقراء
المرائين وقال صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى من عمل عملا اشرك فيه غيرى
فهو له كله وانا منه برىء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال صلى الله عليه
وآله وسلم لا يقبل الله عملا فيه مثقال ذرة من كبر ورياء وقال صلى الله عليه
وآله وسلم ان ادنى الرياء شرك وقال صلى الله عليه وآله وسلم اخوف
ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهى ايضا من خفايا الشرك ودقائقه

وقال

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله
رجل تصدق بيمينه فكاد ان يخفيها من شماله وكذلك ورد ان فضل عمل السر
على عمل الجهر سبعين ضعفا وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان المرائي
ينادى يوم القيمة يا فاجر يا غادر قد ضل عملك وحبط اجرك اذهب
فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رايت رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يبكي فقلت يا رسول الله ما يبكيك فقال اني تخوفت على امتي الشرك
اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكن يراؤن باعمالهم وقال
صلى الله عليه وآله وسلم لما خلق الله تعالى الارض مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها
اوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا اشد من الجبال فخلق الله تعالى
الحديد فقطع الجبل ثم خلق النار فاذابت الحديد فقالت الملائكة ما خلق الله
ربنا اشد من النار ثم امر الله تعالى الماء فاطفا النار ثم امر الريح فنشفت الماء
فاختلفت الملائكة فقالوا نسال الله ربنا فقالت يا رب ما اشد ما خلقت
من خلقك فقال الله تعالى لم اخلق خلقا اشد من ابن آدم حين يتصدق
بيمينه بصدقة فيخفيها عن شماله وروى عبد الله بن المبارك عن رجل قال لمعاذ
حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكى معاذ
حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال لي يا معاذ قلت لبيك بابي وامي انت فقال اني محدثك حديثا ان انت
حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله
يوم القيمة يا معاذ ان الله خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات
والارض ثم خلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا
عليها قد جللها عظما فتصعد الملائكة بعمل العبد من حين يصبح الى حين يمسي له نور كنور الشمس
فتقول الملائكة للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب
الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني

الى غيري قال ثم تاتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتزكيه وتكثره
حتى تبلغ به السماء الثانية فيقول الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا
فاضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني
ربي ان لا ادعه يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال
وتصعد الملائكة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصلاة وصيام قد
اعجبت الحفظة به فيجاوزون به السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها
قفوا فاضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا
ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال
وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب له دوي من تسبيح
وصلاة وصوم وحج وعمرة حتى يجاوزون الى السماء الرابعة الى الملك الموكل
بالعجب وهكذا الحال في السماء الخامسة الموكل بالحسد والملك الذي
في السماء السادسة الملك الموكل بالرحمة وفي السماء السابعة الذي لم
يرد به وجه الله ولا اخلصه لوجهه ثم تصعد الحفظة بعمل العبد فيقفوا
بين يدي الله تعالى فيقول الله عز وجل انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب
على قلبه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فيقول الملائكة كلها
عليه لعنتك ولعنتنا فيقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا و
تلعنه السموات السبع ومن فيهن الحديث قال معاذ قلت يا رسول الله انت
رسول الله وانا معاذ فعلمني قال اقتد بي وان كان في عملك تقصير
يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك حملة القران واحمل ذنوبك
عليك ولا تحملها عليهم ولا تزكِّ نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم
ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك

ولا اساح



و لا ساح رجلاً و عندك اخر و لا تتعاظم على الناس فينقطع عنك
خير الدنيا و لا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيمة قلت بابي و امي
انت ومن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه يسير على من
يسره الله عليه قال مؤلف الكتاب المؤيد بالله امير المؤمنين عليه السلم
ان هذا الحديث لعظيم و ان هذا الحديث لخطير و ما هنالك
الا رحمة الله الواسعة و لطفه الكريم فنسال الله تعالى ان
يتداركنا بلطف يشرح بنا الى طاعته و يشوقنا الى جوار كرمه و رحمته

الجملة الثالثة الآثار

روي ان عمر ابن الخطاب راى
رجلا يطاطي رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع
في الرقاب و انما الخشوع في القلوب و راى ابو امامة رجلا يبكي في سجوده
فقال انت انت لو كان هذا في بيتك

وقال امير المؤمنين كرم الله وجهه

للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده و ينشط اذا كان في الناس
و يزيد في العمل اذا اثني عليه و ينقص اذا ذم

التنبيه الثاني في بيان ما يقع به الربا

وجملة مجامع ما يقع به الربا انواع خمسه

النوع الاول

الربا في الدين من جهة البدن و ذلك يكون باظهار النحول و الصفار
ليوهم بذلك شدة الاجتهاد و عظم الحزن على امر الدين و غلبة خوف
الآخرة و ليدل بالنحول على قلة الاكل و الصفار على سهر الليل في الجهاد
و شعب الشعر على استغراق وقته بالعبادة فان هذه الامور اذا ظهرت
دلت على الخلق على التزكية و هكذا خفض الصوت و اغارة العينين
و ذبول الشفتين دال على كثرة الصوم فهذا ريا اهل الدين و اما اهل
الدنيا فالربا يظهر فيهم باظهار السمن و صفا اللون و اعتدال القامة

وحسن الوجه **النوع الثاني** الرياء بالزي والهيئة فاما
اهل الدين فرياؤهم يكون برثاثة الثياب واطراق الراس
بالسكينة والهدو في الحركة وابقاء اثر السجود في الوجه وغلظ الثياب
ولبس الثياب المرقعة وقصر الكم كل ذلك يفعله تشبها باهل الصلاح ويكون
ستره وهو عن كل ذلك بعيد . واما اهل الدنيا فرياؤهم بالثياب
النفيسة والمراكب العالية وضروب التوسع والتجمل في الملبس والمسكن
واثاث البيوت والالات الفضية والذهبية والحريرية وغير ذلك
النوع الثالث الرياء بالقول فمنه رياء اهل الوعظ والتذكير و
النطق بالحكمة وحفظ الاثار والاخبار عن الصالحين الجاذركها في
المجالس اظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باقوال
السلف الصالح وتحريك الشفتين بالذكر في محافل الخلق فهذا رياء اهل
الدين . فاما اهل الدنيا فرياؤهم يكون بحفظ الاشعار والا
مثال والتفاصح بالعبارات الرشيقة واطلاق الكلمات الفصيحة
وحفظ النحو والاعراب للتباهي به والتفاخر باظهار
النوع الرابع الرياء بالعمل واما العمل الديني فهو الرياء باطالة
القيام في الصلوة وتكثير السجود وتطويله والركوع واطراق الراس
وترك الالتفات واظهار الهدو والسكون وكذلك الصوم و
الغزو والصدقة باطعام الطعام والاخبات وخفض الجفون
. واما اهل الدنيا فيكون بالتبختر في المشي وتحريك اليدين و
تقريب الخطا والاخذ باطراف الثياب ليدلوا بذلك على الجاه و
الحشمة **النوع الخامس** الرياء بالكثرة في الاصحاب والاعوان
والزوادين والمخالطين وبكثرة التلامذة ليقال فلان

له

التنبيه الثالث في بيان درجات الريا

لحفده وتلامذه وان فلانا او فلانا ليقال ان اهل الدين
يتبركون بزيارته ويترددون اليه في قضاء حوايجهم فهذه
انواع الريا ومداخله وكلها محظورة الا ما اريد به وجه الله تعالى
وخلص من هذه الشوائب وسلم عن العوارض **التنبيه الثالث**
اعلم ان بعض الريا اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف
اركانه وتفاوت الدرجات فيه تكون على حسب اختلاف اركانه
وجملتها ثلاثة اركان **الركن الاول** المرايا به وهي الطاعات
وذلك ينقسم الى الريا باصول العبادات والى الريا باوصافها
فهذان قسمان نفصلهما بعونه الله تعالى **القسم الاول**
في اصولها وهو اغلظ الريا بالعبادات واهونها وهي
ثلاث درجات **الدرجة الاولى** الريا باصل الايمان وهذى
اغلظ ابواب الريا وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة
وباطنه التكذيب ولكنه يرايي بظاهر الاسلام **الدرجة الثانية**
ان يكون مصدقا بالله ولكنه يرايي بالصلوة والزكوة والصوم فهذا دون
الاول فهو يصلي اذا كان في ملاء من الناس واذا خلا تركها وهكذا الزكاة
يخرجها ريا ويصوم في ظاهر الحال واذا خلا اراد الافطار واجتهد
الدرجة الثالثة ان لا يكون مرايا بالايمان ولا بالفرايض ولكنه
يرايي بالنوافل والسنن فانه لو تركها لم يهلك بتركها ولكنه يكسل في الخلوة
ويظهرها للناس فهذا هو الريا باصولها **القسم الثاني** الريا
باوصافها وهي ايضا على ثلاث درجات **الدرجة الاولى**
ان يرايي بفعل اي فعل يكون في تركه نقصان العباده كالذي غرضه ان يخفف
من السجود والركوع ولا يطول القراءة هذا اذا كان وحده

واذا رأى الناس احسن الركوع والسجود والقيام وترك الالتفات
ومد القعود ما بين السجدتين **الدرجة الثانية** ان يرآئي
بفعل ما لا نقصان فيه اذا تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة
لعباداته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة
في رفع اليدين والمبادرة الى التكبير وتحسين الاعتدال وكل ذلك
مقصود عند الخلوة فهذا هو الريا **الدرجة الثالثة**
ان يرآئي بزيادات خارجة عن نفس النوافل كحضور الجمعة قبل
الناس وقصد الصف الاول وتوجهه الى تلقاء يمين الامام وما يجري
مجرى ذلك مما يعلم الله انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ولا
اي وقت حضر فهذه درجات الريا بالاضافة الى ما يرائي به وبعضه
اشد من بعض والله الموفق **الركن الثاني المرآى لاجله**
فان المرائي مقصود لا محالة وانما يرائي لادراك مال او جاه او غرض
وله درجات ثلاث **الدرجة الاولى** وهي اشدها واغلظها ان يكون
مقصوده التمكن من معصية الله تعالى كالذي يرائي بعبادته ويظهر التقوى
والورع بكثرة النوافل والامتناع من اكل الشبهات وغرضه بالامانة حتى
يولى القضا والاوقاف والوصايا ومال الايتام فيأخذها ويأكلها
الدرجة الثانية ان يكون رياؤه لنيل حظ مباح في الدنيا من مال
او نكاح امرأة جميلة او شريفة كالذي يتظاهر بالحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ و
التذكير لتبذل له الاموال وترغب في نكاحه النساء كالذي يرغب في تزوج
بنت عالم فيظهر له العلم والزهادة والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا
رياء محظور لانه طلب بطاعة الله امرا مباحا ولكنه دون الاول **الدرجة
الثالثة** انه لا يطلب نيل حظ وادراك مال ونكاح ولكن

يظهر

يظهر عباده خيفة ان ينظر اليه بعين البغض ولا يعد من الصلحه
والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي ويطلع عليه الناس
فيحسن المشي ويظهر التوده ويترك العجلة كيلا يقولوا انه من اهل العجلة
لا من اهل الوقار فهذه درجة المرائي

الركن الثالث
في قصد نفس الريا ودرجاته اربع

الدرجة الاولى وهي اغلظها
ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي يصلي بين الناس ولو انفرد
لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة فهذا جرد قصده للريا
المحض فهو ممقوت عند الله تعالى

الدرجة الثانية ان يكون قاصدا
للثواب ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله
ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن يحمله قصد الثواب لكان قصد
الريا يحمله على العمل

الدرجة الثالثة ان يكون قصد الريا وقصد
الثواب متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الاخر لم
يبعثهما احدهما على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة على العمل فهذا
قد افسد مثل ما اصلح فرجا ان يكون كفافا لا له ولا عليه

الدرجة الرابعة
ان يكون اطلاع الناس مقويا ومرجحا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة
ولو قصد الريا وحده لما اقدم عليه فالذي نظنه والعلم عند الله تعالى
انه لا يحبط ثوابه ولكنه ينقص او يعاقب على قدر القصد في الريا و
يثاب على مقدار قصد الثواب

التنبيه الرابع في علاج الريا وازالته

اعلم انا قد ذكرنا ان الريا محبط للاعمال وسبب المقت من جهة الله
ومن كبار المهلكات فما هذا حاله فجدير بالتشمير في ازالته علاجا قالحذر
والمجاهدة في اعدامه وازالته تكون اما بقلع عروقه واستيصال
قاعدته واما بقطع اسبابه فهذان مقامان نفصلهما بعون الله تعالى

المقام الأول في قلع عروقه واستئصال اصله وذلك

التصرف الاول يكون بالعلم والعمل فهذا ان تصرفان

بالعلم وهو راجع الى امور ثلاثه اولها ان يكون عالما على جهة نفسه

بان لا يحمد من جهة احد من الخلق ولا يكون له قدر عنده وثانيها

انه لا يجب الفرار من الذام وثالثها ان يعلم بانقطاع نفسه عن اطماع

الدنيا وعما في ايدي الناس فهذه امور علميه قاطعه للرياء عن التعلق

به **التصرف الثاني** وهو ازالة الرياء بالاعمال انما هو بالتعود

لنفسه باخفاء العبادات كلها واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب

دون الفواحش **المقام الثاني** في بيان قطع اسبابه وازالة

عوارضه وذلك انما يكون بان يجاهد نفسه في قلع مغارس الرياء عن

قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه من اعين المخلوقين واستحقار

مدح الخلق وذمهم في نفسه فلا يبالي بهما ويزيله في قلبه فالشيطان لا يترك

مجاهدته بل يعارضه بخطرات من خواطر الرياء فلا تنقطع عنه نزغاته فلا بد

ان يستمر لدفع ما يعرض من خواطر الرياء وجملتها ثلاثه اولها العلم باطلاع

الخلق او رجاء اطلاعهم على ما يفعله من امور الطاعه وثانيها هيجان الرغبه

في النفس عن حمدهم وحصول المنزلة عندهم وثالثها قبول

النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فاذا لا بد من دفع

هذه الخواطر الثلاثه واعلم انه ليس على الانسان الا ما يطيقه ولا

يكلف الا وسعه من دفع هذه الخواطر فاما دفع نزغات الشيطان

وقمع الطبع عن هيجانه حتى لا يميل الى الشهوات فليس ذلك بمقدور

للانسان بحال بل نسال الله التوفيق والاعانة على البراءة من الرياء

في كل احواله والله اعلم **التنبيه الخامس** في بيان ترك الطاعات خوفا من الريا واعلم ان من الناس من يترك الطاعات خوفا من ان يكون مرائيا وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو ان الطاعات نوعان **النوع الاول** الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلوة والصيام والحج وخطرات الريا فيها ثلاث **الاولى** منها حاصله قبل العمل فتبعث في الابتدا الروية الناس وليس معه باعث من جهة الدين فهذا ينبغي ان يترك العمل لكونه معصية لا طاعة فانه جعل صورة الطاعة ذريعة الى طلب المنزلة **الثانية** ان ينبعث لاجل طاعة الله ولكن يعرض من الريا مع عقد العبادة لله تعالى في اولها فلا ينبغي ان يترك العبادة لانه قد وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الريا وتحصيل الاخلاص بالمعالجة التي ذكرناها **الثالثة** ان يعتقد ضيع على الاخلاص ثم بطر الريا ودواعيه فما هذه حاله لا ينبغي ترك العمل لاجله ولكن يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه قهرا حتى يتم العمل **النوع الثاني** ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار وانها على مراتب ثلاث ونذكر ما يتعلق بكل واحدة منها **المرتبة الاولى** الخلافة والامارة والسلطنة والامامة وهي من افضل العبادات اذا كانت حاصلة مع العدل والاخلاص وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين سنة فاعظم بعبادة يوم منها بستين عاما وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

اول من يدخل الجنه الامام المقسط وقال صلى الله عليه واله وسلم
اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة الامام العادل فالامامة والخلافه
من اعظم العبادات ولم يزل اهل التقوا يحذرون منها ويتركونها
ويهربون من تقلدها وذلك من الخطر لان بها تتحرك الخواطر وتهتز
النفوس الباطنه الى الاستيلا والى محبة الدنيا وفي ذلك الخطر كله وقد
روي عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم انه قال لا تسال الامارة
فانها يوم القيمة حسرة وندامه وقال صلى الله عليه واله وسلم لا تسال
الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسلة اغنيت عنها وان اعطيتها
مع المساله وكلت اليها ولعل ضعيف البصيرة يرا ما ورد في فضل الامامة
مع ما ورد من النهي عنها متناقضا وليس الامر كما ظنه قال مولانا
المؤيد بالله امير المومنين عليه الصلوة والسلم والمختار ان
يقال الخواص الاقويا في الدين لا ينبغي لهم ان يمتنعوا عن تقلد الامامة
بخلاف الضعفا فانه لا ينبغي لهم الدخول فيها فيهلكون ونعني بالاقويا
الذين لا تميل بهم الدنيا ولا ياخذهم في الله لومة لايم وهم الذين قهروا
انفسهم وزهدوا في الدنيا ومن ليس بهذه الصفة فيحرم عليه
الدخول في الامامه وعلى هذا تجتمع الاخبار وتسلم من المناقضه
والله اعلم المرتبة الثانية اهل الوعظ والفتوا والتدريس
ورواة الاحاديث وجمع الاسنادات العاليه وكلها يتسع من اجل الجاه
من لا باعث له الا ذكر الجاه والمنزلة عند الخلق والاكل بالدين
والتفاخر والتكاثر فينبغي له الترك ويخالف الهوى الى ان

بنفسه



يرشي نفسه ويقوا في الدين امره ويامن على نفسه الفتنه ومن
غرضه في اول الامر وجه الله وتقرب الخلق ورقه قلوبهم وتوبيخهم
معالم الدين فينبغي ان لايترك ذلك

المرتبة الثالثه

جمع المال واخذه للتفرقه على المستحقين فان في الانفاق واظهار
العطا استجلاب للمعطى وفي ادخال السرور على قلوب الناس
لذه للنفوس فالآفات فيه كثيره ايض وقد اختلف العلما في
حال قوم اذا طلبوا الدنيا من الحلال وتصدق فهو افضل من ان
يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله
افضل والاخذ والاعطا يشغلان عن ذكر الله وهذا التردد انما
هو في حق من سلم الآفات فاما من لم يسلم من الآفات الماليه فالترك
افضل من الاشتغال بها وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر
تركك للدنيا ابر وقد نجز غرضنا فيما نريده من ذم الريا ونذكر ما يتعلق
بذم الجاه وهو القسم الثاني

القسم الثاني فيما يتعلق بذم الجاه

والشهره وفيه خطر عظيم ويتعلق به تنبيهات ثلاثه

التنبيه الاول

في بيان ذم الجاه وذم الشهره وقد ذكرنا من قبل ماهيه الجاه فلا
وجه للتكرير واعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت
واشتهار الذكر وهو مذموم قال الله تعالى تلك الدار الاخره نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبه للمتقين
جمع بين ارادة العلو والفساد وبين ان الدار الاخره للخالي
عن الارادتين جميعا وقال الله تعالى من كان يريد الحيوه الدنيا وزينتها
الى قوله وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايض متناول بعمومه حب

الجاه فانه من اعظم لذات الحياة الدنيا واكبر زينتها وقال
صلى الله عليه وآله وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب
كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما ذئبان
ضاريان ارسلا في زريبة غنم اكثر فسادا من حب الشرف و
المال في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي
عليه السلام انما هلك الناس باتباع الهوى واتباع الثناء وعن جابر
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحسب المرء من الشر الا من عصمه الله
من الشر ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر
الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وقد ذكر الحسن البصري تاويلا حسنا
لهذا الحديث لما قيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا
اليك قال انه لم يعن هذا وانما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في
دنياه قال مولانا الامام المؤيد بالله عليه الصلوة والسلام
ولقد اصاب فيما ذكره فان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والائمة
بعده كانوا يشار اليهم بالاصابع ولكن لما كانوا ائمة الحق وهداة الى
الدين وسالكين لطريق الآخرة وقال امير المؤمنين كرم الله
وجهه تبذل لا تشتهر ولا ترفع صوتك لتذكر تعلم واكتم واصمت
لتسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار ، وقال ابرهيم بن ادهم
رضي الله عنه ما صدق الله من احب الشهرة ، وقال ايوب ما صدق
الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه ، وعن بعض الزهاد انه كان
اذا كثرت حلقته قام خيفة من الشهرة ، وعن ابي العالية انه
كان اذا جلس عنده اكثر من ثلاثة قام ، وراى طلحة قوما يمشون معه نحوا

عشر

من عشرة فقال ربيا وطع وفراش نار

التنبيه الثاني

في بيان فضيلة الخمول اعلم ان مع الخمول يزكو العمل ويلتفت
الانسان الى اصلاح امور الآخرة قال الرسول صلى الله عليه واله
وسلم رب اشعث اغبر لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وفي
حديث آخر ذي طمرين لو قال اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه
الدنيا شيئا وقال صلى الله عليه واله وسلم الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف
متضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل مستكبر جواظ وقال ابو هريرة
قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي
طمرين لا يؤبه لهم اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذنوا لهم وان خطبوا النساء
لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم
نورهم يوم القيمة لوسعهم وقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم ان من امتي
من لو اتى احدكم يساله دينارا لم يعطه اياه ولو ساله درهما لم يعطه
اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله الجنة لاعطاه اياها
ولو ساله الدنيا لم يعطه اياها وما منعه اياها لهوانه عليه بل لكرامته
عليه وروي عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم انه قال ان الله تعالى يحب
الاخفياء الاتقياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم
مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط
الناس بالمدينة وكان فيهم رجل صالح لازم لمسجد رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم فبينما هم في دعائهم اذ جاء رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين
واوجز فيهما ثم قال يا رب اقسمت عليك ان لا امطرت علينا الساعة
فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغيم ومطروا حتى
صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا

فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحب الطريق حتى عرف منزله
ثم بكر اليه فخرج فقال اني اتيتك في حاجة فقال وما هي قال تخصني
بدعوة قال سبحان الله انت انت وتسألني ان اخصك فقال
ما الذي بلغك ما رأيت فقال اطعت الله فيما امرني ونهاني
فسألت الله تعالى فاعطاني وقال ابن مسعود رضي الله عنه كونوا
ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب
خلقان الثياب تعرفون في السماء وتخفون في الارض وقال
ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اغبط اوليائي
عندي عبد مومن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة احسن
عبادة ربه فاطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار
اليه بالاصابع ثم صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بيده وقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه بقال فاي
شهرة اعظم من شهرة الانبياء والائمة والخلفاء الراشدين وفضلاء
اهل العلم والزهاد فكيف فاتتهم فضيلة الخمول قال مولانا امير
المؤمنين الامام المؤيد بالله عليه افضل الصلوة والسلام
كانه يقول ان المذموم هو طلب الشهرة ومحبتها فاما وجودها من جهة
الله تعالى من غير تكلف من جهة العبد ولا اعتناء به فليس مذموما على حاله
فهذا ما اردنا ذكره من فضل الخمول التنبيه الثالث
في بيان العلاج في دفع حب الجاه اعلم ان كل من غلب على قلبه حب الجاه
صار مقصور الهم على مراعاة التردد الى الخلق مشغوفا بالمراءاة لهم
ولا يزال في اقواله وافعاله واعماله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك

مدر

بذر النفاق واصل الفساد ويجر الى التساهل بالعبادات
وتمام علاجه يكون من طريقين **الطريق الاول** علمي وحاصله
ان يعلم السبب الذي من اجله احب الجاه وهو كمال القدرة على
اشخاص الناس وعلى قلوبهم فينبغي ان يعالج الانسان
قلبه في دفع حب الجاه وازالته عن نفسه بالعلم بالآفات
الطارية وحصول الاخطار العظيمة التي تتطرق الى اهل الجاهات
في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على
تغيره ومحترز عن ان تتغير منزلته في القلوب فانها اشد تغيرا
من القدر في غليانها وهي مرددة بين الاقبال والادبار والقبول
والاعراض وكلما كان مبنيا على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على
الامواج في البحر فانه لا ثبات له بحال فبهذا تعالج البصيرة ضعيفة
بما ذكرناه من مقاساة هذه الاهوال وحصول هذه التغيرات
فاما من قويت بصيرته ونفذ ايمانه فانه لا يلتفت الى الدنيا ولا يعرج
على شيء منها **الطريق الثاني** عملي فانما يكون العمل في اسقاط
الجاه من قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام على فعلها حتى يسقط
من اعين الخلق وجملة ذلك امران **احدهما** وهو الاقوى ان يعتزل
عن الناس ويهاجر المواضع الخمول فان المعتزل في بيته في
البلدة التي هو مشهور فيها لا يخلو عن حب المنزلة وفي الاعتزال كلام
عن ذلك **وثانيهما** ان يلابس افعالا لا يليق لمثله فعلها لتنقطع
رغبة الناس في وصوله والهجوم عليه وهذه الطريقة قد اعتمدها اقوام
من الصالحين والسالكين لطريق الخمول والشاغلين انفسهم حتى روي
عن بعض الزهاد انه قصده بعض الملوك ليدخل عليه فاستدعا

طعاماً وبقلاً ولحماً فاخذ ياكله بيسار ويعض اللقم ويسرع
المضغ فلما راه الملك سقط من عينه وانصرف عنه فقال الحمد لله الذي
صرفه عني ۞ ومنهم من شرب شراباً حلالاً في قدح جوهر
لونه لون الخمر يعني يظن انه يشرب الخمر فيسقط عن الاعين فدسع
ويحتقر حاله وامره وربما يتعاطوا ولو الاشياء توهم الفواحش
وتناول المحظورات ليسقطوا عن اعين الناس ۞ وهذا
غير جايز لمن يقتدا به من المسلمين فانه يهون الدين في قلوب المسلمين
واما من يقتدي به فلا يجوز له الاقدام على محظور فاما اذا كان
غير محظور فالامر فيه سهل ۞ وقد تم غرضنا من الباب العاشر في ذم
الريا والجاه وبتمامه يتم الكلام على المقالة الثانية من المهلكات
والله الموفق للصواب ۞

المقالة الثالثة في بيان الصفات المنجيات

وجملتها عشر التوبة والصبر
والمحبة والشكر والخوف والرجا والفقر والزهد
والتوحيد والتوكل والاخلاص والمراقبة والمحاسبة
والفكر الى غير ذلك من الاوصاف التي باحرازها تحصل النجاة
ويكون الفوز في الآخرة وتندرج هذه الامور كلها في عشرة ابواب
ونبدا منها بكتاب التوبة وهي من مهمات الدين وبها يظهر عنوان
المسلمين

الباب الاول في بيان التوبة و شرح اسرارها واحكامها

اعلم ان التوبة

من الذنوب

عن الذنوب بالرجوع الى ستار العيوب والانابة الى علام
الغيوب انما هي مبدا السالكين ورأس مال الفائزين
واول اقدام المتجردين ومفتاح استقامة المائلين ومطلع
الاصطفا والاجتبا للمقربين كابينا ادم عليه الصلوة والسلام
وعلى سائر الانبيا اجمعين وسلم امين وما اجدر الاولاد
بالاقتدا بالآبا والاجداد فلا غرو ان اذنب الآدمي واجترم
فهي سنة اعز بها من حزم ومن اشبه اباه فما ظلم ولما
كان للتوبة موقع من الدين هذا الموقع وجب تقديمها
على سائر الصفات فتمام المقصود يحصل بالكلام في اربعة
اركان هي وافية بالمقصود بعونه سبحانه الركن الاول في بيان
معناها وهيئتها وشرح احكامها اما معناها وهيئتها فاعلم
انه قد يقال ان التوبة حقيقتها حاصلة في معنى واحد وهو
الندم لا غير وهذا هو المختار لانه الاصل في بيان مفهومها
ومنهم من يعتبر فيها اوصافا ثلاثة اولها العلم فانه يتحقق
بالذنوب التي تكون حجابا بين العبد وبين وصوله الى المحبوب وهو
رضوان الله تعالى والجنة وثانيها الندم والاسف على ما فرط في
جنب الله من ابطال طاعته والتلبس بمعصيته وثالثها القصد الى
ما يتعلق بالحال وهو ترك الذنوب وبالاستقبال وهو العزم
على ترك الذنوب في الازمنة المستقبلة وبالندم على ما فات والاسف عليه

واعتبار من اعتبر هذه الامور الثلاثة في حقيقة التوبة
انما هو على جهة الكمال والا فالاصل هو ما ذكرناه من ان
الندم توبة فالعلم هو سبب في اثارة الندم والندم هو السبب
في تحصيل القصد بالتدارك للماضي والترك في الحال وفي الاستقبال
بالعزم على ترك الذنوب فهذا معنا التوبة واما احكامها
فهي خمسة الحكم الاول في بيان فضلها ووجوبها اما
فضلها فقد قال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
وقال صلى الله عليه وآله وسلم لله افرح بتوبة احدكم وفي حديث
اخر بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة
معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فذهبت راحلته فطلبها
فلم يجدها ثم نام فاستيقظ فاذا هي عنده فقال من شدة
الفرح والعجل اللهم فلك الحمد انت عبدي وانا عبدك والاخبار
والاثار في فضلها لا تحصى واما وجوبها فبالعقل والنقل
اما العقل فظاهر في ايجابها لما يحصل فيها من دفع الضرر العظيم
وهو العقاب المستحق على مخالفة اوامر الله تعالى والملابسة لمناهيه
والاخلاص الا بالاعتذار والمبالغة في ذلك بالتندم على ما سبق و
التحزن عليه والتاسف على فعله وبها تحصل النجاة من المهالك
واما النقل فالكتاب قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا
ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا
الى الله توبة نصوحا اي خالصة عن الشوائب واما السنة

فمنها

٦٩٦

فقوله صلى الله عليه وآله وسلم توبوا الى الله قبل ان تموتوا و
الاجماع منعقد على وجوبها من جهة الامة في **الحكم الثاني**
في بيان وجوبها على الفور اعلم ان وجوبها على جهة
الفور مما لا اسرار فيه ولا يتمتع فيه شك لان معرفة كون المعاصي مهلكة
للنفوس امر ما حرلا محالة والمزيلة لا بد من كونه على الفور ولان
الموت متوقع في كل حالة لا يؤمن هجومه والمعاصي هي السموم القاتلة
والتوبة هي الشفاء ذا المعاصي والمزيلة لعقابها فلا بد من الاسراع
بها خوفاً من حيلولة الموت فيحصل الخطب بهلاك العقاب كما ان
المريض اذا كان يخشا عليه الهلاك والزمانة ويعلم ان الدوا نافع بلا
مرية فالعقول تشير الى المعاجلة بالدوا بكل حال فاذا كان هذه
الاستعجال حاصلا في العقوبة المنقطعة التي لها حد وغاية فكيف حال
العقوبة السرمدية التي لا آخر لها ولا انقضا لوقتها فالمعاجلة تكون
في حقها اكبر والفور اليها اسرع واكثر ويؤيد هذا قوله تعالى سارعوا
الى المغفرة من ربكم والمغفرة لا تكون الا بالتوبة والاعتذار فالامر
بالمسارعة الى المغفرة امر بالمسارعة الى الاستغفار ولهذا هو
المراد بان التوبة على الفور **الحكم الثالث** في بيان وجوبها
على جميع الاشخاص **اعلم** ان التوبة فرض عين في حق كل شخص
من الاشخاص لا يتصور ان يستغني عنها احد من البشر كما لم يستغن عنها
آدم عليه السلام ابو الخلق فلا يمكن استغنا الاولاد عنها مع خلقة الوالد
لا تتسع بالكثر مما لم تتسع له خلقة الوالد وقد دل ظاهر الكتاب على
وجوبها كما قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا فالخطاب عام ونور البصيرة والعقول

يرشدان الى ذلك ولان معنى التوبه هو الرجوع عن
الطريق المبعد عن الله المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك
الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا بعد كمال غريزة البهيمية و
سائر الصفات المذمومه التي هي وسائل الشيطان الى اغواء الخلق
والشهوات جنود الشياطين والعقول جنود الملائكة واذا اجتمعا
وقعت المصاوله والمقاتله بين الجندين اذ لا يقوم احدهما للاخر
فانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار
والنور والظلمة فمهما غلب احدهما ازعج الاخر واطرده واذا كانت
الشهوات تكمل في حال الصبى والشباب قبل كمال العقل فقد سبق
جند الشيطان واستولى على المكان وشغله ووقع للقلب انس
والف بمحاله بمقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه
وعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل بعد ذلك الذي هو
حزب الله تعالى وجنده ومنقذ اوليائه من ايدي اعدائه شيئا فشيئا
على التدريج فان لم يقو ولم يكمل فقد انقاد القلب للشيطان اللعين
وانجز الخبيث بوعده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وان كمل
العقل وقوي كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات
ومفارقة العادات ورد الطبع على جهة القهر الى العبادات ولا
معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن طريق ذللت بالشهوه الى طريق
الله وليس في الوجود ادمي الا وشهوته سابقة لعقله التي هي عدة
الشيطان وهي متقدمه على غريزته التي عقله وهي عدة الملائكة

فصل



في فصل من هذا الكتاب ان كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من
جهله وكفره فان بلغ مسلما تابعا لابويه غافلا عن حقيقة اسلامه
فعليه التوبة من هذه الغفلة بتفهم معنى الاسلام فانه لا يغني
عنه اسلام ابويه ما لم يسلم في نفسه والله اعلم بالصواب

الحكم الرابع في بيان وجوبها على كل حال على الدوام **فاعلم**
ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل منها الانبيا كما
ورد في القران والاخبار من خطايا الانبيا عليهم السلام وتوبتهم وبكائهم
على خطاياهم ومعاصيهم لخالقهم فان خلا في بعض الحالات عن معصية
الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب عن القلوب فان خلا عن الهم بالقلب
فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن
ذكر الله تعالى فان خلا عنها فلا يخلو عن غفلة وتقصير في العلم بالله تعالى
وبصفاته وافعاله وكل ذلك يعد تقصيرا والمراد بالتوبة الرجوع
ولا يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النقص فانما يتفاوتون في المقادير
فاما الاصل فلا بد منه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان
على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وحكي عن لقمان انه
قال لابنه اياك والغفلة عن ربك بترك التوبة عن ذنبك فان كل من ترك
التوبة فانه يتعرض لخطرين عظيمين احدهما ان تتراكم ظلمة الذنوب
على قلبه حتى يصير عالية فلا تقبل المحو وثانيهما ان يعاجله المرض و
الموت فلا يجد مهلة الاشتغال بالمحو والازالة ولهذا ورد في الخبر اكثر صياح
اهل النار من التسويف قال بعض الزهاد ان الله تعالى اسرارا على عبده
بسرين احدهما اذا اخرج من بطن امه فيقول له عبدي قد اخرجتك من

بطن امك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك
عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني ثم وثانيهما
عند خروج روحه يقول ماذا صنعت في امانتي عندك
هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالقاك على الوفاء او وضعتها
فتلقاني على الاضاعة فالقاك على المطالبة والعقاب واليه
الاشارة بقوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون

الحكم الخامس في بيان ان التوبة عند كمالها واجبة اعلم
ان المأخوذ على المكلف ان لا يواقع المعصية فان واقعها
ولم يتب فهو هالك لا محالة وان تاب فهل يجب على الله قبول
توبته ام لا من جهة العقل فيه تردد واكثر المتكلمين على وجوب القبول
للتوبة ومنهم من قال ان القبول لا يجب عقلا والمختار انه غير واجب
وقد قررناه في الكتب الكلامية فاما الوجوب من جهة الشرع
فهو ظاهر وقد دل عليه القرآن والاخبار اما الايات فقوله
تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وقوله
تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وقوله تعالى
فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا الى غير ذلك من الايات الدالة
على وجوب القبول واما الاخبار فقوله صلى الله عليه واله وسلم
لله افرح بتوبة احدكم الحديث والفرح وراء القبول فهذا دليل
على القبول وزيادة وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الله
يبسط يده بالتوبة لمسيء النهار الى الليل ولمسيء الليل
الى النهار فبسط اليد استعارة لقبول التوبة وقال صلى

الله عليه

صلى الله عليه وآله وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم
لتاب الله عليكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليذنب
الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون
ذلك نصب عينيه تائبا فارا حتى يدخل الجنة فهذا ما اردنا ذكره
في بيان ماهية التوبة وما نبح من احكامها وبالله التوفيق

الركن الثاني في بيان الذنوب التي تجب التوبة عنها

إن التوبة عبارة عن ترك الذنب والذنب مهما
خالف امر الله في فعل او كف وذلك يستدعي شرح افعال التكاليف
وليس من مقصدنا ولكنا نشير الى جملة اقسام الذنوب ونجعلها على جملة
مراتب اربع **المرتبة الأولى** صفات الربوبية وزبدتها كونها
ربوبية ان كل من كان متلبسا بها فهو ينزع الى المشاركة
في الالهية وهذا نحو الكبر والفخر والجبروتية وحب الثنا والمدح
والعزة والغنا وحب دوام البقا وطلب الاستعلا على الخلق
فهذه الصفات كلها تتشعب
حتى كانه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى وهاذا ذنوبا وهي
منها كبائر الذنوب التي غفل الخلق عنها ولم يعدوها ذنوبا وهي
المهلكات العظيمة التي هي الامهات لاكثر المعاصي **المرتبة الثانية**
الشيطانية وهي التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع
والامر بالفساد والمكر ومنها يدخل الغش والنفاق والدعوة
الى الامور الباطلة والمذاهب الردية والضلالات العظيمة

ومن تجلت هذه الصفات فهو لا محاله اعظم حبايل الشيطان
المرتبة الثالثة البهيمية ومنها يتشعب الشره
والتكلب والحرص على قضا شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب
اللواط والزنا والسرقة واكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات
لان كل من جمع هذه الخصال فهو متشبه لاخلاق البهايم كالحمار
والثور **في المرتبة الرابعة** الصفات السبعية
ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب
والشتم والقتل واستهلاك الاموال ويتفرع عنها جمل من الذنوب
فهذه امهات الذنوب ومنابعها ثم تتفجر الذنوب عن هذه
المنابع على الجوارح فبعضها تكون على القلب خاصة كالكفر والبدعة
والنفاق واضمار الخدع للناس في وبعضها على العين والسمع
واللسان بالتطلع على العورات وبالغيبة والنميمة في وبعضها
على البطن باكل الاموال الحرامية في وبعضها على الفروج
كالزنا وركوب المحرمات في وبعضها على اليدين بالقتل و
الظلم والسعي بين الخلق بالباطل في وبعضها بالرجلين
بالسير الى كل محظور في وبعضها على جميع البدن والذنوب
تقسيمات كثيرة لا حاجة بنا الى ذكرها في **الركن الثالث**
ما يحمل الناس على ترك الذنوب وجملة ما يشير
اليه من ذلك اربعة اضرب **الضرب الاول** ذكر ما في
القران من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك
ما ورد من الاخبار والآثار مثل قوله صلى الله عليه واله وسلم

رتطايع

الطابع معلق بقايمة من قوايم العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت
المحارم ارسل الله الطابع فطبع القلوب بما فيها وفي حديث آخر مثل
الكف المفتوحه كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع حتى تنقبض الاصابع كلها
فيشد على القلب فذلك هو الطبع **الضرب الثاني** حكايات
الانبيا والسلف الصالح وما جرا عليهم من المصايب من اجل الذنوب
فذلك شديد النفع ظاهر الوقع في قلوب الخلق مثل ادم وحوا في
عصيانهما وخروجهما من الجنه ومثل ما جرا لداود من الخطيئه وما جرا
لسليمن من ذلك الذنب الذي اذنبه فقد قيل انه سلب ملكه اربعين
يوما واخذ خاتمه ثم رد عليه الخاتم فرجع ملكه اليه تخدمه الجن والانس
والطير والوحوش كلها **الضرب الثالث** ان يقرر عندهم
تعجيل العقوبه في الدنيا انه متوقع في الدنيا على مقارفة الذنوب وان
كلما يصيب من المصايب فهو بسبب جناياته فرب عبد يتساهل في امر
الآخره ويخاف من عقوبة الله في الدنيا لفرط جهله فينبغي ان يخوف به
فان الذنوب كلها تتعجل في الدنيا شومها في غالب الامر وقد قال صلى الله عليه
واله وسلم ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه **الضرب الرابع** ذكر ما ورد
من العقوبات على احاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقه والقتل و
والغيبه والنميمه والكبر والحسد وذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع
غير اهله وضع الدوا في غير موضعه فينبغي ان نذكر لكل واحد ما يحتمله
روي انه صلى الله عليه واله وسلم قال له رجل اوصني قال لا تغضب وقال
اخر اوصني قال صل صلوة مودع الى غير ذلك من العلم بالاحوال حتى يكون
الكلام نافعا والموعظه زاجره **الركن الرابع** فينبغي للتايب
ان يبادر اذا جرا عليه بعض الذنوب **اعلم** ان الواجب عليه هو الندم

والاشتغال بالتفكير لكل سيئة تصادف كل ذنب من ذنوبه كما اشرنا
اليه فان لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة
فلا ينبغي ان يترك **الواجب الثاني** وهو ان يدرا بالحسنة
السيئة لتمحوها والحسنات المكفرات للسيئات امور ثلاثة **اولها**
القلب فيكفر بالتضرع الى الله في سوال المغفرة والعفو ويتذلل
تذلل العبد الآبق ويكون ذله بحيث يظهر للعباد وذلك يكون بخضوع
كثير وذل عظيم ويظهر بقلبه فعل الخيرات للمسلمين **وثانيها**
اللسان بالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول اني ظلمت نفسي
وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي وكذلك يظهر من ضروب الاستغفا
رات **وثالثها** الجوارح بالطاعات والصدقات وانواع العبادات
وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا عملت
سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولهذا
قيل صدقة السر تطفئ ذنوب السر وصدقة الجهر تطفئ ذنوب العلانية
وقدتم ما نريده من كتاب التوبة على جهة الاختصار والايجاز
والله اعلم بالحق

الباب الثاني من مقالة المنجيات الصبر والشكر

وهما ركنان من اركان الايمان كما روي
عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الايمان نصفان نصف صبر ونصف
شكر وكما وردت به الآثار وشهدت به الاخبار وذلك لان
المقاصد التكليفية متعلقاتها الاوامر والنواهي وهي اصول الايمان

فاذا كان



فما كان من جهة الاوامر فهو الشكر ان هذه الطاعات جارية
مجرا الشكر لله تعالى وما كان من جهة النواهي فهو الصبر على المشتهيات
فلنجعل الكلام على شطرين **الشطر الاول** في الصبر وقبل
الخوض في مقاصده نذكر ما هيته اعلم ان الصبر عبارة
عن مخالفة الهوا والميل عن شهوات الدنيا وبتعبير انه عبارة عن ثبات
باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وعلى هذا يكون المراد
بالصبر العمل بمقتضى اليقين بمعرفة ان المعصية ضارة والطاعة نافعة
ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال
باعث الهوا والكسل فاذا عرفت هذا فلنذكر فضيلة الصبر ثم
نذكر اقسامه ثم نردفه بما يستعان به على الصبر فهذه تنبيهات
اربعة **التنبيه الاول** في اقسام الصبر وله تقسيمات ثلاثة
التقسيم الاول باعتبار اليسر والعسر الى ما يكون شاقاً على
النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد و
ما هذا حاله يسمى تصبراً وتارة يكون متعلقه اما الطاعة لتأديته
واما المعصية في الانكفاف عنها والى ما يكون وقوع الصبر فيه من غير
شدة ولا يمكن ما بعده ويختص ذلك باسم الصبر واذا دامت
التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر
وسهل ومثال هذا المصارعة فان الرجل القوي يسهل عليه الصراع للضعيف
بادنا جهد ولا يحصل صراع الرجل القوي الا بجهد عظيم ومشقة

التقسيم الثاني

باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر على المحظور فرض

وعلى المكروهات تنل والصبر على الاذى المحظور محظور
كمن تقطع يده او يد غيره او يقتله وهو يصبر على ذلك فان
ذلك محظور والصبر على المكروه هو الصبر على اذا اناله لجهة مكروهة
في الشرع **التقسيم الثالث** باعتبار قوته وضعفه وتنوع
على اوجه ثلاثة **الاول** ان يكون الصبر قاهر الدواعي الهوى
فلا يبقا للهوى تصرف وعند هذا يقال من صبر ظفر والمختص بهذه
الرتبة الاقلون الناجون **وثانيها** ان تغلب دواعي الهوى
وتسقط دواعي الدين والعقل بالكلية ويسلم نفسه الى حزب
الشيطان فلا يجاهد لا ياسه عن المجاهدة وهولاء هم
الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين حصلوا في رق الشهوات
وغلبت عليهم الشقوة **وثالثها** ان يكون الحرب سجالا بين
الجندين فتارة يغلب العقل وتارة يغلب الهوا وهولاء هم
المجاهدون وهولا هم الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا
عسى الله ان يتوب عليهم **التنبيه الثاني** في بيان ما تستعان
به على تحصيل الصبر اعلم ان الذي انزل الدا انزل الدوا
ووعدنا بالشفا فالصبر وان كان شاقا وعسيرا فتحصيله يكون
بمعجون العلم والعمل فهذا ان طريقان **الطريق الاول** الامور
العلمية وهي انا نعرف ونقرب ما لهوان نعلم عظمة الله وما تستحقه
من الاجلال والكبريا وان من هذه حاله فلا تمكن مبارزته بالمعصية
ويعلم ايضا ما اعد الله لاعدائه في الاخرة من العقوبة الابدية والعذابات

السرمدية



السرمديه التي ليس لها غايه ولا يكون لها نهايه فبهذا العلم
يستعين على الصبر عن الانكفاف عن كل معصية **الطريق الثاني**
الامور العمليه فنحن نضرب مثالا يدل على سائر الامثله وهو
انا نقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه
واستفو امرها بحيث لا يملك فرجه معها وان ملك فرجه فانه لا
يملك عينه وان ملك عينه فلا يملك قلبه ونفسه لا تزال تحدثه
بمقتضيات الشهوه ويصرفه ذلك عن المواظبه على الذكر والفكر وسائر
الاعمال الصالحه فاذا كان الامر كما قلناه فالاستعانه على الصبر على
باعث هذه الشهوه يكون بامور ثلاثه اما اولا فبالصوم
كما اشار اليه صاحب الشريعه صلى الله عليه واله وسلم بقوله ومن لم
يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم واما ثانيا فبترك الاسباب
المهيجة للشهوه كالنظر فانه يهيج الشهوه بتحريك القلب واما [ثالثا]
فبالعزله والاحتراز عن مضان وقوع ما يحرك الدواعي ويحرك البواعث
على ما ذكرناه فهذه الامور كلها مما يستعان بها على الصبر وهكذا
الحال في كل علة فان اقسام العلل مختلفه فتكون اقسام العلاج مختلفه
ايضا لانه اذا اختلفت العلل اختلف العلاج لكل شي بما يليق به من
الادويه والعلاجات **التنبيه الثالث** في بيان فضل الصبر
وذلك يكون من جهات ثلاث الجهة الاولى الآي القرآنيه وقد ذكر
تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال تعالى وتمت كلمة
[ربك] الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال ولنجزين الذين صبروا [اجرهم]
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم

بالنظر

بغير حساب وما من قربة الا ولها اجر بمقدار الا الصبر وقال
واصبروا ان الله مع الصابرين وقد وصف الله الصابرين باوصاف
كثيرة وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً واضاف
اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر **الجهة الثانية**
الاخبار قال صلى الله عليه وآله وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين
وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل و
صيام النهار وروى جابر انه سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال الصبر كنز من كنوز الجنة
وسئل عن الايمان فقال الصبر وقال ايضاً افضل الاعمال ما اكرهت
عليه النفوس وعن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم على الانصار فقال امؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول
الله فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء
ونرضى بالقضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وآله
وسلم في الصبر على ما تكره خير كثير وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو كان الصبر
رجلاً لكان كريماً على الله والله يحب الصابرين **الجهة الثالثة**
الآثار **قال امير المؤمنين كرم الله وجهه** الايمان
على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال ايضاً
الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس
له ولا ايمان لمن لا صبر له وقال عمر نعم العدلان ونعم العلاوة
للصابرين يعني بالعدلين الصلوة والرحمة وبالعلاوة الهدى وعلاوة

ما يحمل

ما يحمل فوق العدلتين على البعير واشار به الى قوله تعالى
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الآيه وقال ابو الدرداء ذروة
الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر فهذا ما اردنا ذكره في فضيلة
الصبر

التنبيه الرابع في بيان الحاجة الى الصبر

اعلم ان
العبد لا يستغني عنه في حالة من الحالات وان
جميع ما يلقاه العبد في هذه الحيوة لا يخلو من نوعين احدهما
يوافق هواه والآخر يخالف هواه وهو محتاج الى الصبر فيهما

النوع الاول ما يوافق الهوا وهو الصحة والسلامة والمال
والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع و
الانصار وجميع ملاذ الدنيا ومشتهياتها والعبد محتاج الى الصبر
على هذه الامور فان لم تضبط نفسه عن الاسترسال والاخرج الى
البطر والطغيان

النوع الثاني ان لا يوافق هواه وذلك يكون
على ثلاثة اقسام **القسم الاول** ما يرتبط باختيار العبد وهي
سائر افعاله التي تكون واقعة على قدرته واختياره وبوصف تكون
طاعة او معصية فهذان ضربان **الضرب الاول** الطاعات
والعبد محتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لان النفوس
بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي العلو والرفعة فيحتاج في طاعته
الى اخلاص النية فيها والى فعلها لئلا يتاهل الى تركها او الى
حراستها بعد الفراغ منها عن الريا **الضرب الثاني** المعاصي
فما احوج العبد الى الصبر عن المعاصي وقد جمع الله المعاصي

في قوله وينهى عن الفحشا والمنكر والبغي وقوله صلى الله عليه
واله وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه
واشد انواع الصبر هو الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفه
بالعاده **القسم الثاني** ما لا يرتبط باختيار العبد وله اقتدار
في دفعه كما لو اوذي بفعل وقول او باحدهما وجني عليه في نفسه او ماله
فالصبر على ذلك بترك المكافاه تارة يكون واجبا وتارة يكون
فضيله قال بعض الصحابه ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر
على الاذى وقال تعالى ولنصبرن على ما اذيتمونا وقال تعالى ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله **القسم الثالث**
ما لا يدخل تحت الاختيار اوله واخره وهذا نحو المصائب مثل
موت الاعزه وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض والعمى وفساد
الاعضاء وعلى الجملة فسائر انواع البلا فالصبر على ذلك من اعلى
مقامات الصبر قال ابن عباس رضي الله عنهما الصبر في القران على ثلاثه
اوجه صبر على ادا فرائض الله فله ثلاث مائة درجه و صبر
عن محارم الله فله ستمائة درجه و صبر على المصيبه عند الصدمه
الاولى فله تسعمائة درجه فهذا ما اردنا ذكره فيما يحتمله
الصبر والله الموفق للصواب **الشطر الثاني من المنجيات**
في ذكر الشكر اعلم انا قبل الخوض فيما نريده من اسرار
الشكر وخواصه نذكر ماهية الشكر واعلم ان

ان الشكر

ان الشكر لابد فيه من من اعاة امور في بيان ماهيته
اما اولا فلا بد من العلم بالنعمه والعلم بقصد المنعم
بها لتكون نعمه والعلم بصفاته التي بها يتم الانعام ويصدر
من جوده واما ثانيا فلا بد من التواضع للمنعم على نعمته
والخضوع له واما ثالثا فالعلم بموجب النعمه وهذا
العمل يتعلق بالاعتراف بالقلب وبالاقرار باللسان وبالعمل
بالجوارح فشكر العينين ان يستر اهل عورة علا كل
مسلم وشكر الاذنين ان يستر اكل عيب على كل مسلم
تسمعه والشكر باللسان الرضا عن الله تعالى فمهما حصلت
هذه الامور الثلاثه حصل الشكر لا محاله فاذا عرفت هذا
فلنذكر فضيلة الشكر ثم نردفه بكيفية الشكر في حق الله تعالى
فهذه ان تنبيهان التنبيه الاول في فضيلة الشكر
قد قرن الله تعالى الشكر بالذكر فقال تعالى ان الصلوه تنهى عن الفحشا
والمنكر ولذكر الله اكبر وقال تعالى فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا
تكفرون وقال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم
وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وقال تعالى ولا تجد اكثرهم
شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد وعد الله
بالمزيد على الشكر فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم الايه
الايه وقال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر

كأجر الصائم الصابر وروت عائشة ان الرسول صلى الله
عليه واله وسلم توضا وصلى ثم سجد وبكى حتى اذن
بلال للصلوة فقال يا رسول الله كيف تبكي وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا
ولم لا ابكي وقد نزل الله علي ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب فهذا
يدل على ان البكا لا ينقطع ابدا وروي عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم
انه قال انه ينادي منادي يوم القيمة الا ليقم الحمادون فتقوم زمرة
فينصب لهم لوآء فيدخلون الجنة فقيل ومن الحمادون فقال
الذين يشكرون الله على كل حال وفي حديث اخر على السرآء والضرآء
وقال صلى الله عليه واله وسلم الحمد رداء الرحمن وقيل اوحى الله
الى ايوب عليه السلام اني قد رضيت بالشكر مكافاة من اوليائي
واوحى الله الى نبي في صفة الصابرين دارهم دار السلام اذا
دخلوا الهمهم الشكر وهو خير الكلام وقال صلى الله عليه واله وسلم
ليتخذن احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فامرنا باقتنا
الشكر بدلا من المال **التنبيه الثاني** في كيفية الشكر
ستعالى ربما ظن ظان ان الشكر في حق الله تعالى متعذر لوجهين
احدها ان الشكر انما يكون لما يظهر فيه من النفع للمنعم وذلك مستحيل



في حق الله تعالى لانه يتعالى عن المنافع وثانيها ان جميع ما
نتعاطاه في الشكر باختيارنا فانه لايتم الا بنعم اخرى من
جهة الله تعالى فكيف نشكر نعمته بنعمته وذلك يودي الى تعذر
الشكر في حق الله تعالى والجواب ان مثل هذا الوهم قد خطر لداود
عليه السلم ولموسى عليهما فقالا يارب كيف نشكرك ونحن لانشكرك
الا بنعمة ثانية من نعمك ولا نستطيع ذلك وشكرنا لك لا يوجب
علينا الشكر لك فاوحى الله اليهما اذا عرفتما هذا فقد شكرتماني
وفي خبر آخر اذا عرفتما ان النعم مني فقد رضيت منكما ذلك شكرا
واما قول السائل ان الشكر انما يكون لجلب النفع فجوابه
ان الشكر كما يكون لجلب النفع فقد يكون الامر غير هذا وهي
اختصاصه بصفات الكمال وانه المتعالي بالصفات الالاهية
واما قوله ان الشكر لايكون الا بنعمة اخرى فهذا صحيح ولكنه لا
يبطل الشكر لانه انما يكون على الوجه الممكن الا يعتد وقد اشار الشرع
الى ذلك بقوله وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ه قال مولانا الامام
هذه قاعدة نختم بها هذا الباب في معرفة الافضل من الصبر والشكر
وقد اختلف العلماء في ذلك فقال قائلون ان الصبر افضل من الشكر
وقال اخرون ان الشكر افضل من الصبر وصار صائرون الى انهما
متساويان لان كل واحد منهما مختص بمزيد فضل مثل الاخر وقال
اخرون تختلف ذلك باختلاف الاحوال واستدل كل فريق بكلام
ينصر مقالته والمختار عندنا هاهنا تفصيل نعبر به

نعمة اخرا

قال مولانا الامام [illegible]

تكون بالبحث والتفصيل وهو ان الظواهر الشرعية دالة
على تفضيل الصبر على الشكر فانه قد ورد في الشكر اخبار
في فضله فاذا اضيفت الاخبار الواردة في فضل الصبر كانت
فضائل الصبر اكثر بل ربما ورد تصريح بتفضيل الصبر كما روي
عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة
الصبر وفي الحديث يؤتى يوم القيمة باشكر اهل الارض فيجزيه الله
تعالى جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك
كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تبارك وتعالى
كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك
الاجر عليه فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين وقد قال تعالى انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وقوله صلى الله عليه وآله وسلم الصبر نصف
الايمان ولم يقل الشكر نصف الايمان وكقوله الصوم نصف الصبر
وفي حديث آخر آخر الانبياء دخولاً سليمن بن داود لمكان ملكه
وآخر اصحابي دخولاً عبد الرحمن بن عوف وفي لفظ يدخل سليمن الجنة
بعد الانبيا باربعين خريفاً وفي حديث ان ابواب الجنة مصراعان
الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء
امامهم ومن هذا ادلة على فضل الصبر

الباب الثالث
من مقالة المنجيات في الخوف والرجا

اعلم ان الخوف والرجا جناحان يطير بهما المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان

يقطع بهما

يتقطع بها من طرق الاخرة كل عقبة كؤود فلا سبيل الى قرب الرحمن
وروح الجنان مع كونه بعيد الرجا ثقيل الاعبا محفوفا بمكاره القلوب
ومشاق الجوارح والاعضا اللازمة الرجا ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب
الأليم المقيم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات الا
بسياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد من شرح حقائقهما
وبيان خصائصهما وقد اشتمل الباب على شطرين

الشطر الاول في بيان الخوف

وقبل الخوض فيما نريده بذكر حقيقة الخوف **واعلم** ان الخوف
عبارة عن تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل فمن
شغل قلبه بالخوف واشتعلت نار في فؤاده فانه قامع للشهوات
ومكدر لكل لذة فتصير المعاصي المحبوبة مكروهة كما يصير العسل
مكروها عند من يشتهيه اذا عرف فيه سما فعند الخوف تحترق
الشهوات بالخوف وتبادر الجوارح بالاعمال وتحصل في القلوب
خشوع وذلة واستكانة ويفارقه الكبر والحقد وسائر الصفات
المهلكة بل يصير مستوعب الهمة بالخوف والنظر في خطر العاقبة فلا
يتفرغ لغيره بحال ولا يكون له هم الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة للنفس
فاذا عرفت هذا فالمقصود يحصل بذكر تنبيهات خمسة

التنبيه الاول في بيان فضيلة الخوف

وظهوره من جهات اربع **الجهة الاولى** الاي القرانية
وهي جامعة لفضائل الاخلاق التي جعلها الله تعالى للخائفين الهدى
والرحمة والعلم والرضوان قال تعالى هدى ورحمة للذين هم
لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء فوصفهم بالعلم لخشيتهم

وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال
تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين فامر بالخوف واوجبه وشرطه في
الايمان وكلما دل على فضيلة العلم فهو بعينه دال على فضيلة
الخوف لان الخوف هو ثمرة العلم **الجهة الثانية الاخبار**
كقوله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين
فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيمه واذا خافني في الدنيا امنته
يوم القيمه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من عبد يخرج من عينه دموع
وان كانت مثل راس الذباب من خشية الله عز وجل ثم تصيب شيئا من
حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يلج النار
احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع وقالت عائشة قلت
يا رسول الله ايدخل الجنة من امتك بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه
ثم بكى وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من قطرة احب الى الله من قطرة
دمع من خشية الله تعالى او قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقال
صلى الله عليه وآله وسلم اللهم ارزقني عينين هطالتين تسقيان
القلب بذروف الدمع قبل ان يصير الدمع دما والاضراس جمرا
وقال صلى الله عليه وآله وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله
وذكر منهم رجلا خاف الله في خفية فدمعت عيناه وقالت عائشة
قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل
يسرق ويزني قال لا بل الذي يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف
ان لا يقبل منه والتهديدات الواردة في الامن من مكر الله وعذابه

تخص



لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لأن مذمة الشيء ثناء
الضد الذي ينفيه وضد الخوف الأمن **الجهة الثالثة** في
الآثار قال الفضيل عياض من خاف الله خافه كل شيء ومن لم
يخف الله خوفه من كل شيء وقيل للحسن يا أبا سعيد كيف نصنع
بمجالس أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال والله لئن تخالط
قوما يخوفونك حتى يدركك الأمن خير من أن تصحب قوما يؤمنونك
حتى يدركك الخوف وقال بعض الزهاد ما فارق الخوف قلبا إلا
خرب وقال عمر لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلا لرجوت أن
أكون أنا ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا لخشيت أن
أكون أنا ذلك الرجل وهذه عبارة عن غاية الخوف والرجا و
اعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء فمثل عمر ينبغي أن يساوي خوفه
رجاءه **الجهة الرابعة** من جهة الاعتبار فنقرر أن نعلم أن
فضيلة الشيء بقدر عنايته في الإفضاء إلى السعادة لقاء الله عز وجل
إذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد إلا في لقاء الله والقرب منه
فكلما أعان عليه فله فضل وفضيلته بقدر عنايته وقد ظهر أنه لا
وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا
ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر ودوام
الفكر لا يحصل إلا بدوام الذكر ولا يحصل الذكر إلا بانقلاع حب الدنيا
من القلب ولا ينقلع إلا بترك اللذات والشهوات ولا ينقمع الشهوة
إلا بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات ونقتصر على
هذا القدر من فضل الخوف **التنبيه الثاني في**

بيان الامور المخوفة اعلم ان الخوف لا يكون متحققا الا بارتباط
مكروه وجملة المكروهات امور عشرة اولها ان يكون مكروها
نحو النار فان الله تعالى قد توعد بها العصاة وهي اعظم مخوف في
الاخرة لان سائر الاهوال في الاخرة بالاضافة اليها قليل ولو
ان الشرع قد ورد لاهل العذاب من الكفار والفساق بالنار لكن
نجوز ان الله تعالى يقطع افئدتهم بالجوع فيمنعهم المشتهيات وتعظم
لهم الشهوات وثانيها المعاصي فانها مكروهة لكونها مؤدية
الى المكروه وهو العذاب في الاخرة وثالثها خوف الموت
لما يلاقي من المشاق العظيمة والفجايع الهايلة ورابعها
الخوف من حرمان التوبة قبل الموت والخوف من نقيضها
وخامسها الخوف من الانتقاص لحق الله تعالى والوفا بعهده وميثاقه
وسادسها الخوف من قساوة القلوب وتبديلها لما قال الله تعالى
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وسابعها الخوف من الميل عن الاستقامة
على الدين لما قال تعالى فاستقم كما امرت واقم وجهك للدين القيم
وثامنها الخوف من الاغترار بزخارف الدنيا ولذاتها وشهواتها
وتاسعها الخوف من الغفلة واطلاع الله تعالى على قبح سريرته وعاشرها
الخوف من سوء الخاتمة عند الموت فهذه كلها مخاوف عظيمة
ومهالك جسيمة واغلب هذه المخاوف على اهل التقوى انما هو
سوء الخاتمة فان الامر فيه خطر لان الخاتمة تبع للسابقة وفرع
يتفرع عنها فالخوف من المعاصي خوف الصالحين والمومنين والخوف
من الله تعالى لاجل اختصاصه بالصفات العالية هو خوف الموحدين

والصديقين

والقصد يقابل **التنبيه الثالث** في بيان درجات
الخوف واعلم ان درجاته ثلاث فربما كان تفريطاً
وربما كان افراطاً وتارة يكون معتدلاً فهذه درجاته **الدرجة الاولى**
التفريط وهي القاصر وهذا هو الجاري مجرى رقة النسا
تخطر بالبال عند سماع اية من القرآن فيورث البكا وتفيض
الدموع وهكذا الحال عند مشاهدة امر هايل فاذا غاب
ذلك السبب الهايل فان القلب يرجع الى الغفلة والاعراض
وهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع يجري مجرى العود
الضعيف الذي تضرب به الدابة لقوتها فانه لا يولمها ولا يحملها
ولا يكون سايقاً لها الى المقصد **الدرجة الثانية** وهي
المقابلة للاولى وهو الافراط وهو مذموم وهو المفرط وهذا
هو الذي يقوى ويخرج عن حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس
والقنوط وهو مانع من العمل والغرض بالخوف ان يكون حاثاً على
العمل وهذا نحو الضرب بالعود للدابة الذي يؤثر في كسر عضو
من اعضايها ومن اذهاب لحمها وجلدها فاما هذه الحالة فانه
مبطل الغرض لا محالة **الدرجة الثالثة** وهو المتوسط
الجاري على جهة الاعتدال وهذا هو الخوف الذي يكون
حاثاً على العمل واشتعال نار في القلب فما حاصل الامر ان الخوف
ان لم يكن باعثاً على العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا
يؤثر في حث الدابة على السير وان اثر في وجود العمل وحصوله
فهو المحمود الحاصل على نعت الاعتدال وان زاد حتى عبر

الحالة فهو مذموم يعدل به الى الافراط فهذه درجات
الخوف كما فصلناه واشرنا اليه **التنبيه الرابع** في
بيان سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك اعلم ان الخاتمة
جملة المخوفات العظيمة كما مر بيانه ولسوء الخاتمة حالتان
الحالة الاولى وهي اعظم من الثانية وهي المرتبة الهائلة
وهذه يخاف ان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور
اهواله اما الشك في الرب واما الجحود فيكون الروح مقبوضا
على هذه الحالة ويكون ما غلب على القلب من عقد الجحود و
الشك حجابا بينه وبين الله تعالى وهذا يقتضي البعد
الدائم والعذاب المخلد **الحالة الثانية** وهي دون الاولى
وحاصلها ان يغلب على القلب عند الموت حب امر من امور
الدنيا وايثار شهوة من شهواتها ويتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه
حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحال
فيكون استغراق قلبه منكسا الى الدنيا وفي ذلك حصول الحجاب عن الله
ومهما حصل الحجاب نزل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تأخذ الا
المحجوبين عن الله فاما المومن السليم قلبه عن حب الدنيا الصارف
همه الى الله تعالى فان النار تناديه وتقول جز يا مومن فان نورك قد
اطفأ لهبي فهذا هو المراد بسوء الخاتمة **التنبيه الخامس**
في بيان مراتب اهل النجاة وهذا نحو الملائكة والانبيا والصحابة
وغيرهم ونجعلها على مراتب اربع **المرتبة الاولى** في بيان خوف

الملائكة

السلام مكه من الله تعالى اعلم ان هذا الصنف من المكتوبات
هو اعظم خلقا وارفع قدرا عند الله تعالى واعلاهم منزلة واجلهم
مكانا ولقد وصفهم الله تعالى بالخوف فقال تعالى يخافون ربهم من فوقهم
ويفعلون ما يومرون وقال تعالى وهم من خشية ربهم مشفقون
وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان لله ملكا ما بين
جنبيه خفقات الطير المسرع خمسمائة عام وانه ليتصاغر حتى
يكون كالعصفور من خشية الله تعالى وفي حديث اخر ان لله ملكا ما بين
شفر عينه مسيرة خمسمائة عام فانظر ايها المسكين لنفسك فاذا كان
هولاء افضل خلق الله واكرمهم عنده واقربهم مكانا اليه خوفهم منه هذا
الخوف الشديد فكيف حالنا يا معاشر المساكين والضعفاء الاحوال
وكثيرون الذنوب والخطايا كيف لا يكون خوفنا اعظم واشفاقنا من
خوف سوء الخاتمة اتم ؛ **المرتبة الثانية** في بيان حال الانبيا
في الخوف وهم اعظم الخلق خوفا من الله تعالى بعد الملائكة لان خوف الله تعالى يكون
على قدر معرفته ولا شك ان الملائكة اعلم بالله تعالى وبعدهم الانبيا
وقد روت عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا تغير
الهوى وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويخرج
كل ذلك خوفا من عذاب الله تعالى وقرا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة
الحاقة فصعق ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صورة جبريل عليه السلام
بالأبطح فصعق وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما جاءني جبريل قط الا وهو
يرعد مخافة الجبار وقال ابو الدردا كان يسمع ازيز قلب ابراهيم خليل

الرحمن

من مسيره يوم خوفاً من ربه وقال مجاهد بكى داود اربعين يوماً
ساجداً حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى رأسه فنودي
يا داود اجائع انت فتطعم ام ظمآن فتسقى ام عار فتكسى فنحب
نحبة هاج العود فاحترق من حر جوفه فانزل الله التوبة والمغفرة
فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته مكتوبة في كفه
فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيرهما الا رآها فأبكته
وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه
على شفتيه حتى يفيض من دموعه وروي عنه صلى الله عليه وآله
وسلم انه ما رفع رأسه الى السماء حتى مات حياءً من لقاء الله تعالى
وخرج داود الى الناس يوماً يعظهم ويخوفهم فخرج في اربعين الفاً
فمات ثلاثون الفاً وما رجع الا في عشرة آلاف وكان
عيسى صلوات الله عليه يقول يا معاشر الحواريين خشية الله وحب
الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من النار وتحق اقول
لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس
قليل وقيل كان الخليل عليه الصلوة والسلام اذا ذكر خطيئته
يغشى عليه فيأتيه جبرئيل عليه السلام فيقول له الجبار يقرئك السلام ويقول
هل رأيت خليلاً يخاف خليله فيقول يا جبرئيل اني اذا ذكرت
خطيئتي نسيت خلتي فهذه احوال الانبياء عليهم الصلوة والسلام
في خوفهم من الله تعالى فدونك التأمل لها والتفكر فماذا هربوا
وبما اكثروا البكاء وقلقوا اشد القلق وخشعوا اعظم الشفق

الرتبة

[illegible]

المرتبه الثالثه في بيان حال الصحابه رضي الله
عنهم في الخوف من الله تعالى روي ان امير المومنين وافضل
الخلق عقب الانبياء علي كرم الله وجهه في الجنه قال
بعد فراغه من صلوة الفجر وقد علته كابه وهو يقلب كفه لقد
رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يصبحون شعثا غبرا صفرا
بين اعينهم امثال ركب المعز قد باتوا سجدا وقياما يتلون
كتاب الله يراوحون بين اقدامهم وجباههم فاذا اصبحوا ذكروا
وماد[وا] كما يميد الشجر في اليوم العاصف وهطلت اعينهم بالدموع
حتى تبل ثيابهم ثم انه لم ير ضاحكا بعد ذلك اليوم حتى ضربه ابن
ملجم اشقى اهل جهنم فقال ابو بكر للطير ليتني مثلك
يا طير ولم اخلق بشرا وقال عمر من خاف الله لم يشف غيظه
وقال عثمن وددت اني اذا مت لم ابعث وقال ابو الدردا
ليتني شجره تعضد وقال طلحه مثل ذلك وقالت عايشه ليتني
كنت نسيا منسيا وكان في وجه عمر خطان اسودان من الدموع
وروي ان عمر كان يسقط من الخوف اذا سمع ايه من القران
واخذ يوما تبنه من الارض وقال ياليتني هذه وقال عمران
بن الحصين وددت اني رماد تنسفني الرياح في يوم عاصف
وقال ابو عبيده ابن الجراح وددت اني كبش يذبحني اهلي وياكلون
لحمي ويحسون مرقي وكان علي بن الحسين عليه السلام اذا توضا اصفر لونه
فيقال له ما هذا الذي يعتادك عند الوضو فقال اما تدرون بين يدي من اقوم

الله تعالى

المرتبة الرابعة في بيان حال الانبياء والسلف
الصالح في الخوف وروي عن ابن مسعود قال كنا اذا دخلنا
على سفيان الثوري كان النار قد احاطت بنا لما نرى من خوفه
وجزعه وقال مالك ابن دينار بينما انا اطوف بالبيت
اذا بجويرية متعبدة وهي متعلقة باستار الكعبة وهي تقول
يا رب كم من شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب
اما كان لك عقوبة دون النار فما زال ذلك مقالها حتى طلع
الفجر وروي ان الفضيل بن عياض راى يوم عرفة والناس
يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس
ان تغرب فقبض على لحيته ثم رفع راسه الى السماء وقال
واسوءتاه منك وان غفرت وكان حماد اذا جلس جلس
مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطمانت فيقول تلك جلسة
الامن وانا غير امن لاني عصيت الله تعالى وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله
انما جعل الله هذه الغفلة رحمة في قلوب العباد لئلا يموتوا من خشية الله
وقال مالك ابن دينار لقد هممت اذا انا مت ان امر اهلي ان يقيدوني
ويغلوني وينطلقوا بي الى ربي كما ينطلق بالابق الى سيده
وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح من الجنة فلقي
ادم فيها ما لقي ولا تغتر بطول العبادة فان ابليس بعد طول تعبده
لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم
فانظر ماذا لقي ولا تغتر بكثرة الصالحين فلا شخص اكبر من المصطفى صلى الله عليه وسلم

فانه لم

فانه لم ينتفع به اقاربه واعداؤه وتامل يا مسكين مع
كلال قريحتك وضعف بصيرتك وعمش عينيك في احوال
هولا الذين كانوا في الدرجة الرفيعة والمنازل العالية
عند الله كيف اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكا فان
كان لا يوثر في قلبك فلا عجب فان قلوب الغافلين مثل الحجارة
او اشد قسوة فنسال الله العظيم الرحمة الواسعة والتدارك
بالالطاف الخفية ويكفي هذا القدر من اسرار الخوف

الشطر الثاني في بيان الرجاء وشرح حقايقه

وقبل الخوض فيما نريده نذكر ماهيته ومعناه فنقول الرجا
هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عندك ولكن ذلك
المحبوب المتوقع لابد ان يكون له سبب فان كان انتظاره لحصول
اكثر اسبابه فاسم الرجا صادق عليه وان كان ذلك انتظارا مع انخرام
عن اسبابه كلها فاسم الغرور والحمق صادق عليه دون اسم الرجا
وان لم تكن تلك الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفا
فاسم التمني صادق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب وعلى كل حال
فلا يطلق اسم الرجا والخوف الا على ما يتردد في وقوعه وحصوله فلا
يقال ارجوا طلوع الشمس واخاف غروبها لان ذلك مقطوع به فلانه جلي
الرجا والخوف فاذا تمهدت هذه القاعدة فلنذكر فضيلة الرجا
ثم نذكر الطريق اليه فهذان ايضاحان في

الايضاح الاول

في بيان فضيلة الرجا والترغيب فيه روي ان الله تعالى اوحى الى يعقوب عليه السلم

اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك
اخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون فلم
خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته
عنه ولم تنظر الى حفظي له وقال صلى الله عليه وآله وسلم
لا يموتن احدكم الا وهو حسن الظن بالله تعالى وقال صلى الله عليه
وآله وسلم يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شا
ودخل صلى الله عليه وآله وسلم على رجل وهو في النزع فقال
كيف تجدك قال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي وقال
ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله تعالى
ما رجا وامنه مما يخاف وقال رجل لامير المؤمنين
كرم الله وجهه في الجنة لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة
ذنوبه يا هذا اياسك من الله اعظم من ذنوبك وقال سفيان
الثوري من اذنب ذنبا فعلم ان الله قدر عليه ورجاه غفر الله
له ذنبه لان الله تعالى عير قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم ارداكم وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا الاية
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيمة اما
منعك اذا رايت المنكر ان تنكره فان لقنه الله تعالى حجته قال رب
رجوتك وخفت الناس فيقول الله تعالى قد غفرته لك انتهى وفي
الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس فيسامح الموسر ويتجاوز
عن المعسر فلقي الله عز وجل ولم يعمل خيرا قط فقال الله تعالى من احق

بذلك امنا

بذلك منا فعفا عنه لحسن رجائه انه يعفو عنه مع
افلاسه من الطاعات وما قال صلى الله عليه وآله وسلم لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون
صدوركم وتجارون الى ربكم فهبط جبريل فقال يقول ربك لم
تقنط عبادي فخرج فيهم فرجّاهم وشوقهم وفي الخبر ان الله اوحى
الى داود عليه السلام ان احبني واحب من يحبني وحببني
الى خلقي فقال يارب كيف احببك الى خلقك قال اذكرني بالحسن
الجميل وذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون
مني الا الجميل وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل كان
يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله تعالى يوم القيمة اليوم
ايئسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها ولنقتصر على هذا
القدر من بيان فضيلة الرجا ففيه كفاية لغرضنا

الايضاح الثاني

في بيان طريقه الرجا والوصول اليه اعلم ان الرجا مقام من
مقامات السالكين لطريق الاخرة وحال من احوال الطالبين لها
ويمكن تحصيلها بطرق ثلاث

الطريق الاولى

الآيات الواردة وهي كثيرة هذا كقوله تعالى قل لعبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر
الذنوب جميعاً وفي قراءة ابي ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم
وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في
الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم

واخبر تعالى انه اعد النار لاعدائه وانما خوف بها
اوليائه فقال تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل
ذلك يخوف الله به عباده وقال واتقوا النار التي اعدت
للكافرين وقال تعالى فانذرتكم نارا تلظى
لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقال تعالى وان
ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد وواحد من امته في النار
وكان الباقر يقول انتم اهل العراق تقولون ان ارجى اية في كتاب
الله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
ان الله يغفر الذنوب جميعا ونحن نقول ارجى اية في كتاب الله
تعالى قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى

الطريق الثاني

الاخبار فقد روي عن الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه
قال امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها
في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيمة دفع لكل رجل
من امتي رجلا من اليهود فيقال هذا فداؤك من النار
وقال صلى الله عليه وآله وسلم الحمى من فيح جهنم وهي حظ المومنين
من النار وقيل في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين
آمنوا معه ان الله اوحى الى نبيه عليه الصلوة والسلام
وعلى آله الكرام ان اجعل حساب امتك عليك قال لا يا رب انت ارحم بهم مني

بهم اذا

فقال اذاً لا اخزيك فيهم وروى انس بن مالك عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم انه سال ربه في ذنوب امته قال
يا رب اجعل حسابهم اليّ لئلا يطلع على مساويهم غيري
فاوحى الله اليه هم امتك وهم عبادي وانا ارحم بهم منك
لا اجعل حسابهم الى غيري لئلا ينظر الى مساويهم لا انت ولا
غيرك وقال صلى الله عليه وآله وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم
اما حياتي فاسن لكم السنن واشرع لكم الشرايع واما موتي
فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها حسنا حمدت الله تعالى عليه
وما رايت منها قبيحا استغفرت الله لكم وقال صلى الله عليه
وآله وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل اتدري ما تفسير يا كريم العفو
هو ان عفا عن السيئات برحمته ثم بدلها بالحسنات بكرمه وسمع صلى الله
عليه وآله وسلم رجلاً يقول اللهم اني اسالك تمام النعم قال اتدري
ما تمام النعم قال لا قال دخول الجنه فقال العلما قد اتم الله
النعمة علينا برضاه الاسلام لنا اذ قال واتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام دينا وفي الحديث اذا اذنب العبد ذنبا
فاستغفر يقول الله عز وجل للملايكة انظروا الى عبدي اذنب
ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اشهدكم
اني قد غفرت له

الطريق الثالث

من جهة الاعتبار
فهو كون بالكتاب لجميع اصناف النعم التي اجراها الله على الخلق
بالاضافة الى انفسهم وبالاضافة الى ما خلق لهم حتى اذا علم لطايف
نعم الله لعباده في الدنيا وعجايب حكمته التي راعاها في فطرة الانسان

حتى اعد له في الدنيا كلما كان ضروري الوجود في دوام وجود
الانسان كالجوع والغذا وما هو محتاج اليه كالاظفار والاد
للاصابع كسوس الجبين واختلاف الوان العينين وحمرة
الشفتين وغير ذلك مما لو انثلم نقص غرض مقصود واما فوت
مرتبة الكمال والعناية الالاهيه اذ لم تكن قاصره عن عباده يدي
في امثال هذه الدقائق فكيف يرضا بسياقتهم الى الهلاك
والعقاب السرمدي بل اذا نظر العبد نظرا شافيا علم ان اكثر
الخلق قد هيئ لهم اسباب السعادة في الدنيا فاذا كان حال اكثر
الخلق في الدنيا هو الغالب السلامه والخير فالغالب ان امر الاخره
يكون لا محالة لان مدبرها واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف
عليهم فهذا اذا تامل حق التامل من اقوى اسباب الرجا لما نظهر
من العنايه بالخلق بالرحمة واللطف وقد تم كلامنا فيما نريده من الرجا
والخوف برحمة الله وحسن توفيقه ☉

الباب الرابع من مقالة المنجيات في الفقر والزهد

اعلم ان الدنيا حب راس كل خطيئة كما تقدم شرحه والبغض لها و
الزهد هو راس كل نجاة فلا تطمع بالنجاة الا بالانقطاع عن الدنيا ولكن
مقاطعتها اما تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا واما
تكون بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة
في نيل السعادة الاخروية وحظ على الاعانة على الامور والنجاة وتمام
المقصود يحصل بذكر قسمين **القسم الاول** من الباب
في ذكر الفقر وبيان اسراره وقبل الخوض في ذلك نذكر ماهيته
واعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه

اما فقد

اما فقد ما لا حاجة اليه فلا يسمى فقرا ولهذا فان
فقد المسك والعنبر في حق اهل الفلاحة لا يسمى فقرا
لما كانوا غير محتاجين اليه وهما اذا فقدوا التوت و
الكمون فهم فقرا الى ذلك واذا فهمت هذا لم يقع شك
عليك في ان كل موجود سوا الله تعالى فهو فقير لانه مفتقر الى دوام
الوجود في جميع احواله وليس وجوده مستفادا الا من فضل الله وجوده
فاذا كان في الوجود موجود وليس وجوده مستفادا من جهة
احد غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود
الا واحدا فليس في الوجود الا غني واحد وكل من عداه فانهم
محتاجون اليه لتميز وجوده بالدوام والى هذا الغنى الاشارة
بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقرا ولسنا نقصد بيان الفقر المطلق
بل الفقر من المال على الخصوص والى فقر العبد بالاضافة الى
اصناف حاجاته غير منحصر لان حاجاته لا حصر لها ومن جملة حاجاته
ما يتوصل اليها بالمال وهو الذي نريد بيانه فهذه ماهية الفقر
فاذا تمهدت هذه القاعده فلنذكر اختلاف احوال الفقرا
ثم نردفه بذكر فضيلة الفقر ثم نذكر آداب الفقير في فقره ثم نذكر
تحريم السوال فهذه بيانات اربعه **البيان الاول** في بيان
اختلاف احوال الفقر فنقول كل فاقد للمال فانا نسميه فقيرا بالاضافة
الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المال محتاجا اليه في حقه ثم انه
يتصور ان يكون له احوال سته **الحالة الاولى** وهي الرتبة العليا

ان يكون بحيث لو اتاه المال لكرهه وتاذا به وهرب من
اخذه بغضاله وتحرزا من شغله وشره وهذا هو الزهد
واسم صاحبه يكون زاهدا الا بحاله فصار الزهد درجة كمال
الابرار وصاحب هذه الحالة لا يعد من المقربين فلاجرم صار الزهد
في حقه نقصانا لان حسنات الابرار سيئات المقربين وهذا
لان الكاره للدنيا مشغولا بالدنيا وكراهتها كما ان الراغب فيها
مشغول بها والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى اذ لا بعد بينك
وبين الله حتى يصير البعد حجابا فانه اقرب اليك من حبل الوريد
وليس حاصلا في مكان حتى تكون السموات والارض حجابا بينك
وبينه الا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وشهواتك شغل بغيره
فاقطع العلايق تكن فارغا في العباده الحالة الثانية ان يكون
بحيث لا يرغب في المال رغبة يفرح ويسر بوصوله ولا يكرهه كراهة
يتاذا به ويزهد فيه لو اتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا
لانه غير كاره له الحالة الثالثة ان يكون وجود المال احب اليه
من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه
بل اتاه صفوا عفوا اخذه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم
يشتغل به وصاحب هذه الحالة يسمى قانعا لانه قنع نفسه
بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة
الحالة الرابعة ان يكون تركه للطلب لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة
لو وجد اليه سبيلا وان طلبه ولو بالتعب العظيم لطلبه اذ هو مشغول
بالطلب وصاحب هذه الحالة يقال له الحريص الحالة الخامسة

ان يكون

ان تكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجايع الفاقد للخبز
والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا
كيفما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك
هذه الحالة عن الرغبة فهذه احوال اعلاها تسميه الزهد كما وصفناه
في ذكرنا حاله الحالة السادسة وهي اعلى من الزهد
وهي ان يستوي عنده وجود المال وفقده فان وجده لم يفرح به
ولم يتاذى وان فقد فهو كذلك فمن هذا حاله وان كانت الدنيا
بحذافيرها في يده وخزانته لم تضره اذ هو يرى الاموال في خزانة
الله لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان تكون في يده او في يد غيره
وينبغي ان يسمى صاحب هذه الحالة بالمستغني لانه غني عن قصد المال
وعن وجوده فهذا ما اردنا ذكره من هذه الاحوال

البيان الثاني في ذكر فضيلة الفقر مطلقا ويظهر من جهات

الجهة الاولى الايات الدالة على فضيلة الفقر كقوله
تعالى للفقرا الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقوله تعالى للفقرا الذين
احصروا في سبيل الله الاية وساق الكلام في معرض المدح ثم قدم
وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار مبالغة وتاكيدا في
فضيلة الفقر وفيه دلالة على فضيلة الفقر الجهة الثانية
الاخبار وهي كثيرة قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاصحابه يوما اي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله تعالى
في نفسه وماله فقال نعم الرجل هو وليس به قالوا فمن خير الناس يا رسول الله

فقال فقير يعطي جهده • وقال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم لبلال ألق الله فقيرا ولا تلقه غنيا • وقال صلى الله عليه
وآله وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي حديث آخر
ان الله يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائها بخمسمائة عام • وفي
حديث باربعين خريفا اي اربعين سنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ان لي حرفتين اثنتين فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني
الفقر والجهاد • وروي ان جبريل نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال يا رسول الله ان الله يقرئك السلام ويقول اتحب ان تجعل لك
هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث كنت فاطرق رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال
من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله بالقول
الثابت • وعن ابي رافع انه وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فارسلني الى رجل من يهود خيبر وقال له
قل محمد يقول لك اسلفني او بعني دقيقا الى هلال رجب فقال لا
والله الا برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك
فقال اما والله اني لامين في السموات والارض وان باعني او
اسلفني لاديت اليه اذهب بدرعي هذه اليه فارهنها فلما
خرجت نزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم زهرة الحيوة الدنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم الفقر ازين للمؤمن
من العذار الحسن على خد الفرس وفي حديث آخر ما العذار المذهب
في خد الفرس باحسن من الفقر في حال المؤمن وقال صلى الله عليه وآله وسلم

من اصبح

من اصبح امنا في سربه معافا في جسمه معه قوت يومه فكانما
حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله لموسى
يا موسى اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين
الجهة الثالثة الاثار فقد قال ابو الدردا ذو الدرهمين
اشد حبسا وقال اشد حسابا من ذي الدرهم وارسل عمر الى سعيد
بن عامر بالف دينار فجا الى منزله كيئبا حزينا فقالت امراته احدث
امر قال اشد من ذلك ثم قال اريني درعك الخلق فشقه وجعله
صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداه ثم قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم يقول يدخل فقرا المسلمين الجنه قبل الاغنيا بخمس
مائه عام حتى ان الرجل من الاغنيا ليدخل في غمارهم فيوخذ بيده فيخرج
وقال ابو هريره ثلاثه يدخلون الجنه بغير حساب رجل يريد ان يغسل
ثوبه ولم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب له على مستوقد قدرين
ورجل دعا بشرابه فلا يقال له ايها تريد وقيل جا رجل فقير
الى مجلس الثوري فقال له تخط لو كنت غنيا من قربتك وقال
الاغنيا من اصحابه يودون لو انهم فقرا لكثرة تقريبه الفقرا واعراضه
عن الاغنيا وقال بعضهم ما رايت الغني اذل منه في
مجلس الثوري ولا رايت الفقير اعز منه في مجلس الثوري وقال بعض
العلما مسكين ابن ادم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما
جميعا ولو رغب في الجنه كما يرغب في الغنا لفاز بهما جميعا ولو خاف
الله في الباطن كما يخاف الله في الظاهر لسعد في الدارين جميعا وقال
بن عباس ملعون من اكرم بالغنا واهان بالفقر وقال لقمن لابنه
لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال

الى ابرهيم بن ادهم بعشرة آلاف درهم فابى عليه فطلب عليه الرجل فقال ابرهيم تريد ان تمحو اسمي من ديوان الفقرا بعشرة آلاف فلا افعل ابداً

الباب الثالث في ذكر آداب الفقير في فقره ٧

وجملتها اربعة **الادب الاول** يختص الباطن فينبغي ان لا يكون فيه كراهة لما ابتلاه الله به من الفقر اعني ان لا يكون كارها فعل الله من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر وهو كالمحجوم فانه يكون كارها للحجامة لتالمه بها ولا يكون كارها لفعل الحجام ولا كارها له في نفسه بل ربما يتقلد منه منة على ذلك وصنيعه ويويد ذلك ما روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يا معاشر الفقرا اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وارفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل راضيا به وارفع من هذا ان يكون طالبا له وفارحا به لعلمه بغوايل الغنا ويكون متوكلا في باطنه على الله واثقا في مقدار ضرورته انها اتيته لا محالة ويكون كارها للزيادة على الكفاية **الادب الثاني** ان يظهر من جهته التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر انه يستر فقره وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم انه قال ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف وقال سفيان افضل الاعمال التجمل عند المحنة وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر وقال امير المومنين كرم الله وجهه في الجنة ان ثمه عقوبات بالفقر ومثوبات فعلامة

الفقر

الفقرا اذا كان متوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه
ولا يشكو حاله ويشكر الله على فقره ۞ ومن علامته اذا كان
متوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي به ربه ويكثر الشكاية
ويسخط للقضا وهذا يدل على ان كل فقر فليس بمحمود
بل الذي لا يتسخط او يفرح بالفقر لعلمه بثمرته اذ قيل ما اعطي
عبد شيئا من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة اشيا
شغل وهم وطول حساب **الادب الثالث**
في اعماله وهو ان لا يتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه
قال **امير المومنين كرم الله وجهه** ما احسن تواضع الغني
للفقير رغبة في ثواب الله وما احسن منه تيه الفقير على
الغني ثقة بالله فهذه رتبة عالية واقل منها ان لا يخالط
الاغنيا ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادي الطمع قال
الثوري اذا خالط الفقير الاغنيا فاعلم انه مراء واذا خالط
السلطان فاعلم انه لص وقال بعض العارفين اذا مال
الفقير الى الاغنيا انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته
فاذا سكن اليهم ظل فينبغي ان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنيا
وطمعا في العطا منهم **الادب الرابع** في افعاله فان الفقير لا
يفتر بسبب الفقر عن عبادته ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه
فان ذلك جهد المقل وفضله افضل من اموال كثيرة تبذل عن
ظهر غنا وروا زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة

افضل عند الله من مائة الف درهم فتصدق بها واخرج رجل درهما
من درهمين لا يملك غيرهما بطيب من نفسه وصار صاحب
الدرهم افضل من صاحب مائة الف درهم وينبغي ان لا يدخر مالا
بل ياخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي فهذه آداب الفقير في
فقره

البيان الرابع في ذكر خطر السوال من غير ضرورة

اعلم ان النهي وارد في السوال
وتشديدات كثيرة وورد ما يدل على الرخصة كقوله صلى الله عليه واله
وسلم للسائل حق ولو جا على ظهر فرس وفي حديث آخر لا تردوا السائل
ولو بظلف محرق ولو كان السوال حراما مطلقا لما اجاز اعانة المتعدي
على عدوانه ولا شك ان الاعطا اعانة والكاشف للغطا عما نحن فيه
ان نقول السوال محرم في الاصل وانما يباح لضرورة او حاجة مهمة
قريبة من الضرورة فان كان عنه بد فهو حرام وانما قلنا ان الاصل
حرام هو المنع والتحريم لانه لا ينفك عن امور ثلاثة **اولها**
الشكوى من الله تعالى لان السوال اظهار للفقر وذكر لقصور نعمة
الله تعالى وهو عين الشكوى فكما ان العبد المملوك لو سال
لكان شكاه وسواله تشنيعا على سيده فكذا سوال
العباد فيه شناعة على الله سبحنه وتعالى وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل
الا لضرورة كما تحل الميتة **وثانيها** ان فيه اذلالا للسائل نفسه
لغير الله وليس للمومن ان يذل نفسه لغير الله بل عليه ان يذل
نفسه لمولاه فان فيه العز كله فاما سائر الخلق

فانهم عباد امثاله فلا ينبغي له ان يذل لهم الا للضرورة وفي
السوال اذلال للسائل بالاضافة الى المسؤول **وثالثها**
انه لا ينفك عن ايذاء المسؤول **غالبا** لانه ربما لا يسمح
نفسه بالبذل عن طيبة قلب فان بذل حياء من السائل
او رياء فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحيى وتاذى بالمنع
في نفسه او برا نفسه في صورة البخلا ففي البذل نقصان
ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذ والسائل هو السبب
في هذى الايذا والايذا حرام الا للضرورة واذا فهمت هذه المحذورات
الثلاث فهمت قول الرسول صلى الله عليه واله وسلم مسئلة الناس
من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماه فاحشة
ولا يخفا ان الفاحشة انما تباح للضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص
بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من سال
عن غنا فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سال وله ما يغنيه جا يوم
القيمة ووجهه عظم يتقعقع ما فيه لحم وقال صلى الله عليه واله وسلم
المسئلة كدوح وعدوس وقال صلى الله عليه واله وسلم من سال وله ما
يكفيه فانما يستكثر من جمر جهنم وفي حديث آخر قيل وما الذي يكفيه
قال ما يغديه ويعشيه ومرة قال خمسون درهما فهذه الالفاظ
كلها صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة وان لا يسالوا
الناس شيئا وكان يامر كثيرا بالتعفف ويقول من سالنا اعطيناه

ومن استغنا اغناه الله ومن لم يسالنا فهو احب الينا
وقال استغنوا عن الناس وما قل عن السوال فهو خير قالوا
ومنك يا رسول الله قال ومني وسمع رجلاً سايلا بعد المغرب
فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه فسمعه ثانية يسال
فقال الم اقل لك عش الرجل فقال قد عشيته فنظر عمر فاذا
تحت يده مخلاه مملوه خبزًا فقال لست سايلا ولكنك تاجر
ثم اخذ المخلاه فنثرها بين ايدي ابل الصدقه وضربه بالدرة
وقال له لا تعد ولولا ان سواله كان حرامًا ما ضربه ولا اخذ مخلاته

فائدة اعلم ان الادخار له ثلاث درجات الاولى
منها وهي افضلها درجه وهي درجة الصديقين
وهي ان لا يدخر الا ليوم وليله من غير زياده الثانية
ان يدخر لاربعين يومًا فان ما زاد على ذلك داخل في طول الامل
وهذه درجه المتقين وقد نبه الله على ذلك بمواعدة
موسى اربعين ليله ففيه رخصة في الثالثة ان يدخر لسنة
وهي اقصا المراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد على ذلك كان
هو على جهة الرخصه لاعراض تخالف الورع والحزم

القسم الثاني في الزهد اعلم ان الزهد انما هو عبارة عن انصراف
الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء الى ما هو خير
منه او مثله او دونه بمعاوضة وبيع وغيرهما فانما عدل عنه
لرغبة عنه وانما عدل اليه لرغبة فيه فحالة بالاضافة الى المعدول
عنه تسمى زهدًا وبالاضافة الى المعدول اليه تسمى رغبة وحبًا

فالزهد لا محالة يستدعي مرغوبًا عنه ومرغوبًا فيه فكل
من باع الدنيا بالآخرة فهو يسمّى زاهدًا في الدنيا وكل من باع الآخرة
بالدنيا فهو ايضا يسمى زاهدًا في الآخرة خلا ان العادة جارية
بتخصيص اسم الزهد لكل من زهد في الدنيا كما خصص اسم الالحاد
بكل من مال الى الباطل من الاديان وان كان هو الميل في
وضع اللسان فحصل من مجموع ما ذكرناه ان الزهد عبارة عن
رغبته عن الدنيا عدولا الى الآخرة وعن غير الله عدولا الى الله تعالى
وهي الدرجة العليا ولهذا قيل لابن المبارك يا زاهد قال
الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها واما انا فبما
ذا زهدت فاذا عرفت هذا فلنذكر فضيلة الزهد ثم نذكر درجات
الزهد ثم نردفه بذكر علامات الزهد فهذه ايضاحات ثلاثة

الايضاح الاول في بيان فضيلة الزهد

ويظهر من جهات ثلاث **الجهة الاولى** الآيات القرآنية
قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله ثواب الله خير نسب
الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال
تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا جاء في التفسير
على الزهد في الدنيا وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين
انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا

قيل معناه ايهم ازهد فيها فوصف الزهد بانه احسن الاعمال وكال
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب وكال
تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة
الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وكال تعالى الذين يستحبون
الحيوة الدنيا على الآخرة فيه وصف للكفار ومفهومه ان المؤمن
هو الذي يتصف بنقيضه وهو انه يستحب الآخرة على الدنيا

الجهة الثانية الاخبار فما ورد فيها من ذم

الدنيا كثير كقوله صلى الله عليه واله وسلم من اصبح وهمه الدنيا
شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم
ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله امره
وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا راغمة وكال
الرسول صلى الله عليه واله وسلم اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا
في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد كال تعالى ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولهذا قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما
اجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه وانطق بها لسانه وعن بعض الصحابة
رضي الله عنهم كال قلنا يا رسول الله اي الناس خير كال كل مخموم القلب
صدوق اللسان كال قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب كال التقي
النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قلنا يا رسول
الله فمن على اثره كال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة ومفهومه

139

ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال ان اردت
ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببًا للمحبة ومن
احبه الله فهو في اعلا الدرجات فينبغي ان يكون الزهد على
المقامات عند الله ومفهومه ان محب الدنيا متعرض لبغض الله
وفي خبر من طريق اهل البيت عليهم السلام الزهد والورع يجولان
في القلب كل ليلة فان صادفا قلبًا فيه الايمان والحيا اقاما فيه
والا ارتحلا ولما قال جابر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا مؤمن حقًا
قال وما حقيقة ايمانك قال عرفت نفسي عن الدنيا فاستوا عندي
حجرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزًا فقال
صلى الله عليه وآله وسلم عرفت فالزم عبد نور الايمان قلبه ولما
سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى
ومن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قيل ما هذا
الشرح قال النور اذا دخل القلب فانشرح له الصدر وانفسح قيل
يا رسول الله فهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور
وقال صلى الله عليه وآله وسلم استحيوا من الله حق الحيا قالوا انا نستحي
قال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون فبين ان ذلك
ينافي الحيا من الله عز وجل وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه وانطق بها لسانه
وعرفه داء الدنيا ودوائها واخرجه منها سالمًا الى دار السلام والله اعلم بالصواب

الجهة الثالثة الآثار قال بعض الصحابة تابعت
الاعمال كلها فلم ار في الاخرة وامرها ابلغ من زهد الدنيا وقال
بعض الزهاد من الصحابة لبعض التابعين انتم اكثر اعمالا
واجتهادا من اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهم كانوا
خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وعن عمر
الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد وقال بلال بن سعد
كفى به ذنبا عند الله تعالى انه تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب
فيها وقال رجل لسفيان الثوري اشتهي ان ارى عالما زاهدا
فقال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب ابن منبه ان للجنة
ثمانية ابواب فاذا صار اهل الجنة اليها جعل البوابون يقولون
وعزة ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين في الدنيا والعاشقين
للجنة وقال يوسف بن اسباط انى اشتهي من الله تعالى ثلاث
خصال ان اموت حين اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون
علي دين ولا على عظمي لحم ففعل فاعطي ذلك كله الإيضاح
الثاني في بيان علامة الزهد اعلم
انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس الامر كذلك فان ترك المال
واظهار الخشونة سهل على كل من احب الثناء والمدح فكم من الرهبان
من ردوا انفسهم كل يوم على قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب
له وانما مسرتهم معرفة الناس حالهم ونظرهم اليهم ومدحهم لهم

فذلك

فذلك يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لابد للزهد
من ترك المال والجاه حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا
ولهذا فانه قد ادعا جماعة الزهد ولبس الاصواف الفاخره
والاثواب الرفيعه كما قال بعض الزهاد في وصف المدعين
للزهد حيث قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من الثياب
يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم وهم اكلة
الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب اخلاقهم
ونفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم بل ينبغي ان يعول في الزهد
على ثلث علامات

العلامة الاولى ان لا يفرح
بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما اتاكم بل ينبغي ان يكون بالضد من ذلك وهو ان
يحزن بوجود المال ويفرح بفقده فهذه علامة الزهد في المال

العلامة الثانية ان يستوي عنده مادحه وذامه
وهذه العلامة امارة للزهد في الجاه ولهذا قال بعض الزهاد
من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين
ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين
والزاهد لابد له من احد ان احد المقامين ليكون احدا
والغالب على

العلامة الثالثة ان يكون انسه بالله
قلبه حلاوة الايمان الطاعة اذ لا يخلو القلب من حلاوة المحبة

اما محبة الدنيا واما محبة الله وهما في القلب كالما والهوى
في القلح فاذا دخل الماخرج الهوا فهما لا يجتمعان ابدًا
وكل من انس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولهذا قيل
لبعضهم الى ماذا قنعني بالزهاد الزهد قال الى الانس بالله فحصل
من مجموع ما ذكرناه ان علامة الزهد استوا الغنا والفقر
والعز والذل والمدح والذم لاجل الانس بالله ۞ قال
مولانا امير المومنين الامام المويد بالله عليه
الصلوة والسلام ولنورد على اثر هذه العلامات اقاويل
الزهاد في علامات الزهد القول الاول ان يترك الدنيا ولا
يبالي من اخذها القول الثاني ۞ ان علامة الزهد السخا بالموجود
القول الثالث ۞ ان يترك الدنيا لاهلها من غير تغيير بزيادة ولا نقصان
فلا يقول ابني مسجدًا ولا احدث رباطًا القول الرابع علامة الزهد
عزوف النفس عن الدنيا من دون تكلف ۞ القول الخامس علامة
الزهد قصر الامل القول السادس علامة الزهد بلا شبهة انور
عمل بلا ريا • وقول بلا طمع • وعز بلا رياسة القول السابع
جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل
الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد وقال بعضهم الدنيا
كالعروس والذي يطلبها مثل الماشطة لها والزاهد فيها يدنس وجهها

وينتف

وينتف شعرها ويحرق أثوابها فنسأل الله أن يرزقنا من
مبادي الزهد نصيبًا وإن قلّ فإن أمثالنا لا يسعى على
الوصول إلى غاياته فإن رجاءنا في الله غير منقطع وآداء حظنا
عجائب نعم الله علينا وفواصل كرمه لدينا فلا يبعد أن يعظم علينا
السؤال اعتمادًا منا على ما تحققه من الجود المجاوز لكل كمال

الإيضاح الثالث في بيان درجات الزهد

أن الزهد منقسم إلى ما يكون بالإضافة إليه في نفسه وإلى ما يكون
بالإضافة إلى المرغوب عنه وإلى ما يكون بالإضافة إلى المرغوب فيه فهذه
ثلاثة أنواع نذكرها ونختص كل واحد منها بعونة الله تعالى

النوع الأول بالإضافة إليه في نفسه وله درجات ثلاث

الدرجة الأولى منها أن يزهد في الدنيا وهو في
غاية الشهوة لها وقلبه إليها مائل ونفسه إلى لذاتها ملتفتة
ولكنه يجاهدها ويكفها ويستعين بالله على منعها فزهده
حاله فإنه يسمى متزهدًا لا زاهدًا وهو مبدأ الزهد في حق من
يريد الوصول إلى درجة الزهد فالزاهد يذيب نفسه في الطاعة
لا في الصبر على ما فارقه لأنه قد أيس إلى الرجوع إليه والمتزهد
هو الذي يذيب نفسه على الصبر على ما فارقه ولا يؤمن
العودة إليه **الدرجة الثانية** الذي يترك الدنيا
طوعًا لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ما هو طامع فيه كالذي

يترك درهما لاجل حصول درهمين فانه لا يشق عليه ذلك
وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى ان
هذه لا محاله ويلتفت اليه كما يرا البايع المبيع ويعجبه زهده
ويظن بنفسه انه ترك شياله قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا
ايضا نقصان ٥ الدرجة الثالثه ان يزهد طوعا ويزهد
في زهده فلا يرا زهده اذ لا يرا في نفسه انه ترك شيا اذ عرف
ان الدنيا لا شي فيكون كمن ترك خنفسا واخذ جوهرة او
درع فلا يرا ذلك حاصلا علا نحو المعاوضه ولا يرا نفسه
تاركا شيا والدنيا بالاضافة الى الله تعا والى نعيم الاخره
انزل قدرا واخس من خنفسا بالاضافة الى جوهره
فهذا هو الكمال في الزهد وقيل هذا الزاهد امن من خطر
الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخنفسا امن من طلب
الاقاله في المبيع ٥ النوع الثاني بالاضافة الى المرغوب
فيه وهو ايضا على درجات ثلاث الدرجة الاولى
وهي السفلا ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار وساير
الالام نحو عذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر المرور على
الصراط وساير ما بين يدي العبد من الاهوال الامور وتبه
كما ورد في الاخبار ان الرجل ليوقف في الحساب مالو ورد مائة
بعير عطاشا على غرقه لصدرت رواء فهذا زهد الخايفين
الدرجة الثانيه ان يزهد في الدنيا رغبة في ثواب الله

ونعيمه



ونعيمه وتحصيل اللذات الموعود بها في جنته من الحور
والقصور وغيرهم وهذا اهون زهد الراجين وان هؤلاء
ما تركوا الدنيا الا من اجل وجود دائم على نعيم قائم كالاخرة
الدرجة الثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله
عز وجل وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليقصد الخلاص
منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق
الهمة بالله تعالى وهذا اهون زهد المحبين العارفين لانه ما احب الله خاصة
الا من عرفه **النوع الثالث** بالاضافة الى المرغوب عنه
ان كل ما يرغب عنه من شهوات الدنيا ولذاتها فهو خارج عن الحصر
وقد حصره الله في كتابه الكريم وجعله على مراتب اربع **المرتبة الاولى**
جعلها سبعة في اية واحدة فقال زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا **المرتبة الثانية**
ان الله تعالى ردها في اية اخرى الى خمسة فقال اعلموا انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
المرتبة الثالثة ان الله تعالى رده في اية اخرى الى امرين فقال انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو **المرتبة الرابعة** ان الله تعالى رده
في موضع الى واحد فقال واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن
الهوى فان الجنة هي المأوى والهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس
في الدنيا فينبغي ان يكون الزهد حاصلا فيه فهذه الكلمة اشارة الى الزهد
في المرغوب عنه على الاجمال **واما** الاشارة على جهة التفصيل

فاعلم انما ينهمك فيه الناس ينقسم الى قسمين الى مايكون فضولًا والى المهم ۞ فاما الفضول فنحو الخيل المسوّمه وهذا من الفضلات التي يستخف بها اكثر الخلق ۞ واما المهم فاصناف خمسه المطعم والملبس والمسكن والمنكح والمال ۞ الصنف الاوّل المطعم فاجنسه فاقله الخبز من النخالة واوسط خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر من غير نخل فاما اذا نخل فهو من الترفّه ۞ واما مقداره فاقله في اليوم والليله نصف رطل واوسط رطل واعلاه مُدٌّ ۞ واما الادام فاقله البقل والخل والملح واوسطه الزيت وسائر الادهان واعلاه اللحم ۞ واما وقته فاقله في اليوم والليله اكله واوسط الغدا والعشا اكلتان واعلاه ان يطوي ثلاثة ايام علا قدر الامكان ۞ الصنف الثاني الملبس فالزهد فيه ادناه كسا غليظا يستر به عورته واوسط قميص وقلنسوه ونعلان واعلاه قميص وسروال وملحفه وما زاد على هذا فليس من الزهد في شي ۞ الصنف الثالث المسكن واعلاه ان لا يطلب موضعا يتعف فيه وتكفيه زوايا المساجد والخانات كاصحاب الصفه ۞ واوسط ان يطلب موضعًا خاصًا من سعف او خوص وادناه ان يتخذ حجرة مبنية وما عدا ذلك فليس من الزهد في شي ۞ الصنف الرابع النكاح فان كانت المراة شاغلة عن ذكر الله فتركها يكون زهدًا او ان كانت غير شاغلة فالنكاح لا باس به للزاهد لما فيه من قطع النظر وازالة الشوق

ومیل

وميل القلب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
سيد الزهاد وكان له تسع نسوة وامير المومنين كان ازهد
الصحابة فمات عن اربع نسوة وبضع عشرة سرية **الصنف**
الخامس اثاث البيت فالزهد فيها فاقلها ان لا يستعمل الا ما لا
بد له منه فليكن من الخزف ولا يبالي كيف كان مكسوراً كان او مثلوما
اذا كان فيه قضا الحاجة وليكن الاناء ما يصلح لحوائج كثيرة يستغني
به عن غيره . واوسطها ان يكون له اثاث مقدر بقدر الحاجة
صحيح في نفسه . واعلاها ان يكون له آلة بعدد كل حاجة من المنازل
الخفيف في الحمل القليل في القيمة ليكون جامعاً من الخصال الزهد
ولينظر الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الصحابة
بعده ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نائما على حبال السرير
ما فوقه شي حتى تؤثر الحبال في جسمه الشريف وقد كانت له وسادة
من ادم حشوها الليف وهذا ما اردنا ذكره من اسرار الزهد وشرح
اقسامه على جهة الايجاز والاختصار والله الموفق وهو نعم المعين

الباب الخامس في المراقبة والمحاسبة وهما

منزلتان من منازل المتقين . وقال تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال تعالى ما لهذا القران لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها . وقال يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما
عملوا احصاه الله ونسوه وقال الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى يوم

تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان
بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقال واعلموا
ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وقال واعلموا ولنذكر المراقبة
ثم نردفها بالمحاسبة فهذان مقامان ﴿ المقام الاول ﴾ في
المراقبة اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف
الهمة اليه فمن احترز من امر من الامور بسبب غيره يقال انه يراقبه
ويراعي جانبه ونعني هذه المراقبة حالة للقلب تثمر المعرفة بالله
وتلك الحالة تثمر اعمالا في الجوارح بالطاعة والانكفاف عن المعصية
فحاصل معنى المراقبة اشتغال القلوب بالله تعالى والله مطلع على
السرائر عالم بالضمائر محيط بحقائق الاعمال فالى هذا ترجع حقيقة
المراقبة ومعناها فاذا عرفت هذا فلنذكر فضل المراقبة ودرجاتها
وكيفيتها فهذه تنبيهات ثلاثة ﴿ التنبيه الاول ﴾
في بيان فضلها وقد قال تعالى افمن هو قائم على
كل نفس بما كسبت وقال تعالى الم يعلم بان الله يرى وقال تعالى ان الله
كان عليكم رقيبا وقال تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال تعالى يعلم
خائنة الاعين وما تخفي الصدور ﴿ و ﴾ وقال الرسول صلى الله عليه
واله وسلم اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لرجل يوصيه اذا اردت امرا
فتدبر عاقبته فان يكن رشدا فامضه وان يكن غيا فانته

وقال

وقال عمر حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها
قبل ان توازنوا وكتب عمر الى بعض عماله حاسب نفسك في الرخا
قبل حساب الشدة وقال لقمان ان المومن ابصر العاقبة فامن
الندامة وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ومعنى
دان نفسه اي حاسبها ويوم الدين هو يوم الحساب وقوله
تعالى انا لمدينون اي محاسبون وسئل ذا النون بما ينال العبد الجنة
فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو
ومراقبة لله في السر والعلانية وانتظار الموت بالتاهب له
ومحاسبة النفس قبل ان تحاسب وقال بعض الحكماء لم تزين
القلب بافضل ولا اشرف من علم العبد بان الله شاهده حيث كان
وسئل بعضهم عن قول الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي
ربه فقال ذلك معناه لمن راقب الله وحاسب نفسه وتزود
لمعاده وقال بعض الزهاد لمن يعظه لئن كنت عصيت الله خاليا
وظننت انه يراك فقد اجترات على امر عظيم ولئن كنت تظن انه
لا يراك فلقد كفرت وقال سفيان الثوري عليك بالمراقبة ممن
لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفا وعليك بالحذر
ممن يملك العقوبة وحكي ان الله تعالى قال لملائكته انتم موكلون
بالظواهر وانا رقيب على البواطن كلها والله اعلم

التنبيه الثاني

في بيان درجاتها وهي منقسمة بالاضافة الى اهلها درجتين تلك
الدرجة الاولى درجة المقربين من اهل الصدق

وهي مراقبة التعظيم والاجلال لخالقهم وهو ان يصير القلب
مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال الاكبر ومنكسرا تحت الهيبة
والكبرياء فلا يبقى هناك متسع الى غيره وهذه مراقبة عظيمة
لا تستقيم الا للآحاد والافراد فانها مقصورة على القلوب
اما الجوارح فانها تتعطل عن الالتفات الى المباحات فضلا
عن المحظورات واذا تحركت للطاعات كانت كالآلات المستعملة
فلا تحتاج الى تدبير في حفظها على سنن السداد فاذا صار القلب
مستغرقا بالعبودية صارت الجوارح جارية على جهة الطاعة
والانقياد **الدرجة الثانية** مراقبة الصديقين وهؤلاء
هم الذين غلب عليهم يقين الاطلاع من الله تعالى على بواطنهم وظواهرهم
ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال
متسعة للالتفات الى الاحوال والاعمال الا انها لا تخلو مع ممارسة
الاعمال عن المراقبة لله تعالى خلا انهم قد غلبهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون
ولا يحجمون الا بعد التثبت ويمتنعون مما تقع فيه المناقشة عند الله
الدرجة الثالثة مراقبة اهل الصلاح وهؤلاء لا تخلو نفوسهم
عن المراقبة لكنها تكون تارة بعد تارة ووقتا بعد وقت والاغلب
على احوالهم ملابسة الاعمال الظاهرة لكنهم لا يخلون قلوبهم عن الالتفات
الى الله تعالى والمراقبة لجلاله وهكذا تختلف مراتب الخلق في مراقبة
الله تعالى ومن كان بهذه الحالة فانه محتاج الى مراقبة الله تعالى في جميع حركاته
وسكناته وخطراته ولحظاته **التنبيه الثالث**

في كيفية

في كيفية المراقبة فتكون تارة قبل العمل وتارة تكون في حالة العمل فهاتان حالتان **الحالة الاولى** مايكون قبل العمل فلينظر العامل ما ظهر له وتحرك من اجله خاطره ووقع في نفسه خاصته او هو في متابعة هوى النفس وموافقة الشيطان فان كان لله تعالى امضاه وعاجل في فعله وان كان لغير الله استحيا من الله وانكف عنه ولام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله اليه وعرف نفسه سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وانها عدوة له وهذا انما يكون في بداية الامر وفي الحديث انه ينشر للعبد في كل حركة ثلاثة دواوين فالديوان الاول لم والثاني كيف والثالث لمن فقوله لم اراد ما الداعي لك الى فعله وقوله كيف اراد هل بعلم او جهل وقوله لمن اراد لله او لغيره وهو سؤال الاخلاص **الحالة الثانية** مايكون في حال العمل وذلك يكون بتفقد احوال العمل ليقضي حق الله فيه وليحسن النية في اتمامه واكمال صورته وخلوص القصد حتى يكون مرضيا لله تعالى في كل احواله فان افعال العبد لا يخلو حالها اما ان تكون طاعة او معصية او مباحة فان كانت في معصية راقب الله في الانكفاف عنها وان كانت في طاعة راقب الله في الاخلاص والاكمال لها وان كان مباحا فمراقبته بمراعاة الادب وتاديه الشكر على نعماه

المقام الثاني

اعلم ان المحاسبة هي مطالعة القلب واعمال اللسان واعمال الجوارح فلو رمى العبد في كل معصية حجرا في داره في مدة قريبة

من عمره لامتلأت الدار ولكنه تساهل في حفظ ذلك والملكان
يحفظانه كما قال تعالى احصاه الله ونسوه وحكي عن بعض الحكماء
المراقبين لاعمالهم واحوالهم انه حسب عمره فاذا هو ابن ستين سنة فحسب
ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ باعلا صوته
وقال يا ويلتي القا الله تعالى باحد وعشرين الف ذنب وخمسمائة
ذنب كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب فخر مغشيا عليه
فاذا هو ميت فسمعوا هاتفا يقول يا لك ركضة الى الفردوس
الاعلا فهكذا تكون محاسبة اهل الحزم لانفسهم فاذا عرفت هذا
فلنذكر فضل المحاسبة ثم نذكر معاقبة النفس على تقصيرها ثم نذكر
توبيخ النفس وعتابها فهذه ايضاحات ثلاثة فصلها
بمعونة الله تعالى

الايضاح الاول في بيان فضيلة المحاسبة

قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
ولتنظر نفس ما قدمت لغد فهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى
من الاعمال وقال تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم
به الله واقول ان هذه الآية اعظم آية في المؤاخذة لما
نزلت الآية بكى عبد الله بن عمر فقال له ابن عباس رحم الله ابا
عبد الرحمن ان الله تعالى يقول لا يكلف الله نفسا الا وسعها
وفي الخبر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ينبغي ان يكون
للعبد ثلاث ساعات ساعة يحاسب نفسه فيها وساعة يخلو
باهله وساعة يلهو بتوسده وفرشه وقال صلى الله عليه وآله
وسلم اني لاتوب الى الله في اليوم والليلة مائة مرة وانما تكون التوبة

لاجل

لاجل محاسبته على الذنوب وقال تعالى ان الذين
اتقوا اذا مسهم طآئف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون وعن عمر انه كان يضرب قدميه بالدرة ويقول ماذا
عملت اليوم ٥ وعن بعض الزهاد انه قال لا يكون العبد من المتقين
حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبته شريكه والشريكان يتحاسبان
بعد العمل ٥ وفي حديث ابي طلحة انه لما شغله الطير في صلاته فتدبر
شغله فجعل حايطه صدقة لله تعالى ندمًا ورجاءً للعوض عما فاته
وفي حديث ابي سلامة انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد
كان في بنيك وغلمانك من يكفيك قال اردت ان اجرب قلبي هل
ينكر ذلك ٥ وقال الحسن المومن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله تعالى
وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب
على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة وقال انس بن مالك سمعت
عمر بن الخطاب وقد خرجت معه حتى دخل حائطًا فسمعته يقول وبيني و
بينه جدار وهو في الحايط عمر بن الخطاب امير المومنين بخ بخ والله لتتقين
الله او ليعذبنك ٥ وقال مالك بن دينار رحم الله عبدًا قال
لنفسه الست صاحبة كذا الست صاحبة كذا ثم زمها ثم خطمها
ثم الزمها كتاب الله وهذا من معاتبة النفس كما ترا والله اعلم

الايضاح الثاني في بيان معاتبة النفس على التقصير ٥

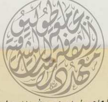
واذا حاسب الانسان نفسه فلم يسلم عن مقارفة معصية وارتكاب
تقصير في حق الله فلا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليه مقارفة المعاصي



وانست بها نفسه وعزعليه فطامها وكان ذلك
سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة فيها
شبهة لشهوة نفس فينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر
الى غير محرم ينبغي ان يعاقب العين بعدم النظر وكذلك يعاقب
كل طرف من الاطراف بمنعها عن شهواتها فهكذا كانت عادة
السالكين لطريق الاخرة فقد روي عن بعض العباد انه كلم
امراة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها فوضع يده في النار
حتى يبست وروي انه كان رجلا من بني اسرائيل تعبد في صومعته
فمكث زمانا طويلا فاشرف ذات يوم فاذا هو بامراة فافتتن بها
وهم بها فاخرج رجليه لينزل اليها فادركه الله تعالى بسابقة فقال ما هذا
الذي اريد ان اصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه الله فندم فلما
اراد ان يعيد رجليه الى الصومعة قال هيهات هيهات
رجل خرجت تريد ان تعصي الله تعود معي في صومعتي لا يكون والله ذلك
فتركها معلقة في الصومعة تصيبها الامطار والرياح والثلج
حتى تقطعت وسقطت فشكر الله له ذلك وانزل في الكتاب
ذكره وروي عن بعض الزهاد انها تكشفت له جارية فنظر
اليها فرفع يده ولطم عينه حتى خرجت وقال انك للحظ الى ما يضرك
فهكذا كانت عادتهم في الحزم على انفسهم والعجب انا نعاقب العبيد
والاما والاهل والاولاد على ما يفعلون ويصدر منهم من سوء الخلق

ونحاف





ونخاف ان نجاوزنا عنهم بغوا وطغوا ثم انا نهمل انفسنا
وهي اعظم الاعداء لنا واشد طغيانا فهي بالمعاقبة احق

الايضاح الثالث في توبيخ النفس ومعاتبتها اعلم

ان اعدا عدوك هي نفسك التي خلقت بين جنبيك وقد
خلقت امارة بالسوء امارة بالشر فرارة من الخير فانك
مامور بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة
ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان
اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها
بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة فلا تغفل عنها ساعة
واحدة عن تذكيرها وعتابها ولا تشتغل بوعظ غيرك مالم
تشتغل اولا بوعظ نفسك فقد اوحى الله تعالى الى عيسى
عليه الصلوة والسلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس
والا فاستحي مني وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اي
وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وحماقتها فانها
تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد انفها واستنكافها
اذا نسبت الى الحمق فتقول لها ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء
والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما تعرفين ما
بين يديك من الجنة والنار وانت صائرة الى احديهما على
القرب فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو واللعب

وابنت مطلوبه بهذى الخطب الجسيم وعساك اليوم تخطفين
او غدا او ان اكو تزين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما
تعلمين ان كل ما هو ات قريب وان البعيد ماليس بات اما
تعلمين ان الموت ياتي بغتة من غير تقدم رسول ومن غير موعدة
ومواطاة وانه لا ياتي في شتاء دون صيف ولا في صيف دون
شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا ياتي في الصبا
دون المشيخ ولا في المشيخ دون الصبا بل كل نفس يمكن ان ياتيها
الموت بغتة وان لم يكن الموت فجاة والمرض لا محالة فجاة ثم
المرض يفضي الى الموت فمالك لا تستعدين للموت وهو اقرب من حبل
الوريد فهكذا عادة اهل الزهد والعباده في عتاب انفسهم
وتوبيخها فان مطلبهم من المناجات الاسترضا ومقصدهم من المعاتبه
التنبيه والاسترعا فمن اهمل المعاتبه والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا
ويوشك ان لا يكون الله تعالى عليه راضيا فنسال الله معرفة محققة بحوال
النفس وغرورها

الباب السادس من مقالة المحباب في

بيان التوكل وهو مقام عظيم من مقامات الابرار
وقد اكثر فيما نريد من بيان مقاصده واحكامه نذكر مقالة
الشيوخ في حقيقة التوكل قال ذو النون التوكل هو خلع الارباب
وقطع الاسباب فقوله خلع الارباب اشارة الى التوحيد وقوله
قطع الاسباب اشارة الى الاعمال وتعلقها بالله تعالى وقال بعضهم

الزهاد

الزهاد التوكل هو التعلق بالله في كل الاحوال. ت وقال
اخرون التوكل هو اضطراب بغير سكون وسكون بغير اضطراب
واراد بقوله سكون من غير اضطراب اراد به سكون القلب الى
الله تعالى وقوله اضطراب من غير سكون اشارة الى فزعه الى الله
تعالى وابتهاله وتضرعه. وحكي عن ابي على الدقاق انه قال التوكل
ثلث درجات التفويض ثم التسليم ثم الصبر والمختار في حقيقة
التوكل انه القاء الأمور الى الله تعالى في كل الاحوال فاذا عرفت هذه
فلنذكر فضيلة التوكل ثم نذكر حال الادخار ثم نردفه بذكر
آداب المتوكلين في اشغالهم فهذه تنبيهات ثلاثة

التنبيه الأول

في بيان فضيلة التوكل وطهوره من جهات ثلاث

الجهة الأولى الايات القرانيه وهذه كقوله تعالى وعلى
الله فتوكلوا ان كنتم مومنين. وقوله تعالى على الله توكلنا وقوله تعالى
وعلى الله فليتوكل المومنون. وقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه
وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقوله تعالى ومن يتوكل
على الله فان الله عزيز حكيم. وقال تعالى ان الذين تدعون
من دون الله عباد امثالكم اراد ان ما سوى الله فهو عبد مسخر فكيف
تطلب حاجتك منه وتتوكل عليه. وقال تعالى ان الذين تدعون من دون
الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وكلما ذكره الله تعالى
في القران من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة من الاغيار والتوكل على

على الله تعالى [illegible] العباد مع

الجهة الثانية الاخبار فقد قال رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم فيما رواه ابن مسعود رايت الامم بالموسم
فرايت امتي قد ملؤا السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهيئتهم و
قيل لي ارضيت فقلت نعم فقال ومع هؤلاء سبعون الف
يدخلون الجنة بغير حساب قيل ومن هم يا رسول الله قال
الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم
يتوكلون فقام عكاشة ابن محصن فقال ادع الله يا رسول الله
ان يجعلني منهم قال انت منهم فقام اخر فقال ادع الله يا رسول
الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه
واله وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدوا
خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه واله وسلم من انقطع الى الله
كفاه كل مؤنة فيها ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا
وكله الله اليها وروي عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم انه كان اذا
اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة بهذا امرني ربي حيث
قال وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وقال صلى الله عليه واله وسلم
لم يتوكل من اكتوى واسترقى **الجهة الثالثة الاثار** قال سعيد
بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت علي امي لتسترقين فناولت يدي
الراقي التي لم تلدغ وقال بعض العلماء لا يشغلنك
المضمون من الرزق عن المفروض من العمل عليك وقال

بعض



بعض الزهاد وتوكل على الحي الذي لا يموت الى اخر الايه
فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الايه ان يلجا الى احد غير الله سبحانه
وقال يحيى معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان
الرزق مامور بطلب العبد وقال ابرهيم بن ادهم سالت بعض الرهبان
من اين تاكل فقال ليس العلم عندي ولكن سل ربي من اين اطعمني
وقال بعضهم متى رضيت الله وكيلاً وجدت الى كل خير سبيلاً
وقال اويس القرني اي لهذه القلوب لقد خالطها الشكوك
فما تنتفع بالموعظة ٭ **التنبيه الثاني في بيان حكم الادخار**
ان النفوس خلقت مطبوعة على الحرص ومطيعة له وبنا دان
يكون معنا قصنا للتوكل فمن حصل له مال بارث او كسب او سبب
من الاسباب فله في ادخاره ثلاثة احوال **الحالة الاولى** ان
ياخذ قدر حاجته منه في الوقت فياكل ان كان جايعاً ويلبس ان
كان عارياً ويشتري مسكناً ان كان محتاجاً ويفرق الباقي
ولا ياخذه ولا يدخره الا القدر الذي يستعمله ويحتاج اليه فهذا
هو الوفا بموجب التوكل تحقيقاً وهي الدرجة العليا **الحالة الثانية**
المقابلة لهذه وهي المخرجة من حدود التوكل ان يدخر لسنة فما فوقها
فهذا اليس من التوكل في ورد ولا في صدر وقيل انه لا يدخر من
الحيوانات الا الثلاثة الفار والنملة وابن ادم وهو

احرصها واعظمها في الادخار **الحالة الثالثة** ان يدخر
لاربعين يوما فما دونها فهذا اهل يوجب حرمانه المقام المحمود
في الاخرة للمتوكلين فيه تردد فذهب بعض الزهاد الى انه يخرجه
عن حد التوكل وقال اخرون الى انه لا يخرج بهذه القدر عن حد
التوكل وقال اخرون لا يخرج بالزيادة على الاربعين عن حد التوكل
والمختار ان التوكل بترك الادخار لا يتحقق الا بقصر الامل فالشان
كله في تقصير الامل فمن طال امله كثر حرصه ومن قصر امله قل حرصه
وحسن عمله وورعه

التنبيه الثالث في بيان آداب المتوكلين في تصرفاتهم واحوالهم

اعلم ان للمتوكلين آدابا نذكرها **الادب الاول** ان لا
يغلق بابه ولا يستقصي في اسباب الحفظ كالتماس الجيران
بالحفظ لمتاعه ونحوه مع لمغالق كثيرة ولقد كان مالك ابن دينار
لا يغلق بابه ويشده بخيط ويقول لولا الكلاب ما شددته

الادب الثاني ان لا يترك في البيت متاعا يحرص عليه من
السراق فيكون سببا في سرقتهم واقدامهم عليه لان امساكه
يكون داعيا لهيجان رغبتهم فيه **الادب الثالث**
ان كل ما يضطر الى تركه في البيت ينبغي ان ينوي عند خروجه
الرضا بما يقضيه الله تعالى من تسليط سارق عليه ويقول في نفسه

سر

ما آخذه السارق فهو منه في حل وسعة او هو في سبيل الله تعا
فان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط فهو اولى **الادب**
الرابع اذا وجد المال قد سرق فينبغي ان لا يحزن بل يفرح ان
امكنه ذلك ويقول لولا ان الخيرة في ذلك لما سلبه الله
ثم انه اذا لم يجعله في سبيل الله فلا يبالغ في طلبه ولا في اساءة الظن
بالمسلمين وان كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه
ذخيرة لنفسه في الآخرة فان أعيد عليه فالاولى ان لا يقبله بعد جعله
لله تعالى وان قبله فهو ملكه في ظاهر الشرع لان الملك لا يزول بالنية ولكنه غير
محبوب عند المتوكلين **الادب الخامس** وهو اقل الدرجات
ان لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله
ودل ذلك على كراهته وتاسفه على ما فات وبطل زهده وان بالغ
في الدعاء بطل اجره فيما اصيب به ففي الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر
وحكي عن الربيع ابن خثيم انه سرق عليه فرس وكان ثمنه عشرين
درهما وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه
قوم يعزونه فقال اما قد كنت رايته وهو يحله قيل فما منعك ان تزجره
قال كنت فيما هو احب الي من ذلك يعني الصلوة قال فجعلوا يدعون على
السارق فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد كنت جعلته صدقة
عليه **الادب السادس** ان يكون مغتما لاجل السارق
وعصيانه وتعرضه لعقاب الله ويشكر الله اذ جعله مظلوما ولم
يجعله ظالما وجعل ذلك نقصا في دنياه لا في دينه فقد شكا بعض الناس

الى عالم انه قطع عليه الطريق واخذ ماله فقال ان لم يكن غمك
انه قد عصا في المسلمين من يستحق هذى اكثر من غمك بانتقص
من مالك فما نصحت المسلمين وسرق بعض اهل [دنانير]
وهو يطوف بالبيت فرآه ابوه وهو يبكي فقال اعلى الدنانير تبكي فقال
لا ولكن على المسلمين فانه يسئل يوم القيمة ولا يكون له حجة وقد
نجز غرضنا مما اردنا من تعالي التوكل واحكامه ونشرع الآن في النيه
التي بها صلاح الاعمال بمعونة الله تعالى

الباب السابع من علوم الكتاب في المنجيات

في النية وهي عبارة عن الارادة والقصد

والارادة تطلق على العزم والقصد والنيه والعزم ما كان
سابقا على الفعل ليكون سببا في تحقيق فعله والقصد عبارة عن
ما كان مقارنا للفعل والنية لابد فيها من المقارنة للفعل لكنها
تختص العبادات ولهذا يقال نية الصلوة ولا يقال قصد
الصلوة والعزم لا يجوز اطلاقه على الله تعا لما فيه من ايهام الخطا
في حقه والنيه لا تجوز اطلاقها على الله تعا من اجل ايهام الخطا ايضا
فكل حركة او سكون او فعل اختياري فانه لا يتم الا بامور ثلاثة
القدرة والعلم والارادة والقدرة تراد لايجاد الفعل
وتحصيله لانها هي المؤثرة في وجود الفعل واما العلم فيراد
لاحكام الافعال كلها فلابد من العلم بحقيقة الحركة ليتاتا من العبد

ايجادها

ايجادها لان من المحال ان توجد القدرة ما لا يعلم حقيقته
واما الارادة فيحتاج اليها من اجل تخصيص وجوه الافعال
عند الايجاد فهذه الامور الثلاثة لا بد منها في وجود الفعل
وهل يكون الداعية مشترطة في وجود الفعل ام لا فيه تردد
بين المتكلمين والمختار عندنا انه لا بد للفعل من الداعية في حق
العالم بالفعل دون الساهي وقد يكون حصول الفعل بباعث
واحد كما لو راى سبعا فقام من موضعه فانه لا باعث له على
القيام الا رؤية الاسد لا غير وقد يكون بباعثين ويكون
على اوجه ثلاثة اولها ان يكون الداعيان بحيث لو انفرد
كل واحد منهما لكان كافيا كما لو ساله فقير قريب لحاجته فان كل واحد
من القرابة والفقر كاف لو انفرد في قضاء الحاجة وثانيها ان يكون
كل واحد منهما قاصرا عن البعث لكن حصل التاثير بالاجتماع
ومثاله ان يساله فقير فلا يعطيه ويساله قريبه فلا يعطيه
ويعطي من اجتمع فيه الامران فيكون الباعث على الاعطاء هو المجموع
لا غيره وثالثها ان يكون كل واحد منهما كافيا دون الاخر
لكن لاحدهما عاضدا ومعينا لا غير فهكذا يكون تاثير الباعث
على الفعل والداعية فيه في حق الله تعالى ليس الا العلم بالمصلحة
والداعي في حق الواحد منا هو العلم والظن والاعتقاد وهذه
القدر كاف في مقدار غرضنا فلنذكر فصل الالهية ثم نذكر

اقسام الافعال بالاضافة اليها ثم نردفه بمعنى قوله
صلى الله عليه واله وسلم نية المومن خير من عمله فهذه ايضاحا
ثلاثه

الايضاح الاول في بيان فضيلة النية

وقد ظهر من جهات ثلاث **الجهة الاولى** من
جهة الكتاب الكريم وهو قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر وقال تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن
الذين من قبلكم وقال تعالى يريدون وجهه والارادة من
جهة الله تعالى على جهة الامتنان والفضل بالنعم الغامرة لا فعال لا
تكون نعما الا بالقصد للافضال والانعام فان الارادة من
جهتنا ورد الثنا عليها من جهة الله تعالى وفي هذا دلالة على
فضيلة النية وكونها من اعظم الاعمال **الجهة الثانية** من
الاخبار وقد قال صلى الله عليه واله وسلم الاعمال بالنيات ولكل عبد
ما نوا فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن
كانت هجرته الى امراة ينكحها او الى دنيا يصيبها فهجرته الى ما هاجر
اليه وقال صلى الله عليه واله وسلم اكثر شهدا امتي اهل الفرش ورب
قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال صلى الله عليه واله وسلم
ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم
وانما نظر القلوب لانها مطية النيه ومحلها وقال صلى الله عليه
واله وسلم ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف
مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى القوا هذه الصحيفة

فانه لم يرد

فانه لم يرد بها وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا اكتبوا
له كذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا فيقول انه نواه
انه نواه في وقال صلى الله عليه وآله وسلم الناس اربعة رجل
آتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو
آتاني الله ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سوا ورجل
آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله
فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في
الوزر سوا الا ترا كيف شركه في النية في محاسن العمل ومساويه
وفي حديث انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لما خرج الى غزوة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا
ولا وطينا موطئا يغيض الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا
مخمصة الا وشركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا كيف ذلك يا رسول الله
وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية وفي حديث
ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل فتزوج امرأة
منا فكان يسمى مهاجر ام قيس وفي الحديث ان رجلا قتل في سبيل
الله فكان يسمى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره
فقتل على ذلك فاضيف على نيته وفي حديث عبادة عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوا وقال
اني استعنت رجلا يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ...

فقال ليس له من دنياه ولا من آخرته الا ما جعلت له ﴿ وفي

حديث عن ابن عمر من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين

عينيه وفارقها ارغب ما يكون اليها ومن تكن الآخرة نيته جعل

الله غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون

فيها ﴿ وفي حديث ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله ما يكون فيهم

المكره والاجير فقال يحشرون على قدر نياتهم ﴿ وقال عمر سمعت رسول الله

صلى الله عليه واله وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات

الجهة الثالثة الآثار

فقد قال عمر افضل الاعمال

اداء ما افترض الله والورع عما حرم الله وصدق النية فيما عند

الله ﴿ وكتب الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله للعبد

على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص

بقدره ﴿ وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب

عمل كبير تصغره النية ﴿ وحكي عن داود الطائي انه قال البر همة

التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية

صالحة وكذلك الجاهل يعكس ذلك ﴿ وعن سفيان الثوري كانوا يتعلمون

النية قبلها يتعلمو العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير ﴿ وقال

بعض الصالحين ان نعمة الله عليكم اكثر من ان تحصى وان ذنوبكم اخفى

من ان تعلموها ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين يغفر الله لكم

ما بين ذلك ﴿ وكان بعض الزهاد يطوف على الحلق ويقول من

يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا لله فاني لا احب ان تاتي علي ساعة

من ليل او نهار الا وانا عامل من عمال الله فقيل قد
وجبت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته
فهم بعمله فان الهمام بالخير كعامله فهذه غاية ما نورد في فضل
النيه والله اعلم **الايضاح الثاني في بيان انقسام**
الافعال بالاضافة الى النيه اعلم ان الاعمال
وان تقسمت اقساما كثيرة من قول وفعل وحركه وسكون وجلب
نفع ودفع ضر وذكر وغير ذلك مما لا يمكن احصاؤه فانه يرجع الى
ثلاثه اقسام طاعات **و** معاصي **و** مباحات فهذه ثلاثه اقسام
القسم الاول المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعاتها بالنيه
فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله صلى الله عليه واله وسلم الاعمال
بالنيات ويظن ان المعصيه تنقلب طاعه بالنيه كالذي يغتاب
انسانا مراعاة لطيب قلب غيره او يطعم فقيرا من مال غيره ظلما وعدوانا
او يبني مدرسة او خانكة او رباطا بالحرام ظلما على غيره فهذه كله
جهل والنيه لا تاثير لها في ذلك فانها لا تخرج الفعل عن كونه ظلما وحراما
بل اذا قصد الخير على خلاف مقتضى الشرع وان جهله فهو عاص بجهله
اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما عرف كونها خيرات بالشرع
فكيف يمكن ان يكون الشر خيرا هيهات لذلك وقد قال صلى الله عليه واله وسلم
لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت عن علمه وحكي عن
احمد بن حنبل انه صحبه بعض اصحابه فتردد اليه سنين كثيرة فاعرض عنه وصار
لا يكلمه فلم يزل يساله عن تغيره وهو يذكره حتى قال له بلغني انك
طينت حايط دارك من جانب الشارع فقد اخذت سمك الطين

وهو انمله من شارع المسلمين فلا تصلح لتعلم العلم ۞

القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات
في اصل صحتها وفي تضاعيف فضلها اما الاصل فهو ان ينوي
بها عبادة الله تعالى لا غير فان نوى الريا صارت معصية
واما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة
يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية حسنة
ثواب اذ كل واحد منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشرة امثالها
كما وردت به الآيه ومثاله القعود في المسجد فانه
طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل اعمال
المتقين ويبلغ به درجات المقربين وجملتها امور الثمانية
اولا فيعظم بيت الله واما ثانيا فينتظر الصلوة واما
ثالثا فيكف السمع والبصر عن المعصية واما رابعا فخلاص عن
الشواغل الدنيوية في دخول المسجد واما خامسا فالتجرد لذكر الله
واما سادسا فافادة علم بمعروف او نهي عن منكر واما سابعا
فان يستفيد اخا في الله تعالى فهذه طرق تكثير النيات وقس عليه
سائر الطاعات اذ ما من طاعة الا وهي محتملة للنيات الكثيرة وانما
تحضر في قلب العبد بقدر جده وجهده في طلب الخيرات وارادة تضاعف
الحسنات والله اعلم ۞ القسم الثالث المباحات وما من شيء
مباح الا ويحتمل ان يخرج من كونه مباحا بالنية وما من شيء من ملاذها
الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها
معالي الدرجات فما اعظم خسرة من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي

البهايم



البهايم المهملة عن شهوة ولذه ولا ينبغي للعبد ان يستحقر
الخطرات ويتهاون بالخطوات واللحظات فكل ذلك
يُسأل عنه يوم القيمه لم فعلها وما قصد بها هذا كله
في مباح محض لا شوبه كراهه ولهذا قال صلى الله عليه
واله وسلم في صفة الدنيا حرامها عقاب وحلالها حساب
وفي حديث معاذ ابن جبل ان الرجل ليُسأل يوم القيمة عن كل شي
حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطين في يده وعن لمس ثوب
اخيه بيده وفي حديث آخر من تطيب لله جاء يوم القيمه وريحه
اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمه وريحه
انتن من الجيفه ولا شك ان استعمال الطيب مباح لكن لا
بد فيه من النيه **سؤال** فاذا كان الطيب مباحًا فيكون
مثابًا عليه وكيف يدخله العقاب **وجوابه** انه اذا قصد به
الريا والسمعه والتفاخر والتكاثر والتنعم بلذات الدنيا وقصد به
الريا الى غير ذلك فهو حرام لا يجوز استعماله وان قصد به وجه الله تعالى
واتباع السنه واقتفا اثر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك فانه
يستحق عليه الثواب لا محاله لانه قصد به وجه الله تعالى وحسن ثوابه

الايضاح الثالث في بيان مراده صلى الله عليه واله وسلم

نية المومن خير من عمله ونية الفاسق شر من عمله وفيه معاني
ثلاثه المعنى **الاول** ان يكون مراده بذلك ان النيه لما كان لا اثر للعمل
الا بالنيه فهي التي تصلحه فيكون متعبدًا معها فلا جرم كانت النيه افضل من العمل

المعنى الثاني ان يكون المراد ان نية المومن خير
وهي من جملة عمله ونية الفاسق شر وهي من جملة عمله وعلى
هذا الاوجه للافضلية على هذا التاويل وانما الغرض ان نية
المومن مع عمله خيران ونية الفاسق مع عمله شران المعنى الثالث
ان يكون المراد ان نية المومن خير وهي من جملة عمله ونية الفاسق شر
وهي من جملة عمله من غير تفصيل في هذا المعنى كما ترا والمختار عندنا
تفصيل نشير اليه يكون معنا رابعا وحاصله ان نقول
المراد ان كل طاعة فانها تنتظم من نية وعمل والعمل من جملة الخيرات
ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل اي لكل واحد منهما اثره في المقصود
واثر النية اكثر من اثر العمل فمعناه نية المومن من جملة طاعته خير
من عمله الذي هو من جملة طاعته في والغرض ان للعبد
اختيارات اي في النية وفي العمل وهما عملان ونية من
الجملة افضلهما فهذا معناه كما ترا والله اعلم

الباب الثامن في الصدق

وهو من جملة المنجيات اعلم ان الصدق على
معاني ومن المحال حده على ماهية واحدة لان مفهوماته
متغايرة فلا يعقل اندراجها تحت ماهية واحدة وهو يستعمل
في خمسة معان صدق في القول وصدق في النية وصدق
في العزم وصدق في الوفا وصدق في العمل فاذا عرفت هذا
فلنذكر فضيلة الصدق

التنبيه الاول في بيان

فضيلة الصدق قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

وفعله



وقوله تعالى فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم وقال تعالى
كونوا مع الصادقين وقال تعالى اولئك الذين صدقوا
واولئك هم المتقون ٥ وقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم
ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق
حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور
وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله
كذابا ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه وان الله تعالى
وصف الانبيا في معرض المدح والثنا فقال تعالى واذكر في الكتاب
ابرهيم انه كان صديقا نبيا وقال تعالى واذكر في الكتاب ادريس
انه كان صديقا نبيا وقال تعالى انه كان صادق الوعد وكان رسولا
نبيا ٥ وعن ابن عباس رضي الله عنهما اربع من كن فيه فقد ربح
الصدق والوفا والحيا وحسن الخلق والشكر ٥ وقال بشر
بن الحرث من عامل الله بالصدق استوحش من الناس وقال
بعض الحكما اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى
غاية مطلبك وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا فقال لو كنت
صادقا عرفت الصادقين وقال بعض الزهاد وجدت
دين الله مبنيا على ثلاثة اركان على الحق ١ والصدق ٢
والعدل ٣ فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق
على العقول وأوحى الله الى داود يا داود من صدقني

في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته ۞ وقال بعضهم اجمع الفقها والعلما علا ثلاث خصال انها اذا صحت ففيها النجاه ولا تتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوا والصدق لله في الاعمال وطيب المطعم ۞ وقال وهب ابن منبه وجدت علا حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحا في بني اسرائيل يجتمعون فيقرؤونها ۞ لا كنز انفع من العلم ۞ ولا رفيق اشين من الجهل ۞ ولا شرف اعز من التقوا ولا كرم اوفر من ترك الهوى ۞ ولا عمل افضل من الفكرة ۞ ولا حسنة اعلا من الصبر ۞ ولا سيئة اخزا من الكبر ۞ ولا دوا الين من الرفق ۞ ولا دا اوجع من الخرق ۞ ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل انصح من الصدق ۞ ولا فقر اذل من الطمع ۞ ولا غنا اشقا من جمع ۞ ولا حيوة اطيب من الصحه ۞ ولا معيشة اهنا من العفه ۞ ولا عباده احسن من الخشوع ۞ ولا زهد خير من القنوع ۞ ولا حارس افضل من الصمت ۞ ولا غايب اقرب من الموت

التنبيه الثاني في بيان مراتب الصدق

وجملتها خمس **المرتبة الاولى** صدق اللسان وذلك انما يكون في الاخبار والخبر اما ان يكون متعلقا بالماضي او بالمستقبل وفيه يدخل الوفا بالوعد والخلف فيه وحق علا كل عبد ان يحفظ الفاظه فلا يتكلم الا

الصدق

بالصدق وهذى هو اشهر انواع الصدق واظهرها
ويتحلق بهذه المرتبه فائدتان **الاولى** منهما جواز المعاريض
عند الحاجة اليها وتقتضيه المصلحه في بعض الاحوال
وفي تاديب الصبيان والنسوان ومجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمه
وقتال الاعداء والاحتراز عن اطلاع الاعداء على اسرار الملك
فمن اضطر الى شي من ذلك قصد فيه ان يكون نطقه فيه لمن يطلبه
وفيما يامر الحق به ويقتضيه المصلحة الدينيه **الفائدة الثانيه**
ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه كقوله
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فان قلبه اذا كان
منصرفا عن الله مشغولا بامانى الدنيا وشهواتها فهو كاذب
وكقوله اياك نعبد واياك نستعين فانه لم يكن صادقا في ذلك
قاصدا اوجه الله تعالى فانه يكون كاذبا **المرتبة الثانيه** الصدق في النيه
والاراده ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات
والسكنات الا الله تعالى فان مازجه شي من حظوظ النفس بطل صدقه
وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا **المرتبة الثالثه** صدق العزيمه
فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني
الله مالا تصدقت به او بشطره اولقيت عدوا في سبيل الله قاتلته
ولا ابالي ان قتلت وان اعطاني الله ولاية عدلت فيها ولم
اعص الله تعالى بظلم وميل الى خلق ردي فهذه العزيمه قد تصادف
في نفسه عزيمة صادقة جازمة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد
فيكون مضادا للعزيمة وكان الصدق ههنا عبارة عن التمام
والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقه ويقول للمريض شهوة كاذبه

المرتبة الرابعة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى
الوفا بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا
مشقة في الوعد والعزم فان المونة فيه خفيفة فاذا
حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت
العزيمة وغلبت الشهوة ولم يتفق الوفا بالعزم فهذا
يضاد الصدق فيه ولهذا قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر المرتبة الخامسة
الصدق في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة
على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن
بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا يخالف ما ذكرنا
عن قبل في المراتب السابقة فهذه اعمال تعرب بلسان
الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق
في الاعمال وكذلك فان الانسان قد يمشي على هيئة السكون
والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في
عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا ينجو من هذه الا باستوا
السريرة والعلانية وان يكون باطنه مثل ظاهره وخيرا من
ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تسوية الباطن الظاهر
ولبس ثياب الاشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون
كاذبا في دلالة الباطن على الظاهر فهذا ما اردنا ذكره
في حقائق الصدق واسراره والله الموفق للصواب

الباب التاسع من المنجيات الاخلاص

تعلم

157

اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا
عما يشوبه وخلص منه سمي خالصا ويسمى الفعل المخلص
المصفا قال تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا
سائغا وخلوص اللبن بأن لا يكون فيه شوب من الفرث
والدم ومن كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص يضاده
الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك فاذا تمهدت هذه
القاعدة فلنذكر اقاويل الحكما في حقيقة الاخلاص ثم نذكر
فضل الاخلاص ثم نذكر حكم العمل المشوب فهذه بيانات ثلاثة
نفصلها ونذكر ما فيها بعونه الله تعالى **البيان الاول** في ذكر
اقاويل الحكما في ماهية الاخلاص وانما اوردناه ليطلع الناظر
على ان الاخلاص بحر عميق دقيق غامض الاعلى من وفقه الله تعالى
ولطف به بالالطاف الخفية فليكن العبد على ثقة من امره
وبصيرة من حاله **فقال الاول** فقد روية الاخلاص
لان كلها شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه
الى اخلاص وحاصل هذه المقالة الاشارة الى تصفية العمل
عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب
والعجب من جملة الآفات والخالص ما صفا عن جميع الآفات فهذا
القائل قد تعرض لآفة واحدة **وقال الثاني** الاخلاص ان
يكون سكون العبد وحركته كلها لله تعالى وهذه كلمة جامعة محيطة
بالغرض المقصود وقال الثالث الاخلاص

صدق النية مع الله تعالى وهذا قريب من الذي قبله
فان كل واحد منها قد جعل الاعمال كلها لله تعالى وهذا كله هو
الغرض المقصود فانما فخر متى كانت لله تعالى فقد فرغ الامر كله
لله تعالى ه **وقال الرابع** هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا
في الدارين جميعا وفي هذا اشارة الى ان حظوظ النفس
وايثار مرادها افة الاخلاص عاجلا وآجلا والعمل لاجل تنعم
النفس بالشهوات معلول بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا وجه
الله تعالى ولهذا قيل لبعضهم اي شي اشد على النفس قال
الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب ه **وقال الخامس**
الاخلاص نسيان روية الخلق بدوام النظر الى الخالق
وهذه اشارة الى آفة الريا لانها مهلكة في الاعمال كما مر تقريره
وقال السادس الاخلاص ان لا يطلع على العمل شيطان
فيفسده ولا ملك فيكتبه وهذه اشارة الى مجرد الاخفا وانه
هو الاخلاص عند هذا القائل لان كل ما ظهر للخلايق خرج عن
الاخلاص ه **القول السابع** الاخلاص ما استتر عن الخلايق
وصفي عن العلايق وهذا جمع المقاصد لانه يتناول امورا هي
الاصل في الاخلاص **القول الثامن** الاخلاص هو اخراج
الخلق عن معاملة الرب وهذا ايضا فيه اشارة الى اخراجه اعني
العمل عن الريا وجعله لله لا يشوبه شايب **القول التاسع**
الاخلاص الذي يعمل لله لا لحب ان يحمد عليه وهذا ايضا فيه
تعرض للبراءة عن الريا والمناقضة بذكر الحمد لانه من اقوى الاسباب

المقوية

758

المتوتيه للاخلاص وهذا يحكى عن عيسى صلوات الله عليه
لما ساله الحواريون عن الاخلاص ❁ وحكى عن الجنيد
انه قال الاخلاص تصفية الاعمال عن الكدورات
وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس ريا والعمل
من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما
وقال بعضهم **وهو القول العاشر** الاخلاص دوام
المراقبه ونسيان الحظوظ كلها وهذى فيه البيان والغرض
الكامل واعجب الاقوال واحسنها واجمعها احاطة بالغرض المقصود
ما اثر عن صاحب الشريعة **صلى الله عليه واله وسلم**
اذ كان معلم الخير والمحيط بالاسرار اللدنيه والمستولى على
معرفة الحقائق الالاهيه حين سئل عن الاخلاص فقال
ان تقول ربي الله ثم تستقم كما امرت فقد اشار بهذه المقاله
الى احراز التوحيد اذ هو الاصل في الكل والى الاستقامة على
الامر وهو الاصل في اخلاص العمل عن كل ما يشوبه فهذه هي الغايه
في معرفة حقيقة الاخلاص ❁ **البيان الثاني** في ذكر درجات
الشوائب والافات المكدرة للاخلاص **اعلم** ان الافات
المشوشه للاخلاص بعضها جليه وبعضها خفيه وبعضها
ضعيفه مع الجلا وبعضها قويه مع الخفا وجملة ما نشير اليه من ذلك
درجات اربع **الدرجة الاولى** الريا وهي اظهر مشوشات
الاخلاص فنقول الشيطان يدخل بهذه الافات على المصلي

مهما كان مخلصًا في صلاته ثم نظر اليه جماعة او دخل اليه داخل
بان يقول له حسن صلاتك حتا ينظر اليك هذا الحاظر
بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع
جوارحه فتخشع جوارحه وتسكن اطرفه ويحسن صلاته وهذا
هو الرياء الظاهر ولا يخفا ذلك على اهل الافطار الدرجه
الثانيه ان يكون السالك لطريق الاخرة قد فهم
هذه الافه واخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان
فيها لحال ولا يلتفت ويستمر في صلاته كما كان فياتيه في معرض
الخير فيقول له انت متبوع ومقتدا بك ومنظور اليك وما
تفعله يوثر عنك ويتاسا بك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت
وعليك الوزر ان اسات فاحسن صلاتك بين يديه فعساه
يقتدي بك في الخشوع وحسن العباده فهذا اغمض من الاول
وقد ينخدع به من لا ينخدع بالاول الدرجه الثالثه وهي ادق
مما قبلها ان يجرب الانسان نفسه في ذلك وينتبه لكيد الشيطان
ويعلم ان مخالفته بين الخلوه والمشاهده للغير هو محض الرياء ويتحقق
ان الاخلاص ان تكون صلاته في الخلوه مثل صلاته في الملا ويستحي
من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعًا زايدا على
عادته فيقبل على نفسه في الخلوه ويحسن صلاته على الوجه الذي
يرتضيها في الملا ا يضًا كذلك فهذا ايضًا الريا غامض لانه
حسن صلاته في الخلوه لتحسن صلاته في الملا فلا يكون قد فرق بينهما
بالتفاته في الخلوه والملا الى الخلق بل الاخلاص ان تكون

مشاهده



شاهده البهايم لصلاته ومشاهدة الخلق واحدا فكأن
هذا البئس تسمح نفسه بأن تساوة الصلاة بين اظهر الناس ويستحي
من نفسه ان يكون في صورة المرائين فحاصل الامر الخطر في هذا انه
حسن صلاته في الخلا ليحسن صلاته في الملا وهذا من المكايد الخفية
للشيطان **الدرجة الرابعة وهي ادق واخفى** وحاصلها
ان ينظر اليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن ان يقول له
اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه يفطن لذلك فبعد هذا يقول
له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله ومن انت واقف بين يديه
واستحي من ان ينظر الله اليك والى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك
قلبه ويخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص وهو عين
المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلال الله تعالى لكانت هذه
الخطرة ملازمة في الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره و
علامة الامن من هذه الآفات ان يكون هذا الخاطر ممن يألفه في الخلوة
كما يألفه في الملا فما دام يفرق في احواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة
بهيمة فهو خارج عن صفو الاخلاص غير سالم من خفي الريا وهو اخفى
في قلب ابن آدم من دبيب النملة السودا في الليلة الظلما على الصخرة الصما
ولا يكاد يسلم من كيد الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله وتوفيقه
وحسن هدايته لان الشيطان مشمر في الاغوا للخلق والانس لاهم
عن طريق الجنة في كل حركة من الحركات فنستعيذ بالله من كيده

البيان الثالث في ذكر فضيلة الاخلاص

قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين وقال تعالى

الا لله الدين الخالص وقال تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا
بالله واخلصوا دينهم لله وقال تعالى فمن كان يرجوا لقآء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب
ان يحمد عليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى الاخلاص
سر من سري استودعته قلب من احببت من عبادي وقال امير المؤمنين
كرم الله وجهه في الجنة لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان
الرسول صلى الله عليه واله وسلم لمعاذ بن جبل اخلص عملك يجزيك منه
القليل وقال عليه الصلوة والسلام ما من عبد اخلص لله اربعين يوما الا
ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال صلى الله عليه واله وسلم
يسأل يوم القيمة ثلاثة رجل آتاه الله العلم ماذا صنعت فيما علمت قال
يا رب كنت اقوم آناء الليل والنهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة
كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم الا فقد قيل لك ذلك ورجل
آتاه الله مالا فيقول الله تعالى قد انعمت عليك فماذا صنعت فيقول
يا رب كنت اتصدق آناء الليل والنهار فيقول الله سبحنه وتعالى كذبت
بل اردت ان يقال فلان جواد الا فقد قيل لك ذلك ورجل قتل في
سبيل الله فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يا رب امرت بالجهاد
فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت
بل اردت ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل لك ذلك قال ابو هريرة
ثم خط بيده رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على فخذي فقال يا ابا هريرة
اولئك اول خلق يعذبهم الله في نار جهنم يوم القيمة فدخل راوي الحديث
على معوية ورواه فبكى حتى كادت تخرج نفسه ثم قال صدق الله من كان
يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم الاية وكان
معروف الكرخي يحدث نفسه فيقول يا نفس اخلصي تخلصي وكان

بعض

بعض الزهاد المخلصين يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال
بعضهم طوبا لمن صحت له خطرة واحده لا يريد بها الا وجه الله تعالى
وكتب عمر بن الخطاب الى ابي موسا الاشعري من خلصت نيته كفاه
الله ما بينه وبين الناس وكتب بعض الاوليا الى اخ له فقال اخلص
النيه في اعمالك يكفك القليل من العمل وقال ابو ايوب تخليص
النيا على العمال اشد عليهم من الاعمال وحكي ان رجلا كان يخرج في زي
النسا ويحضر موضعا فيه عرس او ماتم يجتمع فيه النسا فاتفق ان حضر
يوما موقعا فيه مجمع للنسا فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتا
نفتش فكن يفتش واحدة واحدة حتا بلغت النوبه اليه والى
امراة فدعا الى الله تعالى مخلصا من قلبه وقال ان نجوت من هذه الفضيحه
فانى لا اعود الى مثل هذا فوجدت الدره مع تلك المراه فصاحوا
ان اطلقوا الحره فقد وجدنا الدره وقال بعضهم اخلاص ساعة
نجاة الأبد ولكن الاخلاص عزيز وقال بعض الحكما مراد الله من عمل الخلق
كلها الاخلاص فقط وقد تم غرضنا من الاخلاص وفضله

الباب وهو الذي وقع به الاحسام من المقالة الثالثه

من ذكر الصفات المنجيه التي يكون بحصولها الفوز بجوار الله تعالى في دار
كرامته والنجوى من عقابه وسخطه وقبل الخوض فيما نريد من خواصه
واسرارها نذكر ماهية التفكر اعلم ان الفكر هو مبدا الخيرات
ومفتاح لها فالنظر والفكر والتدبر والتامل والرويه كلها متقاربة خلا
النظر والفكر انما يطلقان من جهة ان فيها معرفه ثالثه فمن ليس يطلب
هذه المعرفه لا يسمى ناظرا ولا متفكرا وباقي الاسما في التفكر مترادفه
والفكر ما امور علوما خمسة اولها العلم بالله تعالى في القلب فانها اصل

لتحصيل العلوم بالفكر وثانيها احراز العلم بترتيبها
يعني ان يكون بعضها عقيب بعض ليحصل الغرض المطلوب من الانتاج
للفكر وثالثها العلم بلزوم المطلوب عن تلك المقدمات فلانه لا
ينفك عنها ورابعها العلم بصحة ذلك الترتيب فانه اذا لم يحصل
العلم بصحة الترتيب والنظام فلا ثمره هناك للفكر وخا
مسها العلم بان كل ما لزم من المطلوب الصحيح فهو صحيح فمتى
حصلت هذه العلوم الخمسة في كل فكر ونظر فانه يوصل الى العلم
لا محاله فان كانت المقدمات كلها يقينية فالنتيجة يقينية وان
كانت المقدمات ظنية او بعضها كانت النتيجة ظنية فالعلم
والظن حاصلان مهما حصلت هذه المقدمات لا محاله فاذا عرفت
هذا فلنذكر فضيلة الفكر ثم نذكر مجاريه فهذان تقريران
التقرير الاول في بيان فضيلة الفكر اعلم ان التفكر هو
مفتاح الانوار الالهية ومبداء البصيرة في احراز المعارف
الدينية وهو شبكة العلوم ومقتنص الحقايق وقد ورد في الشرع
الثنا عليه كما قيل تفكر ساعة افضل من عبادة سنه وقد امر
الله بالتفكر في كتابه الكريم فقال في معرض المدح والثنا ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال
ابن عباس رضي الله عنهما ان قوما تفكروا في الله عز وجل فقال الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته فانكم لم تقدروا قدره
وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون
فقال تفكروا في خلق الله عز وجل كذا وكذا فافعلوا تفكروا في خلقه ولا
تفكروا فيه فان بهذا المغرب ارضا بيضا نورها بياضها او قال بياضها
نورها مسيرة الشمس اربعين يوما بها خلق من خلق الله لم يعصوا

رحه

الله طرفة عين قالوا يا رسول الله فاين الشيطان منهم قال ما يدرون
خلق الشيطان ام لا لولا ان ولد آدم قال ما يدرون خلق آدم ام لا
وعن عطا قال انطلقت انا وعبيد بن عمير الى عائشة قلنا اخبرينا بعجب
شيء رايت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فبكيت وقالت كل امر
رسول الله كان عجيبا اتاني في ليلة حتى مس جلده جلدي قال ذريني اتعبد
لربي فقام الى القربة فتوضا منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل
الارض ثم اضطجع على جنبه حتى اتاه بلال يوذنه لصلوة الصبح فقال يا رسول الله
ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ويحك يا بلال
وما يمنعني ان ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قراها
ولم يتفكر فيها فقيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقراهن ويعقلهن
وعن ام ابي ذر بعد موت ابي ذر سئلت عن حال ابنها فقالت كان نهاره
اجمع في ناحية يتفكر وعن الحسن البصري قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن
الفضيل بن عياض قال التفكر مراة تريك حسناتك وسيئاتك
وقيل لابرهيم ابن ادهم انك تطيل الفكر قال الفكر مخ العقل وعن طاووس
قال الحواريون لعيسى ابن مريم يا روح الله هل على الارض مثلك قال نعم
من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرا فانه مثلي وقال الحسن
من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته فكرا فهو سهو ومن لم
يكن نظره اعتبارا فهو لهو وقال صلى الله عليه وآله وسلم اعطوا اعينكم
حظها من العبادة فقالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في
المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وقال بعض الحكما الوتطات

قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ذخر في حجب الغيوب من جزائه
لم يصف لهم في الدنيا عيش و لم تقر لهم في الدنيا عين وقال عمر بن عبد العزيز
رحمه الله التفكر في نعم الله عز وجل من اعظم العباده وعن ابن عباس ركعتان
مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وقال بشر لو تفكر
الناس في عظمة الله ما عصوا الله وقال بعض الحكما عودوا اعينكم البكا و
قلوبكم التفكر وقال التفكر في الدنيا حجاب في الاخره وعقوبه لاهل
الولايه والتفكر في الاخره يورث الحكمه ويحيي القلوب التقرير

الثاني في بيان مجاري الفكر اعلم ان مجاري الفكر كثيره

ولا يخلو حاله اما ان يكون جاريا في امر الدين او في غير ذلك فاما
ما يتعلق بغير الدين فلا حاجة بنا الى ذكره و الذي نتعرض لذكره انما
هو ما يتعلق بامر الدين ثم اما ان يكون متعلقا بالنظر في جلال
الله تعالى او يكون متعلقا بافعال العبد فهذان قسمان يكونان
متعلقات بالتفكر نذكر ما يتعلق بكل واحد منهما و نبدا بما يتعلق
بالنظر الى جلال الله تعالى القسم الاول في التفكر في جلال الله و عظمته

اعلم ان عقول العقلا و افهام الفضلا لا تقدر على الغوص في بحار
الجلال والكبريا وهي عاجزه عن الوصول و الاحاطه بكنه حقايق الصفات
الحسنى وكيف تقوى القوى البشريه على مثل هذا التفتيش و انى
تطيق نور الشمس ابصار الخفافيش ولنا فيه مقامات المقام

الاول التفكر في ذات الله ومعاني صفاته واسمائه وهذا مما
منع منه العقل والشرع فاما الشرع فقوله صلى الله عليه وسلم تفكروا
في خلق الله ولا تفكروا في ذاته و اما العقول فانها تتحير فلا تطيق

مثدا

لنظر اليه بل سائر الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله
تعالى وكبريائه كحال نظر الخفاش الى نور الشمس فانها لا تطيقه البتة
بل تختفي نهارا وتبرز ليلا وهكذا حال كل انسان بالاضافة الى
ذاته وكنور عظمته كالتحديق الى عرض الشمس فانه يورث التغير في العين
ويكسب العمش فيها فكذلك النظر في ذات الله يورث الحيرة والدهشة
واضطراب العقل فالصواب ان لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله
وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به العلما

وهو ان الله تعالى مختص بالصفات الالاهية كالقادرية
والعالمية والحيية وسائر الصفات الذاتية وانه تعالى مقدس
عن المكان والجهة ومتنزه عن الحصول في الاحيان والاماكن فانه
ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه
وقد اعتاص فهم هذا على كثير حتى ظنوا من قصور نظرهم واعتقا دهم
انه لا يعقل الا ما كان مختصا بالاعضاء والجوارح لما لم يشاهدوا
ذلك في العالم وظنوا لحمقهم وتجاهلهم ان الجلال والعظمة والكبر
في نفس الاعضاء فالوهم سعاصا منهم ذلك وخلقت الطباع مطبوعة
للافهام وبنوا هذه المباني هذه دون من احوالهم وما يشعر وان
الجلال والكبرياء غير ما توهموه بظنونهم واوهامهم وان البرهان
العقلي قد قام على ذلك وبالجملة فان النظر في ذات الله خطر
من الوجه الذي ذكرناه اقتضا ادب العقل والشرع ان لا نخوض
لمجاري النظر فيه ونعدل الى المقام الثاني لما فيه من السلامة عن هذا
الخطر العظيم

المقام الثاني وهو النظر في افعاله



وعجائب صنعه وبدايع خلقه فانها دالة على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال حكمته وعلى نفوذ قدرته ومشيئته فكل ما في الوجود مما سوى الله تعالى مما لا يقدر عليه غيره فهو فعل من افعاله وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وغير ذلك ما يتركب منها ففيه عجائب وغرائب تظهر حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك وحصره غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان ينفد عشر العشير من ذلك وحكمنا نشير الى جمل لتكون ذلك لما عداه كالمثال **قال مولانا الامام المويد بالله امير المومنين عليه افضل الصلوة والسلام** فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف اصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها قال سبحانه وتعالى الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون والى ما يعرف اصلها وجملها ولا يعرف تفاصيلها فلا يمكن ان يتفكر في تفاصيلها ثم انها منقسمة الى ما يدرك بحس البصر والى ما لا يدرك بالبصر اما ما لا يدرك بالبصر فنحو الملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي ومجال التفكر فيها مما يغمض فلنعد الى الاقرب الى الافهام وهي المدركات بحس البصر فهذا نحو السموات والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وما بين السما والارض وهو الجو مدرك بغيومها وامطارها

وبلوغها

وثلوجها ورعودها وبروقها وصواعقها وشهبها وعواصف ريحها
فهذه هي الاجناس المدركة من السموات والارض وما بينهما ثم انها تنقسم
الى اقسام وتشتمل على عجائب جمة لا يحيط بها ويحصرها الا الله تعالى ومن
اعجبها في الحكمة وادخلها في الصنعة خلقة الانسان فانه مخلوق من النطفة
واقرب شي اليك نفسك فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف
في معرفة غيرها وقد امرك الله بالتدبير لكتابه الكريم فانظر الان الى هذه
النطفة وهي قطرة من الما قذرة مهينة لو تركت ليضربها الهوا فسدت
وانتنت كيف اخرجها الله تعالى من بين الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر
والانثى والقى بينهما الالفة والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة
المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق وجمعها
في الرحم ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بدم الحيض وغذاه به حتى
انماه وربا وكبر وكيف جعل النطفة مفترقة علقة حمرا ثم صيرها مضغة ثم كيف
قسم اجزا النطفة وهي متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق
والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحم والاعصاب والعروق والاعضا الظاهرة
فدور الراس وشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد
والرجل وشرح راسها بالاصابع ثم قسم الاصابع ثم قسمها بالانامل ۞
ثم كيف ركب الاعضا الباطنة من القلب والمعدة والطحال والرية والرحم
والمثانة والمعاكل واحد منها على شكل مخصوص ومقدار معلوم ثم كيف
قسم كل عضو من هذه الاعضا باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات

لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها او
زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار، فلو ذهبنا نصف ما في
آحاد هذه الاعضاء من العجائب والآيات لانقضت فيه الاعمار، ثم انظر
الآن الى العظام وهي اجسام قوية صلبة كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم
جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة واشكال مختلفة
فمنها صغار ومنها كبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق
فلما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض اعضائه للتردد
في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تيسر
بها الحركة وقدر شكل كل واحد منها على الحركة المطلوبة به ثم وصل مفاصلها
وربط بعضها الى بعض باوتار، فهذه نبذة من عجائب خلقتك
التي لا يمكن وموضعها كتب التشريح، ثم انظر الى الارض كيف جعلها
فراشا وقرارا، ثم انظر الى السما كيف سواها سقفا محفوظا مرفوعا
وهكذا سائر العجائب من النبات والحيوانات والجبال وغير ذلك من
المخلوقات والمصنوعات فسبحان من انشاها بحكمته ودبرها بقدرته
ولنقتصر هاهنا عن الكلام في هذا النمط فانه بحر لا ساحل له وجو
لا غاية لمنتهاه ونسال الله ان يرزقنا حسن البصيرة للتفكر في عجائب
الحكمة

القسم الثاني في التفكر في صفات نفسه

وافعاله
ليكون على ثقة من امره وحقيقة من حاله واحراز النجاة لنفسه فيعرف
الطاعة ليكون آتيا بها ويتحقق المعصية ليكون متجنبا لها ويميز

الامور المهلكه فيحذر من التلبس بها ويحيط بالصفات المنجيه ليكون
محرزا لها فجملة ما يشتمل عليه هذى القسم انواع اربعه نفصلها بمعونة الله تعالى

النوع الاول في المعاصي والمابد انابها لما فيها من الخطر فينبغي للانسان

ان يكون مكثرا للتفكر في احوال نفسه فينظر في حالة على الجملة ثم في جوارحه
هل هو في الحال ملابس للمعصيه فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها
بالندم والتوبة او هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد
عنها فينظر في اللسان وما فيه من التعرض للكذب والغيبة والنميمة وتزكية
النفس والاستهزا او المماراه والممازحه والخوض في الامور الباطله الى غير ذلك
من المهالك ويتفكر في سمعه انه لا يصغي الى الكذب واللهو وفضول الكلام
وينظر في عينيه وانه لا يطلع على عورات المسلمين ولا يرا شيا من
المحرمات ثم ينظر في بطنه فانه لا يدخله الا الحلال ولا يبلاه من
اكل السحت والحرام فان ذلك كله معصيه عند الله ومنفق للشهوه التي هي
سلاح الشيطان ويتفكر في مطعمه وملبسه ومسكنه وما يكتسبه ويتفكر
في طرق الحرام ومداخله ويحترز منها غاية الاحتراز وان اكل الحلال هو
اساس العبادات فهكذا يكون تفكره في احواله فمهما حصل التفكر
في هذه الامور والمجانبه للمحظورات منها فقد حفظها عما ذكرنا ه

النوع الثاني في الطاعات فينظر اولا في الفرايض المكتوبه عليه
انه كيف يوديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير وكيف يجبر نقصانها
اذا حصل بكثرة النوافل ثم يرجع بعد ذلك الى اعضائه فيتفقدها عضوا

عضوا

ويتفكر في الافعال المتعلقة بها فيقول في نفسه العين خلقت للنظر
في ملكوت السموات والارض وغيره وستعملها في طاعة الله وينظر
في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وانا قادر على ان
اشغل العين بطاعة الله في مطالعة القرآن والسنة فلم لا افعله
وانا قادر عليه وانا قادر ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم
فادخل السرور على قلبه والى فلان العاصي بعين التحقير فازجره عن
معصية الله تعالى فلم لا افعله ويقول في سمعه اني قادر على استماع
كلام كل ملهوف واستماع كل حكمة واستماع كل قراءة وذكر وموعظة
فاني اعطله واهمله وهكذا يتفكر في لسانه ويقول انا قادر
على ان اتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد الى قلوب اهل
الصلاح وبالسؤال عن احوال الفقرا وادخال السرور على قلب كل صالح
ويتفكر فيما يريد من المال فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال
الفلاني فيفتش عن اعضائه وجميع بدنه واحواله واموالة وغلمانه
واولاده فيطيع الله في ذلك كله وقس على هذا سائر الطاعات

النوع الثالث وهي الصفات المهلكة التي محلها القلب
فيعرفها كما ذكرناه من قبل وهي استيلا الشهوة والغضب والبخل والعجب
والكبر والريا والحسد وسوء الظن والغفلة والحقد والجزع
والهلع وغير ذلك من الصفات ويتفقد قلبه عن هذه الامور فان
غلب على ظنه ان قلبه متنزه عنها فانه يتفكر في كيفية امتحانه عنها

ويشهد

٩٦٧

وليتشبه بالحلماء عليها فان النفس ابدا تجد اثر الجزم من نفسه
وتكدر فاذا كانت مدعيه والبراءة من الكبر فينبغي بان يجرب نفسه بحمل
حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون انفسهم وادا وجدت
الحدة فليتعرض بالغضب ينال من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ وكذلك
سائر الصفات فاذا راها زائلة عن نفسه حمد الله على زوالها عنه
وان وجدها حاصلة عليها اجتهد في الازالة ومحوها عن نفسه
بكل ممكن يجد اليه سبيلا ثم اذا وجد في نفسه شره الطعام وكثرة الاكل
تفكر في ان هذه الصفة صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع
لها من صفات الملائكة كالعلم والقدرة ولكنه بصفة البهائم اشبه
ومن الملائكة المقربين ابعد فهكذا يكون تحرزه عن الصفات المهلكة المذكورة وهذا

ع لكنها ذكرناه والله اعلم

النوع الرابع وهي الصفات المنجية

نحو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلا والشكر على النعما والخوف
والرجا والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات كلها ومحبة الله
وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع لعظمته والتواضع
لجلاله فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يستفيد من هذه الصفات التي
هي مقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شي منها فليعلم انها احوال لا يثمرها
الا العلوم وان العلوم لا يثمرها الا التفكرات فاذا اراد يكتسب لنفسه التوبة
فليفتش عن ذنوبه اولا ليحررها وليعظمها في قلبه ثم لينظر فيما ورد عليها
من الوعيد الشديد وليحقق في نفسه انه متعرض لسخطه وغضبه
ومقته بلا ريب احتا ينبعث له الندم والاسف فهذه مجاري افكار العلما

والصالحين فاذا فرغوا منها ان تفوا الى النظر في جلال الله وعظمته وهذه القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبه والمكروهه عند الله تعالى وبتمامه يتم الكلام على المقالة الثالثة في بيان الصفات المحموده المنجيه بحمد الله تعالى

المقالة الرابعة من علوم الكتاب في بيان الامور المعتادة

نحو الادب في الاكل والشرب والنكاح واحكام الكسب وطلب الحلال وغير ذلك مما يكون معتاد الخلق ولا بد لهم منه بحكم الضروره فان فيه قوام الاجسام وبه تحصل الاستعانة على العباده ولهذا قال بعض السلف الاكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ويشتمل على ابواب عشره نفصلها بمعونة الله تعالى

الباب الاول في بيان آداب الاكل

ويشتمل على تنبيهات اربعة التنبيه الاول في بيان ما لا بد للمنفرد منه من الآداب ما يكون قبل الاكل وما يكون بعده وما يكون مع الاكل فهذه احوال ثلاثه الحالة الاولى في الآداب قبل الاكل وجملتها آداب سبعة الاول ان يكون الطعام حلالا طيبا ثانيها غسل اليد ثالثها السفرة الموضوعة على الارض رابعها الجلوس اما على ظاهر قدميه واما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وخامسها ان ينوي باكله تقوى الله والتقوى على طاعته ولا يقصد التنعم بالاكل وسادسها الرضا بكل موجود من الرزق من غير كراهه وسابعها كثرة الايدي على الطعام الحالة الثانية في الاداب حالة الاكل فيبدأ بالتسميه وياكل باليمنى ويبدا بالملح ويختم به ويصغر اللقمه ويجود مضغها ولا يذم ماكولا قط وياكل مما يليه الا الفاكهه فانه يجيل يده ولا ياكل من ذروه القصعه ولا يقطع اللحم بالسكين ولا يمسح يده بالخبز وياكل ما تساقط ولا ينفخ في الطعام الحار ولا يجمع بين التمر ونواه في الطبق ولا يكثر الشرب في حال الاكل الا اذا غص بلقمه وياخذ الكوز بيمينه ويسمي عند الشرب ويمص الما ولا يشرب

قي عا

قائما ولا يتنفس في الكوز ويحمد الله بعد الفراغ من الاكل والشرب

الحالة الثالثة ما يستحب بعد الطعام فيمسك قبل الشبع ويلعق اصابعه ويمسحها بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الطعام قبل الفراغ من الاكل والشرب ويخلل اسنانه ويلتقط ما خرج من اسنانه ويرمى به و يتمضمض بعد الخلالة ويقرا بعد الطعام سورة الاخلاص وسورة قريش ويكثر الحمد والشكر بعد الفراغ ويغسل يده واصابعه بعضدهما بالدلك وينقى فمه والحنك واللسان بالماء واليد والشفه بالاشنان

التنبيه الثاني في بيان ما يستحب من الاداب بسبب الاشتراك والاجتماع في الاكل وهي سبعة اولها يستحب ان لا يبتدى بالاكل ومعه من هو احق منه بالتقدم قبله من سن او فضل ه وثانيها يكره السكوت ويستحب الكلام بالحمد والشكر وسير الصالحين ه وثالثها ان يرفق برفيقه في الاكل فلا يستاثر باكثر منه ه ورابعها ان لا يحوج رفيقه الى ان يقول له كل ه وخامسها الغسل في طشت لهم جميعا ه وسادسها ان لا ينظر الى اصحابه ولا الى اكلهم ويشتغل بنفسه ولا يمسك يده قبل قيام اصحابه ولا يستكثر اكلهم ه وسابعها ان لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده في القصعة ولا يقدم راسه عند اكل اللقمة واذا خرج شيء من فيه صرف وجهه عن الطعام ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا يغمس ما فضل من اللقمة ه التنبيه الثالث في آداب الزائرين في تقديم الطعام وجملتها خمسة ه اولها ان لا يدخلوا

ولا يقصد وا وقت الطعام وثانيها ان لا يتكلف لهم ويقدم ما حضر ويكره
ان يستقرض اذا لم يملك شيا وثالثها ان الزاير لا يقترح شيا ولا يتحكم
بشي بعينه لانه ربما شق عليه ورابعها يستحب ان يعصي المزور اخاه
بما فيه اكرامانه وخامسها ان لا يستاذن في تقديم الطعام بل يقدمه
ان كان عنده شي من غير مواذنه التنبيه الرابع في اداب الضيافه
وجملتها ستة اولها الدعوه فيستحب ان يقصد بالدعا الابرار ولا يقصد الفساق
وثانيها الاجابه فلا يفرق بين الغني والفقير ولا يمتنع من الاجابه الا لعذر
شرعي ويحضر ان كان صايما ويقصد وجه الله تعالى في الاجابه وثالثها
الحضور فاذا دخل المجلس لم يتصدر وان راى منكرا غيره كاستعمال الاواني
المفضضه والمذهبه واستعمال الديباج والحرير وتغيير صور الحيوانات
ورابعها احضار الطعام فيستحب تعجيله ولا ينتظر الا قل من المدعوين
ويستحب ترتيب الاطعمه فتقدم الفاكهه اولا ثم اللحم ثم الثريد ثم الحلوا بعد ذلك
وخامسها ان لا يبادر برفع الماكل قبل الاستيفا حتى يرفعوا الايدي
ويقدم من الطعام قدر الكفايه فان ما دون ذلك لوم وتقصير وسادسها
الانصراف فيخرج مع الضيف الى باب الدار وينصرف الضيف وهو طيب النفس
ولا يخرج الضيف الا برضا صاحب الدار تكملة الباب الاكل اربعه
باصبع واحده من المومن وباصبعين من الكبر يعوذ بالله منه وبثلاث من
السنه وباربع وخمس من الشره واربع تقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب
وكثرة الاغتسال من غير جماع ولبس الكتان واربعة توهن البدن كثرة
الجماع وكثرة الهم وشرب الما على الريق وكثرة اكل الحموضه واربع تقوي
البصر استقبال القبله والكحل عند النوم والنظر الى الخضره والنضافه في اللباس
واربع تضعف البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المراه

واستقبال

واستدبار القبلة ﻫ واربع تزيد في الجماع اكل العصافير واكل
الاطريفل الاكبر واكل الفستق واكل الجرجير ﻫ والنوم على اربعة انحا على
القفا نوم الانبيا وعلى اليمين نوم العلما وعلى اليسار نوم الملوك وعلى
الوجه نوم الشياطين ﻫ واربع تزيد في العقل ترك فضول الكلام
والسواك ومجالسة العلما ولزوم المساجد وكثرة قراة القران ﻫ

الباب الثاني في ذكر النكاح وهو معين على الدين وحصن من

وهو سنة سيد المرسلين صلى الله وسلم عليه وعلى اله الطاهرين وبه يقع
المباهاة لامته على امم جميع النبيين وتنحصر اسراره في بيانات شافيه
نذكرها ونفصلها بعون الله تعالى ﻫ البيان الاول في بيان فضله
والترغيب فيه وقد اختلف العلما في حكمه فقال القائلون ان الافضل فعله
وقال الاخرون الافضل تركه والمختار ما عليه الاكثر من العلما في فضل فعله
قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وقال تعالى ولا تعضلوهن
ان ينكحن ازواجهن وقال تعالى في مدح الرسل وجعلنا لهم ازواجا وذرية
ويقال ان الله تعالى لم يذكر في كتابه الكريم من الانبيا عليهم السلام الا المتاهلين
بالنكاح وقد قيل ان يحيى عليه السلام تزوج ولم يجامع واما عيسى فانه سينكح
اذا نزل الارض ويولد له ﻫ واما الاخبار فقوله صلى الله عليه واله وسلم
النكاح سنتي فمن احب فطرتي فليستن بسنتي وقال تناكحوا تكثروا فاني
اباهي بكم الامم يوم القيمة وقال من رغب عن سنتي فليس مني وقال
صلى الله عليه واله وسلم من ترك النكاح مخافة العيلة فليس منا وقال صلى الله عليه
واله وسلم من كان ذا طول فليتزوج ومن استطاع منكم الباه فليتزوج فانه
اغض للبصر واحصن للفرج وقال اذا جاكم من ترضون حسبه ودينه
فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وقال صلى الله عليه
واله وسلم من نكح لله وانكح لله استحق ولاية الله تعالى ﻫ واما الاثار فقد قال عمر

لا يمنع من النكاح الا عجز او فجور وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم نسك
الناسك حتى يتزوج وكان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة
ايام لاحببت ان اتزوج ولا القى الله عزبا وكان عمر يكثر النكاح ويقول ما
اتزوج الا لاجل الولد وقال سفيان كثرة النساء ليس من الدنيا لان
علياً كرم الله وجهه ورضي عنه كان ازهد الصحابة وكان له اربع نسوة
وسبع عشرة سرية وقيل لابراهيم بن ادهم رحمه الله طوبى لك فقد تفرغت
العبادة بالعزوبة فقال لروعة منك بسبب العيال افضل من جميع
ما انا فيه فقال ما الذي يمنعك من النكاح فقال ما لي حاجة في امراة
وما اريد ان اغر امراة بنفسي وقيل فضل المتاهل على المتعزب
كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متاهل افضل من سبعين
ركعة من عزب ❁ البيان الثالث في فوائد النكاح وافاته
وفيه خمس فوائد الاولى الولد وهو الاصل وله وضع النكاح والمراد
بقاء النسل وان لا يخلو العالم عن جنس الانس ❁ الثانية
التحصن عن الشيطان وكسر توقان النفس ودفع غوائل الشهوة وغض
البصر وحفظ الفرج ❁ الثالثة ترويح النفس وتانيسها بالمجالسة
والنظر والملاعبة اراحة للقلب وتقوية على العبادة ❁ الرابعة
تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل لمعالجة المعيشة من طبخ والطحن
والكنس وغسل الانية فان الانسان لو لم يكن له شهوة في الوقاع فانه
يتعذر عليه معيشته وحده ❁ الخامسة مجاهدة النفس ورياضتها
بالرعاية والقيام بحقوق الزوجات والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى
منهن والسعي في اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد في
كسب الحلال لاجلهن ❁ واما الافات فثلاث
الاولى العجز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل احد لا سيما
في هذه الاوقات مع اضطراب المعايش وصعوبتها والنكاح سبب
للتوسيع في الطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاكه وهلاك الاهل

الثانية

الثانية التقصير عن القيام بحقوقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى
منهن . الثالثة ان يكون الاهل والاولاد شاغلين له عن الله وجاذبين له الى
طلب الدنيا وتدبير حسن المعيشة للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب
التكاثر والتفاخر وكلما يشغل عن الله تعالى من اهل وولد فهو مشؤوم على
صاحبه ولا شك انه يؤثر من النكاح انواع من الشواغل من هذا الجنس
تستغرق القلب والفؤاد فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ العبد للتفكر
في الآخرة واعمالها فهذه مجامع الآفات والفوائد . البيان الثالث
في ذكر ما يراعى حالة العقد ويراعى في صحة العقد امور اربعة فالاول
منها اذن الولي فان لم يكن فالامام او حاكمه . الثاني رضا المرأة اذا كانت
بالغة بكرا كانت او ثيبا الا اذا كانت صغيرة وزوجها غير الاب والجد .
الثالث حضور شاهدين ظاهري العدالة . الرابع الايجاب والقبول
في المجلس . واما آدابه فهي ستة اولها الخطبة الى الولي بعد انقضاء
العدة وان لا يسبقه خاطب آخر وثانيها الخطبة قبل الايجاب والقبول
فيقول الولي الحمد لله والصلوة على محمد وآله زوجتك فلانة ويقول
الزوج الحمد لله والصلوة على النبي وآله قبلت نكاحها بكذا . وثالثها
استحباب النظر اليها قبل النكاح . ورابعها احضار جمع من اهل الصلاح
وخامسها ان ينوي بنكاحه تحصين الفرج وغض البصر وطلب الولد .
وسادسها يستحب العقد في المساجد . واما الخصال المطيبة
للعيشة فهي ثمان . الاولى الدين والصلاح فان الدين من اهم
المقاصد واجلها ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليك
بذات الدين تربت يداك . الثانية حسن الوجه فذلك ايضا مطلوب
اذ به يحصل التحصين . الثالثة حسن الخلق وذلك اصل مهم فان
سوء الخلق وبذاءة اللسان يكدر المعيشة ويعظم الضرر منه . الرابعة

ان تكون خفيفة المهر وقد نهي عن المغالاة في المهر ه الخامسة
ان تكون ولودا ودودا ويكره نكاح العقيم ه السادسة ان تكون بكرا فان
في البكارة فوائد كثيرة ه السابعة ان تكون حسيبة من اصل كريم لقوله
صلى الله عليه وآله وسلم اياكم وخضراء الدمن وهي المرأة الحسناء في المنبت السوء
الثامنة ان لا تكون من القرابة القريبة فان ذلك يقلل الشهوة قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم لا تنكحوا القرابة القريبة الخبر ه الباب الرابع في ذكر الموانع من النكاح
وجملتها احدى عشر اولها ان تكون منكوحة للغير ثانيها ان تكون معتدة عن الغير
ثالثها ان تكون كافرة اما مرتدة او مجوسية او وثنية او زنديقة لا تنتسب
الى كتاب ولا الى نبي فان كانت كتابية يهودية او نصرانية ففيه تردد بين
العلماء والقوي جواز نكاحها لظاهر الآية ه ورابعها ان تكون مملوكة والزوج
حر قادر على طول الحرة غير خائف عنتا ه وخامسها ان تكون مملوكة للناكح فانه
لا يجوز وطيها بالنكاح ويجوز بملك اليمين ه وسادسها ان تكون قريبة للزوج
بان تكون من اصوله او فروعه او فروع اول اصوله او من اول فرع من كل اصل
بعده اصل ونعني بالاصول الامهات والجدات وبالفروع البنات وبنات
البنين وبفروع اول اصوله الاخوات وبنات الاخوة وباول فرع من كل اصل
بعده اصل العمات والخالات دون اولادهن ه وسابعها ان تكون محرمة بالرضاع
فانه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الاصول والفروع كما سبق ه وثامنها
تحرم المصاهرة والربيبة لا تحرم الا بالدخول بالام وهل تحرم الام بالعقد
على البنت او بالدخول بها فيه تردد والقوي انها لا تحرم الا بالدخول بالبنت
ه وتاسعها ان تكون المنكوحة خامسة ه وعاشرها ان تكون تحت
الناكح اختها او عمتها او خالتها وحادي عشرها ان تكون محرمة بحج او عمرة و
الزوج كذلك فهذه كلها محرمات النكاح ه الباب الخامس
في ذكر آداب المعاشرة في النكاح وفيه نظران النظر الاول في بيان ما على

الزوج

الزوج عليه مراعات وظائف عشرة الاولى منها الوليمة وهو مستحب قال
الرسول صلى الله عليه واله وسلم لعبد الرحمن اولم ولو بشاة ٥ و الثانية حسن الخلق
معهن واحتمال الاذى ترحما عليهن لقصور عقولهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف
الثالثة ان يزيد على الاحتمال بالمداعبة واظهار المزاح فانه يطيب قلوب
النساء ٥ الرابعة ان لا ينبسط في المداعبة وحسن الخلق لها بالموافقة لها باتباع
هواها والى ان يتجاوز مهما الحد يفسد خلقها ويسقط هيبته بالكلية بل يراعا
في ذلك حد الاعتدال فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رآ منكرا ولا يفتح باب
المساعدة على المنكرات البتة بل مهما رآ ما يخالف الشرع والمروة تنمر وامتعض
٥ الخامسة الاعتدال في الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي تخشى
غوائلها ولا يبالغ في اساءة الظن والتعنت لان اساءة الظن والتعنت ربما
يثيرا من طبع المرأة ما ليس فيها ويغريها بالسوء من خلقها ٥ السادسة
الاعتدال في النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي ان يسرف
بل يقتصد في الامر كله ٥ السابعة ان يتعلم الزوج من علم الحيض واحكامه ما
يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته احكام الصلوة والعبادات وما يقضى
منها في حال الحيض وما لا يقضى ٥ الثامنة اذا كان له زوجات فينبغي ان يعدل
بينهن في القسمة فلا يميل الى بعضهن فان خرج الى سفر واراد ان يستصحب منهن
قرع بينهن تطييبا للنفوس ٥ التاسعة اداب الجماع فيستحب التسمية
عند الابتداء ويقرا قل هو الله احد ويكبر ويهلل وينحرف عن القبلة وليستترا
ولا ياتيها في الحيض وان انقضى الحيض فلا ياتيها حتى تغتسل الى غير ذلك
من الآداب المستقصاة في علم الفقه ٥ العاشرة اداب الولادة يكره
فرحه بالذكر وحزنه بالانثى ويؤذن في اذن الولد ويسميه ويعق عنه
شاتان عن الغلام وشاة عن الجارية ٥ النظر الثاني في بيان ما على
الزوجة من حقوق الزوج والقول الشافي فيه ان النكاح نوع رق وهي
رقيقه فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها

مما لا معصية فيه وعليها القعود في بيتها لا تخرج من قعر بيتها ولا تكثر صعودها
واطلاعها وقليلة الكلام لجيرانها ولا تستعار على الزوج بجمالها ومالها ولا
تؤذي زوجها بالقبحة او فقره وعليها ملازمة الصلاح في الغيبة لزوجها والرجوع
الى اللعب والانبساط واسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي ان تؤذي
زوجها بحاله

الباب الثالث في بيان آداب الكسب

طلب المعايش اعلم ان الله تعالى قد جعل الآخرة دار الثواب والدنيا دار
التمحل والاضطراب او التشمير والاكتساب فالدنيا مزرعة للآخرة ومدرجة
اليها والاقتصاد محمود والاسراف مذموم ولن تنال رتبة الاقتصاد ما لم
تلازم في طلب المعيشة مسلك الرشاد واعلم ان الكلام في انواع
الكسب ووجوه المكاسب والكلام في عقد البيع وانواع التجارات
وعقود المعاوضة نحو بيع المرابحة والصرف والسلم وغير ذلك من انواع
المعاوضات طويل ولكنا نقتصر هنا على ما يتعلق بامر الآخرة من ذلك
فنذكر فضل الكسب وما ينبغي المكلف فعله مما يتعلق باحراز الدين
فهذان تقريران

التقرير الاول في بيان فضل الكسب

قال الله تعالى وجعلنا النهار معاشا في معرض الامتنان على الخلق
وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش وقال تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا
فضلا من ربكم وقال تعالى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من
فضل الله وقال جل وعلا فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله
واما الاخبار فقوله صلى الله عليه وآله وسلم ان من الذنوب ما لا يكفرها الا
هم نفقة العيال وفي حديث آخر الا طلب المعيشة وقال صلى الله عليه وآله
وسلم التاجر الصدوق يحشر يوم القيمة مع الصديقين والشهداء وقال صلى الله
عليه وآله وسلم من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على
عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر وقال صلى الله
عليه وآله وسلم

عليه واله وسلم ان الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس
ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة وقال ان الله يحب العبد
المحترف وقال صلى الله عليه واله وسلم احل ما اكل الرجل من كسبه وكل
بيع مبرور وقال صلى الله عليه واله وسلم عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار
الرزق وروي ان عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ما تصنع قال اتعبد قال من
يعولك قال اخي قال اخوك اعبد منك واما الاثار فقد
قال لقمان الحكيم لابنه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما
افتقر احد قط الا اصابته ثلث خصال رقة في دينه وضعف في عقله
وذهاب مروته واعظم من هذه الخصال استخفاف الناس به وقال
عمر لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني وقد علم ان
السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان زيد بن اسلم يغرس في ارضه
فقال له عمر اصبت استغن عن الناس يكون اصون لدينك واكرم
عليهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه اني لاكره ان ارى الرجل فارغا لا في امر
دنياه ولا في امر آخرته وسئل ابرهيم بن ادهم عن التاجر الصدوق اهو احب
اليك ام المتفرغ للعبادة فقال التاجر احب الي لانه في جهاد وقال عمر
ما من موضع ياتيني الموت فيه احب الي من موطن السوق فيه لاهلي ابيع
واشتري ه التقرير الثاني في بيان ما يجب على التاجر في امر
دينه اعلم انه لا ينبغي للتاجر ان يشغله معاشه عن صلاح معاده فيكون
عمره ضايعا وصفقته خاسرة وما يفوته من الربح في الآخرة لا يفي به
ما يناله من الدنيا الا بل ينبغي ان يشفق على دينه وعلى نفسه يحفظ راس
ماله وراس ماله دينه فيراعي في ذلك امورا السبعة ه الاول منها
حسن النية والعقد في ابتداء التجارة فينوي بها الاستعفاف عن
السؤال وكف الطمع عن الناس ه الثاني ان يقصد بالقيام في

في صنعته وتجارته من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات
لو تركت لبطلت المعايش وهلك اكثر الخلق فانتظام الكل بتعاون
الكل ويتكفل كل فريق بعمل ولو اقبلوا كلهم على صنعة واحدة لتعطلت
البواقي ۞ الثالث ان لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة واسواق
الآخرة المساجد قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام
الصلوة وايتاء الزكوة ۞ الرابع ان لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله في
السوق غالبا عليه ولا يشتد حرصه على ذلك ويشتغل بالتسبيح و
التهليل وذكر الله في السوق بين الغافلين ۞ اي من ان لا يكون الحرص
على السوق غالبا عليه ولا يشتد حرصه على ذلك وذلك بان يكون اول داخل
وآخر خارج وان يركب البحر في التجارة فانه يقال من ركب البحر فقد استقصى
في طلب الرزق ۞ السادس ان لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقي
مواضع الشبهة ومظان الريبة ولا ينظر الى الفتاوى بل يستفتي نفسه
فما وجد فيه حزازة تركه وما طابت به نفسه فعله ۞ السابع انه
ينبغي ان يراقب جميع مجاري معاملته مع كل احد من معامليه فانه مراقب
ومحاسب وليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فعله وقوله فقد قيل
التاجر يوقف يوم القيمة مع كل رجل كان باعه شيئا وقفة ويحاسب مع كل
احد من عامله فهذا ما اردنا ذكره من المعاملة والاحسان والشفقة
على اهل الدين من التجار والله اعلم ۞

الباب الرابع في الحلال

والحرام وبيان مواقعها واعلم ان طلب الحلال فريضة على كل مسلم
وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض اعصاها على النفوس فهما
وعملا واثقلها على الجوارح عملا وفعلا وادقها بيانا واقلها جريانا
ومن اجل ذلك اندرست بالكلية علما وعملا وصار غموض علمها سببا
لاندراس علمها اذ ظن بعض الجهال ان الحلال قد صار مفقودا
وان السبيل دون الوصول اليه لا يزال مسدودا وانه لم يبق من

الطيبات

الطيبات الا الماء الفرات والا الحشيش والنبات في الارض الموات
وما سوا ذلك فقد احتنبته الايدي العاديه وافسدته المعاملات الفاسده
وهيهات هيهات بل الحلال بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات ولا تزال
هذه المراتب الثلاث مفترقات كيفما تقلبت الاحوال فلا جرم عظمت
العنايه في تقرير هذا الباب وذكر ما يليق بالكتب الوعظيه وما عدا ذلك
فهو محال على الكتب الفقهيه والذي نذكرها هنا ايضاحات اربعه

الايضاح الاول في بيان فضيلة الحلال ومذمة الحرام قال الله تعالى
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل الطيبات قبل العمل وقالوا
المراد بالحلال وقال تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقال تعالى ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وقال
تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين
ثم قال وان تبتم فلكم رؤس اموالكم والآيات الواردات كثيرة لا تحصى
واما الاخبار فقد روى ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سعى على عياله
من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة
الشهدا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اكل حلالا اربعين يوما نور الله قلبه
واجرى ينابيع الحكمة من قلبه وفي رواية ازهده الله في الدنيا وروي ان سعدا رضي الله عنه
سال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يسال الله له ان يجعله مجاب الدعوة فقال له
اطب طعمتك تستجب دعوتك ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحريص في الدنيا
قال رب اشعث اغبر مشرد في الدنيا بالاسفار مطعمه حرام وملبسه حرام
وغذي بالحرام يرفع يديه ويقول يا رب يا رب فانى يستجاب له ذلك

حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة
من اكل حراما لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فالصرف النافلة والعدل
الفريضة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه
درهم حرام لم يقبل الله منه صلاته ما دام عليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل لحم نبت
من الحرام فالنار اولى به واما الآثار فروي ان عمر شرب لبنا من ابل الصدقة
فادخل اصبعه وتقيا وقالت عائشة انكم تغفلون عن افضل العبادة الورع
وقال عبد الله بن عمر لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار لم يقبل
الله ذلك منكم الا بورع حاجز وقال الفضيل بن عياض من عرف ما يدخل بطنه كتبه
الله صديقا فانظر عند من تفطر يا مسكين وقيل لابراهيم بن ادهم لم لا تشرب
من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو لشربت وقال سفيان الثوري من انفق
من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره الا الماء
والذنب لا يكفره الا الحلال وقال يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله تعالى
ومفتاحها الدعاء واسنانها اللقم الحلال وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يقبل
الله صلاة امرئ في جوفه حرام وقال بعض الحكماء من اكل من الشبهة اربعين يوما
اظلم قلبه وهو تأويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال بعض
الزهاد من اكل الحرام عصت جوارحه شاء ام ابى ومن كانت طعمته حلالا
طاعت جوارحه ووفقت للخيرات وقال بعض السلف اول لقمة ياكلها العبد
حلالا يغفر الله له بها ما سلف من ذنوبه ومن اقام نفسه مقام ذل في طلب
الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر وعن امير المومنين
علي كرم الله وجهه انه لم ياكل طعاما بعد قتل عثمان ونهب الدار
الا مختوما عليه حذرا من الشبهة وعن بعض الزهاد من لم يبال بما ياكل
لم يبال الله من اي باب النار ادخله الايضاح الثاني في بيان
مداخل الحرام والحلال واصنافها اعلم ان تفصيل الحرام والحلال انما يليق

بكتب الفقه

بكتب الفقه والذي نذكره ها هنا ما يحتاج طالب الآخرة وما ينبغي من
التلبس به واستعماله وطلبه ونحن الآن نشير الى مجامعه في تقسيم خاطر
وهو ان المال انما يحرم اما لمعنى في عينه او لخلل في وجه اكتسابه فهذا ان
قسمان القسم الاول ما يحرم لصفة في عينه كالخمر والخنزير
والكلب وتفصيله ان الاعيان المأكولة على وجه الارض تكون على اوجه ثلاثة
اولها المعادن كالملح والطين وجميع ما يخرج منها فلا يحرم اكله الا من حيث
المضرة بالاكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم والخبز لو كان يضر لحرم اكله
والطين الذي يعتاد اكله لا يحرم الا من جهة المضرة فما لا يضر يجوز اكله
وثانيها النباتات لا يحرم منها الا ما كان مزيلا للعقل كالبنج والخمر وسائر
المسكرات او مزيلا للحياة كالسموم كلها او مزيلا للصحة كالادوية في غير
وقتها وثالثها الحيوانات فاما حيوان البحر فكله مأكول واما حيوان
البر فما كان منها لا يذكى فميتته صحيح كالجراد والقطوي وما كان منه يذكى
فانما يحل اذا ذكي ذكاة شرعية ووعي فيه شروط الذابح والآلة وما لا يذبح
ذبحا شرعيا فهو حرام كما هو مذكور في كتاب الصيد ولا يحل لنا الا ميتتان
السمك والجراد القسم الثاني ما يحرم بخلل يعرض فيه وذلك يكون على نوعين
النوع الاول تحريمه بعرض من جهات ثلاث الاولى ان يكون اخذه على
جهة الاكراه كالاموال المأخوذة على جهة الظلم والمصادرة فما هذا حاله حرام
كما اشار اليه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله لا يحل مال امرء الا بطيبة من نفسه
الثانية المال المأخوذ على جهة الرضا لكنه على جهة محظورة ومنفعة مكروهة
كأجر البغي وحلوان الكاهن والأجر على الغناء الثالثة ان تكون تلك
المنفعة واجبة كالاجر على الجهاد في سبيل الله فما هذا حاله من هذه الاموال
فهو حرام لا يجوز تناوله النوع الثاني تحليله وذلك يكون من جهات
الاولى منها ما لا مالك له كالمعادن واحياء الموات والاحتطاب والاحتشاش
الثانية المأخوذة قهرا ممن لا حرمة له كالغنيمة والفيء فانها حلال للمسلمين

بشروط جريها على قانون الشرع في صحة القسمة واخراج خمسها الثالثة
ما يوخذ قهرا من مالكه باستحقاق من غير رضاه اما باذن الامام او باذن
الحاكم كسائر الامور المحكوم بها على من انكرها بالبينة ۞ الرابعة
ما يوخذ على جهة التراضي بعاوضة وهذا نحو البيع والشرا والاجارة
والحواله والقراض والشركة وغيرها ۞ الخامسة ما يوخذ بالتراضي من غير
عوض وهو حلال اذا روعي شروط المعقود عليه وهذا نحو الهبة والصدقة
والوصية ۞ السادسة ما يحصل من غير اختيار كالميراث اذا كان
الموروث قد اخذه من حله فهذه جميع مداخل الاموال في
التحريم والتحليل وقد اشرنا الى جملتها ليكون السالك لطريق الآخرة على
حقيقة من امره وبصيرة في حاله

الايضاح الثالث

في بيان درجات الورع في الحلال والحرام اعلم ان الحلال كله طيب وبعضه
اطيب من بعض والحرام كله خبيث وبعضه اخبث من بعض فنقول الورع
يكون على درجات اربع نفصلها بعون الله تعالى

الدرجة الاولى

ورع العدالة وهذا هو الذي يجب الفسق لاقتحامه وتسقط العداله
بانتهاكه ويستحق اسم الظلم ويتعرض للوعيد بالنار وهذه هي مداخل
الاموال الظلمية ۞ الدرجة الثانية ورع الصالحين وهو الامتناع
عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص في تناوله بناء على الظاهر
۞ الدرجة الثالثة ورع المتقين وهو الذي لا يحرمه فتوى ولا شبهة
في حله لكن يخاف منه اداه الى محرم وهو ترك ما لا باس به حذرا مما به الباس
الدرجة الرابعة ما لا باس به اصلا ولا يخاف منه ان يودي الى
ما به الباس ولكنه يتناوله لغير الله ولغير التقوى وهذا هو ورع
الصديقين فهذه درجات الورع تكون كما اشرنا اليه والله اعلم

الايضاح الرابع في بيان ما يحل من مخالطة امرا الظلم

والجور

والجور والسلاطين اعلم ان لصاحب الدين معهم ثلاثة احوال
الحالة الاولى وهي حالة النجاة والسلامة وهي ان تعتزلهم فلا يرونك ولا
تراهم وهو الواجب اذ لا سلامة الا فيه فعليك ان تعتقد بغضهم على ظلمهم
وطردهم وابعادهم واستحقاقهم للبراءة واللعن بما هم فيه من الظلم للخلق والجور
ولا تاسف على مفارقتهم ولا تستخبر عن احوالهم ٥ الحالة الثانية ان
يحضر عليك الظالم من امرائك فهذه دون الاولى لكن فيها تعرض للمعصية
ايضا فجواب السلام لا بد منه اذا سلم عليك واما القيام في وجهه للاكرام
فلا يحرم لانه في مقابلة اكرامه بالدخول عليك ولانه اكرام للعلم والدين فلا
باس به ولكنه يتوجه عليك امور ثلاثة ٥ التعريف له بجهله لاقدامه
على الظلم والجور والتخويف له فيما هو مستجري عليه من ظلم الخلق والارشاد له
الى ما هو غافل عنه من معصية الله تعالى في خلقه فهذه الامور كلها لازمة لمن حضر
عليه الظالم لا محالة ٥ الحالة الثالثة وهي اخطرها في الدين وهي مذمومة
من جهة الشرع وقد ورد فيها تشديدات وتغليظات تواردت بها الاخبار والآثار
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ابغض القراء الى الله تعالى الذين يزورون
الامراء وفي حديث آخر خير الامراء الذين ياتون العلماء وشر العلماء الذين ياتون الامراء
وفي حديث آخر العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا
ذلك فاحذروهم واعتزلوهم وعلى الجملة فالداخل على السلطان متعرض لمعصية
الله تعالى اما بفعله بالدخول عليهم واما بقوله فيدعو للظالم فيثني عليه واما
بسكوته عن التنكير عليهم واما باعتقاده فيكاد لا يسلم اذ راى ما هو عليه من
النعمة باعتقاد [illegible] وفي اعتزالهم سلامة عن هذه الاخطار كلها فاعتزالهم
كان واجبا

الباب الخامس في بيان آداب الصحبة والمعاشرة

مع اصناف الخلق اعلم ان الاخوة في الله وفي الدين من افضل القربات والطف
ما يستعان به على الطاعات في مجاري العادات ولها شروط ليلتحق المتصاحبون
بالمتحابين في الله [illegible]

ودونها حقوق بمراعاتها تصفوا الموده وتظهر المحبه وبالوفا بها عليها
تنال الدرجات العاليه عند الله تعالى فلنذكر فضيلة الصحبه والاخوه ثم نردفه
بالكلام في بيان حقوقها ثم نذكر الصفات المعتبره فيمن يختار صحبته
فيحصل تقريرات ثلاثه التقرير الاول في بيان فضيلة الاخوه و
الصحبه اعلم ان الالفه والصحبه ثمرة حسن الخلق والمنافره والتفرق ثمرة
سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتالف وسوء الخلق يوجب
التباغض والتدابر وقد مضى فيه ما فيه كفايه وقد قال تعالى مظهرا النعمه
على الخلق بنعمة الالفه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين
قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا اي بالالفه
ثم ذم التفرقه وزجر عنها فقال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا
تفرقوا الى قوله تعالى لعلكم تهتدون وقال صلى الله عليه واله وسلم ان اقربكم مني مجلسا
يوم القيمه الذين يالفون ويولفون وقال في الثنا على الاخوه لى الدين
من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال
صلى الله عليه واله وسلم المومن الف مالوف ولا خير فيمن لا يولف ولا يولف وقال
صلى الله عليه واله وسلم مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما
الاخرى وما التقيا مومنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا وقال
صلى الله عليه واله وسلم في الترغيب في الاخوه في الله من اخا اخا في الله رفعه الله درجة
في الجنه لا ينالها بشي من عمله وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ بن جبل اني
احبك في الله فقال ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول
ينصب لطائفه من الناس كراسي حول العرش ومنابر من نور يوم
القيمه ووجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون و
يخاف الناس وهم لا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

فقيل

فقيل من هم يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله وروى ابو هريرة عن الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم قال ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم
نور ليسوا انبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا
فقال هم المتحابون في الله المتجالسون في الله المتزاورون في الله وقال صلى الله
عليه وآله وسلم ما تحاب اثنان في الله تعالى الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه
ويقال ان الاخوين في الله ان كان احدهما اعلا مقاما من الآخر رفعه الله معه الى مقامه
وانه يلتحق به كما تلحق الذرية بالابوين وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى يقول
حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي ووجبت محبتي للذين يتحابون من اجلي
ووجبت محبتي للذين يتباذلون من اجلي ووجبت محبتي للذين يتناصرون من اجلي
وقال ان الله تعالى يقول يوم القيمة اين المتحابون لجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا
ظل الا ظلي وقال صلى الله عليه وآله وسلم المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في راس
ذلك العمود سبعون الف غرفة يشرفون على اهل الجنة يضيء حسنهم لاهل الجنة كما تضيء الشمس
لاهل الدنيا فيقول اهل الجنة انطلقوا بنا ننظر المتحابين في الله يضيء حسنهم لاهل الجنة
كما تضيء الشمس لاهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب في جباههم المتحابون في الله
وقال صلى الله عليه وآله وسلم اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وقال صلى الله عليه
وآله وسلم ان لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما الفت بين الثلج
والنار فالف بين عبادك الصالحين وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما زار رجل رجلا
شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك
وطابت لك الجنة وفي اخبار داوود عليه السلام قال يا رب كيف لي ان يحبني
الناس كلهم واسلم فيما بيني وبينك قال خالق الناس باخلاقهم واحسن فيما بيني وبينك

وفي حديث آخر خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق اهل الآخرة باخلاق الآخرة
الآثار قال امير المؤمنين [illegible] عليكم بالاخوان
فانهم عدة في الدنيا والآخرة الا تسمع الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم وقال عبد الله بن عمر والله لو صمت النهار لا افطره وقمت الليل لا انامه وليس
في قلبي حب لاهل طاعة الله وبغض لاهل معصية الله تعالى ما نفعني ذلك شيئا وقال
بعض الزهاد عند موته اللهم اني اذا كنت اعصيك كنت احب من يطيعك فاجعل ذلك
قربة اليك وقال الحسن بن علي عليهما السلام يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من
احب فانك لن تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم
وليسوا معهم وقال الفضيل بن عياض في بعض كلامه ها ها تريدان تسكن الفردوس
وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين باي عمل
عملته وباي شهوة تركتها وباي غيظ كظمته وباي رحم قاطع وصلتها وباي زلة
لاخيك غفرتها وباي قريب باعدته في الله وباي بعيد قربته في الله ويروى ان
الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام هل عملت لي عملا قط فقال الهي صليت لك وصمت
وتصدقت وزكيت فقال ان الصلوة لك برهان والصوم لك جنة والصدقة ظل
والزكوة نور فاي عمل عملت لي قال موسى دلني على عمل هو لك قال يا موسى هل واليت
لي وليا او عاديت لي عدوا قط فعلم موسى عليه السلام ان افضل الاعمال الحب في الله والبغض
في الله **التقرير الثاني** في بيان حقوق الصحبة والاخوة اعلم ان عقد
الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح الجامع بين الزوجين وكما يقتضي النكاح
حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق تقريره فهكذا عقد الاخوة
فلاخيك عليك حق من شأن الاخوة وكمالها وجملتها ثمانية حقوق الحق الاول
في المال ومتى كانت الاخوة صادقة فلها في المال مراتب اربع ان تؤثره على نفسك

وهذه

وهذه النهايه وان تنزله منزلة نفسك وهذه بعدها وان تنزله
منزلة ولدك في مالك وان تنزله منزلة عبدك وهذه المراتب احكام
شرحها يطول **الحق الثاني في الاعانه** في النفس على قضا الحاجات
والقيام بها قبل السؤال قال جعفر بن محمد عليهما السلام اني لاسارع الى قضا حوائج
اعدائي مخافه ان اردهم فيستغنون عني فهذا في الاعدا فكيف الاصدقا
وقضا بن شبرمه حاجة لبعض اخوانه كبيرة فجاء بهديه فقال ما هذه فقال
لما اسديته الي فقال خذ مالك عافاك الله اذا سالت اخاك حاجة فلم يجهد
نفسه في قضاها فتوضأ للصلوة وكبر عليه اربع تكبيرات وعده في الموتى واقرا
هذه الايه والموتى يبعثهم الله **الحق الثالث** باللسان بالنطق
والنطق في حقه يكون بالدعاله باحب اسمائه اليه في غيبته وحضوره والثنى
عليه بمحاسن احواله وان تشكره على صنيعته في حقك وان تذب عنه في حال
غيبته عنك كما تذب عن نفسك وداخيك ان تسلم عليه اذا لقيته
وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه ومن صفو المحبة ان تخبره
بمحبتك له وقد قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم اذا احب احدكم اخاه فليخبره
وانما امر بالاخبار لأن ذلك يوجب زياده حب فانه اذا عرف انك تحبه
احبك بالطبع لا محاله واذا عرفت انه يحبك زاد حبك له **الحق الرابع**
السكوت عنه وهو ان تسكت عند ذكر عيوبه في حضرته وغيبته فتسكت
عن حكي امر يكرهه جملة وتفصيلاً وتسكت عن الرد عليه فيما يتكلم فلا تماريه ولا
تنافسه ولا تجسس عن اخباره وعيوبه وان تسكت عن اسراره التي بلغتها
اليك واذا رايته في طريق او في حاجة لم تفاتحه بذكر غرضه او صدوره
فان ذلك ربما يثقل عليه وان تسكت عن ذكر اهله واقاربه بما يتوهمه
وان تسكت عن قدح غيره فيه قال انس كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
لا يواخذ احداً بما يكرهه وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الله يكره

ان الله يكره لكم القيل والقال [illegible] يعني التصرف [illegible]

وقال بعض الزهاد المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات
والله اعلم **الحق الخامس** العفو عن الزلات والهفوات والصديق
اذا هفا فليس يخلو حاله اما ان يكون هفوته في دينه بارتكاب معصية
او في حقك بتقصيره في الاخوة فاذا كانت الهفوة في الدين فعليك التلطف
له في نصحه بما يقيم اوده ويجمع شمله ويعيده الى الصلاح والاستقامة فان
اصر على الخطيئة وكره ان يرعوى فهل تقطع او تواصل فيه تردد بين
العلما والقوي المصارمة في الله تعالى واما ان تكون زلته في حقك بما يوجب
الوحشة فالاولى العفو والاحتمال في كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور
تمهيد عذر فيه قريب او بعيد فهو واجب بحق الاخوة **الحق السادس**
الدعا للاخ في حياته وبعد وفاته بكل ما يحبه لنفسه واهله وكل ما يتعلق
به فتدعو له كما تدعو لنفسك على التحقيق ولا تفرق بين نفسك وبينه
فان دعاك له دعا لنفسك على التحقيق قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم
اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قالت الملايكة ولك مثل ذلك وفي حديث
اخر يستجاب للرجل في اخيه ما لا يستجاب له في نفسه وفي حديث اخر
دعوة الاخ لاخيه في الغيب لا ترد **الحق السابع** الوفا والاخلاص
ومعنى الوفا الثبات على الحب والادامة له الى الموت وبعد الموت
مع اولاده واصدقائه فان الحب انما يراد للاخرة فان انقطع قبل الموت
حبط العمل وضاع السعي ولهذا قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم في السبعة
الذين يظلهم الله بظله رجلان تحابا في الله اجتمعا وتفرقا على ذلك وقال
بعضهم قليل الوفا بعد الوفاة خير من كثير في الحياة وروي انه صلى الله عليه واله وسلم
اكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت تاتينا ايام خديجة
وان كرم العهد من الدين **الحق الثامن** التخفيف وترك
التكلف ومعنى ذلك ان لا يكلف اخاه ما يشق عليه فيحرج على نفسه

منهم

من مهماته وحاجاته ويرفهه ان يحمله شيا من اعبائه ولا يستمد منه
من مال ولا من جاه ولا يكلفه التواضع ولا التفقد لاحواله والقيام
بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلقائه
واستعانة به على دينه وتقربا الى الله تعالى بالقيام بحقوقه وقال بعضهم
من اقتضى من اخوانه ما لا يقتضونه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل
ما يقتضونه فقد اتعبهم ومن لم يقتض منهم فهو المتفضل عليهم فهذا
ما اردنا ذكره من حقوق الصحبة على جهة الاجمال اختصارا والايجاز

التقرير الثالث

في بيان الصفات المعتبرة فيمن تختار صحبته اعلم انه لا يصلح للصحبة كل
انسان قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من
يخالل فلا بد من تمييز بخصال ترغب في صحبته من اجلها وجملة ما نذكره في
ذلك خمس خصال الخصلة الاولى العقل فانه راس المال وهو الاصل
فلا خير في صحبة الاحمق والى التقطيعة والوحشة ترجع والاحمق قد يضرك وهو
يريد نفعك واعانتك من حيث لا يدري ولهذا قيل مقاطعة الاحمق قربان
الى الله تعالى وقال سفيان الثوري وجه الاحمق معصية مكتوبة ونريد بالعاقل
الذي يفهم الامور على ما هي عليه اما بنفسه واما اذا فهم فهم

الخصلة الثانية

حسن الخلق فلا بد منه اذ رب عاقل يدرك الاشيا على ما هي عليه ولكنه اذا
غلبه غضب او شهوة او بخل او جبن اطاع هواه وخالف ما هو المعلوم
عنده لعجزه عن قهر ما هو مجبول عليه فلا خير في صحبته

الخصلة الثالثة

الدين فلا خير في صحبة الفاسق المصر على فسقه لان كل من يخاف الله فانه لا
يصر على كبيرة وكل من لا يخاف الله فانه لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته
بل تتغير بتغير الاغراض وقد قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه
وقال تعالى واتبع سبيل من اناب الي وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا
الحيوة الدنيا وفي مفهوم ذلك زجر عن صحبة الفاسق

الخصلة الرابعة

البخل فلا ينبغي صحبة البخيل فان صحبته تورث البخل ولم يكن نافعا للنفس فيكون نافعا لغيره قال بعض الزهاد النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخيل كرب على قلوب المومنين وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله خلق البخل من مقته وجعل اصله في اصل شجرة الزقوم وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اي داء ادوا من البخل وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع

الخصلة الخامسة الحرص على الدنيا فاما الحريص عليها فصحبته سم قاتل فان الطباع مجبولة على التشبه والاقتدا بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه فمجالسة الحريص تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهدك في الدنيا فمن اجل ذلك يكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين في الاخرة

قال امير المومنين علي كرم الله وجهه

احيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه وقال لقمن لابنه يا بني جالس العلما وزاحمهم بركبتيك فان القلوب تحيا بالحكمة كما تحيي الارض الميتة بوابل المطر فاما اهل البدع والضلالات من اصحاب الاهوا فان في صحبتهم خطر عظيم وهو خوف السراية للبدعة اليك وتعدي شومها الى نفسك والمبتدع يستحق المقاطعة والمهاجرة فكيف تومن صحبته وقال عمر لا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله في كل امورهم

الباب السادس في بيان الحب في الله تعالى

والبغض في الله **اعلم** ان هذا الحال فهو غامض دقيق فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشي الملتذ به فان تاكد الميل فهو العشق وهو المحبة المفرطة والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن الشي المولم المتعب فاذا

قوي

فقد يسمى مقتًا فلنذكر ما يتعلق بالحب ثم نذكر ما يتعلق بالبغض وما يتعلق بالمحبة ويقع على وجوه
فهاتان مرتبتان **المرتبة الاولى**
اربعة الوجه الاول حبك الشي لذاته وما هذا حاله ممكن
وهو ان يكون في ذاته محبوبًا لك على معنى انك اذا لقيته تلتذ برؤيته
ومعرفته ومشاهدته والتفكر في اخلاقه لانك تستحسنه فهو جميل لذيذ في
حقك كل من ادرك جماله وكل لذيذ فهو محبوب ثم ان ذلك المستحسن اما ان
يكون هو الصورة الظاهرة اعني حسن الخلقة وتمام القد وجمال الهيئة واما
ان يكون هو الصورة الباطنة اعني حسن الخلاق ونحو غزارة العلم وفصاحة
اللسان وحسن المنطق وكل ذلك مستحسن عند كل طبع سليم وعقل مستقيم
ويلتذ به ويكون محبًا له **الوجه الثاني** ان يكون حبه لغير ذاته والمحبوب
غير ذاته ولا شك ان الوسيلة الى الحبيب محبوب به وما يحب لغيره كان ذلك هو
المحبوب بالحقيقة ولهذا فان الناس يحبون الذهب والفضة ولا غرض لهم فيهما
اذ هما لا يطعمان ولا يشربان ولكنهما وسيلة الى كل محبوب وعرض مطلوب
فمن الناس من يحب غيره كما يحب الذهب والفضة من جهة انهما وسيلتان
الى الغرض فيحبهما لانه يتوصل به الى نيل جاه او مال او علم كما يحب الرجل
سلطانًا لانتفاعه بجاهه او ماله **الوجه الثالث** ان يحبه لا لذاته
بل لغيره وذلك الغير ليس لحظ الحظوظ الدنيا بل يرجع الى الحظوظ في الآخرة
فهذا ايضًا ظاهر لا غموض فيه وذلك كما يحب استاذه وشيخه لانه يتوصل
به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة
واحراز السعادة الاخروية فما هذا حاله يكون من جملة المحبين في الله وهكذى
فانه يحب تلميذه لانه يلتقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقا
الى درجة التعظيم في ملكوت السماء كما قال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك

فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء عظيما واسير حكيم

الوجه الرابع أن يحب الله وفي الله لا لينال منه علماً ولا عملاً وما هذا
حاله وهو أعلى الدرجات وأدقها وأغمضها وهذا القسم ممكن فإن من
آثار الحب أن يتعدى من المحبوب إلى كل من يتعلق به ولو بُعد فإن من أحب
الله وغلب عليه حبه واستولى عليه حبا انتهى إلى كل حاله في الاستهتار فإنه يتعدى
إلى كل موجود سواه من آثار قدرته ومن أحب إنساناً أحب صنعته وخطه
وجميع أفعاله ولهذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا وقع المطر استمطر
وأناله جسمه وقال هذا قريب العهد بربه وإذا حصل من الفواكه باكورة
مسح بها وجهه وأكرمها وقال إنها حديثة بربها **المرتبة الثانية**
في بيان ما يتعلق بالبغض فاعلم أن كل من أحب في الله فإنه لا بد أن يبغض في
الله فإنك إن أحببت إنساناً لأنه مطيع لله ومحبوب عنده فإن عصاه فلا بد
من أن تبغضه لأنه عاص لله ممقوت عنده فهما متلازمان ثم ترى أن أهل
البغض هم أهل العداوة من الكفار والفساق وهم على صفات مختلفة وأحوال
متباينة لأن المخالف لأمر الله لا يخلو حاله إما أن يكون مخالفاً في عقيدته
أو في عمله فهاتان حالتان **الحالة الأولى** أن يكون مخالفاً في عقيدته وتقع
على أوجه ثلاثة **الوجه الأول** منها أن يكون كافراً فإن يكون محارباً
فهو مستحق للقتل والاسترقاق وليس بعد هذين إهانة وإن كان مرتداً وجب
قتله وإن كان ذمياً فلا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض والتحقير له والإلجاء
إلى غير ذلك من الأذايات **الوجه الثاني** المبتدع الذي يدعو إلى
بدعته فإن كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد من أمر الذمي لأنه لا يقر
بجزية ولا يسامح بعقد ذمة وإن كانت بدعته بحيث لا يكفر بها فأمره أخف
من حكم الكافر ولكن التنكير أشد لأن شر الكافر مقصور عليه وشر هذا يتعدى
الوجه الثالث المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعاء ولا يخاف الاقتداء به

وأمره

وامره اهون فالاولى ان لا يفاتح بالتغليظ والاهانة بل يلطف به
في النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب فيعرض عن الاعراض
يجر له عن بدعته **الحالة الثانيه** ان يكون مخالفا في عمله ثم يقع
على اوجه ثلاثة **الوجه الاول** وهو اشدها ما يتصور به الناس
كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبه والنميمة فهولاء الاولى هو
الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عنهم وطردهم وايحاشهم
جهة ان معصيتهم شديدة لما فيها من ايذاء الخلق **الوجه الثاني**
الذي يفسق بشرب المسكر واتيان فاحشة الزنا وترك الصلوة فهذا
حالة فانه يضرب الحد لارتكابه المعصية فان صودف على هذه المعصية وجب
منعه بالضرب والحبس وغير ذلك واذا انزجر عن ذلك وعلم ان ذلك لا يعاد
فالواجب وعظه وان تحقق ان نصحه يمنع من العود فالواجب نصحه **الوجه الثالث**
ان يكون عنايته في اعمال الفسق والفجور وسائر المعاصي من الغنا وشرب
المسكر والزنا باحضار الالات وتهيئتها وتهيية الغنا باحضار الات
اللهو والعيدان فان من هذه حالة يفسد على الناس اديانهم ويحتاجها
فان هذه معصية عظيمة فالواجب الاهانة والاعراض والمقاطعة له
حتى ينزع عما هو عليه من الدعاء الى المعاصي وقد عرضنا ما نريده من المحبة والبغض في رابطة تكون

الباب السابع في بيان الحقوق للاخوان المسلمين

لبعضهم على بعض لاجل الاسلام والدين اعلم ان الانسان اما ان يكون
وحده او يكون معه غيره وان تعذر عيش الانسان الا بالمخالطة مع من هو من
جنسه لم يكن بد من ادراك اداب المخالطة والمخالطة لا بد لها من رابطة
واهم الروابط رابطة الاسلام فانها هي اقوى الروابط وقد عظم الله
حرمتها ورفع شانها وهي الاخوة في الدين وقد اتخذ صلى الله عليه واله وسلم

امير المومنين كرم الله وجهه اخا حيث قال علي بن ابي طالب اخي ووزيري
وقاضي ديني وقال له انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي
واما الخلة فهي فوق الصحبة والاخوة ولم يكن له احد خليلا وقال لو كنت
متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله لان الخليل
هو الذي تتخلل المحبة جميع اجزاء قلبه ظاهرا وباطنا وتستوعبه ولم يكن
يستوعب قلبه صلى الله عليه وآله وسلم سوى حب الله فكان صلى الله عليه وآله وسلم
حبيب الله وخليله وقد روي انه صلى الله عليه وآله وسلم صعد المنبر فرحا
مستبشرا فقال ان الله قد اتخذني خليلا فانا حبيب الله وخليل الله واما
الايثار فهو الاتقاء بالنفس والوقاية بها كما كان من ابي بكر في الغار من وقايته
بنفسه من نهشة الحية وكما كان من ابي طلحة اذ جعل شخصه وقاية لشخصه الكريم
صلوات الله عليه وسلامه ونحن الآن نبتدئ بذكر اخوة الاسلام لانها الغاية والنهاية
وجملة ما نذكر من ذلك آداب ثلاثون أولها ان يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا
دعاه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه اذا اقسم
وثانيها ان يحب لكافة المسلمين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره
لنفسه وثالثها ان لا يوذي احدا من المسلمين بفعل ولا قول ورابعها
ان يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله تعالى لا يحب كل مختال فخور وخامسها
ان لا يسمع فيه كلام متكلم ولا يصغي الى بلاغات الناس في بعضهم من بعض ولا
يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض وسادسها ان لا يزيد في هجر من هجره
على ثلاث في ترك رد السلام وسابعها ان يحسن الى من قدر عليه منهم
ما استطاع فلا يميز بين الاهل وغيرهم وثامنها ان لا يدخل على احد منهم
الا باذنه ويستاذن ثلاثا فان لم ياذن له انصرف وتاسعها ان يخالق
الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طرائقهم وعاشرها ان يوقر المشايخ
ويرحم النسوان والصبيان وحادي عشرها ان يكون مع

كافة

179

في الخلق منطلق الوجه كثير البشر وثاني عشرها ان لا يعد مسلماً وعداً
الا ويفي به ولا يخلفه وثالث عشرها ان ينصف الناس من نفسه ورابع عشرها
ان يزيد في رفعة من يذل نفسه ويزيد علو منزلته
وخامس عشرها ان يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد الى ذلك سبيلا
وسادس عشرها ان يستر عورات المسلمين كلهم كما وردت به السنة وسابع عشرها ان
يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن التهم ولالسنتهم عن الغيبة وثامن عشرها
ان يكون مساعداً لكل ذي منزلة حاجة من المسلمين الى كل من له عنده منزلة فيسعى في قضاء
حوائجهم بما يقدر عليه وتاسع عشرها ان يصافح كل من وجد من المسلمين عند السلام
عليه العشرون ان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما
قدر عليه ويرد عنه و الحادي والعشرون ان يشمت العاطس اذا قال الحمد لله الثالث
الثاني والعشرون انه اذا بلي بذي خلق سيئ فينبغي ان يجامله ويتقيه
ان يجتنب مخالطة الاغنياء ويختلط بالمساكين الرابع والعشرون التصدي
لكل مسلم والجهد في ادخال السرور على قلبه الخامس والعشرون ان يعود مرضاهم
والدعاء لهم واظهار الرافة والرحمة بهم السادس والعشرون ان يشيع جنايزهم
وان يقف حتى يدفن الميت لما ورد في الخبر السابع والعشرون
ان يزور قبورهم والمقصود هو الدعاء لهم والاعتبار وترقيق القلب بزيارة القبور
الثامن والعشرون خفض الجناح ولين العريكة والتواضع للمسلمين
التاسع والعشرون ان لا يستصغر احداً من المسلمين حياً كان او ميتاً
الثلاثون ان يكون عائداً اليهم بكل منفعة داً فعاً لكل مضرة
مهما كان قادراً عليه بحسب تمكنه منه فصل جملة فيها تنبيه
على آداب المعاشرة على عموم الخلق والجملة الجامعة لمحاسن الآداب مع عموم الخلق
ان لا يستحقر احداً ولا ينظر الى اهل الدنيا بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فان الدنيا
صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم حال اهل الدنيا في نفسك فقد

عظمت الدنيا في عينيك فتسقط من عين الله ولا تبذل لهم دينك لتنال
من دنياهم فتصغر في اعينهم ثم تحرم دنياهم وان لم تحرم كنت قد استبدلت
الذي هو ادنا بالذي هو خير فلا تعاديهم بحيث تظهر العداوه فيطول عليك
الامر في المعاداه وتذهب دينك ودنياك ويذهب دينهم فيك الا اذا رايت
منكرا في الدين فتعاد الفاعلين له علا ذلك وتنظر اليهم بعين الرحمه لهم لتعرضهم لمقت
الله وسخطه وعقوبته لعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير فلا تحقد عليهم
ولا تسكن اليهم في مودتهم وثنائهم في وجهك وحسن بشرهم لك فانك ان طلبت
حقيقة ذلك لم تجد الا في الماية واحدا وربما لا تجده ولا تشكو اليهم احوالك
فيكلك الله اليهم ولا تطمع ان يكونوا لك في السر كما يكونوا لك في العلانيه فذلك
طمع كاذب واني تظفر به ولا تطمع فيما في ايديهم فتستعجل الذل ولا تنال
الغرض ولا تعل عليهم بكثرة استغنائك عنهم فان الله يلجيك اليهم عقوبة لك
على التكبر عليهم باظهار الاستغنا واذا سالت احدا منهم حاجة فقضاها فهو
اخ مستفاد فان لم يقضها فلا تعاتبه فانه يصير عدوا تطول عليك مقاساته
فلا تشتغل بوعظ من لا ترا فيه مخايل القبول فانه لا يسمع منك ويعاديك
وليكن وعظك تعريضا وارسالا من غير تنصيص على شخص بعينه ومهما رايت
منهم كرامة وخيرا فاشكر الله تعالى الذي سخرهم واستعذ بالله من شرهم ولا تشغل
نفسك بالمكافاه لهم فيزيد الضرر ويضيع العمر ولا تقل لهم تعرفوا موضعي
واعلم انك لو سالت ربك لجعلك في قلوبهم موضعا فانه هو
المحبب والمبغض الى القلوب وكن فيهم سميعا لحقهم اصم عن باطلهم
نطوقا بحقهم صموتا عن مساويهم واحذر صحبة اكثر الناس فانهم لا يقيلون
عثره ولا يغفرون زله ولا يسترون عوره ويحاسبون علا النقير والقطمير
ويحسدون علا القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويواخذون
علا الخطا والنسيان ولا يعفون يغيرون الاخوان بالتهمة والبهتان

فصحبه

فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان
سخطوا فباطنهم الحمق لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في لينهم الحق فيهم
ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك
بالعيون ويترصدون بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك
العثرات في صحبتهم ليجبهوك بها في غضبهم ووحشتهم فلا تعول على مودة من
من لم تختبر منهم حق الخبر فان صحبته مرة في دار او موضع واحد فجربه في عزلته
وولايته وغناه وفقره او تسافر معه او تعامله في الدنانير والدراهم او
تقع في شدة فتحتاج اليه فان رضيته في هذه الاحوال فاتخذه اباك ان كان
كبيرا او ابنا ان كان صغيرا او اخا ان كان مثلا ومصداق ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم
الناس كابل مائة لا يوجد فيها راحلة فليكن همك حفظ هذه الآداب والصبر على
التخلق بها واسال الله في كل الاحوال حسن الخير في عاقبة امرك ولتظفر
بالسعادة الاخروية والاحراز بخواتيم الخير والتوفيق

الباب الثامن في بيان الحقوق للوالدين والاولاد وبيان الارحام والاقارب

اعلم ان لكل واحد من هؤلاء حقا يخالف الآخر لكن اخص الارحام وآكدها
وابينها واقربها هو حق الولادة فلا محالة ان الحق متضاعف فيها فنذكر
حقوق الوالدين على الاولاد ثم نردفه بحقوق الاولاد على الوالدين
ثم نذكر حقوق سائر الاقارب فهذه ثلاثة اصناف الصنف الاول
حق الوالدين على اولادهما فقد قال الله تعالى ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما
قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا
والله تعالى قد جمع في هذه الآية بين آداب خمسة نهى عن التافف ونهى عن
نهرهما وامر بالقول الكريم لهما وان نخفض الجناح في حقهما وامر بالدعاء لهما
بالرحمة وقال تعالى وبالوالدين احسانا وقال صلى الله عليه وآله وسلم لن يجزي ولد
والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اصبح
مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن امسى مثل ذلك

ومن اصبح مسخطا لهما اصبح وله بابان مفتوحان الى النار وان امسى مثل ذلك
وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وقال صلى الله عليه وآله وسلم
الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم
وانه قال برامك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك ويروى ان
الله تعالى قال لموسى عليه السلام من بر والديه وعقني كتبته بارا ومن برني
وعق والديه كتبته عاقا وقيل لما دخل يعقوب على يوسف لم يقم عليه فاوحى الله اليه
تتعاظم ان تقوم لابيك وعزتي لا اخرجت من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه وآله
وسلم ما على احد ان يتصدق بصدقة ان يجعلها عن ابويه اذا كانا مسلمين فيكون
لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شيئا قال مالك بن
ربيعة بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا
رسول الله هل بقي علي شيء من بر والدي ابرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما
والاستغفار لهما وايفاء عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان من ابر البر صلة الرجل اهل ود ابيه وقال صلى الله
عليه وآله وسلم بر الوالدة على الولد ضعفان وقال صلى الله عليه وآله وسلم دعوة الوالدة
اسرع اجابة قالوا يا رسول الله ولم ذاك قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحم لا
تسقط وساله رجل فقال يا رسول الله من ابر قال والديك قال ليس لي والدين
فقال بر ولدك فكما ان لوالديك حق عليك فلولدك حق عليك وقال صلى الله
عليه وآله وسلم رحم الله والدا اعان ولده على بره اي لم يحمله بسوء العقوق
على سوء عمله وقد قيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك او
شريكك وقال انس بن مالك الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه
الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ تسع سنين اعزل فراشه فاذا
بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ستة عشر زوجه ثم اخذ بيده
فقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا والآخرة

وقال صلى

وقال صلى الله عليه وآله وسلم من حق الولد على والده ان يحسن ادبه ويحسن اسمه وقال
صلى الله عليه وآله وسلم كل غلام مرتهن بعقيقته وجاء ... الصنف الثاني
وهو حق الولد على والده فقد روي ان الاقرع بن حابس رأى الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت احدا منهم فقال
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يرحم من لا يرحم وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوما
لعائشة اغسلي وجه اسامة فجعلت تغسله وانا انفر ثم اخذه وغسل وجهه
ثم قبله وقال قد احسن بنا اذ لم يكن جارية ونظر يوما الى الحسن وهو يعثر في ثيابه وهو
على منبره فنزل وحمله وقرا قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد
بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بالناس اذ جاء الحسن فركب عنقه وهو ساجد
فاطال السجود بالناس حتى ظنوا انه حدث امر فلما قضى صلاته قالوا له قد اطلت السجود
حتى ظننا انه حدث امر فقال ان ابني هذا قد رحلني فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته
وقال عليه السلام ريح الولد من ريح الجنة وهو حكي عن معوية اخزاه الله انه دخل اليه الاحنف
بن قيس فلما دخل عليه قال له يا ابا بحر ما تقول في الولد فقال له انهم ثمار قلوبنا وعماد
ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليل فان
طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم ويمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن ثقلا
عليهم فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معوية لله انت
يا احنف لقد دخلت علي وانا مملوء غيظا على يزيد قبحه الله فلما خرج الاحنف
عنه رضي عن يزيد وبعث اليه بمائتي الف درهم ومائتي ثوب فارسل يزيد الى
الاحنف بمائة الف درهم ومائة ثوب قاسمه على الشطر فهذه الاخبار كلها
على تاكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما

الصنف الثالث في بيان

قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت
لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وقال صلى الله
عليه وآله وسلم من سره ان ينسأ له في اجله ويوسع له في رزقه فليصل رحمه
وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الناس افضل قال اتقاهم واوصلهم

ابنته

للرحم وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وقال ابو ذر اوصاني خليلي
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصلة الرحم وان ادبرت وامرني ان اقول
الحق وان كان مرا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الرحم معلقة بالعرش وليس
الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي اذا انقطعت رحمه وصلها وقال
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان اعجل الصدقة ثوابا صلة الرحم حتى ان اهل
البيت ليكونوا فجارا فتنموا اموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم
وقال زيد بن اسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى مكة عرض له
رجل فقال له ان كنت تريد النسا البيض والنوق الادم فعليك ببني
مدلج فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قد منعني من بني مدلج لصلتهم الرحم
وقالت اسما بنت ابي بكر قدمت علي امي فقلت يا رسول الله قدمت علي
امي وهي مشركة افصلها قال نعم وفي رواية اذا افاعطيها قال نعم
صليها وقال صلى الله عليه وآله وسلم الصدقة على المساكين صدقة
وعلى الرحم ثنتان ولما اراد ابو طلحة ان يتصدق بحايط له كان يعجبه
عملا بقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال يا رسول الله هي
في الفقرا او المساكين فقال صلى الله عليه وآله وسلم وجب اجرك اقسمها
في اقاربك وقال صلى الله عليه وآله وسلم افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح
وهو في معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم افضل الفضائل ان تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك وروي ان عمر امر الى عامله ان مروا
الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لان التجاور يوجب التزاحم
على الحقوق وربما اورث الوحشة وقطيعة الرحم

الباب التاسع في بيان حق الجوار اعلم ان الجوار

يقتضي

يقتضي حقا وراما تقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم كلما
يستحقه كل مسلم وزياده بالمجاوره قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق
فالجار الذى له ثلاثة حقوق فالجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام
وحق الرحم واما الجار الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار والاسلام
واما الجار الذى له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك
حقا بحق الجوار وقد قال صلى الله عليه واله وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار
حتى ظننت انه سيورثه وقال صلى الله عليه واله وسلم من كان يومن بالله واليوم
الآخر فليكرم جاره وقال صلى الله عليه واله وسلم لا يومن عبد حتى يامن جاره
بوائقه وقال صلى الله عليه واله وسلم اول خصمين يوم القيمه
جاران وقال صلى الله عليه واله وسلم اذا انت رميت كلب جارك فقد اذيته
وروى ان رجلا جاء الى ابن مسعود فقال ان لى جارا يوذيني ويشتمني
ويضيق علي فقال اذهب فانه عصى الله فيك فاطع الله فيه وقيل
لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان فلانه تصوم النهار وتقوم الليل
ولكنها توذى جيرانها فقال صلى الله عليه واله وسلم هى فى النار وروى
الزهرى ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه واله وسلم يشكو جاره فامر النبى صلى الله
عليه واله وسلم ان ينادى على باب المسجد الا ان اربعين دارا جوار
قال الزهرى اربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واربعون
الى اربع جهات وقال صلى الله عليه واله وسلم اليمن والشوم فى المراه والمسكن
والفرس فيمن المراه خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشومها غلاء مهرها
وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار اهله وشومه
ضيقه وسوء جوار اهله ويمن الفرس تذلله وحسن خلقه وشومه صعوبته
وسوء خلقه واعلم انه ليس حق الجوار كف الاذى فقط بل احتمال الاذى فان الجار
ايضا قد كف اذاه فليس فى ذلك قضاء حق ولا يكفى احتمال الاذى بل لا بد

من الرفق وابتداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق
بجاره الغني يوم القيمه ويقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه
وسد بابه دوني وبلغ ابن المقفع ان جارا له يريد ان يبيع داره في دين
ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ما قمت اذا بحق ظل داره ان باعها معدما
فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها وشكى بعضهم كثرة الفار في بيته فقيل له لو
اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فاكون قد
احببت لهم ما لا احب لنفسي وجملة حق الجار ان تبداه بالسلام ولا تطيل
معه الكلام ولا تكثر عن حاله السؤال وتعوده في المرض وتعزيه في المصيبه
وتقوم معه في العزاء وتهنيه في الفرح وتظهر الشركه في السرور معه وتصفح عن
زلاته ولا تطلع من السطح على عوراته ولا تضايقه في وضع الجذع على جداره
ولا في مصب الماء في ميزابه ولا تطرح التراب في فنائه ولا تضيق طرقه الى
الدار ولا تتبعه النظر فيما يحمله الى داره وتستر ما ينكشف لك من عوراته
وتنعشه من صرعته اذا نابته نائبه ولا تغفل عن ملاحظة داره عند
غيبته ولا تسمع عليه كلاما وتغض بصرك عن حرمته ولا تديم النظر الى خادمته
وتتلطف لولده في كلمته وترشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه وروى
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرون
ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استنصرك نصرته وان استقرضك
اقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته
وان اصابه خير هنأته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه
بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه وان اشتريت فاكهة فاهد له وان لم تفعل
فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك
الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق
الجار الا من رحمه الله وعن عبد الله بن عمر انه امر غلاما ان يسلخ له شاة فقال يا

غلام

غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي حتى قال مرارًا فقال له كم تقول
هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشيت
انه سيورثه وكان الحسن البصري لا يرى بأسًا ان تطعم اليهودي والنصراني من
ضحيتك وقال ابو ذر اوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اذا طبخت
قدرًا فاكثر ماءها ثم انظر بعض اهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها وقالت عائشة
خلال المكارم عشر يكون في الرجل ولا يكون في ابيه ويكون في العبد ولا يكون
في سيده يقسمها الله لمن احب صدق الحديث وصدق العقد واعطا السائل
والمكافاه بالصنائع وصلة الرحم وحفظ الامانه والتذمم للجار والتذمم للصاحب
وقرى الضيف وراسهن الحيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سعادة المرء المسكن
الواسع والجار الصالح والمركب الهني وقال عبد الله سأل رجل يا رسول الله كيف لي
ان اعلم اذا احسنت او اسات قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت
فقد احسنت وان سمعتهم يقولون قد اسات فقد اسات وقال جابر قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان له جار في حايط او شريك فلا يبيعه حتى يعرضه
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يمنع احدكم جاره ان يضع خشبته في حايطه
وكان ابو هريرة يقول مالي اراكم عنها معرضين والله لارمين بها بين اكتافكم وقد ذهب
بعض العلما الى ذلك وقال زاده الله بخير اغسله قيل وما غسله قال حببه الى جيرانه
وقد نجز غرضنا من ذكر ما ورد في حق الجار والله الموفق للصواب

الباب العاشر في بيان حقوق المماليك

اعلم ان ملك النكاح قد سبق بيان حقوقه في آداب النكاح فاما ملك اليمين فهو ايضًا يقتضي
حقوقًا في المعاشرة ولا بد من مراعاتها ولقد كان آخر ما اوصى به النبي صلى الله
عليه وآله وسلم ان قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما
تلبسون ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا
تعذبوا خلق الله فان الله تعالى ملككم اياهم ولو شا لملكهم اياكم وقال صلى الله عليه
وآله وسلم للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وقال
صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة ولا متكبر ولا خاين ولا سيء الملكه

وقال عبد الله بن عمر جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله كم يعف
كذا عن الخادم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال اعف عنه كل يوم سبعين مرة
وكان عمر يذهب الى العوالي كل يوم سبت فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه
ويروى عن ابي هريرة انه رأى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال يا عبد الله احمله فانما
هو اخوك وروحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله تعالى بعدا
ما مشي خلفه وقالت جارية لابي الدرداء اني سممتك منذ سنة فما عمل فيك شيئا
فقال لم فعلت ذلك قالت اردت الراحة منك فقال اذهبي فانت حرة لوجه الله
وقال الزهري متى قلت للمملوك اخزاه الله فهو حر وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت
الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ
اتته خادم له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له و
فعقره فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روعة هذه الجارية الا العتق
فقال انت حرة لا بأس عليك وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما
اشبهك بمولاك مولاه يعصي مولاه وانت تعصي مولاك واغضبني يوما
وقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر وكان مع ميمون بن مهران ضيف
نزل به فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة مرقة
فعثرت واراقتها على رأس سيدها ميمون فقال يا جارية احرقتيني فقالت يا
معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله تعالى قال وما قال قالت قال والكاظمين
الغيظ قال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال وعفوت عنك قالت زد
فان الله يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله تعالى وقال بن المنكدر ان رجلا من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسألك بالله
اسألك بالله فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلما
رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امسك يده فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
سألك بالله فلم تعف قال فانه حر لوجه الله تعالى فقال لو لم تفعل لسفعت
وجهك النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة

ربه

رتبه فله اجره مرتان ولما عتق ابو رافع بكا وقال كان لي اجران فذهب واحد
وقال صلى الله عليه وآله وسلم عرض علي اول ثلاثة يدخلون الجنة واول ثلاثة يدخلون
النار فاما اول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك احسن عبادة ربه
ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو عيال واول ثلاثة يدخلون النار امير متسلط
وذو ثروة لا يعطي حق الله تعالى وفقير فجور وعن ابن مسعود الانصاري قال بينا انا
اضرب غلاما لي فسمعت صوتا من خلفي اعلم يا ابا مسعود مرتين فالتفت فاذا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالقيت السوط فقال والله لله اقدر عليك
منك على هذا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن
اول شي يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه رواه معاذ بن جبل وقال صلى الله عليه وآله
وسلم اذا اتا احدكم غلامه بطعامه فليجلسه معه وان لم يفعل فليناوله
اكلة في يده وليقل كل هذه ودخل رجل على سلمان رضي الله عنه وهو يعجن فقال
يا ابا عبد الله ما هذا قال بعثنا الخادم في عمل فكرهنا ان نجمع له بين عملين
وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كانت عنده جارية فعلمها واحسن اليها ثم اعتقها
وزوجها فله لذلك اجران وقال صلى الله عليه وآله وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن
رعيته ومن جملة حق المماليك ان يشركه في طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته
ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء وان يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه
بهفوته او جنايته في معاصيك وجنايتك في حق الله تعالى وتقصيرك في طاعته
مع ان قدرة الله عليك فوق قدرتك عليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة لا تسال
عنهم رجل فارق الجماعة وعصى امامه فمات عاصيا فلا يسال عنه وامراة غاب
عنها زوجها وقد كفاها مؤونة الدنيا فتبرجت عليه فلا يسال عنها ورجل نازع
الله رداءه ورداؤه الكبريا وبتمامه تم الكلام على المقالة الرابعة من مقالة العبادة

المقالة الخامسة في بيان اخلاق النبوة وذكر المعجزات

ان الغرض بهذه المقالة هو الاشارة الى آداب الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم واخلاقه المأثورة عنه فيحصل في ذلك غرضان الغرض الاول
الاقتداء بما خصه الله به من الاخلاق الزاكية والشمائل المرضية التي تختص

باحد قبله والغرض الثاني تجديد الايمان وتاييد بكمالاته اخلاقه الكريمة التي
يشهد آحادها على القطع انه اكرم خلق الله واعلاهم عنده رتبة واجلهم قدرا
فكيف اذا احصر مجموعها فيكون ادخل في الدلالة واظهر في الكشف والابانة فنذكر
اولا ما خصه الله به من الخلائق الشريفة ثم نذكر ثانيا خلقه وصورته وما خصه
الله به من الكمال ثم نذكر ثالثا ما ايده الله به من المعجزات الظاهرة والايات
الباهرات فهذه ثلاثة اقسام نفصلها بعون الله تعالى القسم الاول
في بيان خلقه وشمائله التي اكرمه الله تعالى بها وقد اشتمل على انواع عشرة

النوع الاول في بيان تاديب الله تعالى له بالقرآن

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثير الضراعة والابتهال الى الله تعالى ان يزينه
بمحاسن الاخلاق فكان يقول اللهم حسن خلقي كما حسنت خلقي اللهم جنبني
منكرات الاخلاق فاستجاب الله تعالى دعاءه فانزل عليه القرآن فصار خلقه القرآن
قال بعض الصحابة دخلت على عائشة فسألتها عن اخلاق الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم فقالت اما تقرأ القرآن قلت بلى قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
خلقه القرآن وقد ادبه الله تعالى بمثل قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
وقوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وقال تعالى واصبر على ما اصابك ان ذلك من
عزم الامور وقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقوله تعالى
فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقوله تعالى وليعفوا وليصفحوا
الا تحبون ان يغفر الله لكم وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله تعالى والكاظمين الغيظ و
العافين عن الناس والله يحب المحسنين وقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من
الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولما
انكسرت رباعيته صلى الله عليه وآله وسلم يوم احد فجعل الدم يسيل على
وجهه وهو يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم

وهو يدعوهم

وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شي وامثال ذلك من التاديبات كثير في القران غير منحصر وهو صلى الله عليه وآله وسلم هو المقصود الاول بالتاديب والتهذيب ثم منه تشرق الانوار على سائر الخلق فانه صلى الله عليه وآله وسلم ادب بالقران وهذب قال صلى الله عليه وآله وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم ان الله تعالى لما اكمل خلقه اثنى عليه بقوله وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم شانه واجل امتنانه فانظر الى عميم فضله كيف اعطا ثم من بعده حمد واثنى ثم انه صلى الله عليه وآله وسلم اخبران الله يحب مكارم الاخلاق ويكره سفسافها فقد حض الله بالصفات العالية بحسن المعاشرة ولين العريكة وكرم الطبيعة وبذل المعروف واطعام الطعام وافشا السلام وعيادة المرضى الى غير ذلك من الصفات المحموده والخلائق المفقوده في غيره من سائر الخلق فهذه جملة ما اشار اليه القران من الخ

النوع الثاني في بيان جمل من محاسن اخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مخصوصا من الله تعالى بكرم الخصال وشريف الشمائل وحسن المعاشرة ولين الجانب وبذل المعروف واطعام الطعام وافشا السلام وعيادة المريض وحسن الجوار سلما لهم اوكافرا واجابة الطعام والعفو والاصلاح والجود والكرم والسماحة واجتناب الغيظ ما حجر الاسلام وكظم الغيظ من اللهو والباطل والغنا والمعازف كلها وكل ذي وتر والكذب والغيبة والنميمة والبخل والشح والجفا والمكر والخديعة وسوء الظن وقطيعة الارحام وسوء الخلق والكبر والفخر والاختيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفاحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعبث والظلم ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم احلم الناس واشجعهم واعدل الناس واعف الناس لم تمس يده امراة لا يملك رقها اوعصمة نكاحها اوتكون ذات محرم منه وكان اسخى الناس لا يبيت وعنده دينار ولا درهم وان فضل ولم يجد من يعطيه وفجاه الليل لم ياوي الى منزله حتى يبرا منه الى من يحتاج اليه ولا ياخذ مما اتاه الله الا قوت عامه من ايسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر

ولا يسال شيا الا اعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى انه ربما
احتاج قبل انقضا العام ان لم ياته شي من فضل الله وكان يخصف النعل
ويرقع الثوب ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم معهن وكان اشد الناس حيا
لا يثبت بصره في وجه احد يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو انها جرعة
لبن او فخذ ارنب ويكافي عليها وياكلها ولا ياكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة
الامة والمسكين يغضب لربه ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وان عاد
ذلك بالضرر عليه وعلى اصحابه وعرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين
وهو في قلة وحاجة الى انسان واحد يزيده في عدد من معه فابا وقال
اني لا استنصر بالمشركين ووجد من فضلا اصحابه قتيلا بين اليهود فلم يحف
عليهم ولا زاد على مر الحق عليه بل وداه بمائة ناقة وان
باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به على امورهم وكان يعصب
الحجر على بطنه من الجوع ومرة ياكل ما حضر لا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم
حلال ان وجد تمرا من دون خبز اكله وان وجد شوا اكله وان وجد خبز بر
او شعير اكله وان وجد حلوى او عسلا اكله وان وجد لبنا من غير خبز اكله
واكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا اكله ولا ياكل متكئا ولا على خوان
منديله باطن قدميه ولم يشبع من خبز بر ثلاثة ايام متوالية حتى لقي الله تعالى
ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة اشد الناس تواضعا واسكتهم
من غير تكبر وابلغهم من غير تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله شي من امور الدنيا
يلبس ما وجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا والحبرة ما ليس مخيطا
ومره جبه صوف يختم بالورق مرة يلبسه في خنصره الايمن وهو الاكثر ومرة
في خنصره الايسر يركب ما وجد وامكنه مرة فرسا ومرة بعيرا وتارة بغلة
وتارة حمارا وتارة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يحب الطيب
ويكره الرائحة الخبيثة ويجالس الفقراء ويواكل المساكين ويكرم اهل الفضل في

اخلاقهم

اخلاقهم ويتالف اهل الشرف بالبر لهم فهذه جمل من اخلاقه الطيبة على جهة
الاجمال ونورد فيما يليها ما يكون على جهة التفصيل بعون الله تعالى

النوع الثالث في بيان كلامه وضحكه صلى الله

كان صلى الله عليه وآله وسلم افصح الناس منطقا
واحلاهم كلاما ويقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون بلغة محمد
صلى الله عليه وآله وسلم وكان نزر الكلام سمح المقالة اذا تكلم ليس بمهذار وكان
كلامه صلى الله عليه وآله وسلم كخرزات النظم قالت عائشة لا يسرد كسردكم هذا
كان كلامه قليلا وانتم تنثرون الكلام نثرا وكان اوجز الناس كلاما
وبذلك جاءه جبريل وكان مع الايجاز يبلغ حيث اراده وينتهي الى كل غاية
من مقصوده وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كلام يتبع بعضه
بعضا بين كلامه توقف يحفظه صاحبه ويعيه كان جهير الصوت
احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول
المنكر ولا يقول في الرضا والغضب الا الحق ويعرض عمن يتكلم بغير جميل ويكني عما
اضطره الكلام مما يكره وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا ينازع عنده الحديث
ويعظ بالجد والنصيحة ويقول لا تضربوا القران بعضه ببعض فانه نزل على
وجوه واذا الكلم لا تجعلوه متناقضا فانه يمكن حمله على وجوه غير متناقضة قصد
متكلمه وكان اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به
وخلطا لنفسه بهم وربما ضحك حتى تبدو نواجذه وكان نهاية ضحكه اذا استغرق
في ضحكه وربما ضحك حتى تبدو انيابه وربما ضحك حتى تبدو ثناياه وكان ضحك
اصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له ولقد جاءه اعرابي يوما وهو
متغير اللون ينكره اصحابه فاراد ان يساله فقالوا لا تفعل يا اعرابي فانا ننكر
لونه فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لا ادعه حتى يتبسم فقال يا
رسول الله بلغنا ان الشيخ يعني الدجال ياتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا

افترا بابي انت وامي ان اكف عن ثريده لعقعقا وتركها حتى اهلكه ام الا
ام اضرب في ثريده حتى اذا انطلقت آمنت باسمه وكفرت به فضحك رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال يغضبك امرا يغني به عباده المؤمنين
وكان من احسن الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قران
او يذكر الساعة او يخطب خطبة موعظة وكان اذا سر او رضي كان احسن
الناس رضا وكان وجهه قطعة قمر وان وعظ وعظ بجد وان غضب ولم
يكن يغضب الا لله لم يقم لغضبه شي وهكذا كان في اموره كلها واذا نزل
به امر فوض امره الى الله وتبرا من الحول والقوة الا به واستنزل الهدى من
عند ربه ويقول اللهم ارني الحق حقا وارزقني اتباعه وارني المنكر
منكرا وارزقني اجتنابه واعوذ بك من ان يشتبه علي فاتبع هواي
من غير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك
من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي الى صراط
مستقيم

النوع الرابع في بيان اخلاقه عند الطعام

كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ياكل ما وجد
وكان احب الطعام اليه ما كان عليه ضفف والضفف ما كثرت عليه الايدي
وكان اذا وضع الطعام قال بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل
بها نعمة الجنة وكان كثيرا اذا جلس ياكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه
ويكون الركبة فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما انا عبد آكل كما
ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان لا ياكل الحار ويقول انه غير ذي بركة
وان الله لا يطعمنا نارا فابردوه وكان ياكل مما يليه باصابعه الثلاث
وربما استعان بالرابعة ولم يكن ياكل باصبعين ويقول ان تلك اكلة
الشياطين وجاءه عثمن بن عفان بفالوذج فاكل منه وقال ما هذا
يا ابا عبد الله فقال بابي انت وامي يا رسول الله نجعل السمن والعسل في البرمة
ونضعها على النار ثم ناخذ مخ الحنطة اذا طحنت فنلقي على السمن والعسل

في البرمة

في البرمه ونضعها على النار ثم نسوطه حتى ينضج فياتي كما ترا
فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان هذا لطعام طيب وكان ياكل خبز
الشعير غير منخول وياكل القثا بالرطب وبالملح وكان احب الفواكه
اليه الفاكهه الرطبه البطيخ والعنب وكان ياكل البطيخ بالخبز
وبالسكر وربما بالرطب ويستعين باليدين جميعًا واكل يومًا رطبًا
كان في يمينه وكان يحفظ في يساره ثمرة شاة فاشار اليها بالنوا
فاكلته وهو في كفه الايسر وكان ياكل بيمينه حتى اذا فرغ وانصرف
وكان ربما اكل العنب خرطا يرا الرعلي لحيته كخرزات اللولو وهو
الما الذي يقطر منه وكان اكثر طعامه التمر والما وكان يجمع التمر والما
ويسميهما الأطيبين وكان احب الطعام اليه اللحم وقال هو يزيد في السمع
وهو سيد الطعام في الدنيا والآخره ولو سالت ربي ان يطعمنيه
كل يوم لفعل وياكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها
شجرة اخي يونس قالت عايشه كان يقول اذا طبختم قدرًا فاكثروا فيه
من الدبا فانه يشد قلب الحزين وكان ياكل لحم الطير الذي يصاد وكان لا
يتبعه ولا يصيده ويحب ان يصاد له فياتي به فياكله وكان اذا اكل اللحم
يطاطي راسه اليه ويرفعه الى فيه رفعا ثم ينهشه انتهاشا وكان
ياكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدبا
ومن الاصباغ الخل ومن التمر العجوه ودعا في العجوه بالبركه وقال هي من الجنه
وشفا من السم والسحر وكان يحب من البقول الهندبا وهو المرار والباذروج
والبقله الحمقا الذي يقال لها الرجله وكان يكره الكليتين لمكانهما من
البول وكان لا ياكل من الشاه سبعًا الذكر والانثيين والمثانه والمراره والغدد
والحيا وهو الفرج والدم وكان لا ياكل الثوم والبصل ولا الكراث
وما ذم طعامًا قط ولكن ان اعجبه اكل وان كرهه ترك وان عافه لم يبغضه
الى غيره وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما وكان يلعق باصابعه
الصحفه ويقول آخر الطعام اكثر بركه

وكان يلعق اصابعه من الطعام حتى تحمر وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق
اصابعه واحدة واحدة ويقول انه لا يدرى اى الاصابع البركة وكان اذا فرغ
قال اللهم لك الحمد اطعمت واشبعت وسقيت وارويت لك الحمد غير
مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه وكان اذا اكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا
جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب فى ثلاث دفعات
له فيها ثلاث تسميات وفى اواخرها ثلاث تحميدات وكان يمص الماء
مصا ولا يعب عبا ويعب اللبن عبا وربما كان يشرب بنفس واحد حتى
يفرغ وكان لا يتنفس فى الاناء بل يحرفه عنه وكان يدفع فضل سؤره
الى من عن يمينه وان كان من عن يساره اجل رتبة قال للذى عن يمينه السنة
ان تعطى فان احببت فاثرهم واتى باناء فيه لبن وعسل فابى ان يشربه وقال
شربتان فى شربة وادامان فى اناء واحد ثم قال انى لا احرمه ولكنى اكره الفخر
والحساب بفضول الدنيا غدا واحب التواضع فان من تواضع رفعه الله
وكان فى بيته اشد حياء من العواتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم
ان اطعموه اكل وما سقوه شرب وكان ربما قام فاخذ ما يأكل وما يشرب
بنفسه جملة فى طعامه وفى شرابه صلى الله عليه وآله وسلم

النوع الخامس فى آدابه واخلاقه فى اللباس

كان صلى الله عليه وآله وسلم يلبس من الثياب ما وجد من ازار ورداء وقميص
وجبة وغير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البياض ويقول
البسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير
المحشو وكان له قباء من سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه
وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى
نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار فى الصلوة
وغيرها وربما لبس الكساء وما عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول

انا

انما انا عبد البس كما يلبس العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه
في غير الجمعة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه
وربما اثر به الناس على الجنازة وربما صلى في بيته بالازار الواحد ملتحفا به مخالفا
بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ وكان ربما صلى الليل
بالازار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه
فيصلي كذلك ولقد كان له كساء اسود فوهبه فقالت له ام سلمة بابي وامي ما فعل ذلك
الكساء الاسود فقال كسوته فقالت ما رايت شيئا قط كان احسن من بياضك على سواده
قال انس وربما يصلي الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها وكان يتختم وربما خرج و
في خاتمه خيط مربوط يذكر به شيئا وكان يختم به على الشي ويقول الخاتم على
الشي خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع
قلنسوته من راسه فجعلها سترة بين يديه يصلي اليها وربما لم تكن العمامة فيشد
العصابة على راسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب وكان اذا لبس
ثوبا لبسه من ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ما اواري به عورتي واتجمل به
واذا نزع ثوبه نزعه من مياسره وكان اذا لبس جديدا اعطا خلق ثيابه مسكينا
ويقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله كان في ضمان الله
وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من ادم حشوه ليف طوله
ذراعين او نحوه وعرضه ذراع وشبر ونحوه وكانت له عباءة تفرش حيثما
انتقل تثنى له طاقتين تحته وكان ينام على الحصير الذي ليس تحته شي

ومن اخلاقه الكريمة تسمية دوابه

فكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد
به الحروب ذي الفقار وكان له سيف يقال له المخذم واخر يقال له الرسوب
واخر يقال له القضيب وكان قبيعة سيفه من الفضة بالقاف والبا
الموحدة من اسفل واليا التحتانية وهي فعيلة بوزن صحيفة وكان
يلبس المنطقة من الادم فيها ثلاث حلق من الفضة وكان

وكان اسم فرسه الكتوم وكان اسم مخفقته الممشوق وكان اسم ناقته
القصوى وهي التي يقال لها العضبا واسم بغلته الدلدل وقيل الدلدك
واسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها غيثه وكان له مطهرة
من فخار يتوضا منها ويشرب فيها ويرسل الناس اولادهم الصغار الذين
قد ميزوا فيدخلون علا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فلا يدفعون عنهم
واذا وجدوا في المطهرة ما شربوا ومسحوا علا وجوههم منه واجسادهم
يبغون بذلك البركة

النوع السادس في بيان عفوه مع القدرة

كان صلى الله عليه واله وسلم اعلم الناس وارغبهم في العفو مع القدرة
علا الانتقام حتا انه اوتي بقلايد من ذهب وفضه فقسمها بين
اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال يا محمد لئن امرك الله ان تعدل فما
اراك ان تعدل فقال ويحك من يعدل عليك بعدي فلما ولى قال ردوه
علي رويدا وروا جابر انه كان عليه الصلوة والسلام يقبض للناس يوم حنين
من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا نبي الله اعدل قال ويحك من يعدل
اذا لم اعدل لقد خبت اذا وخسرت ان كنت لا اعدل فقام عمر فقال الا اضرب
عنقه فانه منافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي
وكان الرسول صلى الله عليه واله وسلم في حرب فراوه من المسلمين غرة فجا رجل حتا
قام علا رجل النبي صلى الله عليه واله وسلم بالسيف قال ما يمنعك مني قال
كن خير آخذ قال قل اشهد ان لا اله الا الله فقال الاعرابي لا اقاتلك ولا
اكون معك ولا مع قوم يقاتلونك فخلا سبيله فجا الى قومه فقال جئتكم من عند
خير الناس وروى انس ان يهودية اتت الرسول صلى الله عليه واله وسلم بشاة مسمومة
ليأكلها فجي بها الى الرسول صلى الله عليه واله وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت
قتلك فقال ما كان الله ليسلطك علا ذلك قالوا افلا نقتلها قال لا وسحره
رجل من اليهود فاخبره جبريل عليه السلام بذلك حتا اخرجه وحل عقده فوجد
لذلك خفه وما ذكر لليهودي ولا اظهره عليه قط وقال امير المؤمنين

كرم الله وجهه

كرّم الله وجهه بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا
متعادين على افراسنا حتى اتينا روضة خاخ فوجدنا المراة فقلنا اخرجي الكتاب
فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لننزعن الثياب فاخرجته من
عقاصها فاتينا به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاذا هو من حاطب بن ابي
بلتعة الى اناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي كنت امرأ ملصقا
في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها اهليهم فاحببت
اذ فاتني ذلك من النسب ان اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي ولم افعل ذلك
كفرا ولا ارتدادا عن ديني فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم صدقكم فقال عمر دعني
يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اصنعوا ما شئتم
فقد غفرت لكم وقسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسمة فقال رجل من
الانصار هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فاحمر وجهه وقال رحم الله اخي موسى فقد اوذي باكثر من هذا فصبر وكان
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا يبلغني احد منكم عن اصحابي شيئا فاني احب
ان اخرج اليكم سليم القلب فهذا ما اردنا ذكره من عفوه

النوع السابع

وكان صلى الله عليه وآله وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف
في وجهه غضبه ورضاه وكان اذا اشتد وجده لا يأخذ منه اكثر من مس لحيته
وكان لا يواجه احدا بما يكره ودخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه ولم يقل له شيئا
حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع هذه الصفرة وبال اعرابي
في المسجد فهم به الاصحاب فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تزرموه اي لا تقطعوا
عليه البول ثم قال ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول
والخلاء وفي رواية اخرى ... فقاربوا وبشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا

وجاء اعرابي يوما وطلب منه شيئا فاعطاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
فقال احسنت اليك فقال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون فقاموا اليه
فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل الى الاعرابي وزاده شيئا
ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي شي من ذلك فقل
بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما كان فيها عليك قال نعم
فلما كان من الغد او من العشي جاء فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان هذا
الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه قد رضي اكذلك قال الاعرابي نعم فجزاك الله من
اهل وعشيرة خيرا فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان مثلي ومثل هذا الاعرابي
كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا
فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها واعلم فتوجه
لها صاحب الناقة بين يديها واخذ لها من قمام الارض فردها هونا هونا
حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم
حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار فهذا ما اردنا ذكره من
اغضائه عما يكرهه وحلمه عنه

النوع الثامن في بيان سخائه وجوده صلى الله عليه وآله وسلم

كان صلى الله عليه وآله وسلم اجود الناس واسخاهم وكان في شهر رمضان
كالريح المرسلة وقيل كالريح العاصف لا يمسك شيئا وكان امير المؤمنين
كرم الله وجهه اذا وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كان
اجود الناس كفا واوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة واوفاهم
ذمة والينهم عريكة واكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن
خالطه احبه وعرفه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله وما سئل
شيئا قط الا اعطاه وان رجلا اتاه فسأله فاعطاه غنما بين جبلين
فرجع الى قومه فقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة
وما سئل

وما سُئل شيئا فقال لا وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعها على حصير فقام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علينا فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره ذلك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال الرجل انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعرف السرور في وجهه ولما قفل من حنين جاء الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فاختطفت رداءه فوقف وقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا فهذا ما اردنا ذكره من وصف جوده صلى الله عليه وآله وسلم

النوع التاسع في بيان شجاعته صلى الله عليه وآله وسلم

كان صلى الله عليه وآله وسلم اشجع الخلق وانجدهم قال علي عليه السلام لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا وقال علي عليه السلام ايضا كنا اذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قليل الكلام قليل الحديث فاذا امر الناس بالقتال تشمر وكان من اشد الناس بأسا وكان الشجاع منا هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن الحصين ما لقي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب وكان قوي البطش ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته وجعل يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فما رئي يومئذ احد كان اشد بأسا منه وروي انه كان بالمدينة ليلة فزع فركب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فرسا لابي طلحة كان قطوفا فادرك الناس وهو راجع فقال ما رأينا من فزع وان وجدناه لبحرا يعني الفرس ويقال انه زال عنه عيبه واسرع حينئذ من تلك الليلة ببركة ركوبه صلى الله عليه وآله وسلم وكان هذا الفزع في المدينة لما جاءه الخبر

ان ناسا من العرب استاقوا ابل الصدقة وقتلوا الراعي وقد كان امرهم
فشربوا من البانها وابوالها من الجدا لو فلما فعلوا ما فعلوا فخرج وظفر بهم
فاخذهم وسمل اعينهم وطرحوا في الرمضاء حتى ماتوا حتف انفهم

النوع العاشر في بيان تواضعه صلى الله عليه وآله وسلم

كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اشد الناس تواضعا مع
علو منصبه قال ابن عامر رايته يرمي الجمرة على ناقة صهباء لا ضرب ولا طرد
ولا اليك اليك وكان يركب الحمار موكفا على قطيفة وكان مع ذلك
يستردف وكان يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك
ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع مع اهله وكان اصحابه لا
يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم
واتى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم برجل فارعد من هيبته فقال هون عليك
فلست ملكا انما انا ابن امراة من قريش كانت تاكل القديد
وكان يجلس بين اصحابه مختلطا بهم كانه احدهم فياتي الغريب فلا يدري
ايهم هو حتى يسال عنه فطلبوا منه ان يجلس مجلسا تعرفه الغرب
فبنوا دكانا من طين فكان يجلس عليه وقالت عائشة كل جعلني الله فداك
متكئا فانه اهون عليك فاصغى براسه حتى كاد ان تصيب جبهته
الارض ثم قال بل آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان لا ياكل
على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تعالى وكان لا يدعوه احد من اصحابه الا
قال له لبيك وكان اذا جلس مع الناس فان تكلموا في معنى الآخرة تكلم معهم
وان تحدثوا في طعام وشراب تحدث معهم وان تحدثوا في الدنيا تحدث معهم
رفقا بهم وتواضعا وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه احيانا ويذكرون
اشياء من امر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا
عن حرام وقد نجز غرضنا مما اردنا من ذكر اخلاقه الزكية وشمائله الرائعة
التي فاق فيها على كل الخلائق صلى الله عليه وآله وسلم القسم الثاني في بيان

صورته



صورته الكريمة وخلقته الشريفه فنذكر صورته ولونه وشعره
ووجهه وتركيبه فهذه امور خمسة نوردها واحداً واحداً ونورد
المحاسن التي اختص بها وما اختص بكل واحدة منها من هذه التراكيب
اما صورته فكان صلى الله عليه وآله وسلم
وخلقته لم يكن بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد وكان ينسب الى الربعة
اذا مشى وحده ومع ذلك لم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا
طاله ولربما اكتنفه الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسبا الى الطول
ونسب الى الربعة ويقول جعل الخير كله في الربعة واما لونه فكان
صلى الله عليه وآله وسلم ازهر اللون ولم يكن بالادم بريد لم يكن كثير الخضرة
وكان ليس شديد البياض والازهر هو الابيض الناصع الذي لا يشوبه
صفرة ولا حمرة ولا شي من الالوان وكان كما نعته عمه ابو طالب رضوان الله عليه
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل
ونعته بعضهم فقال انه مشرب بحمرة وقالوا انما كان المشرب بالحمرة منه
ما ظهر للشمس كالرقبة والوجه والازهر الصافي من الحمرة ما تحت الثياب منه
وكان عرقه في وجهه كاللولو اطيب من المسك الاذفر واما شعره
فكان صلى الله عليه وآله وسلم رجل الشعر حسنها ليس بالسبط المترسل
ولا بالجعد القطط كان اذا امتشطه بالمشط كانه حبك الرمل وقيل كان
شعره يضرب منكبيه واكثر الروايه انه كان الى شحمة اذنيه وربما جعله
غدائر اربعاً تخرج كل اذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على اذنيه
فتبدو سوالفه تتلالا وكان شيبه في الراس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد
على ذلك وفي رواية اخرى اما ما في راسه ولحيته الا عشرون شعرة بيضا
واما وجهه فكان احسن الناس وجهاً وانورهم لا يصفه واصف

الاشبه بالقمر ليلة البدر وكان يرا رضاه وغضبه في وجهه لصفاء
بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه ابو بكر ره حيث يقول

امينا مصطفى للخير يدعو ... كضوء البدر زايله الظلام

وكان واسع الجبهة ازج الحاجبين سابغهما وكان ابلج ما بين الحاجبين كان
ما بينهما الفضة المخلصة وكان عيناه نجلاوين ادعجهما وكان في عينيه مزج
من حمرة وكان اهدب الاشفار حتى كاد يلتبس من كثرها وكان اقنى العرنين
اي مستوي الانف وكان مفلج الاسنان اي متفرقها وكان اذا افتر ضاحكا
افتر عن مثل سنا البرق اذا تلالا وكان من احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم
فم وكان اسهل الخدين صلبهما ليس بالطويل الوجه ولا بالمكلثم كث اللحية وكان يعفي
من لحيته وياخذ من شاربه وا ما تركيب خلقته فكان من احسن الناس عنقا
لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ما ظهر منه للشمس والرياح فكانه ابريق فضة مشرب
ذهبا يتلالا في بياض الفضة وحمرة الذهب وكان عريض الصدر لا يعدو
بعض لحم بدنه بعضا كالمرايا في استوائه وكالقمر في بياضه موصول ما بين لبته
وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له
عكن ثلاث يغطي الازار منها واحدة ويظهر اثنتان وكان عظيم المنكبين اشعرهما
ضخم الكراديس اي رؤس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين وكان واسع
الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي كتفه الايمن فيه شامة سودا
تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كانها من عرف فرس وكان عبل
العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سابل الاطراف
كان اصابعه قضبان الفضة كفه الين من الخز كان كفه كف عطار طيبا مسها
الطيب اولم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على
راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على راسه وكان عبل ما تحت الازار

من الفخذ

ازج

من النحف والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه
وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السن ﷺ واما مشيته
فكان صلى الله عليه وآله وسلم يمشي كانما يتقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيا
ويمشي الهوينا من غير تبختر والهوينا تقارب الخطو وكان يقول انا اشبه الناس
بآدم وكان ابرهيم اشبه الناس بي خلقا وخلقا وكان يقول ان لي عند ربي عشرة
اسماء فاما اسماؤه صلى الله عليه وآله وسلم فهو احمد وهو محمد وهو الماحي الذي
يمحو الله به الكفر وهو العاقب الذي ليس بعده احد وهو الحاشر الذي يحشر
العباد على قدمه وكان يقول انا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم
والمقفى قفيت الناس جميعا وانا قثم قال بعض العلماء القثم الجامع الكامل
لكل خير وهذا اما اردنا ذكره بالتبرك بايراد خلقته الكريمة وتركيب صورته
الشريفة

القسم الثالث

في بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه اعلم ان
كل من شاهد احواله صلى الله عليه وآله وسلم واصغى الى سماع اخباره المشتملة
على اخلاقه وافعاله واقواله واحواله وسجاياه وسياسته لاصناف
الخلق وهدايته الى ضبطهم وتالفه لجميع الخلق وقوده اياهم الى طاعته مع
ما يحكى من عجائب اجوبته في مضايق الاسئلة وبدائع تدبيراته في مصالح
الخلق ومحاسن اشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء و
العقلاء عن ادراك اوائل دقائقها في طول اعمارهم لم يبق عنده ريب ولا شك
في ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور
ذلك الا باستمداد من تاييد سماوي وقوة الهية وان ذلك كله لا يتصور
لكذاب ولا ملبس بل كانت شمائله واحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى
ان العربي القح كان يراه فيقول والله ما هذا بوجه كذاب فكان يشهده

بالصدق بمجرد تأمله فكيف من شاهد اخلاقه ومارس احواله في جميع
مصادره وموارده وانما اوردنا بعض اخلاقه لتعرف محاسن الاخلاق ليتبع
التنبه بصدقه وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله اذ آتاه جميع ذلك
وهو رجل امي لم يمارس شيئا من العلوم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في
طلب علم ولم يزل بين اظهر الجهال من الاعراب يتيما صغيرا ضعيفا مستضعفا
فمن اين حصلت له محاسن الاخلاق واختص باسرار الآداب ومعرفة مصالح
الفقه دون غيره من سائر العلوم فضلا عن معرفته بالله وملائكته وكتبه
وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن اين للبشر الاستقلال بذلك
ولو لم يكن له الا هذه الامور الظاهرة لكان فيها كفاية في الدلالة على صدقه
وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل وذكر الشيخ محمود الخوارزمي
انها ثلاثة آلاف معجزة ولنذكر من جملتها ما استفاضت فيه الاخبار واشتملت عليه
كتب الصحاح المعجزة الاولى الباهرة القرآن الباقية بين الخلق التي لا تفنا
على وجه الدهر وليس لنبي معجزة سواه اذ تحدى به بلغاء العرب وفصحاء
الخلق وجزيرة العرب يومئذ مملوءة منهم بالآلاف والفصاحة صنعتهم وبه
منافستهم ومباهاتهم وكان ينادي بين اظهرهم ان ياتوا بمثله او بعشر سور مثله
او بسورة من مثله وقال لهم لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال ذلك تعجيزا لهم
فعجزوا عن ذلك وصدفوا عنه حتى عرضوا انفسهم للقتل ونسائهم للسبي
ولا استطاعوا معارضته ولا ان يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر
ذلك بعده في اقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر
وقد انقرض الى اليوم قريب من ثمانمائة سنة فلم يقدر احد منهم على معارضته
واعظم بغباوة من ينظر في افعاله واقواله واحواله ثم في اخلاقه ثم في معجزاته

ثم في

193

ثم في استمرار شرعه الى الآن ثم في انتشاره في اقطار العالم ثم في اذعان
الملوك في الارض في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتجار بعد ذلك
في صدقه وما اعظم توفيق من آمن به وصدق واتبعه وتأسى به
فنسأل الله ان يوفقنا للاقتداء به في الاقوال والافعال والخلائق
وان يفيض علينا من انواره ويرزقنا حسن الاتباع له في كل آن

المعجزة الثانية انشقاق القمر له لما سألته قريش ان يوقف
نصفه على رأس جبل ابي قبيس ودخل نصفه من كمه وقد جاء مصداق
هذه الآية في القرآن الكريم فقال تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر وانما لم يتواتر العلم بهذه المعجزة مع ظهورها لانها كانت بليلة
اقترحها المشركون على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واكثر الناس كانت
نياما تحت ظلال السقوف وبيانها بطن انها سقوط نجم فلهذا لم تتواتر
كغيرها من الآيات الظاهرة **المعجزة الثالثة** اطعام النفر
الكثير في منزل جابر من الطعام القليل والقصة مشهورة في الخندق
فقد قيل ثمانين رجلا من اقراص شعير حملها انس بن مالك في يده ومرة اهل
الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في خمارها فاكلوا اكلهم حتى شبعوا
وفضل ثم نبوع الماء من بين اصابعه الكريمة فشرب العسكر كلهم
وهم عطاش وتوضؤوا من قدح صغير وفي غير مرة وكان لا ماء فيه
فشرب الجيش منها وهم الوف ومرة امر عمر بن الخطاب بان يزود
اربعمائة راكب من تمر كربض البعير وهو موضع منزله فزودهم كلهم
منه وبقي منه ومن ذلك انه رمى بقبضة من تراب في اعين الجيش

فعميت ابصارهم وقال تعالى فيه سبحانه وما رميت اذ رميت ولكن الله رما ومن ذلك حنين الجذع الذي كان يخطب اليه لما تحول الى المنبر حتى قصد اليه فسكن **المعجزة الرابعة** اخباره بعلوم الغيب وهذه نحو ما اخبر عثمن من انه تصيبه بلوا بعدها الجنه واخبر ان عمار تقتله الفئة الباغيه واخبر ان الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين واخبر بموت النجاشي في الحبشه واخبر بقتل الاسود العنسي ليلة قتله في صنعا واخبر بان فاطمة عليها السلام اول من يلحق به من اهله واخبر نساءه بان اطولهن يدا اولهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الاسديه اطولهن يدا بالصدقه واولهن لحاقا به واخبر ان ابي بن خلف يكون قتيلا فخدشه يوم احد خدشا لطيفا فمات منه **المعجزة الخامسة** انه تفل في عيني امير المومنين كرم الله وجهه وهو ارمد فبرى من وقته فبعثه بالرايه في خيبر واصيبت رجل بعض اصحابه فمسحها بيده فصحت من وقتها ودعا على رجل قطع صلاته بالمرور بين يديه فقال اللهم اقطع اثره فانقطعت رجله وقال لرجل كل مما يليه قال لا استطيع قال لا استطعت فانقطعت يده وخطب امراة من ابيها فقال انها برصا اعتذارا من ابيها فقال صلى الله عليه واله وسلم فلتكن كذلك فبرصت ومشى الحكم بن العاص مشية يحكي فيها مشية رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على جهة الاستهانه فقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات الى غير ذلك من الايات الظاهره والمعجزات الباهره ولنقتصر على هذا القدر من ذكرها ففيه كفايه على مقصدنا والله الموفق للصواب

المقالة السادسة في العزلة من علوم الكتاب اعلم

ان العزله

ان العزلة فيها خير كثير وسلامة عظيمة من كل شر وهذا قال بعض
الحكما الحكمة عشرة اجزا تسعة منها في الصمت وواحد منها في العزلة
ثم ان الناس مختلفون فيها اختلافا كثيرا في ايثار العزلة والخلطة وفي كل
واحد منها فائدة وآفة ونحن نذكر الاختلاف ثم فوائدها وآفاتها في
تنبيهات ثلاثة التنبيه الاول في نقل المذاهب والاقاويل ووجه كل
فريق فنقول اما الصدر الاول من الصحابة فلم يكن من جهتهم كلام في الاعتزال
اما في زمن الرسول صلى الله عليه واله وسلم فلا وجه للعزلة لان الخير كله انما
هو بمخالطته ورويته وكلامه والاخذ عنه واما بعد وفاته فلم يوثر
عن احد منهم الاعتزال لانهم كانوا مجتهدين في نصرة الدين واحيا معالمه
فلاجل هذا افترقوا في البلاد بعد موته صلى الله عليه واله وسلم للدعا الى الله
ولحياة الدين وانما تواتر الخلاف في ايام التابعين وهم الذين ذهبوا
الى اختيار العزلة وفضلها وقد افترق الناس فيها على فرق ثلاث ونفصلها
بعونه الله سبحانه الفريق الاول وهم الذين ذهبوا الى اختيار العزلة
وفضلها وهذا هو المحكي عن سفيان الثوري وابرهيم بن ادهم والفضيل
بن عياض وداود الطاي وسليمن الخواص ويوسف بن السباط وحذيفة
وبشر الحافي واحتج هولاء لمذهبهم بحجج ثلاث الحجة الاولى
بقوله تعالى حكاية عن ابرهيم الخليل عليه الصلوة والسلام حيث قال واعتزلكم
وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم
وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا
فحصل له ما حصل ببركة العزلة الحجة الثانية قوله تعالى في قصة
موسى عليه السلام وان لم تومنوا لي فاعتزلون وقوله تعالى في قصة
اهل الكهف واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله الحجة الثالثة

قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعامر الجهني وقد قال له ما النجاة قال ليسعك
بيتك وامسك عليك لسانك وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه
وآله وسلم لما قيل له من افضل الناس قال مؤمن مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله
قيل ومن قال ورجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع
الناس من شره وقال صلى الله عليه وآله وسلم الا انبئكم بخير الناس من فاشار بيده
نحو المغرب وقال رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر ان يغير او يغار
اليه الا انبئكم بخير الناس منزلا واشار بيده نحو الحجاز رجل في غنيمة له يقيم
الصلوة ويوتي الزكوة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس **الفريق**
الثاني وهم الذين ذهبوا الى اختيار الخلطة وفضلها واستكثار المعارف
بالاخوان والتحبب الى المومنين والاستعانة بآرائهم في المهمات امتثالا
الى قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى والى هذا ذهب سعيد بن المسيب
والشعبي وابن ابي ليلا وهشام بن عروه وابن شبرمه وشريح وشريك بن عبد الله
وابن عيينه وابن المبارك وهو راي الشافعي واحمد بن حنبل وجماعه وحجتهم
هذه الحجج ثلاث **الحجة الاولى** قوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا وقوله
تعالى والف بين قلوبهم فامتن عليهم بالسبب المولف ونهاهم عن التفرق ومفهومه
الاجتماع على الدين ونصرته **الحجة الثانيه** قوله صلى الله عليه واله وسلم المومن
الف مولف ولا خير فيمن لا يولف ولا يولف وقوله صلى الله عليه واله وسلم من فارق
الجماعه مات ميتة جاهلية وقوله صلى الله عليه واله وسلم من فارق الجماعه ولو قيد
شبر فقد خلع ربقه الاسلام من عنقه **الحجة الثالثه** قوله صلى الله عليه واله
وسلم لا يحل لمومن ان يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام ومن هجر اخاه ستة ايام فهو كسفك

دمه قالوا فالعزلة بجوهرها كحليه فلاجرم كان الأفضل خلاف ذلك فهذا منتهى
كلام الفريقين في بيان الافضلية في العزلة والخلطة **الفريق الثالث**
الذين ذهبوا الى التفصيل وحاصل ما قالوه هو ان الحكم عليهما مطلقا بلا تفصيل خطا
بل ينبغي ان ينظر الى الشخص واحواله والى الخليط واحواله والى الباعث الى الخلطة
والى الفايت بسبب مخالطته وبقياس الفايت بالحاصل فعندها يتبين الحق
ويتضح الافضل والى هذا يشير بعض الحكما بكلامه حيث قال الانقباض عن
الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرنا السوء فكن بين المنقبض
والمنبسط فبهذا يكون حال الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك في
الأحوال وبملاحظة الفوايد والآفات يتبين الأفضل وهذا هو المختار اللايق
بالنظر الصحيح فان خير الأمور اوسطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وهذا الذي
ذكرنا واخترنا هو راي الغزالي وغيره من العلما اعني التفصيل الذي ذكرنا وقد ذكر
علا اثر هذه الفوايد والآفات التي تظهر من جهة العزلة والمخالطة والله الموفق للصواب
التنبيه الثاني في ذكر فوايد العزلة فهي منقسمة الى فوايد دينية ودنيوية
اما الدينية فهي التمكن من الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة والفكر والخلاص
من الريا والغيبة والنميمة التي تحصل بالمخالطة واما الدنيوية فهي الانحراف عن النظر
في زهرة الدنيا وآفاتها وقطع الطمع في الناس وطمعهم فيه والسلامة عن التاذي بالخلق
وزوال الراحة بالخلطة وجملة ما نرجع اليه في ذلك ست فوايد **الفائدة الاولى**
الفراغ للعبادة والفكر والانس بمناجاة الله عن مناجاة الخلق والاشتغال بالكشف
عن اسرار الله في امر الدين والدنيا والتفكر في ملكوت السموات والارض فان ذلك يستدعي
فراغا ولا فراغ مع الخلطة والعزلة وسيلة اليه ولهذا قال بعض الحكما لا يتمكن من الخلوة
الا بالتمسك بكتاب الله والمتمسكون بكتاب الله هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله
وعاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولا شك ان الله ولا تمنعهم المخالطة عن الذكر والفكر
والعزلة احق بهم واولى **الفائدة الثانية التخلص بالعزلة عن المعاصي**

احسنت

التي يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي اربعة
الغيبة والنميمة والريا والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك
من الاسترقا من الاخلاق الرديئة والاعمال الخبيثة التي توجبها الحرص على الدنيا
فان الاحتراز عن هذه الامور مع المخالطة لا يكاد يسلم منها الا الصديقون
ومع العزلة يمكن السلامة منها الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة
الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لاخطارها وقلما تخلو البلاد عن تعصبات
وفتن وخصومات والمعتزل عنهم في سلامة وروى عبد الله بن عمرو قال لما ذكر رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم الفتن ووصفها فقال اذا رايت الناس مرجت
عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقلت ما
تامرني يا رسول الله قال الزم بيتك وامسك عليك لسانك وخذ ما تعرف
ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة الفائدة الرابعة
البراءة عن شر الناس فانهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة
بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة والكذب
وربما يرقبون عنك الدخول فيها ويرون منك من الافعال والاقوال ما لا
تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه
فرصة للشر فاذا اعتزلت العزلة استغنيت عن جميع ذلك ولا شك ان كل من
اختلط بالناس وشاركهم في اعمالهم لم ينفك من حاسد وعدو
يكيده وفي العزلة السلامة عن ذلك الفائدة الخامسة ان ينقطع
طمع الناس عنك وينقطع طمعك عنهم اما انقطاع طمع الناس فيك ففيه
كل الغرض فان رضا الناس غاية لا تنال فاشتغال المرء باصلاح نفسه اولى
ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنائز وعيادة المريض وحضور الولايم و
الاملاكات وفيه تضييع الاوقات والتعرض للافات ثم قد تعوق
عن بعضها العوايق وتستثقل المعاذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار

فيقولوا

فيقولوا قمت في حق فلان وقصرت في حق فلان فيصير ذلك
سبب للعداوة واما انقطاع طمعك عنهم فهو ايضا فايدة جزيلة
فان كل من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث طمعه
ولا يرا الا في الخيبة في اكثر الاطماع فيتاذى به ومتى اعتزل لم يشاهد
واذا لم يشاهد لم يشتهه ولم يطمع ولهذا قال تعالى ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا الفائدة السادسة
البراة عن مشاهدة الثقلاء واهل الحماقة ومقاساة اخلاقهم فان رؤية
الثقيل فهو العمى الاصغر قيل للاعمش لم عمشت عيناك قال من النظر
الى الثقلاء ويحكى انه دخل عليه ابو حنيفة فقال له في الخبر من سلب الله كريمتيه
عوضه الله منهما ما هو خير منهما فما الذي عوضك قال في معرض المطايبة
بالمفاكهة عوضني منهما انه كفاني روية الثقلاء وانت منهم وحكى عن ابن
سيرين قال سمعت رجلا يقول نظرت الى ثقيل فغشي علي وقال جالينوس
لكل شيء حمى وحمى الروح النظر الى الثقلاء وقال الشافعي ما جالست ثقيلا الا
وجدت الجانب الذي يليه من بدني اثقل علي من الجانب الاخر هذه
فوايد العزله التنبيه الثالث في بيان افات العزلة
اعلم ان من المقاصد الدينية والدنيوية والاعمال الاخروية ما لا يستفاد
الا بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك الا بالمخالطة وكل ما يستفاد من المخالطة
يفوت بالعزلة وفواتها من افات العزلة فانظر الى فوايد المخالطة والدواعي
الدواعي لها ونحن نوردها بصورة الفوايد وجملتها سبع الفائدة الاولى
التعلم والتعليم وهما من اعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا
بالمخالطة فان العلوم كثيرة وبعضها عنه مندوحة وبعضها ضروري
والمحتاج الى التعليم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وان العلم الفرض

وكان لا يتاتا منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعباده فليعتزل
واما العزله قبل التعلم فيها غاية الخسران فيها من الجهل واما التعلم
ففيه ثواب عظيم ان صحت نية المعلم والمتعلم وان كان القصد انما هو
اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب والاتباع فانه هلاك الدين و
ابطال الاخره **الفائده الثانيه** النفع والانتفاع اما الانتفاع
بالناس فانه يحصل بالكسب والمعامله وذلك لا يتاتى الا بالمخالطه فالطالب
والمحتاج اليه يضطر الى ترك العزله فيقع في جهاد من المخالطه ان طلب
موافقة الشرع فيه واما النفع وهو ان ينفع الناس اما بماله واما
ببدنه فيقوم بحاجاتهم على جهة الاحتساب لله تعالى ففي النهوض
بقضا حوايج المسلمين ثواب وذلك لا ينال الا بالمخالطه ومن قدر عليه
مع القيام بحدود الشرع فهو افضل له من العزله اذ كان لا يشتغل
في عزلته الا بنوافل الصلوه والاعمال البدنيه لان ذلك واجب
على الكفايه اعني الاشتغال بما يحتاج اليه المسلمون **الفائده الثالثه**
الانس والاستئناس وهو غرض من يحضر الولايم في الموسم وجميع
الدعوات ومواضع المعاش والانس يحصل في خلطه من ينتفع به في
الدين في اقواله وافعاله كالانس بالعلما واهل الصلاح الملازمين
للتقوى فانه يحصل به تحريك الدواعي للنشاط في العباده فان
القلوب اذا اكرهت عميت ومهما كان في الوحده وحشة وفي المجالسه
انس يروح القلوب كان هو الاولى لان الرفق في العباده هو حزم
العباده ولهذا قال صلى الله عليه واله وسلم المرء على دين خليله فلينظر
احدكم من يخالل وليحرص ان يكون حديثه عند الملاقاة عن احوال الدين
لا غير **الفائده الرابعه** نيل الثواب وانالته اما نيله فبحضور

الجنائز

الجنايز وعيادة المرضا وحضور العيدين وحضور الجمعة والجماعة
في ساير الصلوات فانه لا رخصة في تركها الا لعارض من مطر او ريح
وغير ذلك وكذلك في حضور الدعوات والاملاكات ثواب من جهة
انه ادخال على قلوب المومنين السرور واما الثالثة فهو ان ينتفع الناس
ليعوده المسلمون او يعزون على المصايب ويهنون على النعم فانهم
ينالون بذلك ثوابا وكذلك اذا كان من العلما واذن لهم بالزيارة فانهم
ينالون ثواب الزيارة بسببه لانه بالتمكين صار سببا في ذلك فينبغي
ان يوزن ثواب جميع المخالطات بافاتها التي ذكرناها فعند ذلك
قد ترجح الخلطة وقد ترجح العزلة **الفايدة الخامسة** التواضع فانه من
افضل المقامات لاهل الصلاح ولا يقدر عليه مع الوحدة وقد يكون الكبر سببا
في اختيار العزلة فكم من معتزل في بيته والباعث له في الاعتزال الكبر
ومانعه من المحافل ان لا يوقر ولا يقدم او يرى الرفع عن مخالطتهم ارفع
لمحله وابقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة من ان تظهر
فضايحه لو خالط ولا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ
البيت سترا لفضايحه على قبايحه ابقا على اعتقاد الناس في زهده
وتعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر او فكر وعلامة هولا
انهم يحبون ان يزاروا ولا يحبون ان يزوروا ويفرحون بتقرب العوام
والسلاطين واهل الامر اليهم ويحبون اجتماعهم على ابوابهم **الفايدة
السادسة** فانها لا تنفك عن الخلطة ولا تحصل الا بها وهي مستفادة
منها في تجاريب مصالح الخلق ومجاري مخالطتهم وان الخلطة والمماسة

اصلاً في مصالح الدين والدنيا فانه لاخير في عزلة من لم تحكه التجارب
والصبي اذا اعتزل بقي عمره جاهلاً بل ينبغي ان يشتغل بالتعلم في مدة
التعلم بما يحتاج اليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل معه التجارب
بسماع الاحوال فلا يحتاج الى المخالطة الا في اول الامر ومنها التجارب
ان يجرب نفسه واخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة
مهذب فوائد العزلة وآفاتها قد ذكرناها في صورة الفوائد وقد ذكرنا
فيما سبق ان الطريق الاكيس والمسلك الارشد هو الطريق الوسطى
باتباع المصالح والمفاسد في العزلة والخلطة فكل ما كان مقرباً الى الله تعالى
سالماً عن جميع الشوائب فهو احق واولى والله اعلم بالصواب وليختم
هذه المقالة بذكر جمل من آداب المجالسة والمعاشرة مع اصناف الخلق
ملتقطاً من كلام الحكماء اذا اردت حسن المعيشة فالق صديقك وعدوك
بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة من جهتهم وتوقير من غير كبر
وتواضع من غير مذلة وكن في جميع امورك في اوسطها ولا تنظر في
عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست
فلا تستوفز في مجلسك وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث
بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك في انفك و
كثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطي و
التثاؤب في وجوه الناس وفي الصلوة وغيرها وليكن مجلسك
هادياً وحديثك منظوماً مرتباً واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك
به من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادته واسكت عن
المضاحك

المضاحك في الحكايات ولا تحدث عن اعجابك بولدك ولا جاريتك
ولا بشعرك وتصنيفك وسائر ما يحصل من جهتك ولا تعرّض تزيين
المراه ولا تبذّل تبذّل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن
ولا تلح في الحاجات ولا تشجع احداً على ظلم ولا تُعلِم ولدك ولا اهلك
فضلاً عن غيرهم مقدار ما هو لك فانهم من غير عنف ولن لهم من
غير ضعف ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك واذا
خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة
بيدك ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ولا تجث على ركبتيك واذا اسكن
غضبك فتكلم واذا قربت الى سلطان فاحذر منه وكن منه على حد السنان
وان استرسل اليك فلا تامن انقلابه عليك وارفق به رفق الصبي وكلمه
بما يشتهيه ولا يحملنك لطفه بك عندك ان تدخل بينه وبين اهله فان سقطة الداخل بين الملك واهله
سقطة لا تنعش وزلة لا تقال واياك وصديق العافيه فانه اعدا الاعدا
ولا تجعلن مالك اكرم من عرضك واذا دخلت مجلساً فالادب البدايه بالتسليم
وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون اقرب الى التواضع
وان تحيي بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق وان جلست
فادابه غض البصر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف واعانة المظلوم
وارشاد الضال ورد السلام واعطا السائل والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر واياك ومجالسة الملوك فان فعلت ذلك واضطررت اليه فادبه

ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوايج وتهذيب الالفاظ والاقلال في الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وان اظهروا المودة ولا تجشا بحضرته ولا تخلل بعد الاكل عنده وعلى الملك ان يحتمل كل شي الا افشا السر والقدح في الملك والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فان فعلت فادبه ترك الخوض معهم في حديثهم وقلة الاصغا الى اراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء الفاظهم وقلة الكلام لهم مع الحاجة اليهم واياك ان تمازح لبيبا او غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترى عليك وتسقط المنزلة عند الحليم ويمقته العاقلون ويميت القلب ويباعد عن الرب ويكسب الغفلة ويورث الذلة وتظلم السراير وتموت الخواطر وتكثر العيوب وتظهر الذنوب وقد قيل ان المزاح لا يكون الا من سخف او من بطر ومن بلي بمجلس يكثر فيه المزاح واللغط فليذكر الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من جلس مجلسا كثر فيه لغطه فقال عند ان يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك واشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك وقد فرغنا مما اردنا ذكره من باب العزلة واشتماله على ما اودعنا فيه وبالله التوفيق والهداية الى اقوم طريق

المقالة السابعة في الغرور من علوم الكتاب عليه السلام مفتاح

السعادة الاخروية هو التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الاخروية هو الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده باعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة على القلب اعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة ولا باعث لها الا غلبة الهوى واستحكام الضلالة فالاكياس وارباب البصاير قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة في الليل والصباح والمغترون

الغافلون

الغافلون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب
ظلمات بعضها فوق بعض واهل التقوى هم الذين اراد الله ان يشرح صدورهم
للاسلام والهدى والمغترون هم الذين اراد الله ان يضلهم فجعل صدورهم ضيقا كانما
تصعد في السما واهل الضلاله هم الذين لم تنفتح قلوب بصائرهم فيكون بهدايه الله
مهتدين واستهواهم الغي فاصبحوا في بحار الجهاله والغي مترددين فاذا انمهدت
هذه القاعده فاعلم ان الغرور هو سكون النفس الى ما يكون موافقا
للهوى ويميل اليه الطبع من شهوه وشبهه وخدعه من الشيطان على اعتقاد انه
على خير في العاجل وفي الآجل عن شبهة فاسده فهو مغرور لا محاله واكثر الناس
يظنون بانفسهم خيرا وهم خاطئون فلنذكر ذم الغرور ثم نردفه باصناف الغرور
فهذان تقريران التقرير الاول في بيان ذم الغرور قال الله تعالى ولا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور وقال تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني
حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور وقال صلى الله عليه واله وسلم حبذا الاكياس ونظرهم كيف
يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من
ملأ الارض من المغترين وقال صلى الله عليه واله وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكلما ورد في فضل العلم وذم الجهل
فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل واشد الغرور غرور ان
غرور الكفار وهم الذين غرتهم الحيوة الدنيا وغرهم بالله الغرور وغرور العصاة الفاسق
من اهل الاسلام فاما الكفار فالغرور من جهتهم هو انهم جحدوا النبوة والرسالة وانكروا المعاد والامور الاخرويه
كما حكى الله عنهم بقوله وما اظن الساعة قائمة وكما حكى عن عبد الله بن اميه وجمع
من ائمة الرسول صلى الله عليه واله وسلم وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
او تكون لك جنة من نخيل وعنب الخ الآيه وكما حكى عن خباب بن الارت انه قال

كان لي دين على العاص بن وائل فجئت اتقاضاه فلم يقضه فقلت اني آخذه
في الآخرة فقال اذا اصرت الى الآخرة فان هناك مالا وولدا اقضيك منه
فانزل الله فيه افرأيت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب
ام اتخذ عند الرحمن عهدا وقال الله تعالى فيه ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته
ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة وتارة يغترون بتاخير العذاب كما قال
تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها
فبئس المصير وتارة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء غبر شعث فيزدرونهم
ويستحقرونهم ويقولون اهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ويقولون لو
كان خيرا ما سبقونا اليه اذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم
الى غير ذلك من الغرورات الكاذبة والاماني الباطلة التي صنعوا بها وغرتهم
الاماني فيها **واما العصاة الفساق من اهل القبلة** فغاية
غرورهم انهم قالوا ان الله كريم وانما نرجو عفوه بكرمه واتكلوا على ذلك
واهملوا الاعمال الصالحة التي يرجى بها الفوز عند الله ويحسبون ذلك بتسمية
تمنيهم واغترارهم رجاء ويظنون ان الرجاء مقام محمود في الدين وان نعمة الله
واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم وان معاصي العباد في بحار كرمه ورحمته
الواسعة وانهم مؤمنون موحدون فيرجونه بوسيلة الايمان وربما كان
مبدا رجائهم التمسك بصلاح الاباء وعلو مرتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم
ومخالفتهم لطريق سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنوا انهم
اكرم على الله من آبائهم لان آباءهم كانوا في نهاية التقوى والورع وكانوا
خائفين وهم في غاية الفسوق والظلم والجور آمنون فهذا هو نهاية الغرور
بالله تعالى وما دروا ان الله يحب المطيع ويبغض العاصي وان نوحا
لم ينفعه ولده وان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم ينفع والدته حيث استاذن

لزيارة

للزيارة لقبرها والاستغفار له فاذن له في الزيارة ولم يؤذن له في
الاستغفار وقيل للحسن البصري قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال
هيهات هيهات تلك اما نيهم يترجحون منها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب عنه
وحكي عن بعض اهل الصلاح قال اجتهدت البارحة حتى سقطت ثنتاي فقال الرجل
انا نرجو الله فقال هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه
فهذي غرور الفريقين **التقرير الثاني في بيان المغترين وتقسيم**
فرقهم فاعلم ان المغترين فرق كثيرة ويجمعهم في مراتب اربع المرتبة
الاولى المحلون للعلم والمتصفون به واهل الغرور منهم اصناف عشرة
الصنف الاول الذين احكموا الامور الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها
واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات
واغتروا بانهم تفقهوا من العلوم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم بلغوا مبلغا
لا يعذبهم الله وانهم لا يطالبون بذنب ويشفعون في الخلق يوم القيمة
فهؤلاء اما شاكله غرور في ذنبه واماني باطله **الصنف الثاني** الذين احكموا
العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وترك المعاصي الا انهم لم يتفقدوا
قلوبهم عن الصفات المذمومة المهلكة من الحسد والريا وطلب الرياسة والعلو
وارادة السوء بالاقران وطلبوا الشهرة في البلاد والعباد وربما عالم يعرف
بعضهم ان ذلك مذموم مهلك فهو مكب على ذلك غير محترز عنه ولا ملتفت
الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم ادنا الريا الشرك الخفي وقوله صلى الله عليه وآله وسلم
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر الى غير ذلك من الوعيد على هذه
الصفات المذمومة فهذا غرور في عدم الاحتراز فيما هذا حاله وصفته **الصنف**
الثالث تحققوا ان هذه الاخلاق الباطنة وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع الا
انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع قدرا من ان الله يبتليهم بذلك

وانما يتعلمه العوام دون من بلغ مبلغهم في التعلم ثم اذا ظهرت على احدهم
مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب
العز للدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام المخالفين من اهل
البدع فهذا غرور **الصنف الرابع** احكموا العلوم وطهروا الجوارح بالطاعات
واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الريا
والحسد والكبر وطلب العلو وجاهدوا انفسهم بالتبري منها وقلعوها
وان الوا امثالها الجلية الواضحة ولكنهم بعد ودون من جملة المغترين
من حيث بقوا منها بقايا في زوايا القلب هي مصائد الشيطان ومكايد
للنفس والهوا وربما غمض مدركها فلم يفطنوا لها ومثاله من يريد
تطييب الارض عما يفسدها من الحشيش فربما كبه في قلع الظاهر
وتبقا بقايا لا منه تحت الارض ربما ظهرت فافسدت الزرع فان لم
يستلحقها بالبحث عن اغوارها بطل الزرع وهذا الصنف وما قبله
كثير الدور لعظم البلوى بهما الا ما دينجو منهما الا من وفقه الله **الصنف
الخامس** الذين اقتصروا على علم الفتايا في الخصومات وتفاصيل المعاملات
الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش وخصصوا اسم الفقه بها و
سموه الفقه وعلم المذهب فربما ضيعوا الاعمال الظاهرة والباطنة فلم
يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا السنتهم عن الغيبة والبطن عن اكل الحرام والرجل
عن المشي الى السلاطين وارباب الظلم والجور ولا حرسوا قلوبهم عن الريا
والحسد والكبر وسائر المهلكات فهذا لا محالة غرور ومهلك **الصنف
السادس** هم الذين اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهوا
والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات
المختلفة واشتغلوا بتعلم الطريق في مناظرة اولئك وافحامهم
وزعموا انه لا يكون ايمان عبد ايمان بالله الا بانه يتعلم جدلهم واعتقدوا

انه لا احد

انه لا احد اعرف بالله تعالى وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذاهبهم
الكلامية وعباراتهم الجدلية وظنوا انهم فازوا بالعلم النافع فما اهذه لحالة
عن ورايهم فان القرن الاول من الصحابة والتابعين اعظم الخلق ايمانا واصدقهم
عقيدة فلم يلتفتوا الى ذلك واعرضوا عنه الصنف السابع جعلوا
شغلهم الوعظ واعلاهم حالة من تكلم في اخلاق النفوس وصفات القلب
من الخوف والرجا والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص
والصدق ونظايرها وهم مغرورون من جهة انهم اذا تكلموا على هذه
الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بها وحاصلين عليها
وهم في غاية البعد عنها الا قدرا يسيرا لا ينفك عوام المسلمين منها
فهذا هو غاية الغرور بما ذكرنا الصنف الثامن الذين قنعوا
بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات
على وجوهها ويودونها من غير احاطة بمعانيها فيفعل بعضهم على
المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق وكل منهم يظن
انه اذا تميز بهذا القدر عن اهل السوق والجند والديوان فقد فاز
بالغرض وافلح وصار مغفورا له وآمن من عقاب الله وهذا
غرور ايضا فان حفظ كلام الزهاد واعادته من ظاهر قلبه لا يكفيه
ولا يكون منتفعا الا بالعمل فقد صار في غرور كاذب الصنف التاسع
الذين استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث اعني سماعه وجمع الروايات الكثيرة
وطلب الاسانيد العالية الغريبة فهمة احدهم ان يدور في البلاد ويرى
الشيوخ ويقول انا اروي عن فلان وقد لقيت فلانا ومعي من الاسانيد
الغريبة ما ليس مع احد من الخلق فهو ايضا في غاية الغرور فانهم ليس معهم شيا
من معاني السنة فعلمهم قاصر ليس معهم الا النقل ويظنون انهم يكفيهم
وهم على اخلاف ذلك الصنف العاشر قوم اشتغلوا بعلم النحو

واللغه والشعر وغريب اللغه واغتروا به وزعموا انه قد غفر لهم وانهم
من علما الامه اذ ان قوام الدين بالكتاب والسنه وقوام الكتاب انما
هو بعلم النحو واللغه فافنى هولا اعمارهم فى دقايق النحو واللغه وفى صناعة
الشعر وهذا غرور رايض فانه يكفى فى علم الكتاب والسنه ما يكفى قوام
للاعراب به والوصول الى معانيها وما عداه فضله لا حاجة اليه فهذا
ما اردنا ذكره من هذه الفرق المغترين بما ذكرنا **المرتبة الثانية**
السالكون مسلك العباده والعمل ثم ان المغرورين منهم اصناف
عشره الصنف الاول اهملوا علم الفرايض واشتغلوا بعلم
الفضايل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذى يغلب عليه الوسوسه
فى الوضو فيبالغ فيه ولا يرتضى الما المعلوم بطهارته فى فتوى ويقدر
الاحتمالات البعيده قريبة فى النجاسه فهذه حالة غرور وربما اشتغل
بتطهير الاعضا حتى فات ومع ذلك فانه ربما اكل الحرام المحض ولو انقلب
الاحتياط من الما الى الطعام لكان احسن واولى **الصنف الثانى الذين**
غلبت عليهم الوسوسه فى نية الصلوه فلا يدعه الشيطان حتى يعقد
نيه صحيحة بل يشوش على احدهم حتى تفوته الجماعه وتخرج الصلوه عن
الوقت وان اتم تكبيرة كان فى قلبه تردد فى صحه نيته وقد يوسوس فى
التكبير حتى ينتهى بهم الحال الى تغيير صيغه التكبير لشدة الاحتياط فيه
يفعلون ذلك فى اول الصلوه ثم يغفلون عن اثنا الصلوه عن الخشوع
واحضار القلوب فى العباده فهذا غرور محض وهو واقع كما ترى
الصنف الثالث الذين غلبت عليهم الوسوسه فى اخراج حروف

الفاتحه

الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال احدهم يحتاط في
التشديد والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع
صلوته حتى لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه غافلا عن فهم معاني القرآن
فهذا غرور قوم آخرين وهو من اقبح الغرور الصنف الرابع الذين اغتروا بقراءة
القرآن فصاروا يهذونه هذا وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة
وربما يزيد على ذلك فالسنتهم تجري به وقلوبهم تتردد في اودية الاماني
واعمال الدنيا ولا يتفكرون في معاني القرآن ولا ينزجرون بزواجره ولا
يقفون عند اوامره ونواهيه ولا يتعظون بمواعظه فهو لا يظنون ان
المقصود هي الهمهمة والهذرمة بالفاظه وهذا هو غاية الغرور الصنف
الخامس الذين اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر كله وقاموا الايام
الشريفة وهم في ذلك لا يحفظون الغيبة والنميمة وخواطرهم من الريا
وبطونهم من اكل الحرام عند الافطار والسنتهم من الهذيان بانواع الفضول
طول النهار وكل منهم يظن بنفسه الخير ويهمل الفرض ويطلب النفل
ثم لا يقوم بحقه فهذا هو نهاية الغرور الصنف السادس الذين
اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون
واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط
حجة الاسلام ويضيعون في الطريق الصلوة والفرايض ويعجزون عن
طهارة الاثواب والبدن ولا يحذرون عن الرفث والخصام في الطرقات
وربما جمع بعضهم الحرام وانفقه على رفقته في الطريق وهذا يطلب الريا
والسمعة فيعصي الله في كسب الحرام اولا وبانفاقه في الريا ثانيا
وهو مع ذلك يظن انه على خير وهو مغرور الصنف السابع الذين

الذين تصدوا ابتداءهم للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس
ويامرهم ويهمل نفسه فاذا امرهم بالخير اعنف عليهم وطلب الرياسة والعز
واذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال انا محتسب فكيف تنكر علي
وقد يجمع الناس الى مسجده ومن تاخر عنه غلظ عليه القول وانما مقصده الريا
والسمعة والرياسة فهذا قد جاوز الغرور كما ترى **الصنف الثامن**
اقوام جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا
ظواهرهم وبواطنهم فصارت قلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى قول من يعرف
بلادهم ان فلانا مجاور بمكة والمدينة واحدهم يتمدح ويقول قد جاورت بمكة كذا
وكذا سنة ويحب ان يعرفه الناس بذلك ثم انه يجاور ويمد عين الطمع الى اوساخ
اموال الناس واذا جمع منها شيئا شح عليه وامسكه ولم تسخ نفسه بلقمة يتصدق
بها على الفقير فيظهر منه الريا والبخل والطمع وجملة من الخصال المهلكة **الصنف
التاسع** اقوام زهدوا في المال وقنعوا من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن
بالمساجد وظنوا انهم قد ادركوا رتبة الزهاد وهم مع ذلك في غاية المحبة للرياسة
والجاه اما بالعلم واما بالوعظ واما بمجرد الزهد فقد تركوا اهون الامرين وهو
اللباس والمطعم وتلبسوا باعظم المهلكين الرياسة وحب الجاه فهولاء مغرورون
لانهم ظنوا انهم من الزهاد وهم ابعد ما يكون من طريقهم **الصنف العاشر** قوم حرصوا
على النوافل ولم يعظم عندهم الاعتداد بالفرايض فترى احدهم يفرح بصلوة الضحى وصلوة
الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه للمبادرة لها في اول
الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وآله وسلم ما تقرب الى المتقربون بمثل اداء ما افترضت
عليهم يرويه عليه الصلوة والسلام عن الله تعالى فاهمه احاله فهو ودق الغرور وهذه مجامع
الغرور هذه الفرق وقد عرفتها والتالم في الذين عرفها وبعد عنها **المرتبة**

الثالثة

203

الثالثة أهل التصوف وهم اصناف في الغرور نذكر منهم عشر

الصنف الاول متصوفة زماننا هذا فانهم اغتروا بالزي والمنطق والهيئة

فيتشبهوا بالصادقين من الصوفية كالجنيد والشبلي وابو يزيد البسطامي

وغيرهم في الزي والهيئة وفارقوهم في الخوف والخشية والصدق فليس لهم

حظ من التصوف الا لبس المرقعات وتنفس الصعدا واهملوا نفوسهم عن الخوف

والمجاهدة الصنف الثاني الذين ازدادوا على هولاء في الغرور لانه شق عليهم الاقتدا

بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون وارادوا ان يتظاهروا باسم التصوف

ولم يجدوا بدا من التزين بزيهم فتركوا لبس الحرير والخز والابريسم وطلبوا

المرقعات الفاخرة والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغة ولبسوا من الثياب

ما هو ارفع قدرا من الحرير وظنوا انهم متصوفة وهم مغرورون الصنف الثالث

ادعوا علوم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقالات والاحوال ولا يعرفون

هذه الامور الا بالاسامي ومجرد العبارات ولا يعرفون شي من معانيها بل قد

تلقفوا من كلام الصوفية وهم يرددونها ويظنون ان ذلك اعلام من علم

الاولين والاخرين فهم ينظرون الى الفقها والمفسرين واهل الحديث وجميع اصناف

العلما بعين الازدرا فضلا عن العوام حتى ان اهل الحرف والصنعات

يلازمونهم ويحفظون منهم كلمات رايقة وليس معهم سواها وهم مغرورون

الصنف الرابع

وقعوا في الاباحة وطووا بساط الاحكام ورفضوا الفصل بين الحلال

والحرام وزعم هولا ان الله غني عن العلم والعمل فلم اتعب وبعضهم يقول

لم يكلف الله تعالى الا بتطهير القلوب لا غير عن الشهوات وعن حب الدنيا

من غير حاجة الى هذه التكاليف الظاهرة وانما المقصود عمل القلوب بان

تكون واله الى الله فهذا غرور كاذب الصنف الخامس الذين

احسنوا الاعمال الظاهرة واشتغلوا بتفقد القلب وصاروا يدعون

المقامات العظيمة من الزهد والتوكل والرضا والحب في الله من غير وقوف على هذه

المقامات وشروطها وعلاماتها لكنه يخيل في الله خيالات بدعية كفرية
فيدعي معرفة الله وهو جاهل ويدعي الاخلاص وهو في غاية البعد منه **الصنف السادس**
الذين ضيقوا على انفسهم امر القوت حتى طلبوا الحلال الخالص واهملوا تفقد القلب
والجوارح في غير هذه الخصلة ولم يدر ان الله كما هو طالب للحلال فهو
طالب لاحراز هذه الخصال والحصول على الطاعات واجتناب المعاصي وان
طلب الحلال غير كاف فاعتقاده انه كاف غرور لا محالة **الصنف السابع** الذين
اشتغلوا بالمجاهدة بتهذيب الاخلاق وتطهير النفس عن سائر العيوب وصاروا
يتعمقون فيها ويشغلون اعمارهم في البراءة عن العيوب فهم في جميع ذلك [illegible]
مشغولون بالفحص عن عيوب النفس ومعرضين عن المقصود ومثالهم كمن
اشتغل بالبحث عن عوائق الحج ولم يسلك طريق الحج فهو ايضا مغرور
الصنف الثامن الذين ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا
لخدمة اهل التصوف فجمعوا اقواما وتكلفوا خدمتهم واتخذوا ذلك شبكة
للرياسة وجمع الاموال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة وبعضهم ياخذ
اموال السلاطين فينفقها عليهم وبعضهم ياخذ الاموال لينفقها في طريق
الحج ويزعم ان غرضه البر وانما غرضه الرياء والسمعة وعلامة ذلك انهم
يهملون اوامر الله ظاهرا وباطنا فهذا نهاية الغرور **الصنف التاسع**
الذين انفتحت لهم الابواب الى معرفة الله ولكنهم قصروا انفسهم وقعدوا عن
الوصول فصاروا فيما فعلوه بمنزلة من قصد ملكا من الملوك يريد رؤيته
وخدمته فصادف على بابه روضة بهجة فاعجبته فقعد فيها واشتغل
عن مواصلة الملك وخدمته فهؤلاء حالهم كما ذكرنا **الصنف العاشر**
الذين جدوا واجتهدوا واعلاء ارادة الوصول الى طاعة الله والفوز
بقربه فافتضت عليهم انوار الهداية فظنوا ان الفيض عليهم تلك الانوار
انهم وصلوا



انهم وصلوا ولم يصلوه فاغتروا بالوصول ولم يحصل لهم الوصول وهذا غرور
لكنه غرور ليس فيه خطر لانهم قصروا عن بلوغ الغاية التمام
مهما اوردنا ذكرهم من ذكر المتصوفة **المرتبة الرابعة في بيان غرور ارباب الاموال**
والمغترون منهم سته اصناف **الصنف الاول** يحرصون على بناء المساجد والرباطات
والمدارس والخانقات والقناطر واصلاح الطرقات وما يظهر للناس كافة من المناهل
وحفر الابار ويطلبون بذلك الفخر والريا والسمعة وما قصدهم بذلك وجه الله تعالى
وعلامة ذلك انهم لو انفق احدهم درهما في خفية ما رضي بذلك فغرورهم حاصل من وجهين
احدهما انهم انما بنوها من الاموال المكتسبة من الربا والمظالم وانواع الحرام
وثانيهما اظهار الريا في كل ما فعلوا **الصنف الثاني** الذين اكتسبوا
المال من وجه الحلال وانواع التجارات لكنهم مغرورون من جهة احدهما
انه ربما كان في جواره وفي بلده ناس من الفقرا فلا يصرف اليهم درهما واحدا
مع الحاجة العظيمة وانما يصرفها في المسجد وثانيهما انه يصرف ذلك الى زخرفة
المسجد وتزيينها بالنقوش الذهبية والفضية وهو منهي عن ذلك
وشاغلة لقلوب المصلين ومختطفة اعينهم عن الخشوع في الصلوة
وحضور القلب **الصنف الثالث** الذين ينفقون الاموال النفيسة
في الصدقات وعلى الفقرا والمساكين ويطلبون بذلك المحافل والمجامع
من اجل الشكر واشاعة الذكر ويخصون بذلك من الفقرا من كان عادته الشكر
والافشا بذكر المعروف ومن كان منهم خامل الذكر فانهم لا يعولون عليه
فهذا غرور عظيم الخطر قلما يسلم عنه من اهل الاموال **الصنف الرابع**
الذين يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل عليها ثم انهم يشتغلون بالعبادة

البدنية التي لا يحتاج فيها الى انفاق

كقيام الليل وصيام النهار وختم القرآن وقراءته ثم انهم مع ذلك مغرورون لان
البخل المهلك قد استولى عليهم في بواطنهم فهو محتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل
بطلب فضائل ما هو مستغن عنها وعليه خطر عظيم في انفاقها هو غافل
فهذا غرور **الصنف الخامس** الذين غلب عليهم البخل فلا تسمح نفوسهم
الا باداء الزكوة فقط من غير زيادة لكنهم يخرجونها من المال الخبيث والجنس الردي
الذين يرغبون عنه ولا يحبونه ومع ذلك يطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في
حاجاتهم ومن يحتاجون اليه في المستقبل لاستسخار من ياخذ منهم فامثال هذه الحاله
يكون فيه غرور وتنقص من اجورهم وانهم لم يعطوها لله تعالى ولم يخلصوها لوجهه
الكريم **الصنف السادس** الذين اغتروا من الاغنيا بحضور مجالس الذكر
واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان
لهم على مجرد السماع للوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا عظيما وهم مغرورون
لان فضل مجالس الذكر انما يكون محصلا للخير اذا كان مرغبا في الخير فاذا لم يكن مهيجا للرغبة
فلا خير فيه وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور مجالس الذكر وفضل
البكا وربما رقة كرقة النساء فيبكي وربما يسمع كلاما رقيقا لخوف فلا يزيد
على التصفيق بيديه ويقول يا سلام سلم ونعوذ بالله وسبحان الله ويظن انه
قد اتى بالخير وهو مغرور بما ذكرنا فهذه جميع اصناف الفرق المذكورة المغترة بما
هم عليه على التفصيل الذي اشرنا اليه **سؤال** ما ذكرته من مداخل الغرور
امر عظيم لا يخلص لاحد منه ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب الياس من رحمه الله
تعالى ولا يسلم احد من هذه الافات **وجوابه** السلامه تسهل على من وفقه الله
تعالى للخير ولطف به بالالطاف الخفيه فانه امر سهل لا محاله ثم ان طريق النجاة
تحصل بامور ثلاثة **اولها** العقل فانه يميز به بين الحسن والقبيح وبتعقله فانه
هو النور الاصلي ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا وصف له رجل بالعبادة
واثنى عليه تعجب من الثنا لا يسال الا عن عقله فان الاحمق يصيب بحمقه

اعظم من فجور الفجار وانما تقرب الناس على قدر عقولهم **وثانيها**
العلم ونعني به ان يكون عالمًا بالله وعالمًا بنفسه وعالمًا بحال
الدنيا ويعلم حال الآخرة فاذا ادرك هذه الامور كلها كان ذلك سببًا الى النجاة
وثالثها العمل ونعني بذلك ان يجتهد في فعل ما يقربه الى الله وما يقربه الى
الجنة وما يبعده من النار وجميع ذلك قد شرحنا في المنجيات والمهلكات .. والعون والتوفيق

المعجب وصونهم منه

المقالة الثامنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلوم الكتاب

اعلم انهما قطبان من اقطاب الدين وهما المهمان اللذان بعث الله بهما
جميع النبيين ولو طوي بساطهما واهمل علمهما لتعطلت النبوة
واضمحلت الديانة وعمت الفتنة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى
الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وكان الذي خشينا ان يكون فانا لله
وانا اليه راجعون اذا قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحى بالكلية
حكمه ورسمه واستولت على القلوب مداهنة الخلق وبطلت عنها مراقبة
الخالق واسترسل الناس في اتباع الشهوات وانهمكوا في مواقع الشبهات
وعز على بساط الارض مؤمن صادق لا تاخذه في الله لومة لائم فمن سعى في تلافي
هذه الفترة وانتعاش هذه العثرة مجددًا لهذه السنة الداثرة مجيبًا
بسيفه ولسانه هذه الآثار الغابرة ناهضًا باعبائها ومتشمرًا في
احيائها كان مستأثرًا من بين سائر الخلق باحياء سنة افضى الزمان
الى اماتتها ومستبدًا باحيا قربة تتضاءل درجات القرب دون
ذروتها وفاز عند الله بالحظ الاكبر وظفر من جهته بالنصيب الاجزل
الاوفر ونحن الآن نشير الى ما نريد ان نذكره من حالهما على جهة الايجاز
لان كتابنا هذا لا يتسع لاكثرها ونورد من ذلك في مطالب اربعة

المطلب الاول في بيان وجوبهما والاشارة الى فضلهما

ويدل على ذلك بعد انعقاد الاجماع عليه الآيات والاخبار والآثار
فهذه ثلاث جهات **الجهة الاولى الآيات** كقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة الى آخر الآية وقال تعالى
لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد
اذ علق استحقاقهم اللعنة بتركهم انكار المنكر وقال تعالى والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون
الصلوة وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وفي هذا دلالة على فضيلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ بيّنه انهم
انما كانوا خير امة من اجل ذلك وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين
ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون
فبيّن انهم انما استفادوا النجاة من اجل نهيهم عن السوء وقال تعالى الذين ان
مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
ولله عاقبة الامور فقرن ذلك بالصلوة والزكوة في نعت الصالحين والمؤمنين
وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وقال
تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون
وقال تعالى فلولا كان من القرون منكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض
فهذه الآيات كلها دالة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر **واما الاخبار**
فكثيرة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم ما من قوم يعملون بالمعاصي الا اوشك ان
يعمهم الله بعذاب من عنده وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لابي ثعلبة
يا ابا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا
ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع العوام

ان جن

ان من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم المتمسك فيها بمثل ما انتم عليه اجر خمسين منكم قيل
بل منهم يا رسول الله قال لا بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا وهم لا يجدون عليه
اعوانا وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر او
ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم معناه تسقط مهابتهم
من اعين الاشرار فلا يخافونهم وقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم يا ايها الناس
يقول الله لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل
ان تدعوا فلا يستجاب لكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله
الا كتفلة في بحر لجي وما جميع اعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر الا كتفلة في بحر لجي وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الله ليسال العبد ما منعك
اذا رايت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله عبده حجته قال يا رب وثقت بك وفرقت
من الناس وقال صلى الله عليه واله وسلم اياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بد انما هي
مجالسنا نتحدث فيها قال فاذا ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق حقها قالوا وما حق الطريق
قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال صلى الله
عليه واله وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى
وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يروا المنكر
بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه وروى ابو امامة عن الرسول
صلى الله عليه واله وسلم انه قال كيف انتم اذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم
قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه قالوا و
ما اشد منه قال وكيف انتم اذا رايتم المعروف منكرا والمنكر معروفا قالوا او
كائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه قالوا وما اشد منه يا رسول الله
قال كيف انتم اذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا او كائن ذلك يا رسول الله قال نعم
والذي نفسي بيده واشد منه سيكون يقول الله بي حلفت لاتيحن فتنة يصير الحليم
فيها حيران وقال ابو عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الشهداء اكرم على الله

قال رجل قام الى وال جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله
فالقلم لا يجري عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش وقال الحسن البصري قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم افضل شهداء امتي رجل قام الى امام جائر فامره بالمعروف ونهاه عن
المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر وقال عمر بن الخطاب
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول بئس القوم قوم لا يامرون بالقسط وبئس
القوم قوم لا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وقال ابوذر الغفاري قال ابوبكر يا
رسول الله هل جهاد غير قتال المشركين قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نعم يا ابا بكر ان لله
تعالى مجاهدين في الارض افضل من الشهداء احياء مرزوقون يمشون على الارض يباهي الله بهم
الملائكة وتزين لهم الجنة كما تزينت ام سلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابوبكر
ومن هم قال هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون
في الله والذي نفسي بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف
الشهداء للغرفة منها ثلثمائة الف باب منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب
نور وان الرجل منهم ليزوج ثلثمائة الف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت
منهن فنظر اليها فتقول اتذكر يوم كذا وكذا امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما التفت
الى واحدة منهن ذكرت له مقاما امر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر **واما الآثار**
فقال ابو الدرداء لتامرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليسلطن الله عليكم
سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم يدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون
فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم وسئل حذيفة عن ميت الاحياء
فقال هو الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال مالك بن دينار
كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى الرجال والنساء في منزله يعظهم ويذكرهم
بايام الله عز وجل فرأى بعض بنيه يوما يغمز بعض النساء فقال مهلا مهلا يا بني فسقط
من سريره فانقطع نخاعه واسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فاوحى الله
الى نبي زمانه ان اخبر فلانا الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقا ابدا ما كان من غضبك
لي الا ان قلت مهلا مهلا يا بني وقال حذيفة ياتي على الناس زمان لان

تكون

يكون بهم جيفة احب اليهم من مومن يامرهم وينهاهم واوحى الى يوشع بن نون
عليه السلام اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم
قال يا رب هولاء الاشرار فما بال الاخيار قال لانهم لم يغضبوا لغضبي واكلوهم
وشاربوهم وقال بلال بن سعد ان المعصية اذا خفيت لم تضر الا صاحبها
واذا اعلنت فلم تغير اضرت بالعامة وقال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني
كيف منزلتك في قومك قال حسنة قال كعب الاحبار لتقول عند ذلك قال
ما تقول ان تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند
قومه قال صدقت التوراة وكذب ابو مسلم

وقال امير المؤمنين كرم الله وجهه

اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد
بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف وينكر المنكر جعل اعلاه اسفله
وقيل للفضيل الا تامر وتنهى قال ان قوما امروا ونهوا فكفروا وذلك انهم لم يصبروا
على ما اصيبوا وقيل للثوري الا تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا انبثق
البحر فمن يقدر ان يسكنه

المطلب الثاني

في بيان درجاتها في الامر
والنهي بها وجملتها درجات ثمان **الدرجة الاولى** التعرف ونعني
طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس وهو منهي عنه
فلا ينبغي ان يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت المزمار ونغم الاوتار
والبربط والدف ولا ان يستنشق ليدرك رائحة الخمر من دار جاره
والى غيرها ولا ان يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار والعود ولا ان
يستخبر جاره فيخبره بما يجري في دور جيرانه نعم لو اخبره عدلان ابتداء
من غير استخبار بان فلانا يشرب الخمر في داره او في داره خمر معدة للشرب
فله عند ذلك ان يدخل داره من غير استئذان ولا يلزمه ذلك الاستئذان ويكون
له تخطي ملكه بالدخول للتوصل الى دفع المنكر مثل كسره بالضرب والمنع منهما

احتيج الى ذلك وان اخبره عدل واحد ففي جواز الهجوم على الدار
بقوله نظر واحتمال الاولى ان يمنع من ذلك لان له ان لا تدار حرمه فلا
يدخل داره بغير اذنه ولا يسقط حق المسلم عما ثبت لرحقه الا بشاهدين
فهذا احق ما يجعل معيارا في ذلك ولقد كان نقش خاتم لقمن عليه السلام
الستر لما عاينت احسن من اذاعة ما ظننت الدرجة الثانية
التعريف فان المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله فاذا عرف وجب عليه
تركه كالعامى الجلف فانه يصلي ولا يحسن الركوع والسجود لجهله لان
هذا ليس بصلاة فلو رضي فانه لا يكون مصليا الترك اصل الصلوة
فيجب تعريفه باللطف من غير عنف لان في ضمن التعريف نسبته الى الحمق
والجهل والتجهيل ايذا وقلما يرضا الانسان بان ينسب الى الجهل
بالامور لا سيما في الشرع ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب
كيف يغضب اذا انبه على الخطا والجهل ويجتهد في مجاهدة الحق بعد
معرفته خيفة ان تنكشف له عورة جهله والطباع احرص على ستر عورة
الجهل منها على ستر عورة الحقيقة لان الجهل قبيح في صورة النفس
وسواد في وجهها وصاحبه ملوم عليه وقبح السوءة يرجع
الى صورة البدن والنفس اشرف من البدن وقبحها اشد من قبح
البدن الدرجة الثالثة النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله
تعالى وذلك فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا او في حق من اصر
عليه بعد ان عرف كونه منكرا كالذي يواظب على الشرب وعلى الظلم
او على اغتياب المسلمين وما يجري مجراه فينبغي ان يوعظ ويخوف
بالله تعالى ويورد عليه الاخبار الواردة في الوعيد عليه ويحكى له سيرة السلف

وعاده

عادة الابرار المتقين وكل ذلك ليشفقه وليلطف من غير عنف وغضب
بل ينظر اليه نظر المترحم عليه ويرا اقدامه على المعصيه مصيبة على نفسه
لان المسلمين كنفس واحده ثم ها هنا آفة عظيمه وهي ان لا يعجب
بنفسه ويقصد بالوعظ عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل ولكن يقصد وجه
الله تعالى بالوعظ والتذكير وليحمد الله تعالى على ما نزهه عن هذه المعصيه

الدرجة الرابعه السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن وذلك يعدل
اليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادي الاصرار والاستهزا
بالوعظ والنصح والسنا نعني الكلام الفاحش والاغتياب بما فيه نسبة الى الزنا
ومقدماته بل يخاطبه بما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا احمق يا جاهل
الا تخاف الله تعالى ويقول يا جلف يا غبي وما يجري هذا المجرا فان كل فاسق
فهو احمق وجاهل ولولا حمقه وجهله لما عصى الله بل كل من ليس كيسا
فهو احمق فالكيس من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالكياسه حيث قال
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله

الدرجة الخامسه التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي
واراقة الخمور وازالة الحرير من راسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه
ودفعه عن الجلوس على مال الغير واخراجه من الدار المغصوبه وكاخراجه من
المسجد اذا كان جنبا فاما معاصي القلب واللسان فلا يجب تغييرها
بالمباشره بالتغيير لها لان ذلك غير ممكن ولا ينبغي ان ياخذ براسه
ولا برجله عند اخراجه من المسجد ولا ياخذ بلحيته فانه لا حاجه الى شد يده
الامور لان التغيير حاصل من دون ذلك

الدرجه السادسه التهديد
والتخويف كقوله دع عنك هذا او لاكسرن راسك او لاضربن عنقك ونحو ذلك

ينبغي ان يكون مقدمًا على الضرب و التجوز ان يتهدده الا بما يعلم
انه مقدم عليه ويمكن تحقيقه لان الضرب للرقبه وكسر الراس يجوز فعلهما في
ازالة المنكرات ولا يجوز ان تهدده بوعيد لا يجوز تحقيقه نحو ان يقول
لانهبن دارك او لاقتلن ولدك او لاسبين امراتك فان ما هذا حاله
ان قاله مع غير عزم فهو كذب وان قاله من عزم فهو حرام **نعم**
اذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه الى حد معلوم
يقتضيه الحال وله ان يزيد في الوعيد على ما هو عزمه في الباطن اذا
علم ان ذلك يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المحذور الا
المبالغه في ذلك معتاده **الدرجه السابعه** مباشرة الضرب
باليد والرجل مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للآحاد بشرط
الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فاذا اندفع المنكر فينبغي
ان يكف والقاضي قد يحتاج الى الايذا بالحبس على من يثبت عليه الحق
فان اصر المحبوس وعلم الحاكم قدرته على ادا الحق وكونه معاندا على اداه
فله ان يلزمه الادا بالضرب على قدر ما يراه صوابًا فان احتاج المنكر
الى شهر السلاح وكان يعلم ان شهر السلاح يكفه عن ذلك فله ان يكفه وان
احتاج الى الجرح بالسلاح فلا باس ان يتعاطا ذلك كما لو قبض فاسق
على امراة وكان بينه وبين المنكر نهر حائل او مكان مرتفع فله ان
يوتر قوسه ويقول له خل عنها والا رميتك فان لم يخل عنها
فله ان يرميه وينبغي له ان لا يقصد المقتل بل يرمي الساق
والفخذ وما اشبه ذلك وهكذا فانه يسل سيفه في وجهه ويقول

اترك

اترك هذا المنكر والا ضربتك امسك فكل ذلك غاية وتوصل
الى دفع المنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في ذلك بين ما تعلق
بحق الله تعالى نحو شرب المسكر وبين ما يتعلق بحق الآدميين كالظلم والربا
وسائر المنكرات **الدرجة الثامنة** ان لا يقدر على دفع المنكر بنفسه
ويحتاج الى اعوان يشهرون السلاح ويأخذون اهبة القتال وربما
يستمد الفاسق باعوانه ويؤدي ذلك الى ان يتقابل الصفان ويتقاتلان
فهل يكون ذلك الى الامام او الى آحاد الناس هذا مما وقع فيه تردد فقال
قائلون لا يشتغل به آحاد الناس لانه يؤدي الى تحريك الفتن وهيجان
الفساد وخراب البلاد وهذا هو رأي ائمة الزيدية والمعتزلة
وقال آخرون يجوز ذلك لآحاد الناس لانه اذا جاز للآحاد
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم تفصل الادلة بين منكر ومنكر والمختار
هو الاول لان آحاد الرعية لا يمكنهم ذلك وانما امره الى الامام لان ولايته
عامة وليس على ايديهم يد الا يد الله تعالى وهو متأهل بالقوة للحرب والقتال
واهراق الدماء فاما آحاد الرعية فانهم يضعفون عن ذلك وربما وقع الاستنكاف
لآحاد الرعية على بعضهم بعض فيؤدي الى ثوران الفتنة واتصال القتال من غير حاجة
وحكي عن الشيخ ابي حامد الغزالي جواز تولي ذلك لآحاد الرعية حتى قال يجوز الكف
المنكر بالقتل والقتال للآحاد والقوي ما اخترناه آنفا فهذا ما اردنا ذكره في
ذكر درجات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كيفية تعاطيه والله اعلم **المطلب**
الثالث في بيان المنكرات المألوفة في العادات **واعلم** انا نشير الى جمل منها
يستدل بها على غيرها اذ لا مطمع في حصرها وضبطها ولنذكرها فهذه لانها تعرض
كثيرا ونورد في ذلك مقامات ستة **المقام الاول** في منكرات المساجد

اعلم ان المنكرات منقسمة الى مكروه ومحظور فاذا قلنا منكر مكروه فالمراد به
ان المنع مستحب والسكوت مكروه وليس حراما واذا قلنا منكر مطلقا محظورا او اطلقنا
فنريد بالمحظور المحرم الذي لا يجوز السكوت عليه مع القدرة ويشتمل على صور
شتى **الصورة الاولى** ترك الطمانينة في الركوع والسجود وهو منكر
مبطل للصلوة فيجب النهي عنه على راي الزيدية والشافعية فاما الحنفي فذلك
مذهبه فلا ينكر عليه ومن راى رجلا يسيء صلاته فسكت فهو شريك له في الاثم
الصورة الثانية قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنها ويجب تلقين التصحيح
وان كان المعتكف في المسجد يضيع اكثر اوقاته ويشتغل في المباحات وجب
الانكار عليه اذا كان الاعتكاف واجبا والذي يكثر اللحن في القرآن ان كان
قادرا على التعلم امره فانه عاص بتركه فان كان لا يطاوعه لسانه فان
كان اكثر قراءته لحنا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وسورة الاخلاص وان كان
الاكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا باس بقراءته لكنه يخفض صوته
الصورة الثالثة تطويل الاذان وتمديد كلماته والانحراف عن صوب
القبلة وكثرة الاذان بحيث يضطرب الحاكي في الاذان فلا يفهم معناه لتداخل
الاصوات واجتماعها وكل ذلك منكرات مكروهة وهكذا حال الاذان
قبل الصبح لان ذلك يشوش الصوم والصلوة على الناس فان كان يحرك
بالتذكير قبل الفجر فلا باس ولا باس في الاربعة اذا اذنوا في وقت واحد
ويكره تعاقبهم في اوقات متعاقبة بعد طلوع الفجر فيمنع عنه **الصورة**
الرابعة لبس الخطيب للديباج والحرير او حمله للسيف الذي
فيه حلية الذهب فانه يفسق بذلك والانكار عليه واجب فاما

الثياب

الثياب الزرق فلا كره لكن الافضل البياض ويكره للخطيب ان
يضرب درجات المنبر بالسيف عند الصعود فانما يفعله الجبابرة واهل
التكبر **الصورة الخامسة كلام القصاص** والوعاظ الذين
يمزجون كلامهم بالكذب في الاخبار يجب انكاره وهكذا حال
اهل البدع من الجبرية والمشبهة يمنعون واجبر ويجب انكاره عليهم
واليمكن منه الوعظ الا ممن كان ظاهر الورع والصلاح
فاما من كان متزينا للناس في ثيابه وهيئاته وحركاته كثير التغزل
في الوعظ ويحضر مجلسه النساء فانه يمنع من ذلك لما فيه من اظهار
الفتنة وحصول الريبة ويجب منع النساء من حضور المساجد في
هذا الزمان وقراءة القرآن مع التمديد والالحان على وجه يغير نظم
القرآن منكر يجب انكاره وقد انكره جماعة من السلف **الصورة السادسة**
الجلوس في يوم الجمعة لبيع الادوية في المساجد لا يمكنون منه وقيام السوال
وانشاد الشعر مكروه في المساجد لا حاجة اليه بل تنزه المساجد عنه والمتولي
للمسجد يمنع من الشعوذة بالورقة والخياطة وغير ذلك حتى الامور المباحة والبيع
والشراء لا يمكنون منه **الصورة السابعة** دخول المجانين والصبيان
والسكارى يجب منعهم لانه يؤدي الى تنجيس المساجد ولا باس بدخول
الصبي المسجد اذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت
على لعبه الا اذا اتخذ المسجد ملعبا منع عنه **المقام الثاني**
في بيان منكرات الاسواق ويشتمل على اصول خمس **الصورة**
الاولى الكذب في المرابحة واخفاء العيوب في جميع المبيعات

منكر يجب انكاره لما فيه من الخيانه وهكذا احال المكيال والميزان
اذا وقع فيهما تغيير او زياده يجب التعهد والتفقد لاحواله ويجب ذلك
على الامام **الصوره الثانيه** ترك الايجاب والقبول والاكتفا با
بالمعاطاه وصورته ان ينقد اليه الثمن من غير لفظ ايجاب وقبول الا
فيما كان من المحقرات فانه يغتفر فيه ترك الايجاب والقبول وهكذى
حال البيوع الفاسده فيما بين الخلق يجب انكاره لانه منحرف عن
قواعد الشريعه وان كان موجبا للملك على ما هو مقرر في كتب الفقه **الصوره**
الثالثه بيع الملاهي كالطنبور الذي يستعمل للغنا والدف والمزمار وانواع
العيدان والموتور بالشعر والابريسم والعصب والقصب وغير ذلك
من الملاهي فكلها محرم يجب انكاره على صاحبه وهكذا احال الحيوان المصوره
في ايام العيد للصبيان يجب انكاره **الصوره الرابعه** الاواني المتخذه
من الذهب والفضه فانه يحرم استعمالها ويجب النكير على كل من استعملها
وهكذا بيع ثياب الحرير وقلانس الحرير المحبوكه بالذهب التي لا تصلح
للرجال ويعلم بعادة البلاد انه لا يشتريه الا الرجال فكل ذلك محظور
الصوره الخامسه بيع الثياب المقصوره الخلقه التي يلتبس
على الناس بقصارتها انها خلقه ويخيل اليهم انها جديده فهذا
الفعل لا محاله حرام والمنع منه واجب وهكذا جميع انواع التلبيسات
التي تفعل للخديعه والمكر وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم
ليس منا من غش وقوله صلى الله عليه واله وسلم ملعون من خان مسلما او غيره

وذلك

وذلك يطول احصاؤه فليقس ما لم نذكره على ما ذكرناه **المقام الثالث** في بيان منكرات الشوارع وهي مشتملة على صور خمس الصورة الاولى وضع الاسطوانات التي حفظ فيها الماء بين السكك للشرب متصلا بالابنية وهكذا غرس الاشجار والارهة واخراج الرواشن والاجنحة ووضع الاخشاب على الجدرات بين السكك اذا كان فيه مضرة وهكذا احمال الحبوب والاطعمة فكل ذلك منكر اذا كان يؤدي الى تضييق الطرقات واستضرار المارة فان كانت الطريق واسعة ذا وجه للمنع وهكذا ربط الدواب من الخيل والبغال والحمير والجمال بحيث تضيق على المارة الطريق ولا يؤمن ضررها وبحس المارة منكر يمنع منه **نعم** يجوز وضع الاحمال والاطعمة في الشوارع في القدر القريب حتى تنقل الى السوق ووضع الدواب في الطريق بمقدار الركوب والنزول لا غير وذلك لان الشوارع مشتركة للمنفعة وليس لاحد ان يختص بها الا بقدر الحاجة الداعية القريبة التي ذكرناها **الصورة الثانية** مرور الدواب وعليها الشوك بحيث تخرق اثواب المارة فذلك منكر وان امكن شدها وضمها بحيث لا تخرق او امكن العدول بها الى موضع واسع فلا بأس بذلك لان الحاجة داعية لاهل البلد الى مثل ذلك **نعم** لا تترك ملقاة على الشوارع والسكك الا بقدر مدة النقل لا غير وهكذا تحميل الدواب من الاحمال ما لا تطيقه منكر يجب منعه **الصورة الثالثة** ذبح القصاب اذا كان يذبح في الشوارع

وبالقرب من الحوانيت وتلويث الطرقات بالدما والارواث منكر
يجب منعهم منه بل حقهم ان يتخذ مكانا في دكانه يذبح فيه لما فيه من الاضرار
بالمار في تضييق الطريق وتعفينها باراقة الدما واستقذار الطباع
من القاذورات التي تراق منها وهكذي طرح القمامة في الشوارع والطرقات
وجلف الرمان والدبا وقشر الموز ورش الما اذ انه يؤدي الى الزلق والتعثر
للمار وربما سقط المار فكسر رجله وجرح نفسه وكل ذلك من المنكرات
فيجب منعه **الصورة الرابعة** الموازيب المخرجة في الشوارع الضيقة
فان ذلك ينجس المار ويخشى منه الزلق في الطرقات وهكذي اخراج
البالوعات في الطرقات فانه يمنع منها لما فيها من الضرر بالمار وتعفين
الطريق بارسال الامواه المتغيرة فيها فاما ما كان يتعلق بالمطر فليس
يختص به واحد دون غيره بل انما يجب ذلك على الامام في اصلاح الطرقات
وتعهدها واصلاح احوالها فهكذا يجب عليه ازالته وما كان العجز عن حق
بالآحاد فهو من المصالح الموكولة الى الامام **الصورة الخامسة**
ربط الكلاب الضارية على الابواب منكر يجب منعه لما فيه من الاذية
للمسلمين ويؤدي الى تنجيس الطريق فيحصل في ربط الكلاب ضرران
احدهما شبه العقر منها وثانيهما تنجيس الطرقات وبسط ذراعيه في
الطرقات الضيقة **المقام الرابع في بيان منكرات الحمامات** وهو
مشتمل على صور خمس الصورة الاولى ما يحصل من صور الحيوانات
التي هي في جدر الحمامات وبيوتها الداخلة والخارجة فان ما هذا حاله

يجب تغييره

يجب تغييره ويكفيه في تغييرها قطع رؤسها وفصلها وتشويه
وجوهها بحيث تبطل صورها ولا يمنع من صور الاشجار وسائر النقوشات
فانها مباحة فان لم يكن تغييره فليعدل الى حمام غيره فان شاهد المنكر
عن جابر **الصورة الثانية** كشف العورات والنظر اليها في الحمامات
ومن جملتها كشف العورة للدلاك للفخذ وما تحت السرة ومن جملتها ادخال
اليد تحت الازار فان مس العورة في الغير حرام كالنظر اليها وهكذا الانبطاح
للدلاك على الوجه لتغير الاعجاز والافخاذ وما هذا حاله فانه مكروه وان كان
مع حائل ولكنه لا يكون محظوراً اذا لم يخش حركة الشهوة وهكذا كشف
العورة للحجام **الصورة الثالثة** غمس الايدي والاواني النجسة
في المياه القليلة في الحياض الصغيرة وغسل الازر وغسل الطيلسان
والقداح في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء على رأي الاكثر من ائمة الزيدية
والشافعية والحنفية فانهم يذهبون الى تنجيس الماء القليل وان لم يتغير
بالنجاسة الامامية وهو محكي عن الامام القسم من ائمة اهل البيت عليهم السلام
فان اجتمع زيدي ومالكي فليس للزيدي منع المالكي من ذلك الا بطريق الالتماس
واللطف وهو ان يقول اني محتاج الى الماء فاغسل يدك اولاً ثم اغمسها
في الماء وانت مستغن عن ايذائي وتنجيس الماء علي الا ان ما هذا حاله
فهو من جملة المسائل الخلافية والمضطربات الاجتهادية والمختار عندنا
ان الماء القليل لا ينجس الا بما يغيره من النجاسات من لون او طعم
او ريح كما قال القسم وقد نظرته في الكتب الفقهية

الصورة الرابعة ان يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها
حجارة ملس مزلقة يزلق فيها الغافلون فما هذه حاله منكر يجب تغييره
وقلعه وازالته وينكر على الحمامي اهماله فانه يفضي الى السقوط
وقد يؤدي السقطة الى انكسار الرجل واليد وكذا ترك الصابون
والسدر المزلق على ارض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه على حاله
من غير تغيير له فزلق فيه انسان وانكسرت رجله او يده فالضمان واجب
لا محالة وعلى من يكون الضمان فيه تردد ويمكن ان يقال انه على تاركه
ويمكن ان يقال انه على الحمامي والاقرب انه على من تركه لانه احق به واليق
والله اعلم **الصورة الخامسة** دخول النساء الحمامات مكروه الا
لحيض او نفساء او مريضة وهل يجب المنع عليهن املا فيه تردد
والاقرب انه لا ينكر عليهن في الحمامات الا ما ينكر على الرجال فيها من جميع ما
ذكرناه فاما مجرد منعهن من الحمامات فلا وجه للمنع الا ان يتعلق به منكر
وجب ازالة ذلك المنكر دون دخول الحمام فهذا ما اردنا ذكره من المنكرات
المتعلقة بالحمامات والله اعلم

المقام الخامس في بيان منكرات الضيافة

ويتعلق به صور ست **الصورة الاولى** الفرش الحرير للرجال
ومنها الآنية المحلية الذهبية والفضية والشرب فيهما واستعمال
الذريرة فيهما ووضع ماء الورد فيهما او بما راسه منهما وكذا وضع
الالوان في صحاف الذهب والفضة ووضع الحلوى في قداحهما فان

ذلك

293

ذلك كله محظور لا يجوز فعله الصورة الثانية اسبال الستور التي
عليها صور الحيوانات وهكذى حال الانية من الصفر في الاطباق والمرافع
والطيسان والكرات اذا كان فيها الصور المطلعه بالذهب والفضه
فانه منكر يجب التنزه عنه وهكذى الشمعدانات المطلعه بالتصوير بالحيوانات
فلا يجوز استعماله للشرب والاخير وهكذى حال الملاعق الفضه والمكاحل
من الذهب والفضه والكراهة فيه شديد وقد ورد عليه الوعيد
فيجب اجتنابه الصورة الثالثة سماع الاوتار وانواع العيدان والطارات
وجميع انواع الملاهي وسماع غنا القينات واجتماع النسا على السطوح
للنظر للرجال خاصة مهما كان في الرجال شباب تخاف الفتنة منهم فكل ذلك
محظور لا يجوز فعله ومنكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج عنه
ولم يجز له الجلوس فلا رخصة في مجالسة المنكرات ومشاهدتها فاما الصور
على البسط والنمارق والزرابي المفروشة فليس منكرا وقد يستعملون على
روس السرر والمجامر والمرافع المقببة على امثال الطيور وانشالها وذلك حرام
لا يجوز تركه وقد حكي عن احمد بن حنبل انه خرج من الضيافة من اجل ذلك ٥
الصورة الرابعة ان يكون الطعام حراما او كانت الدور حراما
او المجوم اما مغصوب لمالك معين او كانت البسط والثياب المفروشة
حراما فهذا من اشد المنكرات واعظمها خطرا وهكذى اذا كان في البيوت
من يتعاطى شرب الخمر فلا يجوز الجلوس الحضور وان تركوا الشرب فلا يجوز ملابسة
الفساق في حال الملا بستهم الفسق والفجور والاخلاق فيه وانما التردد في

مجالسته بعد فراغه من فسقه فانه يجب على المسلمين طردهم وابعادهم
وهجرانهم وان كان منهم من يلبس الحرير ويتعاطا البس خواتم الفضة فانه لا
يجوز مجالسته **الصورة الخامسة** ان يكون في مجالس الضيافه
من يتحدث بالجبر والتشبيه والرويه ويصف الله تعالى بالاعضا والجوارح
وانه ينزل الى السما الدنيا فما هذا حاله يجب تغييره ولا يجوز الوقوف وهم
يتحدثون فيه فان لم يقدر على الاسكات فالخروج واجب عليه وهكذا من
يقصد الاعجاب بالكذب والفحش والكلمات القبيحه فانه منكر فان
كان يتكلم بالمزح فليس بمنكر كما قالوا اطلبتك في المسجد والسوق الف
مره واعدت الحديث على اذنيك سبعين مره ان المقصود من
هذا هو المبالغه والعرف يقضي به **الصورة السادسه**
اضاعة المال والاسراف فهذان منكران يتعلقان بالمال الا الاضاعه
فنحو اغراقه في البحر وتحريقه بالنار من غير فائده ولا غرض وهكذا صرفه
في انواع الفساد والمناكير المحظوره لانها فوايد مخصوصه وهي
كالمعدومه واما الاسراف فقد يراد به ويطلق على صرف المال في انواع
المنكرات ولهذا مثل الاضاعه ويطلق على صرفه في الامور المباحه
ومثاله من لا يكون معه الا مائه يعيش منها هو واولاده فانفقه في وليمه
فان ما هذا حاله يجب انكار الامرين جميعا اعني اضاعة المال والاسراف
كما قال تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد الاية ونهى عن ذلك ومدحه وقال
تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكلوا والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فان كان وحده وله قوه على التوكل جاز ذلك وكان مستحبا
وان كان يتكلف الناس كان محظورا مكروها وانما المنكرات المكروهه

كثيره

كثيرة لا يمكن حصرها ولم نقف على آحاد بلاد منكرات الجوامع ومجامع القضاة
ومدارس الفقهاء فلا تخلو بقعة عن منكر او محظور ولا يمكن استقصاء
ذلك واستقصاؤه انما يكون بذكر التفاصيل الكثيرة فلنقتصر على
هذا **المقام السادس في بيان المنكرات العامة التي لا تختص**
بشخص دون شخص اعلم ان كل قاعد في بيته لا يخلو في هذا الزمان عن
منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الخلق وتعليمهم معالم الدين وحملهم
على المعروف فاكثر الناس جاهلون احكام الشرع في شروط الصلاة
والزكوة في البلاد والامصار والمدن فكيف بالبوادي والقرى
وهكذا حال الاجلاف من الاعراب والاكراد واهل المواشي الذين
يقعدون في الجبال وبطون الاودية وسائر اصناف الخلق فالواجب
ان يكون في كل مسجد ومحلة من البلاد فقيه يعلم الناس امور الدين
والواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه ان يتفرغ لفرض الكفاية
وان يخرج الى من جوار من اهل السواد ومن الاعراب فيعلمهم دينهم
وفرائض شرعهم فالمعلوم ان الانسان لا يولد عالما وان الله تعالى
ما اخذ على الجهال ان يتعلموا حتى اخذ على العلماء ان يعلموا والحجة
على الفقهاء اشد لان قدرتهم على ذلك اظهر وهي بضاعتهم لان المحترفين
واهل الصناعات لو تركوا حرفهم لبطلت المعايش وتعطلت
الارزاق فان العلماء ورثة الانبياء فحق على كل مسلم ان يبدأ بنفسه
فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم اهل بيته

واقاربه ثم يتعدا ابعد الفراغ من ذلك الى جيرانه ثم الى اهل محلته
ثم الى اهل بلده من الاعراب المكتنفين لبلدته وهكذى الى الاقرب
فالاقرب والادنا فالادنا فان قام به الاقرب سقط عن الابعد
فان لم يكن فهذى فالاعم الحرج على الجميع وهذى احق اعني تعريف
الخلق والقيام بالامور الواجبه على الكفايه من الامور بالدقه من
العلوم والتعمق في غوامض العلوم لان هداية الخلق اعظم من ذلك
ولهذى فان الانبيا صلوات الله عليهم ما بعثهم الله تعالى الا لهدايه
الخلق وتعريفهم ما لا يعرفون قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم من
تعلم العلم ليعلم لم يكن بينه وبين الانبيا الا درجة النبوه فهذى
ما اردنا ذكره في انكار هذه المنكرات **المطلب الرابع** في بيان
كيفية الانكار على الامرا والسلاطين واهل الجور وامرهم بالمعروف
وقد ذكرنا فيما سبق درجات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان اوله
التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع
بالقهر والحمل على الحق بالضرب والعقوبه والجايز من جملة ذلك مع
السلاطين والظلمه واهل الجور المرتبتان الاولتان وهي التعريف
والوعظ واما المنع والقهر فليس ذلك لآحاد الرعيه فان ذلك يحرك
الفتنه ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه المحذور اكثر لا محاله وانما المتولي
لذلك هو الامام فانه القادر على ذلك والمنتقم لله تعالى منهم وللمسلمين
فيما اظهروا الفساد واكثروا الفساد في الارض واباحوا المحارم واكثروا المظالم
واما التخشين في القول كقولك يا ظالم يا من لا يخاف الله يا فاسق

يا جبار

يا جبار يا خاين وما اشبه ذلك فذلك ان كان لا يحرك فتنه يتعدا
شرها الى غيرهم لم يسقط وجوبه وان كان لا يخاف الا نفسه فهو جايز بل
مندوب اليه ولقد كان عادة السلف الصالح التعرض للاخطار والتصريح
بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهج والتعرض لانواع البلا والعذاب رغبة
فيما عند الله واعرارا لدينه وعلما منهم بان هذا شهادة قال الرسول صلى الله عليه
وعلى آله وسلم خير الشهدا حمزه وجعفر ثم رجل قام الى ظالم فامره ونهاه فقتله
على ذلك وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم افضل الجهاد كلمة حق يدي
سلطان جاير وان من قتل على ذلك فهو شهيدا قدموا على ذلك موطنين
انفسهم على الهلاك ومتحملين لنواع العذاب وصابرين عليه ومحتسبين
لما يعلمونه في الله ونحن الآن نورد من تلك القصص ما يدل على صدقهم انهم
صدقوا الله في تعريض انفسهم للحيف ونفوسهم للسيف وانهم لم يخافو
لومة لايم وجملتها قصص عشر القصة الاولى محكية عن امير
المومنين وسيد الوصيين كرم الله وجهه قال
كانت قريش سعت في كيد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وبلوغ الغاية
في مضرته لما كان من جهته وامره في بطلان شركهم ومحو آثارهم وتسفيه احلامهم
لما كانوا عليه من عبادة الاوثان والاصنام فدخل يوما موضعا ينام فيه
فاهموا بقتله في ذلك الموضع فجاءه جبريل فاخبره بما اجتمعوا عليه وما
وقع في انفسهم من ذلك فخرج من ذلك وقال لامير المومنين كرم الله وجهه
يضطجع فوق فراشه فاضطجع وخرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فعند
نفس الرسول نفسه وجعل حوباه دون حوبا الرسول صلى الله عليه وسلم
فابطل الله كيدهم وخيب امرهم فلما علموا ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نجا

منهم وانه لا غرض لهم الا فيه ونزلت الآية تذكيرًا للنعمة عليه
واعظامًا للمنة الواصلة اليه فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم
عنكم فكان امير المومنين كرم الله وجهه بالحظ الاوفر وحصلت
السلامة لهما والحمد لله تعالى القصة الثانية حكيه عن ابي بكر انه بينما
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط
فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولوى ثوبه في عنقه
فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر فاخذ بمنكبيه ودفعه عن الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد
جاءكم بالبينات هذه رواية ابن عمرو وفي رواية اخرى ان قريشا
اجتمعوا في الحجر فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم هذا الرجل وما
بلغتم منه حتى اذا بادأكم بما تكرهون فبينما كذلك اذ طلع رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فوثبوا عليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون
انت الذي تقول كذا لما كان بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم فيقول صلى الله
عليه وآله وسلم نعم انا الذي اقول ذلك فلقد رأيت رجلا منهم اخذ بمجامع
ردائه فقام ابو بكر دونه يقول ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله
فانصرفوا عنه وان ذلك لاشد ما رأيت قريشا بلغت من الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم القصة الثالثة ما روي ان معوية جلس
للعطاء في المسجد فقام اليه ابو مسلم الخولاني فقال يا معاوية
انه ليس من كدك ولا من كد ابيك ولا من كد امك فغضب

معوية

معويه ونزل من المنبر وقال لهم ما تكلم ثم خرج وقال ان ابي مسلم
كلمني بكلام اغضبني واني سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول
الغضب من الشيطان والشيطان خلق من نار وانما تطفا النار بالماء
فاذا غضب احدكم فليغتسل واني دخلت فاغتسلت وصدق ابو
مسلم ليس من كيسي ولا من كد ابي فهلموا الى اعطائكم فانظر الى غضب
الحلم ستهل ولم يستحي من النصيحه ثم انظر الى انصاف معويه من نفسه
واعطا الحق اهله ولقد كان شيطانا في الحلم والاغضا والصبر
على المكاره ولله در من قال من حلم ساد ومن ساد استفاد القصه
الرابعه حكي عن الاصمعي قال دخل عطا بن رباح على عبد الملك ابن مروان
وهو جالس على السرير وحواليه الاشراف من كل بطن وذلك بمكه
في وقت حجته في خلافته فقام اليه واجلسه معه على السرير وقعد
معه وقال له يا ابا محمد ما حاجتك قال اتق الله في حرم الله وحرم رسوله
فتعاهدهما بالعماره واتق الله في اولاد المهاجرين والانصار فانك بهم
جلست هذا المجلس واتق الله في اهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد
امور المسلمين فانك وحدك المسئول عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا
تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له عبد الملك افعل ثم نهض فقام
فقال له ~~عبد الملك~~ ما قال فتغيظ عليه عبد الملك فقال يا ابا محمد انما
سالتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك فقال ما لي الى المخلوق
حاجه ثم خرج فقال عبد الملك هذا وابيك الشرف مرتين القصه
الخامسه روي عن الوليد عن عبد الملك قال كان حاجبه يوما اقعد على
الباب فاذا مر بك رجل فادخله ليحدثني فمر به عطا بن رباح وهو لا
يعرفه فقال له يا شيخ ادخل على الوليد وليه امير المومنين فانه امرك

بذلك فدخل وعنده عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال السلام عليكم
يا وليد فغضب الوليد على حاجبه وقال ويلك امرتك ان تدخل علي رجلاً
يحدثني ويسامرني فادخلت الي رجلا لم تصف نفسه ان يسميني بالاسم
الذي اختاره الله لي فقال الحاجب ما مر بي غيره ثم قال لعطا اجلس
ثم اقبل عليه يحدثه فقال له بلغنا ان في جهنم واديا يقال له هبهب
اعده الله لكل امام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله وكان جالسا على
عتبة الباب فوقع على قفاه الى جوف المجلس فقال عمر لعطا قتلت امير
المومنين فقبض عطا على يد عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال
يا عمر الامر جد فجد ثم انصرف فقال عمر فمكثت عشرين سنة اجد غمزته
في ذراعي فانظر الى نصح عطا ولم يراقب احدا ولا التفت
الى تجبر الخبيث اللص الوليد ولا وزن عنده قلامة ظفر ولله در علماء
الاخرة كيف كانوا على الفجار اشد من حريق النار **القصة**
التاسعة عشر حكي عن الخبيث الحجاج انه دعا بفقهاء البصرة وفقهاء
الكوفة قال صاحب الرواية فدخلنا عليه وكان الحسن البصري آخر من دخل
فقال الحجاج مرحبا بابي سعيد الي الي ثم دعا بكرسي فوضع الى جنب
كرسيه فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسالنا اذ ذكر عليا كرم الله
وجهه فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقا من سطوته وشره والحسن ساكت
عاض على ابهامه فقال يا ابا سعيد مالي اراك ساكتا قال ما عسيت
ان اقول قال اخبرني برايك في ابي تراب قال سمعت الله يقول جل
ثناؤه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه فعلي ممن هدى الله من اهل الايمان فا

اقول

اقول في ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه واحب
الناس اليه صاحب سوابق مباركات سبقت له من الله تعالى لن
تستطيع انت ولا احد من الناس ان يحصرها عليه ولا يحول بينها وبينه
والله ما اجد فيه قولا اعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن
سريره مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا قال عامر الشعبي فاخذت
بيد الحسن فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره فقال اليك عني
يا عامر يقول الناس عامر الشعبي فقيه اهل الكوفة اتيت شيطانا من شياطين الانس
تكلمه بهواه وتقاربه في رايه ويحك يا عامر هلا اتقيت ان سئلت
فصدقت وان سكت فسلمت قلت يا ابا سعيد قد قلتها وانا اعلم ما فيها
قال هذا اعظم في الحجة عليك واشد في التبعة وبعث الحجاج الى الحسن
فقال انت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال
نعم قال ما حملك على هذا قال ما اخذ الله على العلماء من المواثيق لتبيننه للناس
ولا تكتمونه قال يا حسن امسك لسانك واياك ان يبلغني عنك ما اكره
فافرق بين راسك وجسدك ولله در الحسن البصري لقد كان شديد
الشكيمة على الظلمة والفسقة عظيم الانفة على الدين لم تاخذه في الله لومة
لائم في التعريف ولا حاك في صدره شيء من التخويف ولقد عز في هذه الازمنة منه
من يتكلم على الظلمة ويصول على الفسقة وما ذاك الا للتهاون بامر الله وضعف
الهمم عن الاقبال الى الاخرة فنسال الله عفوا غامرا في التقصير في حقه وجودا
شاملا من كرمه وفضله **القصة السابعة** حكي ان حطيطا
الزيات جيء به الى الحجاج فقال انت حطيط قال نعم سل عما بدا لك فاني
عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال ان سئلت لاصدقن ولئن ابتليت

لاصبرن ولان عوفيت لاشكرن قال فما تقول في قال اقول
انك من اعداء الله في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال
فما تقول في امير المومنين عبد الملك بن مروان قال هو اعظم
منك جرما وانما انت خطيئة من خطاياه قال الحجاج ضعوا
عليه العذاب فانتهى به العذاب الى ان شقق له القصب ثم جعلوه
على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة
حتى انخلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا فقيل للحجاج انه في اخر
رمق فقال اطرحوه في السوق قال جعفر فاتيته انا وصاحب
لي فقال له جعفر الك حاجة قال شربة ما فاتوه بشربة ما فشرب
ثم مات وكان عمره ثماني عشر سنة رحمه الله ولقد خط الله لحطط
بالقلم في لوحه المحفوظ انه من الذين قال فيهم فمنهم من قضا
نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا **القصة الثامنة**
حكي عن الحرث المحاسبي قال كنت قاعدا في محرابي فاذا انا بفتى
حسن الوجه طيب الرايحه فسلم علي ثم قعد بين يدي فقلت
من انت قال واحد من السياحين اقصد المتعبدين في محاريبهم
ولا ارا لك اجتهادا فاي شي عملك قال قلت له كتمان المصائب
واجتلاب الفوائد قال فصاح وقال ما علمت ان احدا بين جنبي
المشرق والمغرب هذه صفته قال الحرث فاردت ان ازيد عليه
فقلت له اما علمت ان اهل القلوب يحملون احوالهم ويكتمون
اسرارهم ويسالون الله تعالى كتمان ذلك عليهم فمن اين تعرفهم قال
فصاح صيحة فغشي عليه فمكث مغشيا يومين لا يعقل وقد احدث
في ثيابه

في ثيابه فعلمت ان الله عقله فاخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا
كفني قد اثرتك به فاغتسل واعد صلاتك فقال هات اما فاغتسل
وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له الى اين تريد فقال
قم معي فلم يزل يمشي حتى دخل على المامون فسلم وقال يا ظالم وانا
ظالم ان لم اقل لك يا ظالم استغفر الله من تقصيري فيك اما
تتق الله فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم اقبل يريد الخروج
وانا جالس بالباب فاقبل عليه المامون وقال من انت فقال له
رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم اجد لنفسي
فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلي الحق بهم فامر من ضرب عنقه
فاخرج وانا قاعد بالباب ملفوفا في ذلك الثوب ومناد ينادي
من ولي هذا فلياخذه فاحرت فاختبات عنه فاخذه اقوام غربا
فدفنوه وكنت معهم لا اعلمهم بحاله فهذه اخبار من رعى الاخرة ببصره
وتجافى عن الدنيا بسمعه واشتاق الى لقاء استاذه ومن احب
لقاء الله احب الله لقاءه **القصة التاسعة** عن
احمد بن ابرهيم المقري قال كان ابو الحسين سفيان الثوري رجلا
قليل الفضول لا يسال عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج اليه
وكان اذا راى منكرا غيره ولو كان فيه تلف فنزل ذات يوم يتطهر
للشط اذ راى زورقا فيه ثلاثون دنا فقال للملاح ما هذا
فقال هذه ثلاثون دنا خمر للمعتضد يريد ان يتمم بها مجلسه فاخذ سفينة
عمودا وصعد الزورق فلم يزل يكسرها دنا دنا حتى اتى على آخرها
الا دنا واحدا والملاح يستغيث فركب صاحب الجيش فقبض على
الثوري واشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه

قبل كلامه ولم يشك الناس انه سيقتله قال النوري فادخلت عليه وهو
جالس على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما راني قال من انت قلت محتسب
قال من ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة قال فاطرق الى الارض ساعة
ثم رفع راسه الي وقال ما حملك على ما فعلت قال شفقة مني عليك اذ بسطت
يدي الى رفع مكروه عنك فقصرت عنه فاطرق مفكرا في كلامي ثم رفع راسه
فقال كيف تخلص هذا الدن من بين سائر الدنان فقلت ان في تخليصه علة اخبره
بها ان اذنت لي قال هات فقلت اني قدمت على الدنان لمطالبة الحق سبحانه
بذلك وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق
عني فاقدمت عليها بهذه الحال الى ان صرت الى هذا الدن فاستشعرت نفسي
كبرا كيف اقدمت على مثلك فامتنعت ولو اقدمت عليه بالحالة الاولى وكان
ملء الارض دنانا لكسرتها فقال المعتضد اذهب فقد اطلقنا يدك تغير
على ما احببت ان تغيره من المنكر فقلت له نقض التغيير لاني كنت اغير
عن الله وانا الآن اغير شرطيا فقال له المعتضد ما حاجتك قال
تامر باخراجي سالما فامر بذلك وخرج الى البصرة فكان اكثر ايامه بها خوفا
من ان يسال حاجة فيسالها المعتضد فاقام بالبصرة الى ان توفي المعتضد
ورجع الى بغداد فانظر الى القصود الموافقة كيف كانت سببا للنجاة
وصلة الى الله تعالى فهذه مراقبة اهل التقوى والله اعلم القصة
العاشرة حكي عن الشافعي قال حدثني عمي محمد بن علي قال اني لحاضر مجلس ابي جعفر
الدوانيقي وفيه ابن ابي ذئب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فقال ابو جعفر
ما تقول في الحسن بن زيد قال اشهد انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه قال قد سمعت
يا حسن ما قال فيك وهو الشيخ الصالح قال يا امير المؤمنين سله عن نفسك
قال ما تقول في يا ابن ابي ذئب قال تعفيني عن هذا قال سألتك بالله الا

ما اخبرتني

ما أخبرتني قال سألتني بالله انك لتعرف نفسك فقال والله لتخبرني
قال اشهد انك اخذت المال من غير حله فجعلته في غير اهله واشهد
ان الظلم ببابك فاش قال فجاء ابو جعفر من موضعه حتى وضع يده
في قفا ابن ابي ذئب فقبض عليه ثم قال اما والله لولا اني جالس هاهنا
لاخذت فارس والروم منك بهذا المكان فقال يا امير المومنين قد ولي ابو بكر
وعمر فاخذا بالحق وقسما بالسوية واخذا باقفا فارس والروم واصغرا
آنافهم فخلى ابو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال والله لولا اني اعلم
انك لصادق لقتلتك فقال ابن ابي ذئب والله يا امير المومنين اني
لانصح لك من ابنك المهدي ولنقتصر على هذا القدر من التنبيه
على ما كان من عادة علماء الدين في القوة في دين الله والصلابة على نفوذ
امر الله فهذه كانت سيرة العلماء وعاداتهم في الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين واهل الجور والظلمة لكنهم
اتكلوا على فضل الله ان يحرسهم ورضوا بحكم الله ان يرزقهم الشهادة
فلما اخلصوا النية اثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وازال
قساوتها واما الآن فقد قيدت الاطماع السنة العلماء فسكتوا
وان تكلموا لم تساعد اقوالهم احوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا
حق العلم لافلحوا ففساد الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك
بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب الجاه والمال ومن
استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الاحتساب وانفاذ امر الله
على الاسافل والاراذل فضلا عن الملوك والاكابر فالله المستعان

على مهايد الشدائد في هذه الازمنة فلقد قل المعين على الزوال
المنكر ونصرة الدين وكما ان الموت هو خاتمة الاعمار وفيه
طي الصحف المتضمنة للاعمال فلنجعل خاتمة كتابنا الكلام في
الموت وما يتعلق به من الاهوال العظيمة والله الموفق للصواب

المقالة التاسعة في بيان مقدمات الموت وتوابعه

الى حالة نفخة الصور اعلم ان المنهمك في الدنيا المنكب
على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره
واذا ذكره كرهه ونفر عنه واولئك هم الذين عناهم الله بقوله قل ان
الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم والناس في الدنيا اما منهمك
او تائب او عارف فاما المنهمك فلا يذكر الموت وان يذكره الا للتاسف
على دنياه لا غير واما التائب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من
قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة واما العارف فانه يذكر
الموت دائما لانه موعد لقائه لحبيبه والحب لا ينسى قط موعد
اللقاء ولهذا قال حذيفة لما حضرته الوفاة حبيب جاء على فاقة لا افلح
من ندم وهذه المقالة مشتملة على تنبيهات سبعة هي وافية بالمقصود
والتتمة مما نزيد ذكر نفصلها بعونه الله تعالى

التنبيه الاول

في بيان فضل ذكر الموت وتحقيقه في القلب اعلم ان الموت امر هائل وخطره
جسيم وغفلة الناس بقلة ذكرهم له ومن ذكره منهم فليس يذكره بقلب
فارغ بل بقلب مشغول لكن يتوجه ذكره من طرق ثلاث الطريق الاول
ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم

220

تحت التراب ويتذكر صورهم وكيف تبددت اجزاؤهم في قبورهم
وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت
منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم فمهما تذكرهم رجلا رجلا
وفصل في قلبه احوالهم وكيفية موتهم انغرس في قلبه ذكر الموت
وتحققه لا محالة الطريق الثاني ان يتذكر حال نفسه ويتذكر نشاطه
وتردده واكله للعيش واشتياقه اليه ونسيانه للموت واتخذ اعمه
عوباه الاساس وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك
واللهو وغفلته عما يراد منه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه
كيف كان يتردد وقد انهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل
الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه وانه كيف
كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين
الموت الا شهر واحد او يوم واحد او اقل من ذلك وهو غافل عما يراد به
الطريق الثالث دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد
ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند
ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر
القلب وعذوبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما
طاب قلبه بشيء من الدنيا فينبغي ان يتذكر في الحال انه لابد من مفارقته
وأما فضيلته فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم اكثروا من
ذكر هادم اللذات اي نغصوا به اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها
فتقبلون على الله تعالى وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو ان البهائم تعلم من
الموت ما تعلمون ما اكلتم منها لحما سمينا وقالت عائشة يا رسول الله

تحفة المؤمن الموت وانما قال هذه لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال
فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه
فالموت اطلاقه والاطلاق تحفة وقال صلى الله عليه وآله وسلم الموت
كفارة لكل مسلم واراد بهذا المسلم حقا والمؤمن صدقا الذي يسلم
الناس من يده ولسانه وتحقق فيه اخلاق المؤمنين ولم يتدنس
بالمعاصي الا باللمم والصغاير فالموت يطهره ويكفر بعد اجتنابه
للكباير واقامته للفرائض وقال انس قال صلى الله عليه وآله وسلم كفى
بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى المسجد فاذا
قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت اما والذي نفسي بيده لو
تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فاحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت
قلنا كنا ما نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هناك
وقال ابن عمر اتيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عاشر عشرة فقال
رجل من الانصار من اكيس الناس واكرم الناس قال اكثرهم ذكرا
للموت واشدهم استعدادا له اولئك الاكياس ذهبوا بشرف
الدنيا والاخرة **واما الآثار** فقد قال الحسن رضي الله عنه فضح الموت
الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال الربيع ما غائب ينتظره
المؤمن خير له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي احدا وسلوني
سلا الى ربي وكتب رجل من الحكما الى بعض اخوانه يا اخي احذر الموت
في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده

وكان

وقال ابن سيرين اذا ذكر الموت مات كل عضو منه ٥ وكان عمر بن
عبد العزيز يجمع كل ليلة جماعة من الفقها فيتذاكرون الموت والقيمة
والآخرة ثم يبكون كان بين ايديهم جنازة وقال بعض الزهاد شيئان
قطعا ارادة الدنيا الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل ٥ وقال كعب
من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها ٥ وقال الاشعث
كنا ندخل على الحسن وانما هو النار وذكر الموت وامر الآخرة وكان عيسى
صلوات الله عليه اذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما ٥ وكان
داود عليه الصلوة والسلام اذا ذكر الموت بكى حتى تنخلع اوصاله
واذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه ٥ وقال مطرف بن الشخير ان هذا
الموت قد نغص الى اهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه ٥
وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لعنبسة اكثر من ذكر الموت فان
كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه
عليك ٥ وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبرا في داره وكان ينام في اللحد
كل يوم مرات ليستديم به ذكر الموت ويقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة
فسد ٥ **التنبيه الثاني في بيان فضيلة قصر الامل** ٥ قال رسول
صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمسا
واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك
ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا ٥ وروي
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان
اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما
طول الامل فانه يورث الحب للدنيا ثم قال الا ان للدنيا ابناء وللآخرة

ابناء

فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد
ارتحلت موليه الا ان الآخره قد ارتحلت مقبله الا وانكم في يوم ليس فيه
حساب ويوشك ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل وقال صلى الله
عليه وآله وسلم وقد اطلع على الناس ذات عشيه فقال ايها الناس
اما تستحيون قالوا وماذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون
وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال ابو سعيد
الخدري رضي الله عنه اشترى اسامة بن زيد رضي الله عنهما من زيد بن ثابت
وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول
الا تعجبون من اسامه اشترى الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي
بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفراي لا يلتقيان حتى
يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض
ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت
ثم قال يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم في الموتى والذي
نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح
بالتراب فاقول يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي
لا ابلغه وقال صلى الله عليه وآله وسلم يكبر ابن آدم ويشب معه خصلتان
الحرص وطول الامل وقال صلى الله عليه وآله وسلم نجا اول هذه الامة
بالصدق واليقين والزهد ويهلك آخر هذه الامة بالبخل والامل
وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكلكم يحب ان يدخل الجنة

قالوا نعم

قالوا نعم قال فقصروا من الامل واثبتوا اجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحيا وكان صلى الله عليه واله وسلم يقول في
اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الاخرة واعوذ بك من حيوة تمنع خير الممات واعوذ بك من امل يمنع خير العمل
واما الاثار فقد قال بعض الزهاد لو علمت متى اجلي لخشيت ذهاب عقلي ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الاسواق وقال الحسن السهو والامل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما مشا المسلمون في الطرق وقال الثوري بلغني ان الانسان خلق احمق لولا ذلك لم يهنه العيش وقال بعض الحكما انما عمر الدنيا بقلة عقول اهلها وقال سلمان ثلاثة اعجبتني حتا اضحكتني مومل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وضاحك ملا فيه ولا يدري اساخط عليه رب العلمين ام راض وثلاثة احزنتني حتى ابكتني فراق محمد وحزبه والاحبه وهول المطلع والوقوف بين يدي الله عز وجل لا ادري الى الجنه يامر بي او الى النار وحكي عن بعض اهل الصلاح انه سال الله تعالى ان يرفع عنه الامل فذهبت عنه شهوة الطعام والشراب وقيل للحسن يا ابا سعيد الا تغسل قميصك قال الامر اعجل من ذلك وقال الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وقال بعضهم انا انا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى يضرب عنقه وقال داود الطائي لو امّلت ان اعيش شهرا لرايتني قد اتيت عظيما

وكيف أؤمل ذلك وارى النجايع تغشى الخلايق في ساعات الليل
والنهار ؟ وكتب بعض الى اخ له اما بعد فان الدنيا حلم والآخرة يقظة
والمتوسط بينهما الموت ونحن في اضغاث احلام والسلام ؟ وكتب
اخ الى اخ ان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب وللنقص
منه في كل يوم نصيب وللبلاء في جسمه دبيب فبادر قبل ان ينادى
بالرحيل والسلام ؟ وقال الحسن رضي الله عنه كان آدم عليه الصلوة والسلام
قبل ان يخطى امله خلف ظهره واجله بين عينيه فلما عصى واصاب
الخطيئة حول فجعل امله بين عينيه واجله خلف ظهره التنبيه
الثالث في بيان سكرات الموت وشدائده وما يستحب عند الموت اعلم
انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات
الموت لكان جديرا بان ينغص عيشه ويتكدر عليه سروره وتفارقه شهوته
وغفلته وحقيق بان تطول فيه فكرته ويعظم استعداده لا سيما وهو في كل نفس
بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك ؟ لا تدرى متى يغشاك ؟ وقال لقمان
لابنه امر لا تدرى متى يلقاك استعد له قبل ان يفجاك ؟ والعجب ان الانسان في
ارغد عيش واهناه منهمكا في اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو فانتظر
ان يدخل عليه بعض الشطار يضربه بالسياط لتكدرت عليه لذته وفسد
عليه عيشه وهو في كل ساعة بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بجذب نفسه
بسكرات النزع وهو في غاية الغفلة فما لهذا سبب الا الجهل والغرور وشدة
الالم في سكرات الموت لا يعلمها في الحقيقة الا من ذاقها وطعمها فاما من
لم يدركها فانما يعرفها بالقياس وهو ان كل عضو لا روح فيه لا يحس بالالم
فاذا كان فيه الروح تالم والمدرك للالم هو الروح فمهما اصاب العضو جرح

او حريق



اوحريق فانه يسري الالم الى الروح فاذا كان المنزوع هو الروح
فانه يستغرق الالم جميع الاجزاء وكل مفصل من المفاصل ومن اصل
كل شعر وبشر من القرن الى القدم فلا يسئل عن كربه والمه حتى
قالوا ان الموت اشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض
بالمقاريض لان قطع البدن بالسيف انما يولم لتعلقه بالروح وانما
يستغيث المضروب ويصيح لبقا قوته في قلبه وفي لسانه فاما
المحتضر فقد انقطع صوته لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد علا
قلبه وغلب علا كل موضع فيه فهد كل قوة واضعف كل جارحه فلم
يترك له قوة الاستغاثه اما العقل فقد غشيه وشوشه واما
اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد اضعفها ويود لو قدر على
الاستراحه بالانين والصياح ولكنه لا يقدر علا ذلك فاذا بقيت له
قوه سمعت له عند نزوع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه
وصدره وقد تغير لونه وابدحتا ظهر علا وجهه التراب الذي هو
اصل خلقته وفطرته وقد جذب منه كل عرق علا حياله فالالم منتشر في داخله
وخارجه حتا ترتفع الحدقتان الى اعالي اجفانه وتتقلص الشفتان
وتقلص اللسان الى اصله وترتفع الانثيان الى اعالي مواضعهما
وتخضر انامله فلا يسئل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ثم
يموت كل عضو من اعضائه علا التدريج فيبرد اولا قدماه ثم ساقاه
ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربه بعد كربه حتا يبلغ
بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها

ويغلق عنه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تقبل توبة العبد ما لم يغرغر فعندها
تبدو صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه
عند ترادف سكراته ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اللهم هون
على محمد سكرات الموت وقال عيسى صلوات الله عليه يا معاشر
الحواريين ادعوا الله ان يهون على هذه السكرة يعني الموت فقد خفت
الموت مخافة اوقعني خوفي من الموت في الموت وقالت عائشة لا
اغبط احدا يهون عليه الموت بعد الذي رايت من شدة موت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يقول
اللهم انك تأخذ الروح من بين العصب والأنامل اللهم فأعني على
الموت وهونه علي فهذه سكرات الموت على اوليائه الله واحبائه من
اهل خاصته وانبيائه فكيف حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي والغافلون
عن اصلاح اعمالنا واحوالنا ويتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي
وجملتها ثلاث الداهية الاولى مشاهدة صورة ملك الموت
ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى على الصورة التي
يقبض عليها روح العبد المذنب اعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته
فقد روي عن الخليل صلوات الله عليه وسلامه وعلى آله انه قال لملك الموت
هل تستطيع ان تريني صورتك التي تقبض فيها روح الفاجر فقال الملك
لا تطيق ذلك فقال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت
فاذا هو رجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه

ومنخره



ومناخر لهب النار والدخان فغشي ابرهيم صلوات الله عليه
ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم
يلق الفاجر عند موته الا صورتك ووجهك لكان حسبه

الداهية الثانية مشاهدة الملكين الحافظين قال وهب
بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يتراآ له ملكاه الكاتبان لعمله فان كان
مطيعا قالا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق اجلستنا ورب عمل عمل
صالح احضرتنا وان كان فاجرا قالا لا جزاك الله عنا خيرا فرب
مجلس غير صدق اجلستنا ورب عمل غير صالح احضرتنا وكلام قبيح قد اسمعتنا
فلا جزاك الله عنا خيرا فذاك الذي يرا الميت عند شخوص بصر المحتضر
اليهما فلا يرجع الى الدنيا ابدا الداهية الثالثة مشاهدة العصاة
مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات وقد
تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج ارواحهم ولن تخرج ارواحهم ما لم
تسمع نغمة ملك الموت باحد البشرتين اما ابشر يا عدو الله بالنار واما
ابشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا خوف ارباب العقول واهل الاحلام
وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لن يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم اين
مصيره وحتى يرا مقعده من الجنة او النار وقد قال صلى الله عليه
وآله وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله
لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت فقال ليس ذاك بذاك ان المومن
اذا فرج له عما هو قادم عليه احب لقاء الله واحب الله لقاءه ۞

وروي ان حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به في آخر
الليل قم فانظر اي ساعة هي فقام ابن مسعود فجاءه فقال قد
طلعت الحمراء قال اعوذ بالله من صباح الى النار ❊ ودخل مروان على
ابي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال ابو هريرة اللهم شدد
ثم بكى ابو هريرة وقال والله ما ابكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من
فراقه ولكني انتظر احد البشرتين من ربي بجنة او نار وروي في
الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا رضي الله عن عبد
قال لملك الموت يا ملك الموت اذهب الى فلان فائتني بروحه
لاريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث احب فينزل ملك
الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الريحان واصول
الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم
الملائكة صفين بخروج روحه معهم الريحان ❊ وقال الحسن رحمه الله
لا راحة للمؤمن الا في لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله فيوم
الموت يوم سروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه ❊ وقال محمد بن
واسع عند الموت يا اخوتاه عليكم السلام الى النار او يعفو الله ❊
وتمنى بعضهم ان يبقى في النزع ولا يبعث لثواب ولا عقاب
لخوف سوء الخاتمة وقطع قلوب العارفين وهي من الدواهي العظيمة
عند الموت فنسأل الله تعالى امنا من عقابه وبشارة من عنده
بعظيم ثوابه ❊ واما ما يستحب للمحتضر عند الموت

فاعلم

225

فاعلم ان المستحب لمن يموت هو الهدو والسكون وفي لسانه
ان يكون ناطقا بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وفي قلبه
ان يكون حسن الظن بالله فهذه امور ثلاثة اولها الحال فقد روي عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ارقبوا الميت عند ثلاث
اذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهو من رحمة الله
قد نزلت به واذا غط غطيط البكر واحمر لونه وازبدت شفتاه
فهو من عذاب الله قد نزل به وثانيها اطلاق اللسان
بالشهادة فهو من علامة الخير قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
لقنوا موتاكم لا اله الا الله وقال عمر اذا احتضر الميت فلقنوه
لا اله الا الله وثالثها حسن الظن بالله فهو مستحب في هذا الوقت
وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم حاكيا عن الله تعالى انا عند ظن عبدي بي
فليظن عبدي بي ما شاء ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على شاب
وهو يجود بنفسه فقال كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبي
فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن
الا اعطاه الله تعالى الذي يرجو وامنه من الذي يخافه ومرض
اعرابي فقيل له انك تموت فقال الى اين يذهب بي قالوا الى الله
قال فما اكرهني ان اذهب الى من لا يوجد الخير الا منه وقد نجز غرضنا
من بيان سكرات الموت ودواهيه والله اعلم **التنبيه الرابع**
في بيان الحرج عند لقاء ملك الموت مسائل ابرهيم عليه السلام

ملك الموت واسمه عزرآئيل عليه السلام وله عينان في وجهه
وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع اذا كان نفس بالمشرق
ووقع الوفا بارض والتقا الزحفان كيف تصنع قال ادعو الارواح
باذن الله فتكون بين اصبعي هاتين قال وحيت لي الارض فتركت
مثل الطست بين قدمي اتنا ول منها حيث اشا قال وهو الذي بشره
بانه خليل الله وقال سليمن بن داود عليه السلام لملك الموت ما لي اراك
تعدل بين الناس تاخذ هذا وتدع هذا فقال ما انا بذلك اعلم انما
هي صحف او كتب تلقا الي وفيها اسما وقال وهب بن منبه كان ملك
من الملوك اذا اراد ان يركب الى ارض دعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه
فطلب غيرها حتا لبس ما اعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فلم تعجبه حتا
اتي بدواب كثيرة فركب احسنها فجا ابليس فنفخ في منخره نفخة فاملاه كبرا
ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاه رجل رث
الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فاخذ بلجام دابته فقال له ارسل
اللجام فقد تعاطيت امرا عظيما قال ان لي اليك حاجة قال اصبر
حتا انزل قال لا الآن فقهره فقال اذكرها قال هي سر فادنا اليه
راسه فقال له انا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه
فقال دعني حتا ارجع الى اهلي واقضي حاجة واودعهم قال لا والله
لا ترا اهلك ومالك ابدا فقبض روحه وخر كانه خشبة ثم مضا فلقي
عبدا مومنا في تلك الحال فسلم فرد السلام فقال ان لي اليك حاجة
اذكرها في اذنك فقال هات سره فقال انا ملك الموت
فقال مرحبا

فقال مرحبا واهلا بمن طالت غيبته فوالله ما كان لي في الارض غايبا
احب الي منك ان القاه فقال ملك الموت اقضي حاجتك التي خرجت لها
قال ما لي حاجة اكبر عندي ولا احب من لقاء الله قال فاخترعلى اي
حالة ووجه اقبض روحك قال تقدر على ذلك قال نعم اني امرت بذلك قال
فدعني حتى اتوضا واصلي واقبض روحي وانا ساجد فقبض روحه
على تلك الحالة رحمه الله وايانا قال وقال ابو بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني
اسرآييل مالا فلما اشرف على الموت قال لبنيه اروني اصناف اموالي فاتي بشي
كثير من الخيل والرقيق وغيره فلما نظر اليه بكى تحسرا عليه فرآه ملك الموت
وهو يبكي فقال ما يبكيك فوالذي خولك ما انا بخارج حتى افرق بينك
وبين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى افرقه قال هيهات هيهات انقطعت
المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور اجلك فقبض روحه وروي ان رجلا جمع
مالا فاوعى ولم يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه
بابين وثيقين وجمع حرسا من غلمانه ثم جمع اهله وصنع لهم طعاما وقعد
على سريره ورفع احدى رجليه على الاخرى وهم ياكلون فلما فرغوا قال يا نفس
انعمي لسنين قد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى اقبل عليه ملك الموت
في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يشبه بالمساكين فقرع
الباب قرعة عظيمة قرعا افزعه وهو على فراشه فوثب اليه الغلمان
وقالوا ما شانك قال ادعوا الي سيدكم فقالوا والي مثلك يخرج مولانا قال نعم
فاخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وصنعتم فقرع الباب قرعة اشد من الاولى
فوثب اليه الحرس فقال اخبروه اني ملك الموت فلما سمعوا القي عليهم الرعب

والثنا على مولاهم الذل والتخشع قال قولوا له قولاً لينًا وقولوا هل تأخذ
معه احدًا فدخل عليه فقال اصنع في مالك ما انت صانع فاني لست
بخارج حتى اقبض روحك فامر بماله فوضع بين يديه فقال حين رآه لعنك
الله من مال شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني من ان اتخلى لربي فانطق
الله ذلك المال فقال تسبني وقد دخلت بي على السلاطين وترد المتقين عن ابوابك
استحقارًا لهم وكنت تنكح المنعمات وتجلس مجالس الملوك بي وترد المسعى عن ذلك
في سبيل الشر فلا امتنع منك ولو انفقتني في سبيل الخير نفعتك خلقت
انا وابن آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك
الموت روحه وسقط وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح
جبار من الجبابرة قبيل ما في الارض مثله ثم عرج به الى السما فقالت الملايكة
لمن كنت اشد رحمة ممن قبضت روحه قال امرت بقبض روح امراة في
فلاة من الارض فاتيتها وقد ولدت مولودًا فرحمتها لغربتها ورحمت
ولدها الصغير وكونه في فلاة لا متعهد لها فقالت الملايكة الجبار الذي
قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحانه
اللطيف لما يشاء وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من الجبابرة من بني اسرائيل
جالس في منزله قد خلا ببعض اهله اذ نظر الى شخص قد دخل من باب بيته
فثار اليه فزعًا مغضبًا فقال له من انت ومن ادخلك علي داري
فقال اما الذي ادخلني عليك الدار فربها واما انا فانا الذي لا امنع مني حاجب
عنيد ولا شيطان مريد قال فسقط ما في يد الجبار وارتعد حتى سقط
مكبا على وجهه ثم رفع اليه راسه مستعطفا متذللا فقال له انت
اذًا

اذًا ملك الموت قال انا هو قال فهل انت ممهلي ضما اخذ عهدي
قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت انفاسك ونفذت ساعاتك
فليس الى تاخيرك سبيل قال فالى اين يذهب بي قال الى عملك الذي
قدمته والى بيتك الذي مهدته قال فاني لم اقدم عملا صالحا ولم
امهد حسنا قال فالى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط بين
اهله فمن بين صايح وباك قال يزيد الرقاشي لو يعلمون سوء المنقلب
كان العويل اكثر في ذلك اكثر التنبيه الخامس في بيان وفاة
والخلفا الراشدين من بعده اعلم ان في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
اسوة حسنة وقدوة مستحسنة حيًا وميتا قولا وفعلا فان جميع
احواله عبرة للناظرين وبصيرة للمستبصرين اذ لم يكن احد اكرم على
الله تعالى منه لانه كان خليل الله وحبيبه ونجيه وصفيه ورسوله
ونبيه وجملة ما نذكره من ذلك وفاة حمس الوفاة الاولى وفاة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اختار الله له حواسه واقامه في الدنيا بقدر
تبليغ الرسالة ونقله الله تعالى الى جنته فانظر هل امهله الله تعالى ساعة
عند انقضاء مدته وهل اخره لحظة بعد حضور منيته لا بل ارسل
الله الملائكة الكرام الموكلين بقبض ارواح الانام فجروا بروحه
الزكية لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر الى
رضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد
عند ذلك النزع كربه وظهر انينه وترادف قلقه وارتفع حنينه و
اضطرب في الانقباض والانبساط شماله ويمينه وحنا بكي
لمصرعه من حضر وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره

صلى الله عليه ... وفاة الرسول

فهل رايت منصب النبوة دفع عنه مقدورا او هل راقب الملك
فيه اهلا وعشيرا او هل سامحه اذ كان للحق نصيرا وللخلق نذيرا
وتدبيرا هيهات هيهات بل امتثل ما كان به مامورا واتبع ما وجد في اللوح
المحفوظ مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام
المحمود والحوض المورود واول من تنشق عنه الارض وهو
صاحب الشفاعة يوم العرض والعجب انا لا نعتبر به ولسنا على ثقة
فيما نلقاه بل نحن اسرا الشهوات وقرنا المعاصي والسيئات فما بالنا
لا نتعظ بمصرع سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب رب
العالمين لعلنا نظن انا مخلدون او نظن نتوهم انا بسوء افعالنا
مكرمون هيهات هيهات ما ابعد هذا الوهم بل نتيقن انا جميعا على
الحق واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون
وللصدور منها متوهمون فما نحن والله من المتقين ولا ننجو منها
الا برحمة من ارحم الراحمين فلينظر كل عبد الى نفسه هل هو الى
الظالمين اقرب ام الى المتقين وانظر الى الفقد بعد ان تنظر
الى سيرة السلف الصالح فلقد كانوا مع ما وافقوا الامر الخائفين
ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من اكرم على المتقين اذ كان سيد
النبيين وقائد المتقين فانظر كيف كان كربه عند فراق الدنيا
وكيف اشتد امره عند الانقلاب الى جنة الماوى وروى سعيد
بن عبد الله عن ابيه قال لما رات الانصار ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
يزداد ثقلا فدخل عليه الفضل بن العباس فاعلم بذلك ثم دخل
عليه امير المؤمنين كرم الله وجهه عند يده وقال

ها

لما فتنا ولوه فخرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وكيُئا على
امير المومنين والفضل والعباس اماه ورسول الله صلى الله
عليه واله وسلم معصوب الراس يخط برجليه حتى جلس على اسفل
مرقاة من المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس بلغني انكم
تخافون علي الموت كانه استنكار وما تنكرون من موت نبيكم الم
انع اليكم وانع اليكم انفسكم هل خلد نبي قبلي ممن بعث فاخلد فيكم
الا واني لاحق بربي وانكم لاحقون به وروى ابن مسعود ان
الرسول صلى الله عليه واله وسلم قال لابي بكر سل يا ابا بكر فقال يا
رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ابو بكر ليهنك
يا رسول الله ما عند الله فليت شعري ما منقلبك فقال الى الله تعالى
والى سدرة المنتهى ثم الى جنة الماوى والفردوس الاعلى والكاس
الاوفى والرفيق الاعلى والروض والعيش المهنى فقال ابو بكر من يلي
غسلك يا رسول الله فقال رجال من اهل بيتي الادنى فالادنى قال
ففيم نكفنك قال في ثيابي هذه او في حلة يمانية او في بياض مصر
قال كيف الصلوة عليك فارتجت منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا عفى الله لكم
وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري
هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فاول من يصلي علي الله
تعالى وهو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم ياذن للملائكة في الصلوة
علي فاول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبريل وميكائيل واسرافيل
ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم انتم فادخلوا علي افواجا وسلموا
تسليما وليبدا منكم الامام واهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمرة النا

افيد

ثم زمرة الصبيان قال فمن يدخله القبر قال زمر اهل بيتي الادنى فالادنى
قالت عائشة لما كان اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
قال لي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اخرجوا عني فهذا الملك يستاذن علي
فخرج من في البيت غيري وراسه في حجري فجلس وتنحيت في ناحية البيت
فناجاه الملك طويلا ثم انه دعاني واعاد راسه في حجري ثم قال للنسوة
ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل فقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم
اجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال ان الله عز وجل ارسلني
وامرني ان لا ادخل عليك الا باذنك فان لم تاذن لي رجعت
وان اذنت لي دخلت وامرني ان لا اقبضك الا باذنك فما امرك
فقلت اكفف حتى ياتيني جبريل فجاء جبريل في ساعته فوقف حيثه
وخرج اهل البيت فقال يا جبريل ان ملك الموت استاذن علي فقال
جبريل ان ربك محتاج اليك فانه متم شرفك وكرامتك وانه ما
استاذن على احد قبلك ولا يستاذن على احد بعدك فقال الرسول صلى الله عليه
واله وسلم لجبريل لا تبرح حتى يجي اذا وعند هذا اذن الملك بالخروج
قالت وجاء ملك الموت فسلم على الرسول صلى الله عليه واله وسلم واستاذن
فاذن له فقال الملك ما تامرني يا محمد قال الحقني بربي الان قال بلى من
يومك هذا اما ان ربك المشتاق اليك فقبض الملك روحه الكريم فخرج
جبريل عليه السلام وقال السلام عليك يا رسول الله هذا اخر ما انزل فيه الى الارض
ابدا اطوي الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الارض حاجة غيرك ثم
لزوم موقفي فهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم

وقد



وقد حذفنا كثيراً من الحكايات ميلاً الى الايجاز ولم يترك صلى الله عليه
واله وسلم سيداً ولا وليداً ولم يترك بعد وفاته مالاً ولا بنا في حياته لبنة
على لبنة ولا قصبة على قصبة ففي وفاته عبرة لسائر المسلمين

الوفاة الثانية وفاة امير المؤمنين كرم الله وجهه ورضي الله عنه

ولقد كان الرسول صلى الله عليه واله وسلم اخبره بذلك ونعى اليه نفسه
حيث قال اشقى الناس رجلان احيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك على
هذه فيبل منها هذه اراد على فرقه فيبل منها اللحية ولما كان الليلة
التي اصيب فيها عليه السلام اتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه
بالصلوة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك فعاد الثالثة
فقام عليه السلام يمشي وهو يقول

اشدد حيازيمك للموت ۞ فان الموت لاقيكا ۞ ولا تجزع من الموت ۞
اذا حل بواديكا ۞

ولقد كان عليه السلام يقول بعد ان ضرب على ام
راسه كم اطردت الايام اسئلها عن مثل هذي الامر فابى الله الا كتمانه فلما بلغ
الباب الصغير شد عليه اللعين ابن ملجم فضربه حتى خرجت ام راسه فخرجت ام
كلثوم فقالت مالي ولصلوة الغداة قتل فيها زوجي وقتل فيها ابي وروي
انه عليه السلام لما ضرب قال فزت ورب الكعبة وروي انه لما
ضرب كرم الله وجهه ما زال ينطق لسانه بالشهادة حتى قبض ولما
نقل حسن علي عليهما السلام دخل عليه اخوه الحسين عليهم الصلوة
والسلام فقال يا اخي اي شيء تجزع تقدم على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
وعلى علي ابن ابي طالب وهما ابواك وعلى فاطمة بنت اسد وخديجة
بنت خويلد وهما اماك وعلى جعفر وحمزة وهما عماك فقال يا اخي اقدم
على امر لم اقدم على مثله الوفاة الثالثة ابو بكر ولما احتضر ابو بكر قال

انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد
احوج وقال له ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الا ندعو لك الطبيب ينظر فقال قد نظر الي وقال اني فعال لما اريد
ولما ثقل من مرضه واراد الناس منه ان يستخلف فاستخلف عمر فقال
الناس استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك قال اقول
استخلفت على خلقك خير خلقك ثم ارسل الى عمر فجاءه فقال اني موصيك
بوصية اعلم ان لله حقا في النهار لا يقبله في الليل وان له حقا
في الليل لا يقبله في النهار وانه لا يقبل الله النافلة حتى تودي الفريضة
وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا
وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما
خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الباطل
وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف وان الله
تعالى ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول
القائل انا دون هولاء ولا ابلغ مبلغ هولاء وان الله ذكر اهل النار باسوا
اعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوه فيقول القائل انا افضل
من هولاء وان الله تعالى ذكر اية الرحمة واية العذاب فيكون المومن راغبا
راهبا ولا يلقي بيده الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت
وصيتي فلا يكون غائب احب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت
وصيتي فلا يكون غائب ابغض اليك من الموت ولست تعجزه وهذه
وصيته عند موته ٥ الوفاة الرابعة وفاة عمر عمرو بن ميمون

كنت

كنت قائما غداة اصيب عمر ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
وكان اذا مر بين الصفين قال استووا حتى اذا لم
ير خللا تقدم فكبر قال وربما قرا سورة يوسف او النحل ونحو ذلك
في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني
او اكلني الكلب حين طعنه ابو لؤلؤة فطار العلج بسكين ذات
طرفين لا يمر على احد يمينا ولا شمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر
رجلا فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما راى ذلك رجل
من المسلمين طرح عليه برنسا فلما راى العلج انه ماخوذ نحر نفسه
وتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه فاما من كان يلي عمر فقد راى
ما رايت واما من كان في نواحي المسجد فانهم لا يدرون ما الامر غير
انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم
عبد الرحمن صلوة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني
فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة فقال قاتله الله
لقد كنت امرت به معروفا فقال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يد
رجل مسلم فحملوه الى داره فشرب لبنا فخرج من جرحه فعلم الناس انه
ميت ثم استاذن عائشة ان يدفن في بيتها فاذنت له ثم جاءت
بنته حفصة فدخلت عليه فبكت ساعة ثم خرجت من عنده فقالوا
له اوص واستخلف فقال ما احق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين
مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض فسمى امير المؤمنين كرم الله
وجهه وعثمن وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن
عوف وقال اوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف

لهم حقهم ويحفظ لهم ذمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوؤا الدار
والايمان الوفاة الخامسة وفاة عثمن عن ثمامة القشيري قال
شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمن فقال انشدكم الله الا ما ايتموني
بصاحبيكم اللذين البأكم علي فجيء بهما كانهما جملان او حماران فاشرف
عليهم عثمن فقال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم حين قدم المدينة وليس فيها ما يستعذب
غير بير رومه فقال من يشتري بير رومه يجعل دلوه مع دلا المسلمين
بخير له منها في الجنة فاشتريتها من طيب مالي فانتم اليوم
تمنعونني ان اشرب منها ومن ما البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم
بالله هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في
الجنة فاشتريتها من طيب مالي وانتم اليوم تمنعوني ان اصلي
فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال انشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون
اني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم قال انشدكم بالله
وبالاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان على
ثبير ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت احجاره بالحضيض
قال فركضه الرسول صلى الله عليه واله وسلم برجله فقال اسكن فانما عليك
نبي وصديق وشهيد قالوا اللهم نعم قال الله اكبر شهدوا ورب الكعبة
اني شهيد وروى عن شيخ من بني ضبة ان عثمن حين ضرب والدماء
تسيل على لحيته جعل يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
اللهم اني استعينك عليهم واستعينك على ما ابتليتني واسالك الصبر على



231

اموري وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمر بالموت حين خرج ما ذا قال
عثمر وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد صلى الله عليه واله وسلم
ثلاثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله ان لا يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا الى يوم
القيمة فهذا ما اردنا ذكره من وفاة هولا وانما اوردناه لما فيه من المواعظ
والذكر المنبهات لمن له قلب سليم فلينظر الى تلك المصارع فيعلم انه لا محالة مصروع
ولاحق بهم وظلا تقهم من الاعراض عن الدنيا والزهد فيها الشبيه
في بيان اقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين وغيرهم
من اهل الزهد والعبادة عند الاحتضار للموت وعند القبور عند
موت الاولاد فهذه مقامات ثلاثة نذكر ما يتعلق بكل واحد منها من
كلامهم النافعة الواقعة في القلوب المقام الاول في ذكر اقوالهم
عند الموت حكي انه لما حضرة معاذ الوفاة قال اللهم اني كنت اخافك
وانا اليوم ارجوك اللهم انك تعلم اني لم اكن احب الدنيا وطول البقاء
فيها لجري الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظماء الهواجر ومكابدة الساعات
ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع ونزع نزعا
لم ينزعه احد فكان كلما افاق من غمرة فتح طرفه ثم قال يا رب اخنق خنقك
فوعزتك انك تعلم ان قلبي يحبك ولما حضرة سلمان الوفاة بكى فقيل
له ما يبكيك فقال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم ان تكون بلغة احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات
سلمان نظر في جميع ما ترك فاذا قيمته بضع عشر درهما ولما حضرت
بلالا الوفاة قالت امراته واحزناه فقال بل واطرباه غدا نلقى الاحبه
محمدا وحزبه ولما حضرت ابرهيم النخعي الوفاة قالوا
فبكى فقيل ما يبكيك قال انتظر من الله رسولا يبشرني من الله بالجنة او النار
ولما حضرت ابن المنكدر الوفاة فبكى فقيل ما يبكيك فقال والله

ما ابكي لذنب اعلم اني اتيته ولكن اخاف اني اتيت شيئا حسبته هينا
وهو عند الله عظيم ۞ ولما حضرت عامر بن قيس الوفاة بكى فقيل ما يبكيك
فقال ما ابكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن ما يفوتني من ظما الهواجر
وعند قيام الليل في الشتاء ۞ ولما حضرت فضيلا الوفاة غشي ثم فتح عينيه
وقال وا بعد سفري وقلة زادي ۞ ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال
لنصر مولاه اجعل راسي على التراب فبكى نصر فقيل ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه
من النعيم وانت هو ذا تموت غريبا فقيرا قال اسكت فاني سالت الله ان يحييني
حياة الاغنيا ويميتني موت الفقرا ثم قال له لقني ولا تعد علي ما لم اتكلم الكلام
ثان ۞ وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال اية من كتاب الله
عز وجل انما يتقبل الله من المتقين ۞ ودخل الحسن عليه السلام على رجل يجود
بنفسه فقال ان امرا هذا اوله لجدير ان يتقى آخره وان امرا هذا آخره
لجدير ان يزهد في اوله ۞ وقيل لبشر بن الحرث لما احتضر وكان يشق عليه
الكلام كانك تحب الحيوة قال القدوم على الله شديد ۞ وقيل لصالح الا توصي
بابنك قال اني استحيي من الله ان اوصي بابني وعيالي الى غيره ۞ ولما
احتضر ابو سليمن الداراني اتاه اصحابه فقالوا ابشر فانك تقدم على رب
كريم غفور رحيم فقال الا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسب
على الصغير ويعاقب على الكبير ۞ ولما احتضر الواسطي قيل له اوصنا
قال احفظوا مراد الحق فيكم ۞ واحتضر بعضهم فبكت امراته فقال
ما يبكيك قالت عليك ابكي فقال ابكي على نفسك فلقد بكيت
لهذا اليوم اربعين سنة ۞ ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفاة
شهده حذيفة فوجده قلقا فقال يا ابا محمد هذا اوان القلق
والجزع فقال يا ابا عبد الله كيف لا اقلق ولا اجزع واني لا اعلم اني

صدقت الله

صدقت الله في شي من عملي فقال حذيفة واعجباه لهذي الرجل الصالح
يحلف عند موته انه ما صدق الله في شي من عمله ﴿ واحتضر بعض الزهاد
في وقت وفاته فقال يكنك ان تعلم ما تريد فارق بي ﴿ ودخل المزني
على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف اصبحت يا با
عبد الله قال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي
ملاقيا ولكاس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا ادري اروحي
تصير الى الجنة فاهنيها ام الى النار فاعزيها ﴿ ولما احتضر بعض
الزهاد سئل عن مسئلة فدمعت عيناه وقال يا بني بابا كنت
ادقه خمسا وتسعين سنة لهو ذا الا ادري ايفتح لي بالسعاده
او بالشقاوه فانا في اوان الجواب فهذه اقاويلهم عند الموت مختلف
وانما كان اختلافها بحسب اختلاف احوالهم في الخوف والرجاء والشوق
والمراقبه فكل واحد منهم حسب علما يعلم من حاله ﴿ فنسال الله ان يرزقنا
صدق الرجا فيه وان يمنحنا من الخشيه والخوف منه بلطفه وطوله

المقام الثاني في بيان اقاويلهم على الجنايز والمقابر اعلم ان في

الجنايز عبر لكل بصير وفيها تنبيه للعاقل وتحذير وفيها موعظه وتذكير الا
لاهل الغفله فانه لا يزيدهم مشاهدتها الا قساوه لانهم يظنون انهم
ابدا الى جنايز غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا محاله على الاعواد محمولون
او يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون ان المحمولين على
الجنايز كلهم هكذى كانوا يحسبون فبطل حسابهم والقرض على القرب
رقابهم فلا ينظر عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولة عليها لانه الحاله
على القرب وكان قد روي عن ابي هريرة انه كان اذا راى جنازة قال
امضوا وانا على الاثر ﴿ وكان مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغدوا فانا رايحون

موعظه بليغه و غفله شنيعه يذهب الاول والآخر اعقل له وقال
اسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثت نفسي بشي سوى
ما هو مفعول به وما هي صائره اليه ۞ ولما مات اخ لمالك بن دينار
خرج مالك في جنازته وهو يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم
الى ما ذا صرت ولا اعلم ذلك ما دمت حيا ۞ وقال الاعمش كنا نحضر الجنائز
فلا ندري من نعزي لحزن الجميع فهكذا كان خوفهم من الموت والآن لا
ننظر الى جماعه يحضرون جنازة الا واكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون
الا من ميراثه ولا يتفكر احد منهم في نفسه ۞ ونظر ابرهيم الزيات
الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمتم على انفسكم لكان خيرا لكم
انه قد نجا من اهوال ثلاثه وجه ملك الموت قد رآه ومرارة الموت
قد ذاق وخوف الخاتمه قد امن ۞ وقال الضحاك قال رجل يا رسول الله
من ازهد الناس قال من لم ينس القبر والبلا وترك فضل زينة الحيوة
الدنيا ولم يعد غدا من ايامه وكان من اهل القبور ۞ وقيل
لامير المومنين كرم الله وجهه ما شانك جاورت المقبره فقال
اني لاجدهم خير جيران جيران صدق يكفون الالسنه ويذكرون الآخره
وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما رايت منظرا الا والقبر افظع
منه وروي عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم انه خرج الى قبر والدته آمنة بنت
وهب فبكى وابكانا فقال اني استاذنت ربي في زيارتها فاذن ولم
ياذن لي في الاستغفار لها فادركني ما يدرك الولد من الرقه وعن عثمن
انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول القبر اول منازل
الآخره فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر منه وان لم ينج منه فما
بعده اشد ۞ وقال مجاهد اول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول انا

بيت.

بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة فهذا
ما اعددت لك فما اعددت لي وقال ابو الدردا الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع
في قبري وكان الحسن صالح اذا اشرف على المقابر يقول ما احسن هذه
الظواهر وانما الدواهي في البواطن وكان عطا السلمي اذا جن عليه الليل
خرج الى المقبرة ثم يقول يا اهل القبور متم فوا موتاه وعاينتم اعمالكم فوا
عملاه ثم يقول عطا في القبر فلا يزال ذلك دابه حتى يطلع الفجر وقال
سفين الثوري من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن اغفل
عنه وجده حفرة من حفر النار وقال بعض الزهاد تعجب الارض من رجل
يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فتقول الارض يا ابن آدم الا
تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شي وقال ميمون بن مهران خرجت
مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكا ثم اقبل
فقال يا ميمون هذه قبور آباء بني امية كلهم لم يشاركوا اهل الدنيا في
لذاتهم وعيشهم اما تراهم صرعا قد حلت بهم المثلات واستحكم
فيهم البلا واصابت الهوام مقيلا في ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا
انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن من عذاب الله فهذه معا لانهم على الجنائز
والقبور تدل على الاحزان في قلوبهم وتوقد النيران في افئدتهم في المقابر
حق على من مات ولده او قريبه ان ينزله في تقدمه عليه في الموت منزلة ما لو
كان في سفر فسبقه الى البلد الذي هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه
تاسفه لعلمه انه لاحق به على القرب فليس بينهما الا التقدم والتاخر
وهكذا حال الموت فان معناه السبق الى الوطن الى ان يلتحق به المتاخر
واذا اعتقد هذا قل جزعه لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يخ

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن أقدم سقطا أحب إلي من أن أخلف
مائة فارس كلهم مقاتل في سبيل الله وإنما ذكر السقط تنبيها
بالأدنى على الأعلى وإلا فالثواب على قدر محل الولد من القلب وقال بعض من
أسلم لما توفي ولد لداود عليه السلام حزن عليه حزنا شديدا فقيل له
ما كان عدله عندك قال ملء الأرض ذهبا فقيل له فإن لك من الأجر مثل ذلك
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم
إلا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واثنان
قال واثنان وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فإنه أرجى ما وأقرب
إلى الإجابة ووقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم إني أصبحت أرجوك
وأخافك فحقق رجائي وآمن خوفي ووقف أبو سنان على قبر ابنه
فقال اللهم إني قد عفوت عما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك
عليه فإنك أجود وأكرم ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال
اللهم إني قد وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك
ولما مات ذر بن عمر قام أبو عمر بعد ما وضع في لحده فقال يا ذر لقد
شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا
قيل لك ثم قال اللهم إن هذا ذر متعتني به ووفيته أجله ورزقه
ولم تظلمه اللهم وقد ألزمته طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الأجر
في مصيبتي فقد وهبت ذلك له فهب لي عذابه ولا تعذبه فأبكى الناس
ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا إلى
إنسان مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك

ونظر



ونظر رجل الى امراه بالبصره فقال ما رايت مثل هذه النظاره وما
ذاكه الا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله انى لفى حزن ما شركني فيه احد قال وكيف
قالت ان زوجي ذبح شاة في يوم الاضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال
احدهما للاخر تريد ان اريك كيف ذبح ابي الشاه قال نعم فاخذه فذبحه
فما شعرنا الا به متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلحق الجبل
فرهقه ذئب فاكله وخرج ابوه في طلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت
فافردني الدهر بامثال هذه المصائب وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم انه قال لا يموت لاحد ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وقال صلى
الله عليه وآله وسلم اذا امر الله الملائكة بقبض روح ولد الرجل فقبضوا روحه
فيقول الله ماذا قال والدك فتقول الملائكة صبرا واحتسابا فيك
فيقول الله اشهدكم اني قد جعلت ثوابها الجنة وقال صلى الله عليه وآله
وسلم زوروا القبور تذكرها الاخرة واغسل الموتى فان في معالجة
جسد خاو فيه موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك ان
يحزنك فان الحزين في ظل الله فيستحب في زيارة القبور ان
تقف مستدبر القبلة مستقبلا لوجه الميت وان تسلم ولا تمسح القبر ولا
تقبله ولا تلمسه فان ذلك من عادة النصارى قال نافع كان ابن
عمر رايته مائة مرة اذا كان يجي الى القبور يقول السلام على النبي السلام
على ابي بكر السلام على ابي وينصرف وعن ابي امامه قال رايت انس
بن مالك اتى قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت
انه افتتح الصلوة فسلم على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم انصرف

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما الميت في قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر
دعوة تلحقه من ابيه واخيه او صديق له فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما
فيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار ويستحب الثناء على الاموات
وان لا يذكروا الا بالجميل قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا
مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا الاموات
وان يكونوا من اهل النار حسبهم ما هم فيه وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ان العبد ليموت فيثني عليه القوم ثناء يعلم الله منه خيره فيقول الله
للملائكة اشهدوا اني قد قبلت شهادة عبيدي وتجاوزت عن علمي في عبدي
فهذا ما اردنا ذكره من ذكر الاقاويل عند الموت وعلى الجنائز والمقابر
ثم ان من اعظم الدواهي واكبرها ان الانسان لا يرضا ان يكون على حالته التي هو
عليها ومع ذلك يعلم قطعا ويقينا انه على ضعف وهوان وتبخر ونقصان
فهذا جهل مفرط وحمق مستول فلا حول ولا قوة الا بالله وانا به عائذون
التنبيه السابع في بيان ما نلقاه في القبر الى نفخة الصور اعلم انا قبل الخوض
فيما نريد ان نذكر حقيقة الموت فيها خبط عظيم بين العلماء وفيه مذاهب
اربعة المذهب الاول ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة
للخير والشر وان موت الانسان كموت الحيوان وجفاف الاشجار وهذا
هو راي الملحدين وكل من كان لا يؤمن بالله واليوم الآخر وهذا هو راي
الفلاسفة ايضا فانهم بكفرهم زعموا انكار اليوم الآخر على ما جاءت به الرسل
صلوات الله عليهم ونطقت به ظواهر الشريعة ورجعوا الى هذيانات باطلة
وتمويهات كاذبة المذهب الثاني زعم قوم انه ينعدم بالموت ولا يتالم بعقاب
ولا ينعم بثواب ما دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر وهذا هو راي
المنكرين لعذاب القبر المذهب الثالث قاله آخرون ان الروح

باقيه



باقيه لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الارواح دون الاجساد
وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر اصلا **المذهب الرابع وهو المختار**
الذي نطقت به الآيات وشهدت به الاخبار ان الموت معناه تغير حال فقط
وان الروح باقيه بعد فراق الجسد اما معذبه واما منعمه ومعنى مفارقتها
للجسد هو انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضا
آلة للارواح تستعملها حتى انه يبطش باليد ويمشي بالرجل ويسمع بالاذن ويبصر
بالعين وكذلك فانه يتنعم بانواع الفرح والسرور ويتألم بانواع الاحزان والغموم
فكل ما كان وصفا للروح بنفسه فهو باق معه بعد مفارقة الجسد وما هو لها
بواسطة الاعضا فيتعطل بموت الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد وهذا
هو الذي يريده اهل العدل بقولهم ان الانسان بنية مخصوصة هي المثابة والمعاقبة
المخاطبة وعلى هذا يحمل ما ورد في الآيات والاخبار وفيه كلام كثير لا حاجة بنا
الى استقصائه ومقدار الغرض حاصل بما ذكرنا هاهنا فاذا تمهدت هذه
القاعدة فلنذكر كلام القبر للميت ثم نردفه بالكلام في عذاب القبر ثم نذكر
على اثره سوال منكر ونكير فهذه مقامات ثلاثة نفصلها بمعونة الله تعالى

المقام الاول في بيان كلام القبر للميت اما بلسان المقال واما بلسان الحال

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن
آدم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الوحدة وبيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت
الدود ما غرك بي اذ كنت تمر علي فذاذا والفذاذ هو الذي يقدم رجلا ويؤخر
اخرى هكذا افسره الراوي فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب القبر فيقول ارايت
ان كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا اتحول عليه خضرا ويعود
جسده نورا ويصعد روحه الى الله تعالى قال بعض الزهاد مررت

يموت الا دنه حفرته التي يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد
وقال يزيد الرقاشي بلغني ان الميت اذا وضع في قبره واحتوشته اعماله
ثم انطقها الله فقالت ايها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون
فلا انيس لك اليوم عندنا وقال كعب اذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته
اعماله الصالحة الصلوة والصوم والحج والجهاد والصدقة قال وتجي ملائكة
العذاب من قبل رجليه فتقول الصلوة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد اطال
الله القيام عليهما فياتونه من قبل راسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه
فقد اطال ظماه في دار الدنيا فياتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد
اليكم عنه فقد انصب نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد لا سبيل لكم عليه
فياتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا وخلوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت
من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه
فيقال له هنيئا لك طبت حيا وطبت ميتا قال وتاتيه ملائكة الرحمة فتفرش
له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى
بقنديل من الجنة فيستضئ بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره فهذا
كلام القبر كما ترى **المقام الثاني في بيان عذاب القبر** قال البراء بن عازب
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على جنازة رجل من الانصار فجلس
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على قبره منكسا راسه ثم قال اللهم
اني اعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المؤمن اذا كان في قبل من
الاخرة بعث الله ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوط وكفن فيجلسون
مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل
ملك في السماء وفتحت ابواب السماء فليس منها باب الا ويحب ان يدخل روحه

منه

منه فاذا اصعد بروحه قال اي رب ان عبدك فلان فيقول ارجعوه
فاروه ما اعددت له من الكرامه فاني وعدته بقوله منها خلقناكم وفيها
نعيدكم الآيه وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من
ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد
صلى الله عليه وآله وسلم فينتهرانه انتهارا شديدا وهي آخر فتنة تعرض
على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد ان صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت
الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا والآخرة ثم ياتيه آت
حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر بالله برحمة من ربك
وجنات لهم فيها نعيم مقيم فيقول وانت بشرك الله بخير من انت فيقول انا
عملك الصالح والله ان كنت لسريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله
خيرا قال فينادي مناد ان افرشوا له فرشا من الجنه وافتحوا له بابا الى الجنه
فيفرش له فرشا من الجنه ويفتحوا له بابا من الجنه فيقول اللهم عجل قيام
الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي **وأما الكافر فاذا كان في**
قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت عليه ملائكة غلاظ شداد معهم
ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه
كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السما وغلقت ابواب السماء
فليس منها باب الا ويكره ان يدخل بروحه منه وقيل ان عبدك فلان
لم تقبله سما ولا ارض فيقول ارجعوا فاروه ما اعددت له من الشر
اني وعدته بقوله منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآيه وانه ليسمع خفق نعالهم
اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول
لا ادري ثم ياتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول

ابشر بسخط الله وبعذاب اليم فيقول بشرك الله بشر من انت فيقول
انا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا في معصية الله بطيئا عن طاعته
فجزاك الله شرا فيقول وانت فجزاك الله شرا ثم يقيض له اصم اعمى ابكم
معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان ان يقلوها ما استطاعوا ولو
ضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه ضربة فيصير ترابا ثم يعود فيه الروح فيضرب
بها ضربة يسمعها من على وجه الارض غير الثقلين ثم ينادي مناد ان افرشوا له
لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح
له باب الى النار وقال محمد بن علي ما من ميت يموت الا مثلت له اعماله عند الموت
اعماله الحسنة واعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق من سيئاته
وقال ابو هريرة قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان المومن اذا احتضر اتته
الملائكة بحريرة فيها مسك وظفائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة
من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضية ومرضيا
عنك الى روح الله تعالى وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك
المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين
وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح فيه جمر فتنزع روحه انتزاعا
شديدا ويقال ايتها الروح الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك
الى هوان الله تعالى وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمر وان
لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين حيث تكون ارواح
الشياطين ونكتفي بهذا القدر من عذاب القبر ففيه كفاية في مقدار
غرضنا والله اعلم المقام الثالث في بيان سوال منكر ونكير

وضغطه



وضغطه القبر وبقية الكلام في عذاب القبر قال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان
يقال لاحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان ما كنت تقول في النبي فان كان
مومنا ثبته الله وهداه للصدق فيقول هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا
اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقولان له ان كنا لنعلم انك تقول
ذلك ثم يفسح له قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره
فيقول دعوني ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له لا سبيل الى الرجوع ولكن
نم فينام كما ينام العروس التي لا يوقظها الا احب اهلها اليها حتى
يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال لا ادري سمعت الناس
يقولون شيئا فكنت اقوله فيقولان له ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم
يقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها اضلاعه فلا يزال
معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وعن عطاء بن يسار قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك اذا انت مت
فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك
فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم حملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلون عليك
التراب ويدفنونك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما
كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويبحثان
القبر بانيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون
معي عقلي الآن قال نعم قال فاذا اكفيكهما وهذا النص صريح في ان
العقل لا يتغير بالموت وانما تتغير الاعضاء والبدن والعاقل هو

الروح وعلى هذا يكون الميت عاقلا مدركا عالما للآلام واللذات
كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل متغير بحال ح قال محمد بلغني ان
الكافر تسلط عليه دابة في قبره عمياء صماء في يدها سوط من حديد
في رأسها مثل عرف الخيل تضربه الى يوم القيمة لا تراه فتسمعه ولا تسمع صوته
فترحمه ح قال سفيان تحاج الاعمال الصالحة عنه كما يحاج الرجل عن
اخيه واهله وولده ثم يقال له بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلا
اخلاؤك ونعم الاصحاب اصحابك ح وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه
ثم قال يضغط المومن في هذا ضغطة يرد منها حمائله وقالت
عائشة ح ان للقبر ضغطة لو سلم منها او نجا احد لنجا منها سعد بن معاذ
وعن انس بن مالك قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
وكانت امرأة مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فساء
حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج اسفر وجهه
فقلنا يا رسول الله رأينا منك شيئا فمما ذلك ح قال ذكرت ضغطة القبر
ابنتي وشدة عذاب القبر فأتيت فاخبرت ان الله تعالى قد خفف عنها
ولقد ضغطت ضغطة سمعها من بين الخافقين غير الجن والانس ح
وقال ابو هريرة اذا وضع الميت في لحده جاءت اعماله الصالحة فاحتوشته
فان اتاه من قبل رأسه جاءت قراءة القرآن وان جاء من قبل رجليه جاء من
اجل قيامه وان اتاه من قبل يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسطهما
للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه

وكذلك



وكذلك العلماء والصبر بناحيه فيقول اما انى لو رايت خلالا لكنت
انا صاحبه ثم قد نجز غرضنا من هذه المقاله الذي جعلناها جامعه
لاحوال الميت من موته الى نفخة الصور ونشرع الآن في نفخة الصور الى
اخر الاستقرار **المقالة العاشرة** من علوم الكتاب وهي
اخر الديوان في ذكر احوال الميت من وقت نفخة الصور الى اخر
الامر في ذلك من الاستقرار في الجنة او النار وتفصيل ما بين يديه
من الاهوال والاخطار **واعلم** ان هذه المقالة مشتملة على شرح العظام
التي نحن مقابلوها وجملة ما نورد في ذلك يحصل في تنبيهات عشر
نوضحها بمعونة الله تعالى **التنبيه الاول** في بيان نفخ الصور
واعلم انا قد ذكرنا فيما سبق جملة احوال الميت في سكرات الموت ومشاهده
الملائكة ثم مقاساة ظلمة القبر وديدانه ثم منكر ونكير وسؤالهما ثم عذاب
القبر وخطره واعظم من ذلك الاخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث
يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال على القليل والكثير ونصب الميزان
ثم انتظار النداء عند فصل القضاء اما بالسعاده واما بالشقاوه
فهذه الاهوال والاخطار لا بد لك من معرفتها ثم الايمان بها على سبيل
الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فيها لتنبعث من قلبك دواعي
الاستعداد واكثر الخلق لم يدخل الايمان باليوم الاخر قلوبهم ولم يتمكن
من سويداء قلوبهم واذا اشتغلوا عن اليوم الاخر نطقت به السنتهم
وغفلت عنه قلوبهم ومن شاهد عجائب الخلق في النطفة القذرة
وتركيبها على هذا التركيب العجيب وهكذا سائر المكونات لم يستبعد

وكذلك

النشاة الثانية فانها مثل الاولى واسهل منها واذا كنت
قويا في الايمان فاشعر قلبك تلك المخاوف والاخطار واكثر فيها
الفكر والاعتبار وتفكر اولا فيما يقرع اهل القبور من شده نفخة
الصور فانها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى فيثورون
دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متحيرا وجهك مغبرا
بدنك من قرنك الى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة
شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلائق ثورة واحدة من القبور التى
طال فيها بلاؤهم وقد ازعجهم الفزع والرعب مضافا الى ما كان عليهم
من الهموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة الامر كما قال تعالى
ونفخ في الصور فصعق من في السموات والارض ثم نفخ فيه اخرى فاذا
هم قيام ينظرون وقال تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يوم عسير
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة
واحدة تاخذهم وهم يخصمون الى قوله عز وجل وصدق المرسلون
فلو لم يكن بين يدي المرء الا هول تلك النفخة لكان جديرا بان يتقى
فانها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات ومن في الارض اي يموتون
بها الا من شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك قال الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن
وحنى الجبهة واصغى بالاذن متى يؤمر فينفخ قال مقاتل
الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل واضع فاه على القرن كهيئة
البوق ودائرة راس القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص
ببصره نحو العرش فينتظر متى يؤمر ينفخ النفخة الاولى واذا نفخ

239

صعق من في السماوات ومن في الارض اي مات كل حيوان من شدة الفزع الا من
شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يامر ملك الموت ان يقبض
روح جبريل ثم روح ميكائيل واسرافيل ثم يامر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلائق بعد
النفخة الاولى في البرزخ اربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل فيامره ان ينفخ الثانية فذلك
قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون على ارجلهم يتمشون على ارجلهم الى
البعث وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم حين بعث اني بعثت وصاحب الصور فاه في
به الى فيه وقدم رجلا واخر اخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ الا فاتقوا النفخ فتفكر في الخلائق
وذلهم وانكسارهم وانكسار قلوبهم واستهانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه
الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة او شقاوة وانت بالمسكين فيما
بينهم منكسر امثل انكسارهم متحير امثل تحيرهم بل ان كنت في الدنيا من اهل الترف والتنعم و
والاغنياء المتنعمين ملوك الارض في ذلك اليوم هم اذل اهل الجمع واصغرهم
واحقرهم يوطئون بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال
منكسة رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة
تدنست بها ولكن حشرهم شدة الصعقة وهي النفخة وشغلهم من الهرب من الخلق
والتوحش بهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين المتمردة
بعد تمردها وعتوها واذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله سبحانه تصديقا
لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك
وحال قلبك مما يلحقه من الطيش والفشل والازعاج ه

التنبيه الثاني في بيان صفة ارض الحشر واهله

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور وهم حفاة عراة الى ارض المحشر
ارض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا ترى فيها ربوة يختفي
الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين بل هو صعيد واحد بسيط لا
تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف اصنافهم
من اقطار الارضين اذ يساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي

النفخة الاولى والرادفة هي الثانية وحق لتلك القلوب ان تكون يومئذ
واجفة ولتلك الابصار ان تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء عفراء كقرصة نقي قال الراوي ليس فيها
معلم لاحد والعفرة بياض ليس بالناصع والنقي هو الخالص من الغش والنخالة فلا بناء
يستر ولا تفاوت يرد البصر والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر
يا مسكين في طول ذلك اليوم وشدته فاذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت
فوقهم نجوم السماء وانطمست الشمس والقمر فاظلمت الارض لخمود سراجها فبينما انت كذلك اذ
تنزلت السماء من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدتها وغلظها خمس مائة عام
والملائكة على حافاتها وارجائها سهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة
فصارت وردة كالدهان فصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن
واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يبعث الناس حفاة عراة عرلا قالت سودة واسوتاه ينظر بعضنا الى بعض
فقال شغل الناس عن ذلك لكل امرء منهم يومئذ شان يغنيه قال ابو هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يحشر الناس يوم القيمة ثلاثة اصناف ركبانا ومشاة وعلى
وجوههم ومن طبع الانسان انكار كل ما لم يانس به ولو لم يشاهد الانسان الحية
لانكر مشيها على بطنها فاياك ان تنكر شيئا من عجائب القيمة واهوالها لمخالفته قياس
اهوال الدنيا واحضر في قلبك صورتك وانت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا
متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من الاهوال وحرف وطاس سمعك ترا
من تغير الاحوال واعظم ما يجري عليك هو سماع النداء والقضاء بالسعادة او الشقاوة
فاعظم بهذه الحالة فانها العظيمة واستعد لذلها فانها منا القريبة والله اعلم الحق

التنبيه الثالث

في بيان صفة العرق يوم القيمة ثم تفكر في نفسك اذا عند
ازدحام الخلائق واجتماعهم الذين حصلوا في الموقف وازدحموا عليه اهل
السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس

والشيطان

وشيطان وهوام وسبع وطير فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة امرها ثم ادنيت من رؤس العالمين قاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل العرش ولا يستظل به الا المقربون فمن بين مستظل بظل العرش ومضحيا بحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه و غمه من وهج حرها ثم تزاحمت الخلايق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام و اختلاف الاقدام وانضاف الى ذلك شدة الخجل والحياء من الافتضاح والخزي عند العرض على جبار السماء واجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى يسال ذلك على صعيد القيمة ثم ارتفع الى ابدانهم بقدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه و بعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه وبعضهم كاد ان يغيب فيه وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم هكذا رواه البخاري في صحيحه وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تدنو الشمس يوم القيمة من الارض فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ فخذيه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه فاشار بيده فالجمها ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه هكذا فتامل يا مسكين في عرق اهل المحشر وشدة كربهم وان فيهم من ينادي فيقول رب ارحني من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدري اين يبلغك العرق واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله وحج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في امر بمعروف او نهي عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيمة ويطول فيه الكرب وتعظم فيه الاحزان فسال الله تعالى بجوده النجاة من عظائم اهواله والفوز بجواره وكرم افضاله التنبيه الرابع في بيان [illegible]

واوضح علا السنة الرسل علامته وبرهانه فلنذكر صفة طوله وما يجري فيه
من الدواهي فهذان مقامان نوضحهما بعونه الله تعالى **المقام الاول**
في بيان صفة طوله فقد قيل ان الخلائق يقفون شاخصة ابصارهم منفطرة قلوبهم
لا يكلمون ولا ينظر في امرهم ثلثمائة عام لا ياكلون فيه اكلة ولا يشربون فيه شربة ولا
يتصل بوجوههم روح نسيم قال كعب وقتادة في تفسير قوله تعالى يوم يقوم الناس
لرب العالمين قال يقومون ثلثمائة عام وفي حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم وقال الحسن
ما ظنك بقوم اقاموا على اقدامهم خمسين الف سنة لا ياكلون فيها اكلة
ولا يشربون فيها شربة حتى انقطعت اعناقهم عطشا واحترقت اجوافهم
جوعا ثم يؤمر بهم الى النار فيسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد نفحها
فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم مولاه
ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال نفسي نفسي شغلني امري
عن امر غيري واعتذر كل واحد منهم بشدة غضب الله وقالوا قد غضب ربنا اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه
ما ثم لمن يؤذن له فيه لا يملكون الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا
واعلم ان كل من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات
فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة وقال صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل عن طول ذلك
اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون اهون عليه من الصلوة
المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من اولئك المؤمنين فمهما بقي لك نفس من
عمرك فالامر اليك والاستعداد كله بيديك فاعمل في ايام قصار لايام طوال تربح ربحا
لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة لتتخلص
يوم كان مقداره خمسين الف سنة فلو لم تعمل الا المهمات الخلاص من ذلك اليوم

دون

دون رجآء الجنة والحذر من النار لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا فكيف
ينضم اليه من الاهوال العظام والدواهي التي تذهب العقول والاحلام

المقام الثاني في بيان ما يجري فيه من الحوادث الفاجعة

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شانه المديد وقته وزمانه القاهر
سلطانه القريب اوانه يوم السما فيه انفطرت والجبال سيرت والكواكب من
هواه انتثرت والنجوم الزواهر انكدرت والشمس فيه كورت والعشار
عطلت والوحوش حشرت والبحار سجرت والنفوس زوجت والجحيم
سعرت والجنة ازلفت والجبال نسفت والارض فيه قد مدت يوم زلزلت
واخرجت الارض اثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث اخبارها
بان ربك اوحى لها يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يوم حملت
الارض والجبال فدكتا دكة واحدة يوم وقعت كل واقعة وانشقت السماء
فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية
يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال وترى الارض بارزة ثم
رجت فيه الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس
كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش ثم تذهل كل مرضعة عما
ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله
الواحد القهار يوم تنسف الجبال نسفا فتترك قاعا صفصفا لا ترى
فيها عوجا ولا امتا يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
يوم انشقت السماء فيه فكانت وردة كالدهان فيومئذ لا يسال عن
ذنبه انس ولا جان يوم يمنع فيه الفصيح من الكلام ولا يسال فيه عن الاجرام
بل يوخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا

يوم تعلم فيه كل نفس ما احضرت وتشهد ما قدمت واخرت يوم تخرس
فيه الالسنه وتنطق فيه الجوارح يوم شيّب ذكره سيد المرسلين اذ قال
له الصديق اراك قد شبت قال شيبتني هود والواقعه والمرسلات وعم يتسالون
وكورت فيا ايها القاري العاجز حظك من قراتك ان تمجج القرآن وتخضخض به
اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقراه لكنت جديرا بان تنشق مرارتك مما شاب
منه شعر سيد المرسلين واذا قنعت بحركة اللسان وقد حرمت ثمرة القرآن فالقيمه
احد ما ذكر الله فيه وقد وصف الله بعض دواهيه واكثر من ذكر اساميها لتتفق
من كثرة اساميها على كثرة معانيها فليس المقصود بكثرة الاسامي معرفة الالقاب
بل الغرض التنبيه لذوي العقول والالباب فتحت كل اسم من اسمائها اسرار
ومصالح وفي كل نعت من نعوتها معان وفوائد فاحرص على ادراك معانيها

التنبيه الخامس في بيان اسماء القيمة والقابها اعلم ان اختلاف
الالقاب عليه واسناد الاسماء الكثيرة اليه انما كان من اجل ما يحصل فيه من الاهوال
وما يشاهد فيه من تغيير القلوب والاحوال وهي

٥ يوم القيمة، يوم الحسرة، يوم الندامه، يوم المحاسبه، يوم المسئلة،
١١ يوم الصاخة، يوم الجمع، يوم الوعيد، يوم الموعود، يوم المسابقة، يوم الفراق،
١٧ يوم الدين، يوم معلوم، يوم المناقشة، يوم الحساب، يوم القرار، يوم المصير،
٢٣ يوم الازفة، يوم البعث، يوم الرجفة، يوم التكرة، يوم الصاعقة، يوم البلاء،
٢٩ يوم الرجفة، يوم الراجفة، يوم الوعد، يوم الفزع، يوم المنتهى، يوم الداهية،
٣٥ يوم الحق، يوم الطامة، يوم عظيم، يوم المواود، يوم الميعاد، يوم التلاق،
٤١ يوم الجزاء، يوم المرصاد، يوم العرق، يوم التناد، يوم عسير، يوم الاحتقار،
٤٧ يوم الافتقار، يوم العذاب، يوم النشور، يوم اللقاء، يوم الصيحة، يوم الانشقاق،

يوم



يوم الانتشار ، يوم الخزي ، يوم الدمدمة ، يوم الخلود ، يوم الخروج ٥٢
يوم التغابن ، يوم الحشر ، يوم القارعة ، يوم موعود ، يوم الوزن ٥٧
يوم الغاشية ، يوم الفصل ، يوم الحاقة ، يوم مشهود ، يوم تبلى السرائر ٦٢
يوم الصيحة ، يوم التلاق ، يوم الزجرة ، يوم عقيم ، يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ٦٧
يوم القصاص ، يوم الجامع ، يوم اليقين ، يوم المآب ، يوم الميقات ، يوم تشخص فيه الابصار ٧٣
يوم النفخة ، يوم القرار ، يوم الزلزال ، يوم العقبا ، يوم القلق ، يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ٧٩
يوم الواقعة ، يوم البكا ، يوم الانكدار ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، يوم الرادفة ، يوم العرض ٨٥
يوم البعث ، يوم يجمع الماء والاولاد ، يوم يدعون الى نار جهنم دعا ٩١
يوم الوقوف ، يوم الازفة ، يوم الحكم ، يوم تخشع فيه الابصار يوم ٩٥
تكشف فيه الاثار ، يوم الختم ، يوم تقلب وجوههم في النار ، يوم يساق فيه العباد ٩٩
يقل فيه الانتفاع ، يوم لا يجزي والد عن ولده ، يوم توزن فيه الحسنات ، يوم يسكر فيه الكبير ١٠٣
يوم الغضب ، يوم يفر المرء من اخيه ، يوم تظهر فيه الاشهاد ، يوم توضع فيه الموازين ١٠٧
يوم السخط ، يوم لا ينطقون ، يوم لا يؤذن لهم فيعتذرون ، يوم ييأس الكفار يوم ١١٣
تغلي فيه الجحيم ، يوم الكلام ، يوم لا مرد له من الله ، يوم تسير فيه الجبال ، يوم لا ١١٨
يوم برزت فيه الجحيم ، يوم الشدايد ، يوم هم على النار يفتنون ، يوم تسكن فيه الاصوات ١٢٥
يوم هم بارزون ، يوم تسعر فيه النيران ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ، يوم ١٢٩
ينفع مال ولا بنون ، يوم تبلى السرائر ، يوم ترد فيه المعاذير ، يوم يشيب منه الصغير ١٣٣

يوم تظهر فيه الخطيات ، يوم تتغير فيه الالوان ، يوم تزفر فيه النار ، يوم تظهر فيه الضماير ، ٥
يوم تنشر فيه الدواوين ، وارخيت الستور
فيا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث اغلقت الابواب واستترت عن الخلايق ولابت الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك فالويل
كل الويل لنا معشر الغافلين ارسل الله الينا سيد المرسلين وينزل علينا الكتاب المبين
وخبرنا بهذه الصفات ونعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم
وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم

ثم يعرفنا قرب القيمة بقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر انهم يرونه بعيدا
ونراه قريبا وما يدريك لعل الساعة قريب ثم يكون احسن احوالنا ان نتخذ دراسة
علما فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة اوصاف يوم الدين ولا نستعد للفرار
من عظائم دواهيه فنعوذ بالله من غفلة مستولية على القلوب ونستجير بالله من
استحكام الزلل وغلبة الذنوب **التنبيه السادس في بيان صفة النار**
واهوالها وانكالها ايها الغافل عن نفسه المشغول بما هو فيه من شواغل
الدنيا المشرفة على الانقضاء دع الفكر فيما انت مرتحل عنه واصرف فكرك الى موردك
فانك اخبرت ان النار مورد الجميع حيث قال وان منكم الا واردها فانت من الورود
على يقين فكيف حال الصدور وتامل في حال الخلايق وقد قاسوا من اهوال الحشر
وما قاسوا فبينما هم في كربها واهوالها وتحقيق اذا احاطت بالمجرمين سود
اعمالهم ونحن الآن نشير الى صفاتها على جهة الاجمال اعلم ان حال النار اعظم
من ان يوصف وعذابها اكبر من ان يكيف فبينما اهل الاجرام والآثام في المحشر
على ما اصابهم من تلك النوالات اذ غشيتهم ظلمات ذات شعب واظلت عليهم نار
ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فايقن
المجرمون عند ذلك بالعطب وجثت الامم على الركب واشفق البراء من سوء المنقلب
وخرج المنادي من الزبانية قائلا اين فلان بن فلان المسوف في الدنيا نفسه بطول الامل
المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد
ويسوقونه الى العذاب الشديد ويردونه في قعر جهنم ويقولون ذق انك انت العزيز
الكريم فاسكنوا دارا ضيقة الارجا مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير
ويوقد فيها السعير فشرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم
امانيهم فيها الهلاك وما لهم عنها فكاك قد شدت اقدامهم الى النواصي واسودت
وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من اكنافها ويصيحون من اطرافها يا مالك
قد حق علينا الوعيد يا مالك قد اثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا

الجلود

الجلود يا مالك اخرجنا منها فانا لا نعود فتقول الزبانية هيهات هيهات ولات حين
امان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون لو اخرجتم لكنتم الى ما نهيتم
عنه عائدين فعند ذلك يندمون على ما فرطوا في جنب الله ويأسفون فلا ينجيهم الندم
ولا يغنيهم الاسف بل يكبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر تعلوهم والنار
من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن ايمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار
وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران
وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها
ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النار كغلي القدر ويهتفون بالويل والعويل ومهما
دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود لهم مقامع
بامهم فينفجر الصديد من افواههم وتنقطع من العطش اكبادهم وتسيل على الخدود
احداقهم وتسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الاطراف شعورها بل جلودها
وكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وعرى من اللحم عظامهم فتبقى الارواح
منوطة بالعروق وعلائق العصب وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك
لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم اشد سوادا من الحمم واعميت ابصارهم وبكمت
السنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت
ايديهم الى اعناقهم وجمع بين نواصيهم واقدامهم يمشون على النار بوجوههم ويطئون
حسك الحديد باحداقهم فلهب النار يسكن في بطون احداقهم وحيات الهاوية
وعقاربها متشبثة باعظامهم فهذه جملة احوالهم على جهة الاجمال فيما يتصل
بهم من النكال

التقرير الثاني في بيان ذكر صفاتهم على جهة التفصيل

وتفصيل النكالات الحاصلة بهم لا يعلم كنهها الا الله تعالى ولكنا نشير منها الى انواع
عشر **النوع الاول** امكنة النار وهي دركات بعضها فوق بعض فالاعلى
جهنم ثم [2] سقر ثم [3] لظى ثم [4] الحطمة ثم [5] السعير ثم [6] الجحيم ثم [7] الهاوية

قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان في جهنم سبعون الف واد في كل واد
سبعون الف شعب في كل شعب سبعون الف ثعبان وسبعون الف عقرب
لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال صلى الله عليه وآله وسلم تعوذوا
بالله من جب الحزن قيل يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم
في كل يوم سبعين مرة اعده الله للقراء المرائين النوع الثاني طعامهم وهو الزقوم
قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لو ان شيئا من الزقوم اخرج الى الدنيا لافسد
على اهل الدنيا معايشهم وقال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع
وقال تعالى وطعاما ذا غصة النوع الثالث شرابهم وهو الغساق وهو الصديد الذي
يسيل من ابدانهم قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لو ان دلوا من غساق اهل جهنم
القي في الدنيا لانتن اهل الارض والصديد يجول تحتها ويسقى من ماء صديد والاخر فوقها
تعالى فان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب النوع الرابع
الجوع قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب
فيستغيثون بالطعام والشراب فاما الطعام فيرفع اليهم الزقوم بكلاليب حديد من نار
فاذا دنا من وجوههم شوى وجوههم فاذا دخل بطونهم قطع امعاءهم واما الشراب فهو
الحميم النوع الخامس النار وعقاربها قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان في النار حيات
مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وان فيها العقارب
مثل البغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا النوع السادس
تعظيم اجسامهم فان الله تعالى يزيد في اجسامهم طولا وعرضا حتى يعظم عقابهم
بلسع الحيات والعقارب ولفح النار قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ضرس
الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ميلين النوع السابع البكاء والتهيق
والعويل الذي لم ينفع قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يرسل على اهل النار البكاء
حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يجري في وجوههم كهيئة الاخاديد حتى
لو ارسلت فيه السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والعويل والتهيق

والزفير

والزفير والدعا بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم ممنوعون من ذلك

النوع الثامن الحسرة العظيمة بفوات الجنة ونعيمها قال الرسول صلى الله عليه
واله وسلم يوتى يوم القيمة بناس من اهل النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا
رايحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها فيها فتصرف وجوههم عنها
فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون بمثلها النوع التاسع القيود في ارجلهم والسلاسل
في اعناقهم والاغلال يسحبون بها في النار على وجوههم قال الله تعالى مقرنين في الاصفاد
وقال اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون النوع العاشر قال الله تعالى
سرابيلهم من قطران وانما قال من قطران لان النار الى القطران اسرع ما
يلوح والشد حرا فهذه اوصاف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها واحزانها
ومحنها وحسراتها لا نهاية لها وقد قال صلى الله عليه واله وسلم يوتى يوم القيمة بكبش
املح فيذبح بين النار والجنة ثم يقال يا اهل النار خلود ولا موت ويا اهل الجنة خلود ولا موت
عن مالك بن انس في قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال يصبرون
مائة سنة ثم يجزعون مائة سنة ثم يقولون بعد ذلك ما لنا من محيص فانظر
ايها الغافل المسكين في هذه الاهوال واعلم ان النار خلقها الله تعالى باهوالها
وخلق لها اهلا لا يزيد ولا ينقص وان هذا امر قد قضي وفرغ منه فانظر لك احوالك
واعمالك فان كل ميسر لما خلق له فان كان قد يسرك سبيل الخير فابشر بالسعادة
الابدية والبعد من النار وان كنت لا تقصد خيرا الا وتحيط بك العوايق فتدفعه
عنك ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك فاعلم انك الى الخسارة فنسال الله تعالى الصدق
وحقه والعمل الخالص لوجهه وقربا من رضوانه وبعدا من عقابه

الباب السابع في ذكر صفة ابواب الجنان ونعيمها

اعلم ان هذه الدار التي عرفت غمومها وشرورها تقابلها دار اخرى فتامل
نعيمها وسرورها فان من بعد من احدهما استقر لا محالة في الاخرى فاستثر

الحق من قلبك بطول الفكر في الجحيم المليم واسعد الرجا بطول الرجا للنعيم
المقيم لاهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وزمام الرجا الى الصراط المستقيم
فبه تنال الملك العظيم وتسلم برحمة الله من العذاب الأليم ونحن الآن نشير الى نعيم
اهل الجنة تارة على جهة الاجمال وتارة على جهة التفصيل فهذان مقامان

المقام الأول من جهة الاجمال فاعمل فكرك في اهل الجنة فتجدهم كما حكى الله سبحانه
تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك
جالسين على منابر من الياقوت الاحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها
بسط من العبقري الاخضر ومتكئين على ارائك منصوبة على اطراف الانهار
المطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من
الخيرات الحسان كانهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احداهن في مشيتها حمل اعطافها
سبعون الفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ما تتحير
فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات عطرات
غنجات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في قصور من الياقوت
يغبت في وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون
ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب واباريق وكاس من معين ويطوف عليهم
خدام وولدان كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام
أمين في جنات وعيون في مقعد صدق عند مليك مقتدر
ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد اشرقت في وجوههم نضرة النعيم لا يرهق
وجوههم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع الطرف والتحف يتعهدون

وهم فيها اشتهت انفسهم خالدون لا يخافون ولا يحزنون وهم عن ريب
المنون آمنون فهم فيها يتنعمون ويأكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها اللبن
والخمر والعسل التي انهار ارضها فضة وحصاها درّ ومرجان وعلى ارض ترابها
مسك اذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على
كثبان الكافور ويؤتون من اكواب واي اكواب فضة مرصعة بالدر والياقوت
والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج بماء السلسبيل العذب وكوب اشرق
نوره من صفاء جوهرته والشراب من ورائها لرقته وحمرته لم يصنعه آدمي فيقصر
في صنعته وتحسين صناعته في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في اشراقها ولكن
اين الشمس من حلاوة وجهه صورته وحسن اصداغه وملاحة احداقه فيا عجبا
لمن يؤمن بهذه الدار التي وصفناها ويوقن انه لا يموت اهلها ولا يحل الفجائع بمن
نزل بفنائها ولا ينظر الاحداث بعين التغيير الى اهلها كيف يأنس بدار
قد اذن الله في خرابها ويتهنى بعيش دونها والله رحم لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان
مع الامن من الخوف والجوع والعطش وسائر اصناف الحدثان لكان جديرا بان
يهجر الدنيا بسببها وان لا يؤثر عليها دار التصرم والتنغيص من ضروراتها كيف
واهلها ملوك آمنون في انواع السرور متنعمون لهم فيها ما يشتهون وهم ما يدعون
في كل يوم بفناء العرش يحضرون والى رحمة الله وثوابه ينظرون وهم على الدوام
بين اصناف هذه النعم مترددون ومن زوال النعيم آمنون لا يمسهم فيها نصب
وهم فيها خالدون قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادخل
اهل الجنة في الجنة نادى مناد ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا
تموتوا ابدا وان لكم ان تشبّوا فلا تهرموا ابدا ونودوا ان تلكم الجنة
اورثتموها بما كنتم تعملون فهذا بيان وصف علامات الاجال قد اشرنا اليه بما

[illegible] والسلام عليكم [illegible]

المقام الثاني في ذكرها على جهة التفصيل فتأمل

عدد الجنان فهي كثيرة أي جنة الفردوس أي وجنة المأوى ١
وجنة عدن وجنة الخلد وجنة النعيم وفي قوله تعالى ولمن خاف مقام
ربه جنتان جنة من فضة آنيتها وما فيها وجنة من ذهب آنيتها
وما فيها ونحن الآن نشير الى تفصيل نعيمها ونشير الى اصناف عشرة

الصنف الأول في صفة ابواب الجنة وهي كثيرة بحسب اصول الطاعات
فمن كان من اهل الصلوة دعي من باب الصلوة ومن كان من اهل الصيام دعي من
باب الريان ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة وان فعل هذه
الطاعات كلها دعي من هذه الابواب كلها وهي ثمانية وابواب النار سبعة

الصنف الثاني حيطانها وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان حائط الجنة لبنة
من ذهب ولبنة من فضة ترابها زعفران وطينها مسك وسئل رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص والله اعلم

الصنف الثالث اشجارها وانهارها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
انهار الجنة تتفجر من تحت تلال او من تحت جبال المسك وقال ابو هريرة ان في الجنة
شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرؤوا ان شئتم وظل ممدود وقوله تعالى
وسدر مخضود أي خضد الله شوكها فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم انفتق
الثمر عن اثنين وسبعين لونا ما فيها لون يشبه الآخر **الصنف الرابع** لباس
اهل الجنة قال الله تعالى يلبسون من سندس واستبرق متقابلين وقال تعالى
لباسهم فيها حرير وقال تعالى متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان
وقال رجل اخبرنا يا رسول الله عن ثياب اهل الجنة تخلق خلقا ام تنسج
فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضحك بعض القوم فقال صلى الله عليه
وآله وسلم

واله وسلم ثم تضحكون من جاهل بيال عالمكم قال صلى الله
عليه واله وسلم بل ينشق من ثمر الجنة من بين اكمامها وينفتح عنها
الصنف الخامس حلية اهل الجنة قال الله تعالى يحلّون فيها من اساور
من فضة وقال تعالى يحلون فيها اساور من ذهب ولولوا وقال الرسول
صلى الله عليه واله وسلم ان عليهم التيجان ان ادنى لولوة تضيء ما بين المشرق
والمغرب وقال صلى الله عليه واله وسلم من يدخل الجنة ينعم ولا يبؤس ولا تبلى
ثيابه ولا يفنى شبابه وفي الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر **الصنف السادس** فرشهم وسررهم واراكهم وخيامهم قال
تعالى على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين وقال تعالى فيها سرر مرفوعة
واكواب موضوعة وقال تعالى متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنا
الجنتين دان وقال صلى الله عليه واله وسلم ما بين الفرشين كما بين السماء
والارض وقال تعالى متكئين فيها على الارائك وقال تعالى حور مقصورات
في الخيام وقال ابن عباس رضي الله عنهما الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة
الاف مصراع من ذهب وفي حديث اخر الخيمة درة مجوفة طولها في السماء
ستون ذراعا ميلا في كل زاوية منها للمؤمن اهل لا يرون الاخرين
الصنف السابع طعام اهل الجنة قد ذكره الله تعالى في كتابه الكريم كقوله
تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وقال تعالى ولحم طير مما يشتهون وقال تعالى
بفاكهة ولحم مما يشتهون وقال واتوا به متشابها وقال الرسول
صلى الله عليه واله وسلم تحفة اهل الجنة عند دخولهم الجنة زيادة كبد الحوت وعامة
نور الجنة الذي كان ياكل من اطرافها وقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم
ان الرجل من اهل الجنة لينظر الى الطير في الجنة فيشتهيه فيخر بين يديه
مشويا وما ياكلونه من الطعام فانه يكون عرقا يفيض من جلودهم مثل
المسك وقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم ان في الجنة طيرا امثال البخاتي

فقال ابو بكر انها لناعمة فقال صلى الله عليه واله وسلم اكلها انعم منها
وانت ممن ياكلها يا ابا بكر وقال عبد الله بن عمر في قوله تعالى يطاف عليهم
بصحاف من فضة قال يطاف عليه بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها
لون غير الاخر الصنف الثامن شرابهم وهو كما قال تعالى فيها انهار
من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى وقال تعالى يتنازعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وقال
تعالى يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وقال تعالى ومزاجه من تسنيم وقال تعالى
ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا وقال تعالى
ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا وقال ابو الدردا في قوله تعالى
ختامه مسك قال هو شراب ابيض لونه مثل الفضة يختم به آخر شرابهم لو ان
رجلا من اهل الدنيا ادخل يده فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريحها الصنف
التاسع صفة الحور العين والولدان وهم كما قال الله تعالى حور مقصورات
في الخيام وقال تعالى كانهن الياقوت والمرجان وقال عز وعلا وعندهم قاصرات
الطرف عين وقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم لو ان امراة من اهل الجنة اطلعت
على الارض لاضاءت وملات ما بينهما ريحا ولنصيفها خير من الدنيا وما فيها
وقال صلى الله عليه واله وسلم كانهن الياقوت والمرجان قال تنظر الى وجهها
في خدرها اصفى من المراة وان ادنى لولوة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب
وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من
وراء ذلك وقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم لما اسري بي دخلت موضعا
يقال له البيدخ عليه خيام اللولو والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر
فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ما هذا النداء قال
هولاء المقصورات في الخيام يستاذن ربهن في السلام عليك فاذن

لكن

لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن الخالدات فلا
نظعن ابدا وقرا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حور مقصورات في الخيام
وقال مجاهد ولهم فيها ازواج مطهرة قال من الحيض والغائط والبول والبزاق
والنخامة والمني والولد • وقال الاوزاعي قوله في شغل فاكهون ان
شغلهم كان في افتضاض الابكار **الصنف العاشر في بيان جمل من**
اوصاف الجنة قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه الا هل مشمر للجنة ان
الجنة لا نظير لها وهي ورب الكعبة نور يتلألأ و
ريحانة تهتز • وقصر مشيد • ونهر يطرد • وفاكهة كثيرة •
نضيجة • وزوجة حسناء جميلة • في حبرة ونعمة • في مقام ابدا ونضرة
في دار عالية • قالوا نحن المشمرون لها قال قولوا ان شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وجاء
رجل فقال يا رسول الله هل في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان احببت
ذلك اتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت وجاء
رجل وقال يا رسول الله هل في الجنة ابل فان الابل تعجبني فقال يا عبد الله
ان دخلت الجنة فلك فيها ما اشتهيت ولذة عيناك • وقال الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم ان ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم وسبعون
زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية
وصنعاء وان عليهم التيجان وان ادنى لؤلؤة فيها لتضيء ما بين المشرق
والمغرب وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان في الجنة حورا يقال لها
العيناء اذا مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون الف وصيفة
وهي تقول اين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر • وقال الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم ان في الجنة لياقوتة فيها سبعون الف دار في كل
دار سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا نقب • وقال كعب
خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قال

لها تكلمي فقالت قد افلح المومنون هذه ما اردنا ذكره في صفات الجنة واهلها
على جهة الاجمال والتفصيل والله اعلم

التنبيه الثامن

في ذكر الصراط والميزان والحوض اعلم ان هذه الامور
الثلاثة لا بد منها في يوم القيمة وقد وردت بها الاخبار فلا حاجة بنا الى تاويلها
بل نبقيها على ظواهرها لما فيها من الزجر والتحفظ على الاعمال ونذكرها في
مقامات ثلاثة المقام الاول في ذكر الميزان وصفته ثم اعمل فكرك في الميزان
وتطاير الكتب الى الشمائل والايمان فان الناس بعد السوال فرق ثلاث فرقة
ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق اسود فيلتقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم
فيلقيهم في النار فتبتلعهم النار وينادي عليهم بشقاوة لا سعادة بعدها
وفرقة اخرى لا سيئة لهم فينادي ليقم الحامدون لله تعالى على كل حال فيقومون ويسرحون
الى الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم
ينادي عليهم بالسعادة لا شقاوة بعدها وفرقة ثالثة هم الاكثرون خلطوا
عملا صالحا واخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله ان لهم حسناتهم و
سيئاتهم ولكن الله يابى الا ان يعرفهم سيئاتهم ليبين لهم فضله بالعفو
وعدله بالعقاب فعند ذلك تطاير الكتب والصحف منطوية على الحسنات
والسيئات وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب اتقع في
اليمين او في الشمال ثم الى لسان الميزان اتميل الى جانب الحسنات
او الى جانب السيئات وهذه حالة عظيمة تطيش فيها عقول الخلايق
وعن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بابن آدم يوم القيمة
حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك
بصوت يسمعه الخلايق سعد فلان سعادة لا شقاوة بعدها ابدا وان خف

مين انه نادى بصوت يسمعه الخلايق شقي فلان شقاوه لا سعاده
بعدها وعند خفة الميزان اقبلت الزبانيه وبايديهم مقامع من حديد
عليهم ثياب من نار فياخذون نصيب النار الى النار وعن عائشة انها
سالت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم هل يذكرون اهليهم يوم القيمة فقال
والذى نفسي بيده اما في ثلاثة مواطن فان احدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت
الموازين ووزنت الاعمال حين ينظر ابن آدم ايخف ميزانه او يثقل وعند
نشر الصحف حين ينظر ابن آدم ابيمينه ياخذ كتابه ام بشماله وعند الصراط
والهدى قال الله تعالى فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون المقام الثاني

في ذكر الصراط والهول الاعظم

فان الناس بعد هذه الاخطار يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار احد
من السيف وادق من الشعر وكل من استقام في الدنيا على الصراط المستقيم فانه يعبر
على صراط الاخرة وينجو ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا واثقل ظهره بالاوزار
والعصيان فانه يعثر على اول قدم من الصراط ويتردى فتفكر واخم ما يحل
بك من الفزع لفوادك اذا رايت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم
من تحته ثم قرع سمعك شهيق اهل النار وزفيرها وتغيظها وقد
كلفت ان تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل
اقدامك وتثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشي على بساط
الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك
فاحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع قدمك وتضع الثانية والخلايق
بين يديك يزلون ويعثرون وتتناولهم زبانية جهنم بالخطاطيف
والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينكسون فتستفل الى جهة

وتعلق ارجلهم فيا له من منظر ما افظعه ومرتقى ما اصعبه ومجاز ما اضيقه
فانظر الى حالك وانت تزحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر باوزارك تلتفت
يمينًا وشمالًا الى الخلق وهم يتهافتون والرسول صلى الله عليه واله وسلم يقول رب
سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط
من الخلايق فكيف لو زلت بك قدمك ولم ينفعك ندمك ورفعت صوتك
وقلت واويلاه هذا ما كنت اخافه يا ليتني قدمت لحياتي يا ليتني اتخذت
مع الرسول سبيلًا يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلًا يا ليتني كنت ترابًا
يا ليتني لم تلدني امي وعند ذلك تختطفك النيران والعياذ بالله وينادي
المنادي اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الى الصياح والانين و
والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك
فان كنت غير مؤمن به فما اطول مقامك مع الكفار في درجات جهنم وان كنت مؤمنا به
وعنه غافلا وبالاستعداد له متهاونا فما اعظم خسرانك وطغيانك وماذا
ينفعك ايمانك اذا لم يكن باعثا لك على السعي في طلب رضاه بطاعته وترك
معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط واضطراب قلبك من خوفه
وفزعه عند الجواز مع السلامة لكان كافيا هولا وفزعا قال الرسول صلى الله عليه واله
وسلم يضرب الصراط بين ظهري جهنم فاكون اول من يجوز بامتي من الرسل ولا يتكلم يومئذ
الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك
السعدان هل رايتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله غير انه لا يعلم قدرها الا الله
تختطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو قال ابو سعيد

الخدري



الحديث قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه
حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا وجنبيه ملائكة يقولون
اللهم سلم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح
ومنهم من يمر كالفرس المجرى ومنهم من يسعى سعيًا ومنهم من يمشي مشيًا
ومنهم من يحبو حبوًا ومنهم من يزحف زحفًا فاما اهل النار الذين هم اهلها
فلا يموتون ولا يحيون واما ناس فيأخذون بذنوب وخطايا وعن ابن مسعود
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال ان الله يجمع الاولين والآخرين لميقات
يوم معلوم قيامًا اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السماء ينظرون فصل القضاء
وان المومنين يعطون انوارًا فعلا قدر ما يحصل لهم من تلك الانوار يكون جوازهم
على الصراط فمنهم من يمر كطرفة العين ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر
كالريح ومنهم من يمر كشدة الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل ومنهم من يحبو على وجهه
ويديه ورجليه تجر يدًا ويعلق يدًا او يجر رجلًا ويعلق اخرى تصيب جوانبه وجليه
فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد اعطاني
ما لم يعط احدًا اذ نجاني منها بعد اذ رايتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة
فيغتسل فيه وقال انس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول
الصراط كحد السيف وكدقة الشعرة وان الملائكة ينجون المومنين والمومنات وان
جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي واني اقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ
خلق كثير فهذه احوال الصراط وعظائمه فطول فيها فكرك فانه اسلم منها الا من
طال فكره فيها فاما من غفل فليس سالمًا المقام الثالث في بيان ذكر الحوض
واوصافه اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها الرسول صلى الله عليه واله وسلم
وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن الآن نرجوان يرزقنا الله في الدنيا علمه
وفي الآخرة ذوقه وان من صفاته ان كل من شرب منه لم يظما ابدًا قال انس

فقلت يا رسول الله مم ضحكت قال آية انزلت علي آنفا وقرأ

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر

حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه
وعدنيه ربي عز وجل في الجنة وعليه خير كثير حوض ترد عليه امتي يوم القيمة آنيته عدد
الكواكب • وقال انس بن مالك قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بينما انا اسير في الجنة
اذا انا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا هو الكوثر الذي
اعطاك ربك وضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر • قال كان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يقول ما بين لابتي حوضي ما بين صنعا والمدينة او ما بين المدينة وعمان • وروى
ابن عمر لما نزل قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو نهر في الجنة
حافتاه من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واشد ريحا من
المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان • قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه اشد
بياضا من اللبن واحلى من العسل واكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم
يظمأ بعدها ابدا اول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين قال عمر بن الخطاب
من هم يا رسول الله قال هم الشعث رؤسا الغبر الدنس ثيابا الذين لا ينكحون
المنعمات • ولم تفتح لهم السدد • فقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه والله لقد نكحت المنعمات فاطمة
بنت عبد الملك وفتحت لي ابواب السدد الا ان يرحمني الله لا جرم لا ادهن راسي حتى
يشعث • ولا اغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ • وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة واني لارجو ان اكون اكثرهم واردة
وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان الحوض يشخب
فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة فهذه صفة الحوض •

التنبيه التاسع في ذكر المسئلة وبيان صفتها اعلم وفقك الله
ايها الغافل المسكين بعد وقوع هذه الاهوال فيما يرد عليك من السؤال شفاها
ومواجهة من غير ترجمان فتسئل عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينما انت
في كرب القيمة وعرقها وشدة عظائمها اذ نزلت ملائكة من ارجاء السماء باجسام
عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد امروا ان ياخذوا بنواصي المجرمين الى الموقف
العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ملكا ما بين شفري جفنيه مسيرة
مائة عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة ارسلوا اليك ليقام
العرض الاكبر وتراهم على عظم اشخاصهم وكبر اجسامهم منكرين تحت الهيبة والجلال
لشدة ذلك اليوم مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم
لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح الا ويخرون لاذقانهم خوفا من ان يكونوا هم
المأخوذين فهذا حال المقربين فكيف حالة العصاة المجرمين وعند ذلك
يبادر اقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة افيكم ربنا وذلك لما يشاهدون
من عظم تركيبهم وشدة هيبتهم فيفزع الملائكة من سؤالهم اجلالا لا
لخالقهم عن ان يوصف بهذا الوصف ويشار اليه بهذه الكيفية فينادون
باعلا اصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه اهل الارض ويقولون سبحان ربنا
ما هو فينا ولكن ياتي امره بانفاذ قضائه في خلقه وعند ذلك تقوم الملائكة
صفوفا محدقين بالخلائق من الجوانب ويكون على جميعهم شعار الذل والخضوع
والهيبة والخشوع وظهور المهابة والخوف والجزع من شدة ذلك اليوم وفزعه
وعند ذلك يصدق الله قوله فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين
الى قوله وما كنا غائبين وقوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون

فيبدأ بالانبياء وهو معنى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم
قالوا لا علم لنا فاعظم بشدة يوم تذهل فيه عقول الانبيا وتمحى علومهم من
شدة الهيبة وعظم العجز والوجل اذ يقال لهم ماذا اجبتم وقد ارسلتم الى الخلايق
وكانوا قد اعلموا فدهشت عقولهم فلا يدرون ماذا يجيبون من شدة الهيبة
اذا قيل لهم ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب وهم في ذلك
الوقت صادقون لان العقول فيه طايرة والعلوم عنهم ممحوة حتى يقويهم الله
تعالى فيدعى بنوح فيقول له هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولوا
ما اتانا من نذير ويوتى بعيسى فيقول الله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله فيبقى ... تحت الهيبة لاجل هذا السوال
منقادا الى الله عليه الذل من عظم ذلك المقام والمقال فما اعظم هذا اليوم
الذي يقام فيه السياسة على الانبيا بمثل هذا السوال مع عظم حالهم
عند الله ثم تقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا يا فلان بن فلان هلم
الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح
وتبهت العقول ويتمنى اقوام ان يذهب بهم الى النار ولا تعرض قبايح
اعمالهم على الملك الجبار ولا ينكشف استارهم على رءوس الخلايق وقبل
الابتدا بالسوال يظهر نور العرش واشرقت الارض بنور ربها
وايقن قلب كل احد باقبال الملك الجبار لمسالة العباد وظن كل واحد
انه ما يريد احدا سواه وانه المقصود بالاخذ والسوال دون غيره فيقول
الجبار عند ذلك يا جبريل ائتني بالنار وجاءها بالامر الى الاهي وقال
لها يا جهنم اجيبي خالقك ومليكك وصادفها جبريل على غيظها وغضبها
فلم تلبث بعد ندائه ان ثارت وفارت وزفرت الى الخلايق وشهقت

257

وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها وايقنوا انها متوثبة الى الخلائق
غضبا على كل من عصى الله وخالف امره فاحضر ببالك واحضر في قلبك قلوب
العباد وقد امتلأت خوفا وفزعا من زفراتها ولها ثلث زفرات في
الزفرة الاولى يتساقطون على ركبهم ويولون مدبرين فرارا منها وترى
كل امة جاثية كل امة تدعا الى كتابها ويسقط بعضهم على بعض للوجوه
منكبين وينادي الظالمون والعصاة المجرمون بالويل والثبور وينادي الاولياء
والصديقون والصالحون نفسي نفسي فبينما هم كذلك اذا زفرت
زفرت الزفرة الثانية تتضاعف احوالهم وتتخاذل قواهم وظنوا انهم
ماخوذون واشفقوا غاية الاشفاق وحصل عليهم من الذلة
والخوف فرقا منها وجزعا من شدة مايرون من غيضها الزفرة الثالثة
تتساقط الخلايق على وجوههم ويشخصون بابصارهم ينظرون من طرف خفي
فانضمت لذلك قلوب الظالمين فبلغت الافئدة لدى الحناجر
كاظمين وذهلت العقول من السعدا والاشقيا اجمعين وبعد
ذلك اقبل الله على الرسل فقال ماذا اجبتم فاذا رأوا ما اقيم من
الشيلة على الانبيا اشتد الفزع على العصاة فعند ذلك تفر
الوالد من ولده والاخ من اخيه والزوج من زوجته وبقا كل واحد
منتظر للامر ثم يفضوا واحدا واحدا ويسأله الله تعالى شفاها
من كل عمله قليله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه
واعضائه قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول الله
تعالى للعبد الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل وادرك
على احسن حاله واكرم هيئته فيقول العبد نعم فيقول الله تعالى افظننت انك ملاقي
فيقول لا فيقول الله فاني انساك كما نسيتني فتوهم نفسك يا مسكين
وقد اخذتك الملائكة بعضديك وانت واقف بين يدي الله يسألك

شفاها فيقول الم انعم عليك بالشباب ففيم ابليته الم امهلك في العمر
ففيم ذا افنيته الم ارزقك الاموال فمن اين اكتسبته وفيما ذا انفقته
الم اكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت فكيف ترى خجلك وهو يعد عليك
انعامه ومعاصيك واياديه ومساويك فاذا انكرت شهدت عليك
جوارحك وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليقفن احدكم بين يدي الله تعالى
ليس بينه وبينه حجاب فيقول الم اوتك مالا فيقول بلى فيقول الم ارسل
اليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يجد الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يجد
الا النار فليتق احدكم النار ولو بشق تمرة او بكلمة طيبة ان وجدها وقال
ابن مسعود رحمه الله ما منكم من احد الا ويقول الله تعالى له يا ابن ادم ما غرك بي يا ابن
آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين يا ابن آدم الم
اكن رقيبا عليك على يمينك وانت تنظر الى ما لا يحل لك وهكذى الى سائر
الاعضا فاعظم ايها الغافل المسكين عما يصلي لك وعما يغشك من الحياء
من اجل ذلك وبعد ذلك فانك بين حالتين عظيمتين اما ان يقال لك
قد سترتها لك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وعند هذا يعظم سرورك
ويتها تحبورك وفرحك يغبطك الاولون والآخرون بما حصل لك من
الفوز بالمغفرة والرضوان ونبرا ان يقال للملائكة خذوا بهذا العبد السوء
الذي بارز مولاه بالمخالفة والمعصية فغلوه ثم الجحيم صلوه فعند ذلك لو بكت
عليك السماء والارض وما فيهن لكان جديرا ابدا لعظم مصيبتك وشدة
حسرتك على ما فرطت من طاعة الله وعلى ما بعت به آخرتك من دنياك
الدنية التي ليست بباقية لك ولا لاحد غيرك فنعوذ بالله من خسارة الانفس
في الآخرة واستحقاق العقوبة الابدية والندامة السرمدية

التنبيه العاشر

التنبيه العاشر في بيان الانتصاف وصفة المخاصمة ورد المظالم
قد عرفت بما ذكرناه من قبل هول الميزان وخطره وان الاعيان شاخصة
الى لسان الميزان وشوكته فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ومن
خفت موازينه فامه هاوية وما ادراك ماهيه نار حامية واعلم
انه لا ينجو من خطر الحساب والميزان الا من حاسب نفسه في الدنيا ووزن
فيها بميزان الشرع اعماله واقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر حاسبوا
انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا اعمالكم قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه
ان يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من
تقصير في فرائض الله تعالى ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل من كل من تعرض
له بلسانه ويده وسوء ظنه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا
مظلمة فمن هذه حاله فانه يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل رد المظالم
احاطت به غرماؤه فهذا ياخذ بيده وهذا يقبض بناصيته وهذا
يتعلق بتلبيبه وهذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول
استهزأت بي وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا
يقول جاورتني فاسات جواري وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا
يقول بايعتني فغبنتني واخفيت عني عيب متاعك وهذا يقول كذبت
في سعر متاعك وهذا يقول رايتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني
وهذا يقول رايتني مظلوما وكنت قادرا على دفع الظالم فداهنت
الظالم وما راعيت حقي فبينا انت كذلك وقد انشبت الخصوم فيك مخالبهم
واحكموا في تلابيبك ايديهم وانت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك
احد عاملته على درهم او جالسته في مجلس الا وقد استحق عليك المظلمة

بغيبة او خيانة او نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم
ومددت عين الرجا الى سيدك ومولاك لعله يخلصك من ايديهم اذ قرع
سمعك ندآء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله
سريع الحساب فعندها ينخلع قلبك هيبة ويذهل فؤادك ولبك من
الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما انذرك الله به على لسان رسوله
صلى الله عليه وسلم حيث قال الله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى قوله وافئدتهم هوا فما اشد فرحك
اليوم بتمضمضك باعراض الناس وتناولك اموالهم وما اشد حسراتك
في ذلك اليوم اذ وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب
السياسة وانت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على ان ترد حقا او تظهر
عذرا فحينئذ يظهر القصاص وتوفى الحقوق منك ولات حين مناص
قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتدرون من المفلس قلنا
المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع قال المفلس من امتي
من ياتي يوم القيمة بصلوة وزكوة وصيام ثم ياتي قد شتم هذا
وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا
فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان
يقضي ما عليه ثم اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار
فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم اذ ليس يسلم لك حسنة اذا اسلمت
من آفات الريا ومكايد الشيطان بالغضب والحسد فان سلمت واحدة
في مدة طويلة استحقها خصماؤك وابتدروك واخذوها ولعلك لو حاسبت
نفسك وانت مواظب على الصيام وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي
عنك يوم الا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع

حسناتك

حسناتك فكيف ببقية السيئات من اكل الحرام والشبهات والتقصير
في الطاعات • وكيف ترجو الخلاص في يوم تنتقم فيه الجما من القرناء كما
ابو هريرة في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم
اراد انه يحشر الخلق كلهم يوم القيمة البهائم والدواب والطير والوحوش والهوام •
وكل شي للمقاصة فيما بينهم حتى يبلغ من عدل الله ان ياخذ للجما من القرناء •
ثم يقول بعد ذلك كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر ياليتني كنت ترابا •
الا فاتقوا عباد الله مظالم العباد باخذ اموالهم والتعرض لاحوالهم واعراضهم •
وتضييق قلوبهم والاساءة الى الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين
الله تعالى خاصة فالمغفرة اليه اسرع • ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها
وعز عليه استحلاب ارباب المظالم فان الله تعالى بسعته وكرمه وفضله
يعفو عنه فليكثر من الطاعات التي ينالها اللطف الذي ادخره لعباده
المومنين واصفيائه المتقين ۞ وقد نجز عرضنا مما اردنا ذكره في هذا
الكتاب • والحمد لله رب العالمين • ولنختم كتابنا هذا بالابتهال
الى الله تعالى والاعتذار اليه فنقول اللهم انا نستغفرك من جميع ما يجيش
في الافئدة والخواطر • واشتغلت به الجوارح في الاماكن الخالية والحجب
السواتر • بحيث لا يطلع عليه سواك ولا يستاثر بعلمه الا اياك
ونستغفرك من كل ما زلت به الاقدام • وطغت به الاقلام ونستغفرك
من الاقوال التي لا توافقها الاعمال ونستغفرك من كل علم وعمل قصدنا به
وجهك الكريم مخالطه ما يقصر عن بلوغ فضلك العظيم ونستغفرك
من كل تقصير احد ثناه • او تصنع وتكلف اثرناه ۞ ونرجو بعد

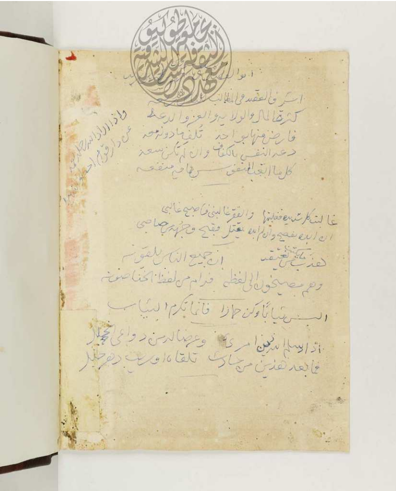


الاستغفار لمن وقف على كتابنا هذا فاستفاد منه موعظة او اطلع
فيه على موعظة منفعة في الدين ان يتكرم بالدعا بالعفو والمغفرة والتجاوز عن
جميع السيئات وقضي الحاجة العظمى وهي الخاتمة بالخير فان الكرم عميم
والرحمة واسعة والجود على الخلق فايض تم كتاب تصفية القلوب
عن درن الاوزار والذنوب فالحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات قال مؤلفه مولانا الامام المؤيد بالله امير المؤمنين عليه
الصلوة والسلام وكان تاليفه في خلال الاشتغال باصلاح حال
الشرف واقامة امر الدين فيه ونفوذ احكام الشريعة والرجوا
في الله ذلك وانتجز الفراغ من تاليفه في العشر الاول من شهر
رمضان الكريم المعظم اعاد الله علينا من بركاته من سنة
ست وثلاثين وسبعماية سنة ٧٣٦ والحمد
لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه
ويكافي مزيده له الحمد لا نحصي ثناء عليه
هو كما اثنى على نفسه ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وصلى الله على محمد وآله
الى يوم الدين

تم الكتاب ولست احصي الشكر من اولاني التمكين والامهال
والمدني بلطايف من عنده واعانني سبحانه وتعالى

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله الصلوة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا وعن والدينا وعن المؤمنين اجمعين





أبو ال...

اشرف العقد في المطالب ...

كثرة المال والولاية والعز والدعة

فارض منها بواحد تلف جادونه

دعة النفس بالكفاف وان لم تكن سعة

كل ما التعب المنفق ... منفعة

فالبث كل شديد فعليها والفقر عالبني فاصبح غالبي

ان ابده يفضح وان لم ابده يقتل فيقبح وجهه صاحبي

لقد ... نعتقد ان جميع الناس يلقونه

وهم مشغولون الى الفظ فرام من لفظا الخناصونه

البس شيابا وكن حازا فانما تكرم الشباب

اذا اسلم ... امري وعرضا الدين دواعي الحجاز

فما بعد هذين من حادث تلقاه او ريب دهر حلل

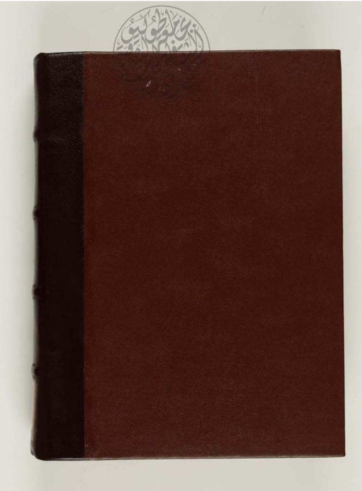












~[1270] al-Mu'ayyad billah Yahya Ibn Hamza Ibn Ali Ibn Ibrahim Ibn Rasul Allah المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن رسول الله : Kitab al-Tasfiya lil-qulub min daran al-awzar wa-al-dhunub كتاب التصفية للقلوب من درن الأوزار والذنوب .On the Zaidite author (died 747/1346 or 749/1348) and two further mss. of this ethical work based on the Koran and the Hadith (unedited) cf. GAL SII 242 and H. DAIBER, Das theologisch-philosophische System des Mu'ammar Ibn Abbad al-Sulami معمر بن عباد السلمي (gest. 830 n.Chr.), Beirut-Wiesbaden 1975, p.511. .